د. عائض القرني

إمبراطور الشعراء

obeikandl.com

العبيكان
Obeikan

© مكتبة العبيكان، ١٤٢٨هـ

فهرسة مكتبة الملك فهد الوطنية أثناء النشر

القرني، عائض عبدالله

إمبراطور الشعراء./ عائض عبدالله القرني. - الرياض، ١٤٢٨هـ

٥٧٠ ص، ١٦,٥×٢٤سم

ردمك ٠ - ٢٩٢ - ٥٤ - ٩٩٦٠

١ - الشعر العربي - العصر العباسي الثاني أ. العنوان

ديوي ٨١١,٥ ٣٠٣٤ / ١٤٢٨

رقم الإيداع: ١٣٨٣ / ١٤٢٨

ردمـــــك: ٠ - ٢٩٢ - ٥٤ - ٩٩٦٠

الطبعة الثالثة مزيدة ومنقحة

١٤٢٨هـ/ ٢٠٠٧م

حقوق الطباعة محفوظة للناشر

الناشر: العبيكان للنشر

الرياض - شارع العليا العام - جنوب برج المملكة

هاتف ٢٩٣٧٥٧٤ / ٢٩٣٧٥٨١ فاكس ٢٩٣٧٥٨٨

ص. ب ٦٧٦٢٢ الرمـــز ١١٥١٧

التوزيع: مكتبة العبيكان

الرياض - العليا - تقاطع طريق الملك فهد مع العروبة

هاتف ٤١٦٠٠١٨ / ٤٦٥٤٤٢٤ فاكس ٤٦٥٠١٢٩

ص. ب ٦٢٨٠٧ الرمـــز ١١٥٩٥

لا يسمح بإعادة إصدار هذا الكتاب أو نقله في أي شكل أو واسطة، سواء أكانت إلكترونية أو ميكانيكية، بما في ذلك التصوير بالنسخ «فوتوكوبي»، أو التسجيل، أو التخزين والاسترجاع، دون إذن خطي من الناشر.

obeikandl.com

obeikandl.com

obeikandl.com

في بلاط الإمبراطور

الحمد لله حمدًا كثيرًا طيبًا مباركًا فيه كما يحب ربنا ويرضى، وأصلي وأسلم على نبينا محمد وعلى آله وصحبه ومن استن بسنته اهتدى، وسار على نهجه معلمًا ومتعلمًا.

أما بعـــد:

فتحية طيبة، يا أبا الطيِّب، فقد حسونا كأس سحرك حتى ثملنا بيانًا، أما أبياتك فالنجوم ضياءً ورفعة، وأما قصائدك فالحدائق بهجة ونضرة.

من أين جئت يا أستاذ القافية؟!! وكيف وصلت يا فيلسوف الإبداع؟!!

لقد عاش من قبلك آلاف الشعراء، وجاء من بعدك الذين ملؤوا الفضاء ضجيجًا، والكون صياحًا، ثم ماتوا وماتت أصواتهم، وبقيت أنت منشدًا للدهر، وعازفًا على نياط القلوب كما قلت أنت:

وما الدهرُ إلا من رُواةِ قَصَائدِي إذا قُلتُ شِعرًا أصبَحَ الدَّهْرُ مِنْشِدَا

لقد عرفتك قبل ثلاثين سنة، فكنت معي حضرًا وسفرًا، أتمثل أبياتك، أنشد قصائدك، أحفظ ديوانك، ولكن ذنبك أنك زهدتني في غيرك من الشعراء، وعذرك أنك سطعت ولمعت وأبدعت.

يا أبا الطيِّب، أخذنا من قصائدك ما كان شاهدًا ومثلاً وحكمة وعبرة، وتركنا غلوك وهجاءك وصخبك، وعسى الجيل أن يعود للبيان العربي ليفهم كتاب ربه وسنة نبيه ﷺ حق الفهم؛ لأن الوحي هو المقصود بالتدبر والتأمل والدراسة؛ أما ما سواه فوسائل وأدوات فحسب:

قَوَاصِدُ كافُورٍ تَوَارِكَ غَيْرِهِ وَمَن قَصَدَ البحرَ استَقَلَّ السَّوَاقِيَا

obeikandl.com

المتنبـــي

عائض القرني

حَـسْـبك الله لم تزلْ تتـحـدَا ... مـــا رهبتَ المنونَ أو هبْت جُندا

أنت كـالدَّهرِ والقـوافي لَيـالٍ ... تَبْتنى بالقَريضِ في النَّاسِ مَجْدا

أرجفوا : مات ! قلت لا موت قالوا : ... قـد مـضى، قلتْ: بل زَمَـانِي تَبـدا

نبـشَـوا فـيكَ عَـبـقَـريّاً أديبًـا ... حَـركُـوا فِـيك مَـارداً بل ألدَّا

أشْـعلوا مِنكَ في الديَاجِي نجـومًـا ... أحـرقُـوا فيك غَـيظهم فـاستـبدّا

كُلهم قـاتلٌ وكُلُّ الضَّـحـايا ... أنت يا مَـالِئ الفَـيَـافي جـدّاً

أنْعلوا خَـيْلك الأفَـاعي فَـهـابت ... كُلُّ أفـعَى ذَاقتْ من السَّمِ وردْا

أصْلتوا في عُيُونكَ الموتَ سَيفًـا ... أغـمَـدُوا في حَشَـاك رمُحًـا مُـعدَّا

كـيفْ أفلتَّ والصَّـحَـاري زؤام؟ ... والمنايا خُـرْسٌ وقـد جِـئتَ فَـرْدا

أيَّ ليلٍ رَكِـبتُ؟ أينَ الأعَـادي؟ ... فِـتَّـهُم يا عظيمَ مَـعْنى وبُعْـدا

أنت في الشَـامِ أم وصلتَ عُـمـانًا ... أم وردتَ العِـراقَ أم زرتَ نجْـدا

عند من أنزلوك عَند ابن مُـوسَى ... أم سَعيدٌ وابن العَميْد المفَدّى؟

عندَ كـافـورُ أصبحَ العبـدُ حُـرًّا ... أم عليَّ ذَا الحـرِّ أصـبحَ عَـبْـدَا

أمْ تُريدُ الحَـــيَـــاة أم أَنْتَ صبٌّ ... يَعْـشَقُ الحُسْنَ كَـاتمًا مـا تَبـدَّى

هَل رأيتَ القُـرودَ حَـوْلك أُسْـدا؟ ... أم تَخَـيَّلتَ طَلعـةَ اللَّيثِ قِـردَا؟

وعَلَى مَن تُلقي القَـرِيْضَ شَـجَـيّـاً ... وإلى مَنْ تُهْـدِي مِنَ الشَّـعْـرِ وردَا؟

أنتَ يا مُلبِسُ السَّـــلاطِين عِـــزَّا ... أنتَ يا كَـاسِي الصَّـعَـاليك بُرْدا

أنتَ يا مُـــشـــعِل الزَّمَـــانِ أرِحنَا ... قَـال: دَعني أذكـيـه برقـا ورعـدَا!

عَـشتَ بالعِـزِّ مُـؤمنا لا يُداجِي ... ومِنَ الذُّلِّ كَـــافِـــرًا مـــرتَدا!

بَصّـر العَـمي أسـمع الصُّمّ شعـرًا ... عَلِّم الضَّـاد تُركُـمَـانًا وكُـرْدًا

بِكَ ينوي الممـاتُ أن يتَـعـشَّى ... قَـــالَ: كَـــلاَّ أنا بِـه أتَغَـــدَى!

تُلبسُ الثَّـورَ مَطْرَفـاً وهو أَعْـمى ... كَي تراهُ أصـــمَى وأطغْى وأَرْدا!

تَحْـرقَ النذَل بالقَـريضَ فَـيَـبـقَى ... خَـائبًـا خَـاسِـرًا حَـقِـيـرًا مُـردّا

لـم تُبَـال رَكَـبت أدهم ضَـافٍ ... أو قَطَعت الصَّحـراء سَعـيًـا وشَـدّاً

أو لَقِـيتَ الخُطُوبَ في ثوب هَولٍ ... أو حَـضنت الأيام عِـزّاً وسَـعـدا

أو مَـلأتَ القُلوبَ فـيك ابتـهـاجـاً ... أو نَقـشت الصُّـدور غِـلاً وحِـقـدَا

أتُرجّـى وِصَـــالَ أهيَـفَ غُـــرٍّ ... قَـال: كَـلاَّ طلَّقتُ سَلَمى ودَعْـدَا

كُلُّ شِـبـرٍ مُـصَـائبُ تتلظَّى ... كَـسُـيُـوفٍ بَواتِر بَل أَحَـدَّا

تَطْلبُ الثَّـــأرَ في حَنَايا عَظِيمٍ قَــدّ أعَناقُــهــا بِجَنبــيــه قَــدّا

أنتَ يا بن الحُــسِينِ أكــبَــر لُغــزٍ في بَلاط المُلُوك تُروى وتُهـــدَى

كـيفَ أُنهي الخِطَابَ فَـيكَ وأجلُو عَنْ مَعَانِيك؟ قَال لي: كَيفَ تَبدا؟

opeikandl.com

obeikandl.com

وردة من دم المتنبي

للشاعر/ عبدالله البردوني

مِن تلظي لموعه كاد يعمى ... كاد مِن شهرة اسمه لا يُسمى

جاء مِن نفسه إليها وحيداً ... راميًا أصلهُ غباراً ورسما

حاملاً عمره بكفيه رمحًا ... ناقشًا نهجه على القلب وشما

خالعًا ذاته لريح الفيافي ... ملحقًا بالملوك والدهر وصما

***

ارتضاها أبُوَّة السيف طفلاً ... أرضعتهُ حقيقة الموت حُلما

بالمنايا أردى المنايا ليحيا ... وإلى الأعظم احتذى كل عظمى

***

عسكر الجن والنبوءات فيهِ ... وإلى سيف (قُرمطٍ) كان يُنمى

***

البراكين أُمَّه، صار أمًّا ... للبراكين، للإرادات عَزْما

(كم إلى كم، تفنى الجيوش افتداءً ... لقرودٍ يفنون لثمًا وضمًّا)

***

ما اسم هذا الغلام يا بن مُعاذٍ؟ ... اسمه (لا): مِن أين هذا المسمى؟

إنه أخطر الصعاليك طُرًّا ... إنه يعشق الخطورات جمًّا

***

فيه صاحت إدانة العصر : أضحى حكَمًا فوق حاكميهِ وخصما
قيل : أردَوه ، قيل : مات احتمالًا قيل : همَّت به المنايا ، وهمَّا
قيل : كان الردى لديه حصانًا يمتطيهِ برقًا ، ويبريه سهما
الغرابات عنه قصَّت فصولًا كاللتي أرّخت (جديسًا) و(طسما)

***

أورَق الحبر كالربا في يديهِ أطلعَت كل ربوةٍ منه نجمًا
العناقيد غنَّت الكاس عنهُ الندى باسمه إلى الشمس أومى

***

هل سيختار ثروةً واتِّساخًا ؟ أم تُرى يرتضي نقاءً وعُدما ؟
ليس يدري ، للفقر وجهٌ قميءٌ واحتيال الغنى مِن الفقر أقما
ربما ينتخي مليًّا ، وحينًا ينحني ، كي يصيب كيفًا وكمًّا
عندما يستحيل كل اختيارٍ سوف تختارهُ الضرورات رغما
ليت أن الفتى ـ كما قيل ـ صخرٌ لو بوسعي ما كنت لحمًا وعظما
هل سأعلو فوق الهبات كميًّا ؟ جبروت الهبات أعلى وأكمى

***

أنعلوا خيلهُ نُضارًا ليفنى سيد الفقر تحت أذيال نُعمى
(غير ذا الموت أبتغي ، مَن يُريني غيرهُ لم أجد لذا الموت طعما
أعشق الموت ساخنًا ، يحتسيني فائرًا ، أحتسيه جمرًا وفحما
أرتعيهِ ، أحسَّه في نيوبي يرتعيني ، أحسّ نهشًا وقضما)

***

وجدوا القتل بالدنانير أخفى ... للنوايا، أمضى من السيف حسما
ناعم الذبح، لايعي أي راءٍ ... أين أدمى، ولا يرى كيف أصمى
يشتري مصرع النفوس الغوالي ... مثلما يشتري نبيذًا ولحما
يدخل المرء من يديه وينفي ... جسمه من أديمه وهو مغمى
يتبدّى مبغيً هنا، ثم يبدو ... معبدًا ها هنا، وبنكين ثَما
يحملُ السوق تحت إبطيه، يمشي ... بايعًا شاريًا، نعيًا ويُتما
مَن تُداجي يابن الحسين؟ (أداجي ... أوجهًا تستحق ركلا ولطما
كم إلى كم أقول ما لست أعني؟ ... وإلى كم أبني على الوهم وهما؟
تقتضيني هذي الجذوع اقتلاعًا ... أقتضيها تلك المقاصير هدما)

***

يبتدي يبتدي، يُداني وصولًا ... ينتهي ينتهي، ويدنو ولَّما
هل يرى غير ما ترى مقلتاهُ؟ ... (هل يُسمِّي تورّم الجوف شحما)؟

***

في يديهِ لكل سِينَين جيمٌ ... وهو ينشقّ: بين ماذا وعمَّا
لا يريد الذي يوافيه، يهوى ... أعنف الاختيار: إمَّا، وامَّا
كل أحبابهِ سيوفٌ وخيلٌ ... ووصيفاتهُ: أفاعٍ وحمَّى

***

(يا ابنة الليل كيف جئتِ وعندي مِن ضواري الزمان مليون دهما؟
الليالي ـ كما علمت ـ شكولٌ لم تزدني بها المرارات عِلما)

***

آه يابن الحسين: ماذا ترجِّي؟ هل نثير النقود يرتد نظما؟
بحفيف الرموز ترمي سيوفًا عارياتٍ: فهل تحدَّيتَ ظلما؟
كيف تدمى ولا ترى لنجيعٍ حمرةً تنهمي رفيفًا وشمًّا؟
كان يهمي النبات والغيث طلٌّ فلماذا يجفّ والغيث أهمى؟
ألأنَّ الخصاة أضحوا ملوكًا زادت الحادثات، وازددن عُقما؟

***

(هل أقول الزمان أضحى نذيلًا؟ ربما قلت لي: متى كان شهما؟
هل أسمِّي حكم الندامى سقوطًا؟ ربما قلت لي: متى كان فخما؟
أين ألقى الخطورة البكر وحدي؟ لست أرضى الحوادث الشمط أُمًّا
أبتغي يا سيوف، أمضى وأهوى أسهمًا مِن سهام (كافور) أرمى)

***

شاخ في نعله الطريق، وتبدو كل شيخوخةٍ، صبِيً مدلهمًّا
كلما انهار قاتلٌ، قام أخزى كان يستخلف الذميمُ الأذمَّا
هل طغاة الورى يموتون زعمًا ـ يا منايا ـ كما يعيشون زعما؟
أين حتمية الزمان؟ لماذا لا يرى للتحول اليوم حتما؟

هل يجارى، وفي حناياه نفسٌ أنفَت أن تحلّ طيناً مُحمَّى؟
(ساءلت كل بلدةٍ: أنت ماذا؟ ما الذي تبتغي؟ أجلّ وأسمى
غير كفِّي للكاس، غير فؤادي لعبةٌ في بنان «لَيا» و«ألمى»)

***

كيف يرجو أكواز بغداد نهرٌ قلبُه وحدهُ من البحر أطمى؟
كان أعلى من (قاسيون) جبيناً من نخيل العراق أجنى وأنمى
للبراكين كان أُمّاً: أَيُمسي لركام الرماد خالًا وعمَّا؟

***

(حلبٌ يا حنين، يا قلب تدعو لا ألبِّي، يا موطن القلب مهما..
أشتهي عالمًا سوى ذا، زمانًا غير هذا، وغير ذا الحكم حكما
أين أرمي روحي وجسمي، وأبني لي، كما أستطيب روحًا وجسما؟)

***

خفِّف الصوت للعدا ألف سمعٍ : هل ألاقي فدامة القتل فدما؟
يا أبا الطيِّب اتئد: قل لغيري : اتخذ حيطةً: على مَن ومما؟
كلهم (ضبَّةٌ) فهذا قناعٌ ذاك وجهٌ سمَّى تواريه حزما

***

(الطـريق الذي تخيَّـرت أبـدى وجـــه إتمامــه، أُريـدُ الأتمَّـا
متُّ غمًّا: يا درب «شيراز» أورق مِن دمي كي يرفّ مَن مات عمًّا
وانفتح وردةً إلى الريح تُفضـي عن عدوّ الجمَام كيف استجمَّا)

***

أصبحَت دون رجله الأرض، أضحى دون إطلاق برقـه، كلٌّ مرمـى
هل يصافي؟ شتى وجوه التصافي للتعادي وجـهٌ وإن كان جهمـا
أين لاقى مـودّةً غيـــر أفعـــى؟ هل تجلَّى ابتسامةً غير شرمى؟

***

أهلُـهُ كل جـذوةٍ، كل بـــرقٍ كل قفر في قلبه، وجه «سلمى»
تنمحـي كلهـا الأقاليـم فيـهِ ينمحي حجمهُ، ليزداد حجمـا
تحت أضلاعه «ظفارٌ» و«رضـوى» وعلـى ظهـرهِ «أثينـا» و«رومـا»
يغتلي في قذاله «الكرخ» يرنـو مِن تقاطيع وجهـه «باب توما»

***

التعاريـف تجتليـهِ وتغضـــي التناكيـر عنـه ترتدّ كلمـــى
كلهـم يأكلونَـهُ وهـو طـاوٍ كلهـم يشـربونهُ وهـو أظمـا
كلهـــم لا يرونـــهُ وهـو لفـحٌ تحت أجفانهم مِن الجمر أحمى
حاولو، حصرهُ، فأذكوا حصاراً في حناياهمـــو يُدمِّـي ويَدمى
جرَّب الموت محوهُ ذات يـــومٍ وإلى اليـوم يقتـل الموت فهمـا

قصتي مع البيان

كنت في الصبا أعجب بالكلمة الجميلة، أنصت لها، أتمتع بحسنها، يشدني جرسها، يخلبني سرها، يدهشني أسرها، أسمع الكلمة البليغة من النثر والشعر فأجد لذة في سماعها، وتغمرني فرحة في تأمل بيانها، فالبيان سواء كان قرآنًا أو حديثًا أو شعرًا أو رواية هو منتهى الإبداع لدي، وأحيانًا أتناول كلمات من القرآن فأقرأ ما كتب عنها المفسرون والبلاغيون ثم أعود بنفسي متأملًا متفكرًا متدبرًا، فأجد لها في أعماقي معانيَ لا أستطيع أحيانًا أن أعبر عنها بلساني، وكم هي الآيات التي هزَّت كياني، وحركت أشجاني، وزلزلت أركاني، وقد تكون هذه الآيات وعظًا، أو قصصًا، أو حوارًا، أو خطابًا، أو وصفًا، المهم أنني أعيش مواقف من التأثر لروعة البيان وجمال الخطاب.

وفي عام ١٤٠٠هـ كنت مع سماحة الشيخ الإمام العلامة/ عبدالعزيز بن باز في جازان لافتتاح مخيم دعوي هناك، وبدأ الحفل بآيات من أول سورة فُصِّلت، قارئها طالب جميل الصوت، حسن الأداء، رخيم النغمة، وكنت قريب عهد بقراءة السيرة، وقصة السورة؛ فتأثرت وأنا جالس بين الناس وأصابتني دهشة، ودعيت بعدها بفقرتين لإلقاء قصيدة؛ فلما ألقيت ما يقارب عشرة أبيات وكانت أربعين بيتًا لم أستطع المواصلة، وشعرت بتعبٍ وإعياء، فقطعت الإلقاء فجأة وجلست، وكان الموقف لافتًا للنظر، وما ذاك إلا لما بقي في نفسي من تأثر بالغ أثَّر في مشاعري وعواطفي.

وصلينا في الحرم المكي صلاة التراويح فرفع الإمام صوته بقوله تعالى:﴿ **فَاعْلَمْ أَنَّهُ لا إِلَهَ إِلاَّ اللَّهُ وَاسْتَغْفِرْ لِذَنْبِكَ..** ﴾ الآية [**محمد**: ١٩]، وارتج الحرم بالصوت، ولكنه بلغ الأعماق فلا أدري هل أعجب من هذا البيان الآسر، أم من هذه الفخامة والإشراق والإعجاز، أم من هذا الصدق واليقين والعدل؟!

كنت أقف على بعض الجُمل من القرآن فأفصِّلها كلمة كلمة كما يفصل الدر من عقده، والجوهر من خيطه، وقفت مرة عند قوله تعالى:﴿ **وَالنَّخْلَ بَاسِقَاتٍ لَّهَا طَلْعٌ نَّضِيدٌ** ﴾ [**ق**: ١٠] فتأملت كلمة (**باسقات**) وجمالها، فإذا لها مدلول غير مدلول طويلات؛لأن الباسق الطويل في حسن ورواء، وكذلك كلمة: (**طَلْع**) كيف اختارها من بين كلمة ثمر وحب وتمر ورطب وبسر ونحوها وكلمة: (**نضيد**) وما فيها من جمال ودلالة وإشراق يذكرك بالعقد الزاهي من الجوهر.

وقرأت قوله تعالى عن كتابه: ﴿ **لا يَأْتِيهِ الْبَاطِلُ مِنْ بَيْنِ يَدَيْهِ وَلا مِنْ خَلْفِهِ تَنزِيلٌ مِّنْ حَكِيمٍ حَمِيدٍ** ﴾[**فصلت**:٤٢] فهزني هذا الكلام الجليل، ثم عدت إلى مصطفى صادق الرافعي، فإذا هو مندهش لهذه الآية، مأسور لجزالتها وفصاحتها. ومرت به آية: ﴿ **..فَجَعَلْنَاهُمْ أَحَادِيثَ..** ﴾[**سبأ**: ١٩] فوقف متأملًا صامتًا منبهرًا من هذه الإجادة والإيجاز والإعجاز، ثم طالعت مذكرات الإبراهيمي الجزائري فإذا هو يدبج أروع الكلام عن هذه الآية، ويعلن دهشته من هذا الكلام المشرق السامي الراقي.

وعشت مع سورة الجن، فكأني في عالم الحنين والأنين، يبهرني اللفظ ويأسرني المعنى، وتذهلني الفصاحة، ويهزني الإعجاز، ثم أعذر الجن وهم يقولون ﴿إِنَّا سَمِعْنَا قُرْآنًا عَجَبًا﴾، وأقرأ كلام سيد قطب فإذا هو يعيش تلك اللحظات من الانبهار والدهشة لهذا الكلام، وكم هي الآيات التي أوقفتني وسلبت لبي، وذهب بي الإعجاب بها كل مذهب، وتمنيت أن عندي من البيان ما يعبر عما يدور بخلدي من معان كامنة مستورة في الحشا، وكنت أردد آية: ﴿وَقِيلَ يَا أَرْضُ ابْلَعِي مَاءَكِ وَيَا سَمَاءُ أَقْلِعِي وَغِيضَ الْمَاءُ وَقُضِيَ الأَمْرُ وَاسْتَوَتْ عَلَى الْجُودِيِّ وَقِيلَ بُعْدًا لِّلْقَوْمِ الظَّالِمِينَ﴾ [هود: ٤٤]، فأعيد النظر فيها وأعرضها على بعض الأصدقاء ليشاركني هذه المتعة، ثم أجد عبدالقاهر الجرجاني يبسط الكلام عن إعجاز هذه الآية ووجه البيان والبديع فيها.

ووقفت عند آية: ﴿وَقَالَتِ الْيَهُودُ يَدُ اللَّهِ مَغْلُولَةٌ غُلَّتْ أَيْدِيهِمْ وَلُعِنُوا بِمَا قَالُوا بَلْ يَدَاهُ مَبْسُوطَتَانِ يُنفِقُ كَيْفَ يَشَاءُ..﴾ [المائدة: ٦٤]، فعجبت لقوة هذا الحديث الذي ينسف قلاع الباطل، ويحطم أسوار الزور، ويجتث شجرة العناد والتمرد.

وطالعت عالَم البيان في حديثه ﷺ، وتأملت أحاديثه العِذاب الرطاب، وكلامه الجزل الفخم، وذهبت مع الشعر فحفظت منه الكثير ورويت الكثير، ولكن الذي أحفظه هو الذي يعجبني ويطربني.

وسافرت مع المحدثين، والنَقَلة، والمؤرخين، والمفسرين، وأهل اللغة والأدباء، أقف مع الرائع الجميل من كلامهم، وأعيد القطعة الماتعة من كلام الذهبي، والوقفة الصادقة لابن تيمية، والمقولة المؤثرة لابن القيم، والمداخلة الخلابة

للجاحظ، والعرض الشائق لابن خلدون ونحوهم، وأكثر ما يشدني في ذلك، البيان وحسن السبك، وجمال اللفظ، وقوة المعنى، وسطوع البرهان.

جلست مع صديق لي فقرأت عليه هذه القطعة للجاحظ إذ يقول: «جعلت فداك، وإنما أخرجك من شيء إلى شيء، وأورد عليك الباب بعد الباب، لأن من شأن الناس ملالة الكثير واستثقال الطويل؛ وإن كثرت محاسنه، وجمت فوائده، وإنما أردت أن يكون استطرافك للآتي قبل أن ينقضي استطرافك للماضي، ولأنك متى كنت للشيء متوقعًا، وله منتظرًا، كان أحظى لما يرد عليك، وأشهى لما يهدى إليك، وكل منتظر معظَّم، وكل مأمول مكرّم، كل ذلك رغبة في الفائدة، وصبابة بالعلم، وكلفًا بالاقتباس، وشحًا على نصيبي منك، وضنًا بما أؤمله عندك، ومداراة لطباعك، واستزادة من نشاطك، ولأنك على كل حال بشر، ولأنك متناهي القوة مدبر».

كررت هذه القطعة الفائقة، فكأنني أجد طعمها في فمي قطعة من الشهد، وزلالًا باردًا من معين صاف، وبقيت أقلبها في عيني تقليب الدرة في اليد، والفكرة في القلب، والخاطر في الضمير، وأنت لو تأملت هذه القطعة النثرية الفائقة للجاحظ لوجدتها في أوج البيان، وقمة الفصاحة، بعيدة عن التزويق والتكلف، سليمة من التبذل والرعونة، ساحرة فاتنة.

وإنما ذكرت هذا مثلًا، وإلا فكم من مقالة وقطعة وقصيدة توقف اللبيب، وتدهش الفطن من حسنها وروعتها.

أسمع الخطيب والواعظ والمعلم والمفتي والشاعر والمحاضر فلا يملك إعجابيَ إلاَّ المتفردُ في بيانه، المتوحدُ في اختيار مفرداته، واصطفاء كلماته، وانتقاء جمله، أمَّا الهذر والحشو والإكثار، فكلٌّ يستطيعه وهو المبذول المملول المرذول المدخول!.

حدثني أحد الأدباء: أن (هتلر) أراد أن يلقي خطابًا للعالم يوم زحفت جيوشه إلى موسكو، يملأ به المكان والزمان، فأمر مستشاريه باختيار أقوى عبارة وأجملها وأفخمها يبدأ بها خطابه الهائل للعالم، سواء كانت من الكتب السماوية، أو من كلام الفلاسفة، أو من قصيد الشعراء، فدلَّهم أديب عراقي مقيم في ألمانيا على قوله تعالى: ﴿اقْتَرَبَتِ السَّاعَةُ وَانشَقَّ الْقَمَرُ﴾ [القمر: ١] فأعجب (هتلر) بهذه الآية وبدأ بها كلمته، وتوَّج بها خطابه.

قف مع هذه الآية ورتِّلها وتأمَّلها لتجد فخامةً في إشراق، وقوةً في إقناع، وأصالةً في وضوح.

وقرأت مقالة لأديب يهاجم أديبًا آخر سرق له مقالات ونسبها إليه، فجعل عنوان هذه المقالة قوله تعالى: ﴿أَيَّتُهَا الْعِيرُ إِنَّكُمْ لَسَارِقُونَ﴾[يوسف: ٧٠]، فبقيت مع العنوان متأملًا مكررًا معجبًا، وأهملت المقالة!؛ ولهذا فإنك تعذر كل من أسره القرآن واستمال قلبه وسيطر على روحه، حتى إن أحد العرب صلَّى خلف الرسول ﷺ فسمعه يقرأ: ﴿يَوْمَ يُدَعُّونَ إِلَىٰ نَارِ جَهَنَّمَ دَعًّا﴾ [الطور: ١٣]، فكاد قلبه أن يطير، وسمع آخرُ قوله تعالى: ﴿أَمْ خُلِقُوا مِنْ غَيْرِ شَيْءٍ أَمْ هُمُ الْخَالِقُونَ﴾ [الطور: ٣٥]، فذُهل وتحير من بلاغتها وجمالها، وهذا الذي حمل الوليد بن المغيرة ليصيح

صيحة المعترف ويقول: (إن له لحلاوة، وإن عليه لطلاوة، وإن أعلاه لمثمر، وإن أسفله لمغدق، وإنه ليعلو ولا يعلى عليه).

إن صرعى الشبهات لا يعجبهم القرآن، وإن عبيد الشهوات لا يهزهم هذا الكتاب العظيم؛ إن القرآن يعجب سليم الفطرة، بريء الضمير، حيَّ القلب، مشبوبَ العاطفة، متوقدَ الذهن، صافي القريحة، فهذه أرض طيبة خصبة لغيث البيان ومطر الفصاحة العذب.

مرت بي مئات المقالات والقصائد؛ فوجدتها ثقيلة وبيِّلة لا تستحق العناية والمطالعة، مهلهلة السبك ضعيفة البناء، ركيكة اللفظ، ماتت قبل أن تولد، ودفنت قبل أن تحيا جزاءً وفاقًا، وبقيت الكلمات الآسرة الساحرة الساطعة خالدة خلود الحق، لامعة لموع الفجر، جميلة جمال الإبداع.

طالعْ كتاب (صيد الخاطر) لابن الجوزي، وكرر كلماته، وأعد جمله لتدرك سر شيوع هذا الكتاب وذيوعه وخلوده؛ إنها الفكرة الرائدة في ثوب جميل، والتوجيه الصادق في قالب بديع، والمعنى العميق في لفظ بهيج مشرق، يقول ابن الجوزي في كتابه طيب الذكر: (إلا رجال مؤمنون ونساء مؤمنات يحفظ الله بهم الأرض، بواطنهم كظواهرهم بل أجلى، وسرائرهم كعلانيتهم بل أحلى، وهممهم عند الثريا بل أعلى، إن عرفوا تنكروا، وإن رئيت لهم كرامة أنكروا، فالناس في غفلاتهم، وهم في قطع فلاتهم، تحبهم بقاع الأرض، وتفرح بهم أفلاك السماء، نسأل الله - عز وجل - التوفيق لاتباعهم، وأن يجعلنا من أتباعهم).. انتهى

كلامه، ولكن لم ينته أثره ولا نوره ولا أسره ولا جماله، إن البحث عن البيان في الكلام متعة؛ لا يعادلها متعة ارتياد الروض الأخضر، والخميلة المائسة، ولا يعادلها مجلس أنس، أو رحلة سياحة، وقد وصف أحد البلغاء كلام أحد الأدباء فقال: «إذا تحدث فكأن السحر دَبَّ في جسمك»، وهذا معنى قوله ﷺ: «**إن من البيان لسحرا**»، فهو يفعل السحر في خلبه للب السامع، يقول ابن الرومي:

وكلامها السحر الحلال لو أنه ... لم يجنِ قتل المسلم المتحرزِ

إن طال لم يملل وإن هي أوجزت ... ودَّ المحدث أنها لم توجزِ

والكلمات الجميلة هي التي نُقشت في أذهاننا، وكتبت في قلوبنا، فبقيت وعاشت: أقرأُ كلام علي بن أبي طالب ـ رضي الله عنه ـ فأكرره كأنني أشرب زلالًا باردًا حلوًا على ظمأ في قيظ، حتى عقد له ابن كثير في تاريخه فصلًا عنوانه: باب في كلماته الحاصلة التي هي إلى القلوب واصلة، ولما افتتح البخاري كتاب الرقاق من صحيحه ذكر قول علي: «إن الدنيا ارتحلت مدبرة، وإن الآخرة ارتحلت مقبلة، فكونوا من أبناء الآخرة، ولا تكونوا من أبناء الدنيا، فإن اليوم عمل ولا حساب، وغدًا حساب ولا عمل»، فانظر إلى هذا الإيجاز مع قوة المعنى وحسن الفواصل، وبراعة الإيراد، وجمال العرض.

ولما بدأت في مطالعة (الكشاف) للزمخشري بدأ ليصلي على النبيﷺ فقال: «والصلاة والسلام على حامل لواء العز في بني لؤي، وصاحب الطود المنيف في بني عبد مناف بن قصي، صاحب الغرة والتحجيل، المذكور في التوراة والإنجيل...» إلى آخر هذا الكلام الجزل الفخم، ولحسنه حفظته.

إن أول طبعة لمصنف ابن أبي شيبة طبعت في الهند، قدم لها أحد علماء الهند مقدمة باردة سامجة متفككة متهالكة، حتى صارت مصدر نادرة في المزاح، وما هذا إلا لأن الرجل يكتب بغير لسانه، وما غاص في مفردات اللغة العربية، وما تمتع بجمالها فهو غريب، وإنك لتسمع العالم يفتي، والمعلم يدرس، والخطيب يتحدث، والشاعر يلقي، فتعرف قوة هؤلاء من ضعفهم وبيانهم من عيِّهم من أول وهلة؛ لأن الكلام الجميل الساطع لا يخفى حسنه، ولا يجهل قدره.

إن أساطين البيان حفروا كلماتهم في ديوان التاريخ، وذاكرة الأجيال لأن الإبداع له خلود، والتفوق له ذيوع، والتفرد له امتياز.

قال أحد الخلفاء لبليغ: ما البلاغة؟ قال هي: «أن لا تبطئ ولا تخطئ». قال مثل ماذا؟ قال مثل هذا!، وانظر كيف أوجز وأعجز. وقالوا لشاعر: نراك تسرع في الكلام قال: «لأن القوافي تزدحم في فيَّ - أي فمي -، فما أسرع جوابه وأحسن صوابه».

ومدح رجل عليًا - رضي الله عنه - وكان يبغض عليًا - فقال له عليٌّ: «أنا فوق ما في نفسك ودون ما تقول»، وقال له رجل: لماذا اتفقت الأمة على الشيخين، واختلفت عليك؟ قال: «لأن رعيتهم أنا وأمثالي، ورعيتي أنت وأمثالك»! فقل لي بربك أي جواب هذا الذي كأنه أعده من شهر.

لقد حرمنا متعة البيان بسبب هذا الهذيان، كلام طويل ثقيل وبيل، وتكرار وتبذُّل، حتى إنك لتسمع الخطيب يتكلم ساعة كاملة، ولو جمع ما قال في خمس دقائق لأحسن إلى نفسه وإلى السامعين.

إن السيلان الخطابي، والثرثرة في الحديث شيء، والبيان والبلاغة شيء آخر، إن البيان هو أن تصيب المحز وتشفي النفس وتبلّغ حجتك.

ولِوَلَعِ النفس بالبيان، وتعلق القلب بالفصاحة؛ سافرت مع أبي الطيب المتنبئ لجمال شعره وروعة بيانه، وجزالة لفظه، وبراعة عرضه، وأما مبادئه ومذهبه في الحياة فلنا معه حديث آخر في هذا الكتاب.

obeikandl.com

obeikandl.com

مملكة البيان ﴿ادْخُلُوهَا بِسَلَامٍ آمِنِينَ﴾

﴿الرَّحْمَنُ ﴿١﴾ عَلَّمَ الْقُرْآنَ ﴿٢﴾ خَلَقَ الإِنسَانَ ﴿٣﴾ عَلَّمَهُ الْبَيَانَ﴾ فصار هذا المخلوق بالمنطق آية باهرة على عظمة خالقه، وصار بالبيان مخلوقًا كريمًا يقول الكلمة فتخلب الألباب، وينطق اللفظة فتدهش العقول، يصوغ من الحروف سحرًا، ويجري من الجمل نهرًا، يهدِّئ الجموع الثائرة بخطاب، ويحرك القلوب الخامدة بموعظة، وإن العبارة البليغة الباهرة لهي أجمل من اللوحة الهائمة في الحسن، وإن الجملة الموحية الآسرة الأخاذة لهي أبرع من ريشة الرسام العبقريِّ، وإن أهل العقول الراشدة السوية يجدون في مطالعة البيان من المتعة واللذة ما لا يجدونه في مشاهدة الخمائل المائسة، والجداول الرقراقة.

واعلم أن قوت القلوب موائد من المعاني الجميلة الخلابة، وإن زاد النفوس لهو مدد من البينات، وإن معين الأفئدة الرقراق لهو عين من الإبداع في القول يشرب بها النبلاء يفجرونها تفجيرًا.

إن من أعظم أوصاف رسالته ﷺ أنها ذات بيان باهر، وبلاغة فائقة، وتأثير عجيب، ودونك هذا القرآن الكتاب الخالد، والمعجزة الظاهرة، التي شدهت العقول، وهزت الأنفس، حتى أنصتت لها البصائر بإمعان، وأخبتت لها الأرواح في خشوع، فاهتزت لهذا البيان، وربت بهذه البلاغة، وأنبتت من كل زوج بهيج من الإيمان والعطاء والتضحية.

كان رسولنا ﷺ أفصح الناس كل الناس، وأبلغ البشر جميع البشر، فجاء خطابه غيثًا هنيئًا مريئًا، يهجم على القلوب القاحلة فإذا هي حدائق ذات بهجة ببركة هذا الكلام، فصارت جمله ﷺ حديث السُّمار، وزاد الركب، أشهر من الأمثال، وآنس من العافية، وأجمل من طلعة الفجر الباهية، ولأن المتفوقين من الناس والبارعين من العقلاء يطربون لأسرار الإعجاز في البيان، ولطائف الإلهام في القول، ونكات الفصاحة في الحديث، ولقد أمر الله تعالى رسوله ﷺ أن يهز الأنفس بالقول المؤثر فقال: ﴿وَقُل لَّهُمْ فِي أَنفُسِهِمْ قَوْلاً بَلِيغًا﴾ [النساء: ٦٣]، فبالقول البليغ تقوم الحجة، وتتضح المحجة، ويقذف بالحق على الباطل فيدمغه فإذا هو زاهق.

وقد أحببنا أن نسافر مع الكلمة الشاردة الفريدة، والجملة الناصعة المشرقة والقول الفصيح الجذاب فاخترنا شاعرًا لامعًا، وأديبًا باقعة، وعبقريًا فذًا، تجذرت كلماته في قلوب رواد الإبداع، وغاصت إشراقاته في نفوس محبيه، هذا من حيث جمال شعره، وروعة قصائده، وسحر بيانه، وأما من حيث مذهبه ومنهاجه في حياته فلنا معه وقفات ومؤاخذات، لا نظلمه ولا نهضمه، ولا نفرط عليه ولا نطغى، بيننا وبينه ميزان الإنصاف، لا يضيع حبة خردل من الحقيقة، وأمامنا وأمامه كتاب المروءة والعدل، لا يغادر صغيرة من الإبداع ولا كبيرة من جواهر البيان إلا أحصاها.

فمرحبًا بملك الشعراء في مملكة البيان، ونحييه بقوله هو:

يا فخـر فإن الناس فيك ثلاثـة مسـتعظم أو حاسـدٌ أو جاهـلُ

وإذا أتتـك مذمتـي مـن ناقصٍ فهـي الشـهادةُ لـي بأني كاملُ

وسوف نقرأ المتنبئ قراءة المتلمس للبيان، المشغوف بالحسن، المتلهف على الإبداع، وهو الذي يقول لنا:

لا تعذلِ المشتاق فـي أشـواقه حتى يكون حشاك في أحشائه

وقد أبدع في هذا البيت، وإليك بسطه بالنثر، فهو يقول لك: أرجوك لا تثرب على المشتاق المحب في تلهفه وتوجعه واحتراقه، ولا تلمه على زفراته والتهاب حشاياه، واضطراب جوانحه، فإنه معذور بما يحمل من حب، وما يجد من صبابة، فما دام أنك لم تذق ما ذاق من اللوعة والأسى، فلماذا ـ رعاك الله ـ تلومه وتؤنبه؛ لأنّ حالك غير حاله.

ونحن في قراءة شعر المتنبئ نجد من هذه اللوعة والاشتياق والتأثر ما نرجو معه أن يعذرنا لائمونا، ولا يثرب علينا أحد من الناس هذه النزعة الأدبية، والغرام البياني مع كل لفظ جميل ساحر.

obeikandl.com

المتنبي

تجاوزنا السيرة الذاتية، وتخطينا التراجم التقليدية، ووصلنا إلى نتاج هذا الشاعر مباشرة؛ فالمتنبي عندي ملك الشعراء؛ لأن للشعر وزيرًا وأميرًا وقاضيًا وفقيهًا، ولكن مملكة الشعر لملكها أحمد بن الحسين المتنبي لمجموع محاسنه، وكلية إبداعه، وقد يفوقه في قصيدة أو بيت واحد غيره من الشعراء، لكن مجموع شعره لا يفوقه فيه شاعر ولهذا يقول:

أنا السابق الهادي إلى ما أقوله إذا القول قبل القائلين مقولُ

وهذا الشاعر انصهر مع الكلمة، وذاق البيان، وأُشْرِب في قلبه الفصاحة فذابت حشاياه، وغلت مراجل فكره بجواهر من القول فاقت الوصف، والذي يعجبك في المتنبي هذا الاحتراق والإشراق، فهو محترق بهمومه وهمته وطموحاته، مشرق بعبقريته وإبداعه ونبوغه، وهو كما قال في ممدوحه:

وإن تفق الأنام وأنت منهم فإن المسك بعض دم الغزالِ

ولك أن تقف أمام هذا البيت الذي يغنيك عن إسهاب من القول، وحواش من الحديث، فهو كما يقول لممدوحه: إنك وإن تفوقت على أقرانك، وتفردت بصفاتك عن بني جنسك، وتميزت هذا التميز المنقطع النظير، فلا غرابة في ذلك، فإن المسك على ندرته وشرفه وطيب رائحته وارتفاع ثمنه؛ من جنس دم الغزال.

البطاقة الشخصية:

أنا الذي نظر الأعمى إلى أدبي وأسمعت كلماتي من به صمم

هذه ترجمة موجزة للمتنبي، فليس يعنينا معرفة أصله وفصله ونسبه وحسبه، بل نريد إبداعه ولموعه كما قال الشاعر:

أنا لست مهتمًا بأصل قبيلتي ورائي قريش أم ورائي تغلبُ

فليست بلادي بيرقًا أو خريطة ولكن بلادي حيث أسطيع أكتبُ

فهو يقدم لنا نفسه بهذا البيت على أنه موهوب، فرض نفسه على الناس بشعره وأدبه، حتى إن الأعمى الذي لا يبصر شيئًا نظر إلى أدبه، لقوة تأثيره، وسطوع تعبيره، وبلاغة تصويره، والأصم الذي لا يسمع شيئًا، أنصت لكلماته النافذة الآسرة الباهرة.

أما شعره، فيكفيه أن الدهر أحد رواة شعره، والأيام والليالي أصبحت تردد هذا الإبداع، وتغني هذا السحر الحلال:

وما الدهر إلا من رواة قصائدي إذا قلت شعراً أصبح الدهر منشداً

فسار به من لا يسير مشمراً وغنى به من لا يغني مفرّداً

مطالع قصائده

المتنبئ يخطف الأضواء ببريق مطالعه القوية النافذة، ومطلع القصيدة كالوجه من الجسم، والعنوان من الكتاب؛ لأنها أول ما يطرق السمع، ويصل إلى القلب، فهو يختار المطلع بعناية، ويجوّد أول القصيدة، حتى صارت مطالعه كالأمثال إشراقًا، واسمع بعض أجزاء لهذه المطالع، ثم بسط القول في ذلك؛ يقول: «**واحرَّ قلباه ممْ قَلبُه شَبِمُ**»، ويقول: «**لكلِّ امرئٍ من دَهرِه ما تَعوَّدا**» ويقول: «**حَشَاشَةُ نفس ودَّعَت يَومَ ودَّعُوا**» ويقول: «**بَادَ هَواكَ صَبرتَ أم لَمْ تَصْبِرا**» ويقول: «**لا خَيل عِنْدكَ تَهديها ولا مَالُ**» ويقول: «**بِمَ التَّعللُ لا أهلٌ ولا وطنُ**» ويقول: «**نُعد المشْرَفِيَّةَ والعَوَالِي**» ويقول: «**فِراقٌ ومَن فَارقتُ غَيرُ مَذَمَّم**» ويقول: «**لا تَعْذُلِ المشْتَاقَ في أَشْوَاقِه**» ويقول: «**عَدُّوكُ مَذْمُومٌ بِكُلِّ لِسَانِ**». إلى آخر تلك المطالع التي تفرض حسنها على بصائر عشاق البيان.

فهو لا يبدأ في قصيدته ضعيفًا، أو متخاذلًا، بل يحتفل بأول كلمة يقولها في قصيدته، ويمنحها من رشاقة عباراته، وحلاوة منطقه، وطلاوة سحره ما يجعل هذا المطلع محفوظًا سائرًا شاردًا.

أراد أن يعاتب سيف الدولة، وأن يتفجع أمامه، وأن يتوجع عنده من حساده، وأن يشكو إليه من خصومه؛ فماذا عسى أن يبدأ به لهذه القصيدة، هل يبدؤها بحكمة؟ لا، هل يبدؤها بغزل؟ لا، بل الأحسن أن يقول في أولها: «**واحرّ قلباه**»

هكذا صارخة قوية متمرّدة، تتقطع معها كبده لوعة وأنينًا، ويتمزق مع آهاتها وزفراتها ما بقي معه من قلب مكلوم، وروح منهكة مضطربة.

ودخل على أمير ليهنيه ويبارك له، فليس للغزل والغرام هناك مقام، وليس للحكمة مناسبة، وإنما بدأ معتذرًا ومتلطفًا ليقول:

لا خَيلَ عِندك تَهْدِيها ولا مالُ فليسْعَدِ النُّطقُ إِن لم تَسْعدِ الحالُ

وهو مطلع فائق بكل معاني الكلمة، آسر بكل مدلول الأسر، غاية في الحسن، وآية في المتعة، حتى صار أنشودة عذبة على شفاه الرواة، ومثلًا شرودًا على ألسنة الحداة. وكأني به يمد صوته بحرف «لا» ثم يرسل البيت ليكون أجمل من الهدية، وأثمن من العطية.

يريد أن يصف هِمَّة سيف الدولة، وعلو قدره، وارتفاع درجته بما حققه من نصر، وحازه من مجد فيبدأ بقوله:

على قدرِ أهلِ العزمِ تأتي العزائمُ وتأتي على قدرِ الكرامِ المكارمُ

وتعظمُ في عينِ الصغيرِ صغَارها وتَصغرُ في عينِ العظيمِ العظائمُ

وأنت إذا سمعت هذا البيت وقَرَ في خَلَدِك، واستوى في فؤادك، فسوف تعلم أن الرجل سوف يُحلق بإبداعه في عالم الهمة، وسماء التضحية، ودنيا العظمة، فهو يقدم لك عنوان الكتاب، ومفتاح الباب، ولجام الفرس؛ لتتهيأ لما سوف يبثه من مديح راق، وثناء عبق، وإشادة سامية.

يريد أن يخبرك بحاله بعد الفراق والبعد ونكسة البال، وضيق الصدر وتكالب الأعداء، وقلة النصر؛ فيقذف بهذه العبارات أولًا:

بم التَّعللُ لا أهلٌ ولا وطنُ ولا نديمٌ ولا خلٌّ ولا سكنُ

فتفهم أن الرجل محترق بمعاناته، ملتهب بآلامه، تكاد نياط قلبه أن تتقطع، وتوشك أعصابه أن تتمزق، فهو يتساءل متعجبًا من حاله، لماذا يتعلل ويتصبر وليس عنده أهل يأوي إليهم، فيبثهم وجده، ولهيب صدره، وليس لديه وطن؛ لأنه غريب مرتحل، وليس عنده صديق؛ فقد خانه الكل، وتنكر له الجميع، وما عنده محبوب يبثه نجواه، وينفث فيه شكواه، وأيضًا ليس عنده سكن يضمه ويحتضنه، فهو في حالة أبلغ وصف لها هذا البيت، وياله من مطلع ذائع فائق.

ويذهب طريدًا شريدًا إلى كافور، وقد تقطعت به الحبال، وضاقت به الآمال، وأظلمت أمامه السبل، فلا يبدأ بالمدح؛ لأنه في شغل شاغل عنه، ولا يستفتح بالغزل؛ لأنه يتلظى بالمرارة، ولا يقدم الأمثال؛ لأنه في عالم المعاناة والغربة، وإنما يقذف بهذه الحكمة التي تدل على ما ورائها من كرب شديد، وحزن بالغ، وبال كسيف أسيف:

كفى بكَ داءً أن ترى الموتَ شافيًا وحَسبُ المنايا أن يكنَّ أمانيا

تمنيتُها لما تمنَّيتُ أنْ ترى صديقًا فَأعْيَا أو عدوًّا مداجيًا

يا الله! إلى هذه الدرجة من البلوى يصل هذا العبقري الفذ، إلى درجةٍ يتمنى فيها المنايا الحمر الكوالح، وإلى حدٍّ يرى أن دواءه يكمن في الموت، فإذا وصل الحال إلى هذا المستوى، فحسبك بها بلية كبرى، ومصيبة عظمى، حتى إن شاعرنا فقد كل صديق، ولم يجد حتى عدوّاً مجاملًا، بل كلهم أصبحوا أعداءه؛ لأنه ناجح فحسب، وهم كلهم أعداء النجاح.

أما كافور فيريد مدحه وتبجيله وتفخيم أمره؛ فينفجر بهذا المطلع الذي كأنه إطلالة بدر من سحب، أو إشراقة نجم من حجب، أو طلعة فجر في الآفاق، يقول:

عَدُّوكُ مذمومٌ بكلِّ لسانِ ولو كانَ من أعدائك القمرانِ

ولله سرٌّ في علاكَ وإنما كلامُ العِدَا ضرب من الهذيانِ

هكذا بدأ قصيدته قويًا لامعًا فياضًا، وانظر إلى قوة الأسر، وبراعة الاستهلال، وإشراق الكلمات، وجزالة الجمل، فكأنه يفصل ثوبًا زاهيًا على ممدوحه، أو يضع على هامته تاجًا مرصعًا، فهو يحطم شُبَه أعداء ممدوحه، وينسف أباطيلهم، ويدفع أقوالهم بهذا القول البليغ السار، حتى لما سمع أحد العلماء هذا المطلع المرّار قال: هذا والله هو الشعر.

ولكنه يُحَارَب حتى في مصر، وتضيق به الأرض بما رحبت كما وصف حاله:

غريبٌ من الخلانِ في كلِّ بلدةٍ إذا عظمُ المطلوبُ قلَّ المساعدُ

ويصل إليه عيد الفطر وهو في مصر، فلا يفرح بالعيد ولا يبهج به، ولا يحتفي به؛ لأنه غريب شريد طريد مكبوت، بل ينفجر ناقمًا غاضبًا باسرًا عابسًا ليقول:

عيدٌ بأيةِ حالٍ عدتَ يا عيدُ بما مضى أم لأمر فيكَ تجديدُ

أما الأحبة فالبيداء دونهمُ فليتَ دونكَ بِيْدًا دونها بيدُ

بهذا المطلع البارع المعبر المصور يبدأ بكاءه، ويستهل عويله، فهو أبدًا غاضب كالليث، جاهم كالليل، ثائر كالبركان، عاصف كالريح، يعلن للمشاهدين كل ساعة تمرده وعنفوانه ورفضه، وهو - دائمًا - معارض، تغلي نفسه بالغصص من زمانه وبني جنسه. إنه عند نفسه مظلوم معتدى عليه مقصود بالإيذاء، تحبك له المؤامرات، وتنسج له العداوات، وتلفه المصائب من كل جانب، ويأتيه الموت من كل مكان وما هو بميت.

إنها عقوبة من الله لأعدائه كما يقول:

إني وإن لمتُ حاسديَّ فما أنكرُ أنِّي عقوبةٌ لهمُ

obeikandl.com

الشاعر الثائر

هذا الشاعر محترق متدفق، له معاناة تمور في صدره، وعنده صراع داخلي يتفاقم في جوانحه، فهو كتلة من الغضب على المخالفين، وهوشهاب ثاقب على أعدائه؛ لأنهم رفضوا الاعتراف به، وصادروا جهوده، وتنكروا لإبداعه، فهم والزمان والمكان والأصدقاء والسلطان بل الجميع ضده:

يا من نُعيتُ على بُعدٍ بمجلسه ... كلٌّ بما زَعمَ الناعون مُرتهنُ

كم قد قُتِلتُ وكمْ قد متُّ عندكُمُ ... ثم انتفضتُ فزالَ القبرُ والكَفَنُ

إنه أقوى من أعاصير الخصوم، وأعتى من أراجيف الأعداء، فهم يميتونه وهو لم يمت، ويشيعون نهايته وهو لم ينته، فهو ساكن في ضمائر الجمهور، خالد في سفر الإبداع، موجود في ديوان العبقرية، إن حساده يريدون شطب اسمه من سجل العظماء؛ فيغضب ويثور ويحتج ويرفض:

أبدَو فيسجُدُ من بالسُّوءِ يذكُرُني ... فلا أعاتبُه صَفْحًا وإهوانا

وهكذا كُنْتُ في أهلي وفي وطَني ... إن النَّفيسَ غريبٌ حَيثما كانا

حسبك الله من شاعر تتحدى الأزمات، وتدوس المنايا، وتجتاح معاقل الخصوم، وتواجه الموت الكالح بهمة كالدهر وعزيمة كالفجر.

والرجل مجروح في الصميم، مكلوم في سويداء القلب من أناس ما قدروه حق قدره، وما احترموا منصبه السامي في الأدب:

سوى وجَعِ الحُسَّادِ داوِ فإنَّه ... إذا حلَّ في قلبٍ فليسَ يحولُ

ولا تطمَعَن من حَاسدٍ في مودَّةٍ ... وإن كنتَ تُبديها له وتُنيلُ

هكذا جرب وذاق وجع الحساد، واكتوى بنارهم، وتلظى برمضائهم. إن المتنبي شاعر مجدد في عالم الشعر، ليس تقليدًا على مذهب شعراء المناسبات، ورواد مقاهي النفاق السياسي، وضيوف حفلات مراسيم تكريم الوفود، فهو لا ينتظر من الخليفة أن يقول: يا غلام أعطه ألف دينار، وأركبه بغلًا، واهده جارية؛ كلا، بل هو كما قال عبدالله البردوني:

مِن تلظِّي لموعِـــه كادَ يعمـى كاد مِن شهرةِ اسمه لا يُسمَّى

من تُداجي يا بن الحسين أُداجي أوجهًـا تســتحق ركلًا ولطما

إن هذا الشاعر يرفض أن يسام الخسف:

من يهـنْ يَسْهلُ الهـوانُ عليه مـا لجـــرحٍ بميتٍ إيـــلامُ

وهو يرى أن الموت على عَزٍّ أجل وأشرف من حياة على مهانة وذلة وخسة:

وإنْ لم تمتْ تحتَ السيوفِ مكرمًا تمتُ وتقاسي الذُّلَ غيرَ مكرمِ

إنه في هذا البحث يريحك من مطالعة كتاب في فن الاستجداء والاستخذاء، لتكون من حفظة متون الذل، ومن طلاب مدرسة الخنوع والجبن، وهويرى أن من مات تحت غبار المعركة لنصرة مبادئه، لا يذوق من طعم الموت إلا كما يذوقه صريع الشهوات، وعبد النزوات:

فطعمُ المـوتِ في أمـرٍ حقيرٍ كطعمِ الموتِ فـي أمـرٍ عظيمِ

وهو معذب بنفسه الطموحة التواقة؛ لأن بداخلها همةً عارمة لا يردها شيء:

لحا اللهَ ذي الدُّنيا مناخًا لراكب فكلّ بعيدِ الهَّمِ فيها معذبُ

إنه الصعود أبدًا، والتفوق دائمًا، وهو مذهب الناجحين في الحياة كما وصفه هو بقوله:

لولا المشقةُ سادَ الناسُ كلُهم الجودَ يفقرُ والإقدام قتّالُ

وانظر ما أحسن لفظ المشقة؛ لأنه عام فائق يندرج تحته كل معاناة وجهد وتعب، ولفظ ساد أجمل من كل لفظ في موضعه، فهو فصيح باهر وضيء، وهذه ألفاظ زادها القرآن جمالا وروعةً وإشراقًا، وانظر إلى الإيجاز والاختصار في قوله: **الجودُ يفقرُ والإقدامُ قتال**، مع حسن التقسيم، وجمال الفواصل، وبراعة الجرس، وحذف الحواشي والمعاضلة، ويقول عن اندفاعه الجارف، وبعد نظره، وتدفقه العاطفي المزلزل:

ولكنّ قلبًا بين جَنْبَيَّ ما له مدًى ينتهي بي في مُرادِ أحُدُّه

إنه يريد الاعتراف من الناس بنبوغه ومكانته وسموه، حتى يقول في مجلس ممدوحه:

سيعلمُ الجمعُ ممن ضمَّ مجلسُنا بأنني خيرُ من تسعى به قَدَمُ

ومهما خالفناه في هذا التبجح المكشوف؛ فإننا نوافقه على أنه نابغة في عالم البيان، وأعجوبة في دنيا الشعر، ويكفيه هذا الذيوع الأدبي، والشيوع الشاعري وهو مايريده.

obeikandl.com

الشاعر الذائع

لا أعلم شاعرًا فرض على الناس إنشاد شعره وترديد أبياته كالمتنبي؛ لأنه عاش ما يقول، وعانى ما يتلفظ به، وانصهر بالحوادث فصورها شعرًا، ولذع بالنكبات فأرسلها أمثالًا، ولابس التجارب فأبدعها حكمًا، فصار شاعرًا محفوظًا في الذاكرة، حاضرًا في الأجيال، خالدًا في ديوان الإبداع، وهاك بعض أبياته الشاردة الذائعة الشائعة يقول:

ومن نَكَد الدُّنيا على الحرِّ أن يرى عدوًّا له ما من صداقَته بدُّ

إن من يقول هذا الكلام لابد أن يكون مبدعًا موهوبًا، أديبًا مجربًا بليغًا عبقريًا، فالإبداع يخترع لك المعنى الجميل، والموهوب تسعفه ذاكرته بجواهر المعاني، والأديب يصوغها في قوالب أزهى وأبهى من الماس، والعبقري يتفردعن التقليديين والعاديين، والمجرب له مدد من حياته الغزيرة بالأحداث الغنية بالحوادث.

لو أن متحدثًا أراد أن يقول معنى البيت السابق نثرًا لقال: إن الدنيا مشؤومة على الأخيار، تضطرهم أن يحتاج الأخيار فيها إلى الأشرار، فيحملونهم وينافقونهم لجلب الخير ودفع الشر؛ لأنهم مضطرون إلى ذلك؛ فيصبح العدو اللدود عند الضرورة صديقًا يُذَّل له، ويصانع ويداري ويداهن للمصلحة المفروضة، أو الحاجة الملحة، أو الضرورة القائمة، ويكفي هذا ذلة للأحرار، وعلمًا بحقارة الدنيا ونذالتها، لكن المتنبي يختزل هذا السيلان الإنشائي، والثرثرة اللفظية في بيت محبوك مسبوك أجمل من نجوم الليل، وأثمن من حمر النعم فيقول:

ومن نكدِّ الدُّنيا على الحرِّ أن يَرى عدوًّا له ما من صداقَته بدُّ

وتعال معي ـ رعاك الله ـ وضع أصبعك على كل كلمة في البيت لترى روعة الاختيار، وجمال الانتقاء، وانظر إلى كلمة «نكد» ويالها من لفظة معبرة موحية، تشعرك بالاشمئزاز من هذه الدنيا، فهي دار النكد والكبد، وهي أبلغ في موقعها من لفظة غيرها مكانها، وكلمة «الحر» موحية فاتنة؛لأن فيها معنى الأنفة والكبرياء والشموخ، وهي التي تليق بالمقابلة في البيت، ثم انظر قوله «عدوّا له»، وليس مبغضًا وكارهًا فحسب، بل عدوًا كاشحًا، ثم يختار كلمة «الصداقة»، ولو أنه النفاق الظاهري، لكن ليقابل كلمة العدو، ثم يأتي بكلمة «بد» وقد احتاجت إليها القافية حاجة الأرض إلى المطر، فجاءت في محلها لا وكس ولا شطط؛ ليكتمل هذا البيت الفريد. ولك أن تقول نثرًا: إن الحقراء إذا نالوا العظماء فهو دليل على عظمة هذا العظيم وسمو قدره وجلالة مكانته وخطورة منزلته، ولكن المتنبي يكسو هذه المعاني حلية باهية، ويوشيها بحلة زاهية؛ لتبقى وتنقل وتعيش يقول:

وإذا أتَتْكَ مذمتِي من ناقصٍ فهي الشهادةُ لي بأنِّي كاملُ

فانظر إلى كلمتي ناقص وكامل وحسن المقابلة بينهما، وكلمة مذمتي وكلمة الشهادة، ثم ارجع البصر كرتين في سلامة هذا الذوق، وجودة هذا الخاطر، وخصوبة هذه الذاكرة.

إن الأمة أصيبت بإعياء في البصيرة، وكساح في الذوق، فما أصبح يهزها هذا الخطاب؛ لأن التبلد الذهني مع خشونة الطبع وانطماس العبقرية زادها عمًى عن مشاهدة مرابع الجمال والبيان، ومطالعة البهاء والإبداع في هذا السحر من الكلام، والعذب من القول:﴿ **فَمَالِ هَؤُلاءِ الْقَوْمِ لا يَكَادُونَ يَفْقَهُونَ حَدِيثًا** ﴾[**النساء** :٧٨]. ولك أن تفهم الناس بأن نياتهم وحدها لا تكفي

بلوغ المقصود، وأن طموحاتهم قد تصطدم بموانع لا تسمح ببلوغ مقاصدهم، فكم من أمنية عذبة لم تتحقق، وكم من مراد في الأذهان لم يحصل في الأعيان، لكن هذا الكلام قد يطير هباءً منثوراً ما لم يقيد بقافية جميلة، وكلمة شاردة، وهذا ما فعله المتنبى بقوله:

ما كلُّ ما يتمنى المـــرءُ يُدْرِكُه تجري الرياحُ بما لا تشتهي السُفُنُ

فانظر إلى قوة الفكرة، وحسن الشاهد، وحلاوة السبك في إيجاز من القول، ولطف من العبارة، ورشاقة في المعنى.

إن الشيوع والذيوع للعالم والشاعر والواعظ والزعيم هبة ربانية، ولكن لها أسبابها ومواهبها، وكان المتنبي ذائعًا شائعًا حتى ذكر شارحو ديوانه أن له خمسمائة بيت تدور على ألسنة الناس، وأصبحت بعض أجزاء أبياته كالسكر في الفم، والطل في الزهر، كقوله: «**فإن في الخمرِ معنى ليسَ في العنب**»، وقوله: «**أن تحســبَ الشَّحمَ فيمن شحمُه ورمُ**»، وقوله: «**ما لجرح بميت إيلامُ**»، «**إذا ساءَ فعلُ المرءِ ساءتْ ظنونُه**»، «**فِراقُ ومن فارقتُ غيرُ مَذمَّ**» وقوله: «**كأنَّي عجيبٌ في عيونِ العجائبِ**»، وقوله: «**على قدرِ أهلِ العزمِ تأتي العزائمُ**»، وقوله: «**مصائبُ قومٍ عند قومٍ فوائدُ**»، وقوله: «**ولابدَّ دون الشهدِ من إبرِ النَّحلِ**»، وقوله: «**ولا يردُّ عليك الفائتُ الحزنُ**» إلى آخر ذلك السمو البياني والرقي اللفظي والجبروت العاطفي، فهذا الشاعر ليس خاملًا يبحث عن المعاني المبتذلة عند الحاكة والحلاقين والباعة، وليس باردًا يريد أن يقول كلامًا مقفّى وحديثًا موزونًا، ولكنه مبدع حر ليس عاديًا، عنده عاطفة فوَّارة، ونفس جياشة، وهمة مجنحة، وذاكرة خلاقة، مع

حياة مليئة بالعبر والتجارب؛ ولهذا كله صار أعجوبة في شعره، شاغل للمجالس؛ حاضر للنوادي، وإلا فما معنى أن نرى لعشرات الشعراء أسفارًا من الأشعار في مجلدات ضخمة، وإذا بها خامدة جامدة هامدة ميتة ﴿حُرِّمَتْ عَلَيْكُمُ الْمَيْتَةُ﴾ [المائدة: ٣]، ولم يصل لنا من شعر مئات الشعراء إلا عشرات القصائد الشاردة التي هي عيون في الأدب مثل:

(قفا نَبكِ، وهذا الذَّي تعرفُ البطحاءُ وطأته، وعيونُ المهَا، والسَّيفُ أصدق أنباءً، وأمنْ تذكر جيرانٍ بذي سلمٍ، وعلوٌّ في الحياةِ وفي الممات، ومجالسُ وحيٍّ مقفرُ العرصاتِ، ..) مع قليل من القصائد في قوتها ثم تندرس بقية قصائدهم، ولا يدري بها إلا باحث، ولا يعثر عليها إلا منقب متخصص، إلا هذا المتنبي الأعجوبة فمجمل شعره ينشد بين الناس، وحكمته تدور بين العلماء، وقوافيه تدور دوران عيون المحبين في مجالس الأنس كما قال هو: (إذا قلتَ شعراً أصبَح الدَّهرُ منشداً).

لقد أعفانا المتنبي من شعر الأعراب الذي ضيع أعمارنا في وصف ناقة عجفاء، وذكر منزل دارس مجدب، وتذكر فتاة في واد الغضا، ومدح شيخ قبيلة لا يحفظ الفاتحة، وسب قبيلة لأنها منعته من وجبة العشاء، فجاء المتنبي فحذف هذه الحواشي، ونسف هذه الحواجز الترابية ليرقى بمقاصد الشعر، مع ما عنده من غلو وإعجاب وتيه، وميزة المتنبي أنه كبير المعاني جليل الأغراض ضخم المقاصد؛ اسمع بعض ذلك:

يقول:

أحقُّهم بالسيفِ مَنْ ضرب الطُّلى وبالأمنِ من هَانَتْ عليه الشَّدَائِدُ

ويقول:

لا يَسلمُ الشَّرفُ الرَّفيعُ من الأذَى حتَّى يراقَ على جوانبِـه الـدَّمُ

ويقول:

من اقتضى بسوى الهِّنديِّ حاجتَهُ أجابَ كلَّ سـؤالٍ عـن هَلٍ بَلَمِ

ويقول:

لا يـدركُ المجـدَ إلا سـيدٌ فطـنُ لما يشـقُ علـى السَّادات فَعَّالُ

ويقول:

وإذا كانـتَ النُّفـوسُ كبـارًا تعبتْ فـي مـرادِهـا الأجسـامُ

ويقول:

ذَلَّ مـن يَغْبـطُ الذَّليـلَ بعيـشٍ ربَّ عيـشٍ ألـذُّ مِنـه الحِمَـامَ

ويقول:

يَـرى الجُبناءَ أن العجـزَ عقلٌ وتلكَ خديعـةُ الطَّـبعِ اللئيـمِ

ويقول:

جودُ الرجالِ من الأيدي وجودهـمُ من اللسـانِ فلا كانوا ولا الجـودُ

وله في هذا المذهب قطوف دانية من القول الثمين والمعنى الرصين.

لقد شبعت قصائد كثير من الشعراء موتًا قبل أن تولد، فها هي الدواوين في الأدراج جعلها الناس قراطيس يبدونها ويخفون كثيرًا منها، إذا قرأت أكثرها قلت:

أحسن عزاء من كتبها في مداده، وعوض الله من طبعها في ماله، حتى قال بعض الأدباء: طالعت ديوان فلان بن فلان ثم أخذته فأوقدت به نارًا، وصنعت عليها رغيفًا من البر، وها هي الصحف والمجلات والدوريّات تمطرنا بسيل جارف من القصائد لا تستحق دقيقة واحدة لمطالعتها، ولا تسمح لنا نفوسنا بقراءتها؛ لأنها جُمل متراكبة تراكب النمل، مزدحمة ازدحام شعر النيص، ثقيلة ثقل دم الضرس، لا تحرك في السامع شعرة، ولا تهز فيه ذرة، ومع ذلك يوصف هؤلاء الشعراء بالنجوم واللامعين وأساطين البيان، رحم الله امرءًا عرف قدر نفسه، وغفر الله لمن كان يستحي من الله ثم من خلقه؛ فنحن الآن وقعنا بين شعر يسمى عربيًا وهو أعجم من الأعجمي، حروفه عربية، ومعانيه سوقية، يذوب سخفًا، ويندى حقارة وخسة، وبين شعر عامي شعبي يصلح لأهل البادية الذين لم يشاهدوا سبورة ولا طبشورة؛ ولم يحملوا قلمًا ولا ورقة، ويظنون أن حدود العالم ما بين خيامهم ومرعى أغنامهم، لعل مقصودنا من دراسة المتنبي أن نقول لرواد الأدب، وشداة البيان، وحداة القافلة: حلقوا في سماء الإبداع واختاروا الأروع والأحسن، وارتقوا إلى مستوى فهم كتاب ربكم - جل في علاه - الكتاب الذي أعجز العرب العرباء، وأسكت الأدباء، وأفحم الشعراء ﴿ذَلِكَ الْكِتَابُ لا رَيْبَ فِيهِ﴾[البقرة: ٢]، ودعونا من هذا الهزال الأدبي، والكساح الخطابي، الذي ليس له عمر مديد، ولا مستقبل عامر؛ لأنه ميت منذ ولادته، محكوم عليه بالفناء من لحظة وجوده ﴿فَجَعَلْنَاهَا حَصِيدًا كَأَن لَّمْ تَغْنَ بِالأَمْسِ﴾ [يونس: ٢٤].

المتنبي يلهب النفوس بتوجعه وتفجعه

إن النفوس لا يحركها أي كلام، ولا يهزها أي حديث؛ لأن الله خلقها عارفة مميّزة، تفرق بين الجميل والقبيح والجيد والرديء، والشعراء درجات في اقتدارهم على مخاطبة النفوس، وأظن المتنبي بلغ الغاية في إلهاب نفوس سامعيه، وتحطيم الحواجز بينه وبين محبيه، لقد سبقه كثير من الشعراء إلى تلك المعاني التي جاد بها، لكنه كساها رونقًا وحياة ومتعة فهذا أبو تمام يذكر المصلحة من المصائب بقوله:

والحادثاتُ وإن أصابكَ بؤسُها فهو الذي أنباكَ كيفَ نَعيمُها

لكن المتنبي يسوقها في هذه التحفة الرائعة:

ومن العداوةِ ما ينالك نَفعهُ ومن الصداقةِ ما يضرّ ويؤلمُ

فيطوف بعالم المعنى الأشمل الأعم في لفظ مترقرق بهيج.

ويقو شاعر إيران السعدي الشيرازي:

بكتْ عيني غداةَ البين دمعًا وأخرى بالبكى بخلت علينا

فعاقبت التي بالدمع ضنت بأن أغمضتَها يوم التقينا

لكن المتنبي سبقه فحفر في ذاكرة الأجيال، ونقش في ضمائر الناس قوله:

إذا اشتبكتْ دموعٌ في خدودٍ تبين من بكى ممن تَباكَى

ويقول دانتي شاعر إيطاليا: إن السخفاء يجدون لذة في تتبع عثرات العظماء، ولكن المتنبي يتفوق عليه ببيته الذائع المهيمن:

وإذا أتتكَ مذمتّي من ناقصٍ فهي الشهادةُ لي بأنّي كاملَ

وميزة المتنبي كما أسلفت تفجعه وتحرقه بما يقول، وانصهار روحه بمعاناته، وذوبان حشاشته بقضاياه يقول: واحَرَّ قلبَاهُ، ثم يسكت، فكأن قلبه يريد أن يغادر محله، وكأن ضلوعك تريد أن تنقض. ويقول:

أصخرةُ أنا مالي لا تحرّكُني هذي المدامُ ولا هذي الأغَاريدُ

فتشعر أن الرجل حلت به أزمة طاحنة، وكربة ساحقة، وبلية ماحقة، ويصيح باكيًا:

صَحِبَ الناسُ قبلنا ذا الزمانا وعنَاهم من شأنِه ما عنانا

وتولّوا بغصّةٍ كلهم منْـ ـهُ وإن سرَّ بعضُهُم أحيانا

تسمع هذا فتحس بتعاطف وتضامن معه، فتشاركه هذا الأنين المكبوت، والعبرة المسفوحة. ويضج بحاله ويضيق من عيشه فينفجر شاكيًا:

أما تغلَطُ الأيامُ فِيَّ بأنْ أرَى بغيضًا تُنائي أو حبيبًا تُقرِّبُ

فتعتقد أن الرجل ضاقت به الأرض بما رحبت لما اعتراه من هموم وغموم، وتشاهد لوحة من لوحاته الحزينة وإذا به يرسم فيها:

أريدُ من زمَني ذا أنْ يُبَلِغُني ما ليس يبلُغُه من نفْسِه الزَّمنُ

ولكنه - ويا للأسف - لم يحظ بنيل حظوظه، وإدراك رغباته؛ لأن مقاصده تنعكس، ومرارته تنقلب خاسئة حسيرة إليه، ويرثي أحد أصحابه فيبدأ البكاء بقوله:

الحزنُ يقلقُ والتَّجملُ يردعُ والدَّمعُ بينهما عَصِيٌّ طيّعُ

فتجد مع ألم المصيبة روحًا وثابةً، وهمةً جامحةً، ونفسًا صامدةً، ولكنها موجعة منهكة.

ويحتَجُّ على الحُمَّى ويصيحُ في وجهها:

أَبِنتَ الدهرِ عندي كلَّ بنتٍ فكيفَ وصلتِ أنتِ من الزحامِ

فإذا الرجل مضرس بالأنياب، مجرح بالمخالب، تنهشه النوائب من كل جهة كما يقول:

رمانِي الدَّهرُ بالأرزاءِ حتَّى فؤادي في غِشَاءٍ من نبالِ
فصرتُ إذا أصابتني سِهامٌ تكسرتِ النِّصالُ على النِّصالِ

فهو يَحْسُو كأس المعاناة قطرة قطرة، ويتجرع غصص الكربات غصة غصة، وسامحه الله، ليته رد الأمر إلى فاطر السماوات والأرض، وسلم له أمره وردد ﴿قُل لَّن يُصِيبَنَا إِلاَّ مَا كَتَبَ اللَّهُ لَنَا هُوَ مَوْلانَا ..﴾ [التوبة: ٥١] إن الناس ليسوا بحاجة إلى كلام بارد ثقيل، يطفئ جذوة الخاطر، ويميت إشراق النفس، لكنهم بحاجة إلى من يترجم مآسيهم، ويشاركهم في أحزانهم، ويعزيهم في مصابهم، ويخفف عليهم من ويلاتهم:

ولابدَّ من شكوى إلى ذي قَرابةٍ يواسيكِ أو يَسْليكَ أو يَتوجَّعُ

إن الشعر التقريري الإخباري أشبه بأخبار الطقس، وأرقام الأسعار، ودرجات الحرارة ﴿ وَلَقَدْ فَتَنَّا سُلَيْمَانَ وَأَلْقَيْنَا عَلَىٰ كُرْسِيِّهِ جَسَدًا ثُمَّ أَنَابَ ﴾ [ص: ٣٤].

إن المتنبي عاش في نعمة الألم، ولذة المعاناة، وسرور الحرمان فقال:

وذو العقلِ يشقَى في النعيمِ بعقلِه وأخو الجهالةِ في الشقاوةِ ينعمُ

فلا حيَّا الله لذة في جهل، ومتعة في ذلة، وحياة في خضوع، ومرحبًا بموت على عز، ومصيبة على كرامة، وتضحية معها مجد، يقول هو:

جزى اللهُ المسيرَ إليك خيراً وإن تركَ المطايا كالمزادِ

فكل مشقة في سبيل العليا هينة، وكل تعب من أجل المجد راحة، يقول:

يهونُ علينا أن تُصابَ جُسُومنا وتَسْلمَ أعراضٌ لنا وعقولُ

فما دام العرض مصون، والعقل محفوظ، فجرح الجسم سهل يسير.

شاعر الحنين وأستاذ الوفاء

لأبي الطيب طعم خاص في عالم الحنين إلى أهله وشبابه وموطنه، حتى مع من طرده وأقصاه ونفاه، يقول لسيف الدولة بعدما فارقه إلى مصر:

رمَى واتَّقَى رمْيِي ومنْ دُونِ ما اتَّقى هَوًى كاسرٌ كَفّي وقوسِي وأسهُمي

ومعنى البيت أن سيف الدولة رماني ـ سامحه الله ـ بالجفاء والإبعاد وأنا لا أستطيع أن أرميه؛ لأن له في قلبي محبة دفينة، وودًا دافئًا، وميلًا كامنًا، كلما أردت أن أرميه وأنتقم منه كسر هواه وحبه في قلبي كفي وقوسي وأسهمي، ولكن انظر إلى نصاعة البيت وحلاوته وانسيابه.

ويفارق أحبابه فيصرخ:

يا منْ يعزُّ علينا أن نفارقَهم وجَدَانَنا كلَّ شيءٍ بعدكم عدمُ

يعني يوم ارتحلنا عنكم مكرهين أظلمت أمامنا الطرق، وسدت في وجوهنا الأبواب، وما عاد شيء يبهجنا، وما صار لدينا متعة تسلينا، ولا منظر يعجبنا. بل قال عن وفائه وحفظه للعهد:

خَلِقت ألُوفًا لو رَجَعْت إلى الصِّبا لفارقتُ شيبي موجَعَ القلبِ باكيَا

يا الله! إلى هذا الحد وصل بك الوفاء يا شاعر العربية. إن الإيحاء الشعري فوق قضية البحر والوزن والقافية والروي، إنه سرٌّ يجري في الأبيات، وسحر

يكمن في القصائد، يفعل بالأرواح فعل الغرام الهائج، أو الهيام المائج، وللمتنبي في باب الحنين مقامات مثيرة وشجون آسرة يقول:

نحنُ أدْرى وقدْ سألنا بنجدٍ أطويلُ طريقنُا أم يطولُ

وكثيرٌ من السؤالِ اشتياقٌ وكثيرٌ من ردِّه تعليلُ

لله درك يا بن الحسين، يا صاحب البديهة الحية والقافية الذائعة، لقد سكبت على قلوبنا فيوضات من الشجون الذي لا ينتهي، والحنين الذي لا يهدأ.

أما أولئك الشعراء الذين يملؤون بطونهم من طعام الخليفة، حتى إذا أتخم أحدهم قام ينظم قصيدة طويلة ثقيلة باردة سمجة، فلن نقرأ لهم جزاءً وفاقًا على بلادتهم وغباوتهم.

ويقول أبو الطيب وهو يحن لممدوحه، يعده بحسن تعاهده، وحفظ مودته:

أروحَ وقد ختمتُ على فؤادي بحبكَ أن يحلَّ به سواكا

فانظر كيف أغلق قلبه وسد منافذه لئلا يصل إليه محبوب آخر، واسمع إلى دفء هذا الحنين:

ما لاحَ برقٌ أو ترنمَ طائرٌ إلا انثنيت ولي فؤادٌ شيِّقُ

إن مرهف الإحساس، صافي الروح، تذكره المشاهد أحبابه، فيذكر ملاعب الصبا، ومراتع الشباب، ومعاهد الطفولة، ومنازل الأصحاب، وخيام الجيران، أما المعاق نفسيًا، الميت عاطفيًا، فله حديث مع الخبز، وقصة مع الفول، وقصيدة مع التمر الهندي:

من لم يبتْ والحبُّ ملءُ فؤادهِ لم يدرِ كيفَ تُفتتُّ الأكبادِ

وقديمًا قال أحدهم:

ولو كنت عَذْري المحبـةِ لم تكنْ بِطينًا وأنساك الهوى كثرةَ الأكلِ

وقال آخر:

ولما ادعيتُ الحبُّ قالت كذبتني ألست أرى الأعضاءَ منك كواسيا

وقال آخر:

يُبكى علينا ولا نَبكي على أحدٍ لنحن أغلظُ أكبادًا من الإبـل

أما المتنبي فقد ذابت حشاشته مما به من الحنين يقول:

وعذلتُ أهلَ العشقِ حتى ذقتُّه فعجبتُ كيف يموتُ من لا يعشقُ

ويقول:

كفى بجسمي نحولًا أنني رجلٌ لولا مخاطبتي إياكَ لم ترني

obeikandl.com

obeikandl.com

المتنبي والحب

الحب أرق كلمة في قاموس الحياة، وأجمل لفظة في دفتر الوجود، وأبهى عبارة في ديوان المعرفة، إنه صلة الروح بالروح، وضم القلب للقلب، وعناق النفس للنفس، وأعرف الناس بمعاني الحب وأسراره هم الشعراء؛ لأن عواطفهم جائشة، وجوانحهم مجنحة، ومنهم كبيرهم الذي علمهم سحر الكلمة وهو المتنبي.

وتعال معي في بهو الحب ومع أبي الطيب إذ يقول:

أرقُّ علـــى أرقٍ ومثلـــي يأرقُ وجـوًى يزيـدُ وعبـرةٌ تترقرقُ

جهد الصبابةِ أن تكون كما أرى عينٌ مُسَـــهَّدةٌ وقلـــبٌ يخفقُ

فأنت ترى أنه كلام خبير بالحب، بصير بمذاهبه، غامض على حقائقه، وانظر إلى تفننه وعجيب اقتداره في الرقيب، وخيانة الضمير، وغيض الدمع وابتداره ويقول:

حاشى الرقيبَ فخانتهُ ضمائرهُ وغيّضَ الدَّمعَ فانهلّت بـوادِرَه

وكاتمُ الحـبِّ يـوم البينِ منهتـكٌ وصاحبُ الدَّمعِ لا تَخْفَى سرائره

فهـو ليـس صـانع كـلام، ولا مـزخـرف قـول، بل ذائق عـارف، ويقـول في مطلع قصيدة:

بادَ هواكَ صبرتَ أم لم تصـبرا وبَكاكَ إن لم يجرِ دمعُك أو جرى

فهـو يصف لك ظاهـرة من ظواهر الحب، وهو تجلد المحب وكتـمانه لحبـه، ولكن دمعه يفضحه بالرغم من حبسه.

ويقدم لك نفسه على أنه مصاب بداء الحب، قتيل بالأعين النُّجْل:

فمنَ شاءَ فلينظر إليَّ فمنظري نذيرٌ إلى من ظن أن الهوى سهلُ

ثم تشرق نفسه بمعنى بديع من معانيه الفائقة:

كأن رقيبًا منك سَدّ مسامعي عن العذلِ حتَّى ليس يدخُلُها العذلُ

وهو معنى معروف عند الشعراء، يقول محمد بن داود:

كأن رقيبًا منك يرعى خواطِري وآخرُ يرعى ناظِري ولسَانِي

ثم يأتي بصورة خلابة تفرد بها ـ فيما أعلم ـ يقول:

قالتَ وقد رأتِ اصفِراري من بِهِ وتَنهدَت فأجبتُها المتنهّدُ

فهو شاعر ثري التجربة، عامر الموهبة، صحيح المحبة، يقول:

خريدُةُ لو رأتها الشمسُ ما طلعت ولو رآها قضيبَ البانِ لم يَمِسِ

فانظر إلى حضور الصورة في ذهنه، وجودة خاطره بالموصوف، وسرعة استحضاره للمشاهد، ويقول:

نثرتَ ثلاثَ ذوائبٍ من شَعْرها في ليلةٍ فأرتْ ليالِيَ أربعا

واستقبلتَ بدرَ السماءِ بوجهها فأرتني القمرينِ في ليلٍ معا

إن صاحب هذه الأبيات له ذاكرة وقادة، وطبيعة منقادة، فليس بارد المشاعر، جاف العواطف، بل هو أحق بقول القائل:

وقاد ذهنٍ إذا سالتَ قريحتُه يكادُ يُخشى عليه من تلهبِهِ

وكلما غير قافيته حضرته صورة من الحب والنسيب في حلل وارفة من بديع الوشي، وغالي النسيج، يقول في مقام آخر:

عُجْنَا فأذْهَبَ ما أبقى الفراق لنا من العقول وما رد الذي ذَهَبا

سقيتُه عبراتٍ ظنها مطراً سوائلا من جفون ظنَّها سُحُبا

إنه التفرد في الجودة، والتوحد في الآلة، حتى يفرض عليك الاستماع له، والإعجاب بنتاجه الرصين؛ لأن الرجل عميق في فنه، موهوب في عطائه، وأصيل في موهبته. وانظر إلى قصيده وهو يناجي الأرواح بما يحمله من حب وحنين وشوق ولوعة، يقول:

ليالِيَّ بَعْد الظاعنين شُكولُ طِوالٌ وليلُ العاشقين طَويلُ

فانظر إلى حسن تأتيه للمعني، وبراعة استهلاله، واكتمال هذا البيت، حتى صار كالعنوان على الكتاب، والوشم على الكف. وانصت لهذا الالتياع والوجد للمنازل في هذا المطلع الخلاب:

لكِ يا منازلُ في القلوبِ منازلُ أقْفرتِ أنتِ وهنَّ منكِ أواهِلُ

فتبقى تردد معه مشدوها بطريقة اختياره وجمال بنائه، وهذا مطلع أنيق يظهر مادة الغرام في نفس هذا لشاعر الموهوب يقول:

وفاؤكما كالرَّبعِ أشجاه طاسِمُه بأن تُسْعِدا والدمع أشفاهُ ساجِمُه

فهو يمزج الحكمة بالحب بالعاطفة بالحنين، مع سهولة راقية في اللفظ، وجزالة وارفة في المعنى، ومذهب سديد في الإبداع، فحب المتنبي حب ميل إلى الجمال، وإعجاب بالحسن، وشغف بالبهاء، وهو ليس وقفًا على المرأة، بل حب وفاء لأصحابه، من ملك، أو صديق، أو منزل، أو دار، لأنه ألُوفٌ يحفظ العهد، ويرعى الذمة، ويتعاهد الذكريات، ويرعى الوداد، ويبكي بكاء الأبطال، ويتفجع تفجع الشجعان، ويتوجع توجع العظماء، ولكنّه في النهاية إنسان له قلب ضعيف، وعواطف متأججة، ودموع حارة، ونفس تذوب للجمال، وتطير إلى الكمال، وتعشق الحسن.

obeikandl.com

العلماء يستشهدون بشعر المتنبي

ما رأيت عالمًا فذّاً جاء بعد المتنبي إلا استشهد بشعره في معرض حديثه، من موعظة وتفسير، أو سلوك، أو تربية، أو تاريخ، وقد مسحت كتبًا كثيرة شهيرة فإذا للمتنبي عشرات الأبيات منثورة في غضون هذه المجلدات، مثل إحياء علوم الدين للغزالي فله عنده قرابة عشرين بيتًا، وابن الجوزي مغرم في كتبه بالمتنبي، وابن حزم مولع بشواهده، وابن تيمية يهش لنوادره، ويورد بدائعه، وابن القيم ينتقي مقطوعات ثمينة في كتبه، وعلماء التراجم يوشحون السير بشعره، والمؤرخون تسعفهم أبياته عند العرض والاستنتاج، والوعاظ يهزون الناس بقوافيه، والملوك يديرون أدبه في مجالسهم، والأدباء يضمنون نتاجهم فيض المتنبي، والكُتَّاب يزينون مقالاتهم بِتُحَفِه الغالية. وبالجملة فلا أعلم شاعرًا عربيًا قديمًا أو حديثًا شرق وغرب شعره، وخُلِّد نتاجه كهذا الشاعر، شهادة يؤديها الأدباء، ويقوم بها الشعراء، ويصدقها أرباب البيان، وكأن المتنبي يعني هذا لما قال في شعره:

إذا قلتُهُ لم يمتنعِ من وصولهِ جدارُ مُعلّى أو خِباءٌ مطنّبُ

وقصدي من هذا الفصل إخبارك أن الشاعر الفذ هو من بقي حضوره، ودام ذيوعه، وفرض احترامه على محبيه، ووجوده على حاسديه، وكذلك كان المتنبي، فهو أشهر شاعر سمع به الناس، واحتفلت بشعره المنابر، وهضمت جمله الدفاتر، وتشنفت بقوافيه الآذان، ولعلعت بقصائده المجالس ليصح في شعره قوله:

أنا الذّي نظرَ الأعمَى إلى أدَبي وأسمعتْ كلماتِي من به صَمَمُ

obeikandl.com

جواهر ثمينة في عقد المتنبي

أهدى المتنبي للأدب العربي جواهر ثمينة من غالي الكلم، يعرف قيمتها هواة الحرف، ففيره من الشعراء أحسن في بعض أبياته، ولكن هذا الشاعر أحسن في قصائده، وهذه جماليات فاتنة من جيد شعره، لا يحدها فن من وصف أو غزل أو مدح أو حكمة، خذ قوله في الصفح الجميل:

وفيكَ إذا جَنَى الجانِي أناةٌ تظَنُّ كرامةً وهي احْتِقارُ

فأنت لو ذهبت تنثر هذا العقد الفريد، لجعلته كلامًا منثورًا لا يحفظ، ولا ينقل، وإنما سبيله الإهمال والإغفال، ولكن طالع إلى سبقه للمعنى، وسبكه للفظ، ورشاقته في العرض، وعلى قوله تعالى عن الأعداء: ﴿لَن يَضُرُّوكُمْ إِلاَّ أَذًى﴾ [آل عمران: ١١١] يقول:

ويَحتقرُ الحسَّادَ عن ذكره لهم كأنهم في الخلقِ ما خلقوا بعدُ

وهذا غاية المدح في عظيم يمتهن أعداءه، ويحتقر حساده، إلى درجة أنه يعاملهم معاملة المعدوم الذي لم يخلق بعد، وهل لهذه سابقة لهذا المتفرد اللوذعي.

وفي الذكر الحسن وتصويره بالحلل الجميلة التي تستر الجسم في بهاء، وتظهر الملبوس في سناء يقول:

ورَفَلتَ في حُللِ الثَّناءِ وإنما عَدَمَ الثَّناءِ نهايةُ الإعدامِ

فهو حائك يجيد نسج الكلام بعناية، ويختار الكلمات بقصد، ويعمد إلى أجل المعاني بترصد وتعمد.

وفي باب كل حلاف مهين، يفاجئنا بنظرية تربوية ونفسية لا أعلم أحدًا سبقه إليها، فقال:

وفي اليمينِ على ما أنتَ واعدُهُ ما دلَّ أنكَ فـي الميعـادِ مُتَّهـمُ

فكثرة الحلف مظنة الكذب ﴿ **وَلَا تُطِعْ كُلَّ حَلَّافٍ مَّهِينٍ** ﴾ [**القلم**: ١٠] .

وهل البلاغة إلاّ أصابت كبد المعنى بإيجاز من القول، مع سلامة من الإعياء اللفظي، ونجاة من الإسفاف، وترفع عن الرخيص من اللفظ.

وفي مسألة: وجزاء سيئة سيئة مثلها، تثور ذاكرته الهادرة بهذه الحكمة.

إذا أتتِ الإسـاءةُ مـن وضَـيع ولَـمْ أُلُمِ المسـيءَ فمـن ألـومُ

وهذا البيت له قوته وسمو معناه، ما يكفل له الخلود والانتشار؛ لأن الناس يعيشون كل يوم في هذه المأساة، وهي جناية الأنذال، وحماقات الأشرار الذين يستحقون التبكيت والقصاص المر.

ويُحلّق عاليًا في المدح؛ ليصف ممدُوحِيه بالشجاعة، حتى أنهم يرون الموت أمنية، والفناء مطلبًا، والبارود مسكًا زكيًا في الأنوف، فيقول:

كأنهم يَرِدُون الموتَ مـن ظمأٍ أوينشَـقَونَ مـن البَارودِ ريحَانَا

وكأني بالممدوحين وقد ذابت نفوسهم فرحة، وامتلأت صدورهم بهجة، وعمت وجوههم نضرة النعيم.

ويغوص ـ حسبه الله ـ باقتدار وموهبة ذكية على معنى شرعي أدبي فيقول في ممدوحه:

عَليكَ مِنكَ إذا أُخليتَ مُرتَقِبٌ لم تأتِ في السِّرِ ما لم تَأتِ إعلانا

فهو يصفه بحياة الضمير، وحضور المراقبة، والوضوح المشرق، والبعد عن النفاق والالتواء، وهذا من دقيق فهمه، ومن ثراء مخزونه الثقافي الجياش؛ لأننا سئمنا المديح المكرر الممجوج، الذي توارد عليه الشعراء، من أن ممدوحه يكرم الضيف، ويضرب بالسيف، وينحر الناقة السمينة، ويقتل البطل الصنديد.

وتعال إليه وهو ينوّه بنفسه على عادته في الإعجاب بها، والافتتان بجدارتها، ويقول:

وما كلُّ من يَهوى يَعِفُّ إذا خَلا عَفَافي ويُرْضِي الحُبَّ والخيلُ تُلتقي

فهما تقوى في خلوة حيث لا رقيب إلا الله، ولا حارس إلا الضمير.

وله فلسفة باهية، ونظرات جسورة، وتأمل دقيق، يقول في الحب:

وأحلى الهوى ما شكَّ في الوصلِ ربُّه وفي الهجرِ فهو الدهرُ يرجو ويتَّقِي

ومع جزالة المعنى حلاوة في اللفظ، ونضارة في القالب، حتى كأنك تمضغ حبات السكر، أو تعبُّ ماءً نميرًا، أو تذوق عسلًا مصفًّى.

وهو بارع في جل حكمه، وفي غالب مدائحه، وفي أكثر مذاهبه الشاعرية، واستمع إليه ليحدثنا عن قضية عاش فيها الناس جميعًا ولكنهم يغفلون عنها، يقول:

إذا ما لبِسْتَ الدهرَ مستمتعًا به تخرقْتَ والملبوسُ لم يتخرقِ

فقف بقلبك أمام هذه اللوحة الهائمة الحسناء، واقرأ جملة لبست الدهر وكلمة تخرقت، ثم تأمل المعنى، وتدبر مفهوم الكلام؛ لترى عقل شاعر جبار، وأديب خطير، ويتحفنا ـ لا فُضَّ فُوه ـ بفائدة علمية جليلة، لكنه لا يهديها لنا سامجة بل مزينة معطرة محلاّة، فيقول في خشوع القلب:

وإطراقُ طرفِ العينِ ليسَ بنافعٍ إذا كان طرفُ القلبِ ليس بمطرقِ

فللقلب طرف كما للعين طرف، وله إطراق كما إطراق العين، لكن إطراقه أسمى وأجل، فيا لها من صورة بديعة، ومن خيال خصب.

وله في عالم التمثيل بروز وسبق يناسب تقدمه في فنه، يقول في جودة استماع ممدوحه إذا سُئِل العطاء:

كأن كلَّ سؤالٍ في مسامعه قميصُ يوسفَ في أجفانِ يعقوبِ

وكأني بك وقفت على نصف البيت الأول تنتظر المشبه به، وتتحرى صورة بديعة من التمثيل تشبع الخيال، وتملأ العاطفة، فيسعفك بهذا الوصف المشرق الوضيء السامق، المنتزع من القرآن الكريم، فيمتلئ الجو بهاءً وسناءً وإبداعًا.

ويشيِّع ممدوحه بعدما ارتحل من هذه الحياة فيتوجه بقوله:

كَفَلَ الثناءُ له بردِّ حياتِه لمَّا انطوى فكأنهُ منشورُ

فما أبدع ما قال، وما أظرف ما نطق به، وانظر إلى قوله كفل الثناء له برد حياته، فهو لم يمت أصلاً فله من الحضور والذكر الجميل والثناء الحسن ما

يجعله حيّاً بين محبيه، وانظر إلى قوله لما انطوى فكأنه منشور، فهو قماش يطوى وينشر، يطويه الموت، وينشره الثناء الحسن.

ويصف ممدوحه بعلو الهمة والابتعاد عن الكسل والخمول فيقول:

كثيرُ سهادِ العينِ من غيرِ علَّةٍ يؤرقُـهُ فيما يشـرِّفه الفِكْرُ

فطالع المديح الدقيق، والاحتراز في قوله من غير علة، ليبعد عن ممدوحه سهاد المرض، كما قال عز وجل:﴿تَخْرُجْ بَيْضَاءَ مِنْ غَيْرِ سُوءٍ﴾ [طه: ٢٢]، ثم اختياره لكلمة يؤرقه، فهي أجمل من ينبهه ويسهره في موضعها، ثم إن سهر ممدوحه ليس على معصية أو سلوة أو لهو، بل هو تفكر فيما يرفع ذكره، ويبني مجده، ويتلطف في بديع مدحه ويقول:

فلا تبلغَاه ما أقولَ فإنَّـه شُجَاعٌ متى يذكر له الطَّعنُ يشتَقِ

فارع سمعك لهذه الشفافية المرهفة، والروح المتألقة؛ لترى مدى قوة أسره، ومعرفته بأسرار التأثير.

ويعتذر إلى نفسه في الحب، ويلتمس من اللائمين العذر له فيرسل لنا هذه الجوهرة:

وما كنتَ ممن يَدخلُ الحُبُّ قلبَهَ ولكنَّ من يبصرْ جفونك يعشَقِ

فهل سمعت أن شاعرًا سبق هذا الإمبراطور إلى هذا الفتح المبين في عالم الشعر، وفي اقتناص درر القريض، والغوص على جواهره. فحيَّا الله فصاحة بذكاء، وبيانًا بفهم، وبلاغة بعبقرية.

والمتنبي سابق في نقل الصورة إلى المشاهد، ورسم المثال في الذهن، فهو أبرع في الرسم من ريشة رسام حذق متمرس، اسمع له يقول:

ألذُّ من الصهباءِ بالماء ذِكْرُهُ وأحسنَ من يُسْرٍ تلقَّاه مُعدِمُ

فمذهب التجديد يحمل لواءه هذا الشاعر المصقع؛ لأننا بقينا قبله نعيش على مديح مطرد تقليدي لا يغير ولا يبدل، يوصف فيه الممدوح بالليث والغيث وأن كفه غمامة، وبيته منهل ماء، وناره من الكرم لا تنطفئ إلى آخر تلك القائمة المحفوظة عن ظهر قلب.

وتعال معي إلى ورقة من دفتر اختراعه، وديوان إبداعه يقول فيها:

أحقُّهمَ بالسَّيفِ من ضربَ الطلى وبالأمنِ من هانتْ عليهِ الشدائدُ

ومعناه أن أولى الناس بأن يتقلد السيف والولاية من ضرب رؤوس الأعداء بسيفه أي شجاعًا، وأولاهم بأن يأمن جانب عدوه من هانت عليه شدائد الحياة ومصاعب العلياء، وغمرات الحروب، إن بإمكان أي خطيب أن يمطرنا بهذا المعنى في نثر بهيج، لكن أن يقدمه لنا في لوحة مائسة ووشي منمنم فهذا من مهمة أبي الطيب شاعر الدنيا.

وهو يتحفك بتجربة رائدة عثر عليها في حياة المتاعب والعواصف يقول:

وما الخوفُ إلاّ ما تخوَّفَهُ الفَتى وما الأمنُ إلاّ ما رآه الفَتَى أمنا

فليس الخوف هو ما أتت به الحوادث والنكبات، وإنما شعور المرء بالخوف أعظم من نفس الحدث كما قال أحدهم:

لعمرَك ما المكروهُ إلا انتظارُه وأعظمُ مما حلَّ ما يُتَوقعُ

ودونك ـ رعاك الله ـ نفحة زكية من حديقة فكره المغدقة:

وللحسادِ عذرٌ أن يَشِحّوا ... على نظري إليه وأن يذوبوا

فإني قد وصلتُ إلى مكانٍ ... عليه تَحْسُدُ الحدقَ القلوبُ

فالرجل لا يفارقه جمال العبارة، وخصوبة الخيال، وروعة التعبير، فبديهته حاضرة، وقلبه شهيد، وريشته تقطر إبداعًا وفتنة. وما سمعنا بشاعر اعتذر إلى حساده وسامحهم إلا هو، وليس كرمًا منه لهم، وإنما نكاية بهم، ورفعة للمدوح بحيلة ذكية.

وقف قليلًا معه وهو يتحدث مع الزمان، يقول:

أتى الزمانَ بنوه في شبيبته ... فسرَّهُم وأتيناهُ على الهرمِ

فهو يرى أنه متأخر رتبة، ولو أنه متقدم لفظًا؛ لأن الزمان الذي عاش فيه زمان لا يقدر العظماء، ولايحتفل بالنوابغ، ولا يكرم الأفذاذ، ويقول أيضًا:

أريدَ من زَمَني ذا أن يبلِّغَني ... ما ليسَ يبلغُه من نفسِه الزمنُ

فلا زمانه يساعده، ولا أصدقاؤه يعضدونه، ولاحساده يتركونه، ولا الملوك يحتفلون به، ولكن عزاؤه هذا الشعر السائر الخالد، الذي بقي عبقه في أنوف الجهابذة، ودويّ صوته في آذان الأجيال، فهو أعظم شاهد على جدارة هذا النابغة، وسطوعه ولموعه، كما قال:

وتَركُكَ في الدُّنيا دويًّا كأنما ... تَداولَ سمعَ المرءِ أنمُلُه العشرُ

obeikandl.com

المتنبي وجنون العظمة

المتنبي شاعر هائج مائج، هدار موار، كالبركان يرمي بالحمم، مارد كالريح القاصف العاصف، فهو لا يؤمن بالمهادنة والتروي والانتظار، فهو إما متوجع متفجع، وإما شاكٍ باك، وإما غاضب ناقم، وإما مظلوم مهضوم، وإما ساطع لامع، غير أنه ليس ساكنًا كامنًا، بل هو في الحقيقة مالئ الدنيا، وشاغل الناس، وبسبب هذه المعاندة والإباء والمشاكسة طار ذكره، وشع بيانه، وساح في الناس أدبه.

إن الذين يريدون التأثير في الأجيال، ثم لا ينفضون من حولهم بنتاجهم وعلمهم وأدبهم وخطبهم، إنما هم أموات غير أحياء، وما يشعرون أيان يُبعثون.

إن أهل الدعة والخمول نسخ مكررة، يراها الناس ملء الشوارع والأسواق، ولكن العباقرة أندر من الكبريت الأحمر، فهم يشاركون الناس في الصورة الظاهرة، ويفوقونهم في المواهب والصفات، كما قال المتنبي نفسه:

وإنْ تَفُقِ الأنَامَ وأنتَ منهُم ... فإنَّ المسْكَ بعضُ دمِ الغَزالِ

ولكن المتنبي طغى به بيانه، وحدثته نفسه بأنه فريد العالم، ووحيد الدهر، ورجل الدنيا، فترجم ذلك شعرًا، يقول:

أيَّ مَحـــلٍ أرتَقِـــي ... أيَّ عظَـــيمٍ أتَّقـــي

وكُلَّ مـا قَـــدْ خَلَـقَ اللـ ... ـــهُ ومـــا لـــمْ يَخْلُـــقِ

مُحْتقـرٌ فِـــي هِـــمَّتي ... كَشَـــعَرةٍ فـــي مَفرِقِـــي

نستغفر الله ونتوب إليه من هذا الغلو الفاحش، والطغيان الجارف، وكما سلف معنا فقد نظر العُمْي إلى أدبه، وسمع الصُّم كلماتِه:

أنا الذي نظرَ الأعمَى إلى أدبِي وأسمعتْ كلماتِي من به صَمَمُ

وها هو يصف نفسه بأعجوبة الزمان ونادرة الكون:

إليّ لعمري قصدُ كلِ عجيبةٍ كأني عجيبٌ في عيونِ العَجائبِ

بأيِّ بلادٍ لم أجُرَّ ذُؤابتي وأيُّ مكانٍ لم تطأهُ ركائبي

وهو عند نفسه وحيد في بابه، لم ينسج على منواله أحد، ولن يتكرر وجوده في الناس، وشعره حديث البشر وقضية القضايا:

أنامٌ ملءَ جفونِي عن شوارِدِها ويسهرُ الخلقُ جَرَّاها ويختصمُ

فالناس مشغولون بشعره، منهمكون في عظمته، مستغرقون في دراسة أدبه، هكذا يتصور ويفكر ويقدر، بل ينصحك ألا تسمع إلا له، ولا تنظر في شعر سواه، فإن غيره إذا تكلم فسدَ الكلام، ومجَّ الحديث، ورخص القول:

ولا تبالِ بشعرٍ بعد شاعرِه قد أُفسِدَ القولُ حتى أُحمِد الصَّمُمُ

ويرى أن الشعراء قد عجزوا عن مجاراته، وأفلسوا في السباق معه، ويقول:

إذا شاءَ أن يلهو بلِحية أحْمقٍ أراهُ غُبَاري ثمَّ قالَ له الحْقِ

أي أن سيف الدولة إذا أراد أن يضحك من شاعر أو يسخر منه، أراه غبار المتنبي السابق المتفرد، ثم قال لهذا الأحمق: أدرك ذاك الجواد المضمر وهيهات، ثم يقول:

وما كَمدُ الحسَّادِ شيءٌ قَصَدتُهُ ولكنَّهُ من يزحَمِ البحرَ يغرقِ

فقد غرق الحساد في بحر عظمته، وهو لم يرد ذلك أصلًا، ولكنهم هم الذين تعرضوا له.

وله في مدح نفسه كلمات سائرة، مرة يثني على نفسه الجليلة عنده، العزيزة لديه، ومرة يبارك شعره ويتبجح به، وأخرى يصب جام غضبه على أعدائه، ويتعجب من جهلهم به وبمقداره، وعدم اعترافهم بنبوغه وتفوقه. واسمع له يترنح في غمرة عجبه، ويسكر بكأس تبجحه، ويسبح في خيال وهمه الذي أوحى إليه من زخرف القول غروراً جامحًا، وتيهًا جارفًا، يقول:

أطاعنُ خيلاً من فوارسِها الدهرُ وحيداً وما قولي كذا ومعي الصبرُ

وأشجعُ منِّي كل يوم سلامتي وما ثَبَتتْ إلا وفي نفسها أمرُ

تمرستُ بالآفاتِ حتى تركتُها تقولُ أماتَ الموتُ أم ذُعِرَ الذعرُ

وأقدمتُ إقدام الأتيِّ كأنَّ لي سوى مُهَجتي أو كان لي عندها وِترُ

وكلما أردنا أن نغضب منه لهذا الجموح الطاغي، والتعالي المرفوض، أرضانا بهذا القول الخلاب، والسحر الجذاب، والمنطق السالب للعقول، فسكتنا عاتبين.

إن العباقرة يجدون تحديًا سافرًا من الأغبياء، وظلمًا ظاهرًا من البلداء فتثور ثائرتهم، وتغلي مراجلهم، وتضطرب جوانحهم، ومنهم هذا الشاعر الذي فتح جبهات مع خصومه، ودخل معارك ضارية مع حساده، وأصبحت حربه معهم حرب بقاء أو إبادة، حياة أو موتٍ، وجودٍ أم عدمٍ. ليس عند المتنبي تواضع الصالحين،

ولا إخبات الأولياء، ولا ورع العلماء؛ لأنه طالب شهرة، قانص مجد، باحث عن إمارة، ساع يلهث وراء الجاه والصدارة ﴿مِنكُم مَّن يُرِيدُ الدُّنْيَا وَمِنكُم مَّن يُرِيدُ الآخِرَةَ﴾ [آل عمران: ١٥٢]:

ألا بلَّغ اللهُ الحِمَى من يُرِيدُه وبَلَّغَ أطرافَ الحِمى من يُرِيدُها

obeikandl.com

المتنبي والنجومية

خاض المتنبي حرب النجوم في عالم البيان، ورفض الاستسلام لخصومه وأوصى محبيه أن لا يرضوا بغير النجومية:

إذا غامَرتَ في شرفٍ مروم فلا تقنعْ بما دَون النجومِ

فهو حاذق في معرفة طرق الصدارة، متعب نفسه وغيره في مباراة التحدي وإثبات الذات:

وإذا كانتِ النفوسُ كباراً تعبتْ في مرادها الأجسامُ

ولا يرضيه الرضا بالأقل، والقناعة ببعض المجد، بل لابد من المجد كله، والكمال أجمعه:

ولم أرَ في عيوبِ الناسِ شيئًا كنقصِ القادرين على التَّمامِ

وهو يفور غضبًا، ويثور بركانًا على من يريد تحطيمه، والتقليل من شأنه، حتى إنه مر ببعض حساده في الطريق، فألقى عليهم هذه القذيفة:

لو اسْتطعتُ ركبتُ الناسَ كلَّهمُ إلى سعيدِ بن عبدالله بُعْرانا

والويل كل الويل لمن أراد الانتقاص من هذا الأعجوبة، إنه سوف يبوء بإثمه، ويحسو كأس ندمه، ولو كان ملكًا مطاعًا، فهو يجر كافور ملك مصر من على كرسيه بهذه القذيفة:

لا تشترِ العبدَ إلا والعَصَا معه إن العبيدَ لأنجاسٌ مناكيدُ

وفي سبيل تحقيق نجوميته فكل شاعر سواه، فإنما هو شويعر حقير صغير، وهو وحده الخطير الشهير الكبير:

أفي كلِّ يومٍ تحتَ ضِبْني شويعرٌ ضعيفٌ يقاويني قصيرٌ يطاولُ

فالكريم الذي لا يحتفل بالمتنبي، ولا يكرم مثواه ويحسن وفادته، لئيم خسيس:

جودُ الرجالِ من الأيدي وجودهمُ من اللسانِ فلا كانوا ولا الجودُ

والذي لا يستمع إليه غر بليد، يقول في أحد هؤلاء الأغبياء:

صَغُرتَ عن المديحِ فقلتَ أُهْجَى كأنَّك ما صَغُرتَ عن الهجاءِ

وهو عند نفسه نادر المثال، لا يتكرر شبيه له، وهو غريب كما يرى في نبوغه وفصاحته:

أنا في أُمَّةٍ تَدراكَها اللّـ ـهُ غريبٌ كصالحٍ في ثمودِ

وهو معدن آخر كما يرى، وله طينة أخرى، فهو كما يعتقد، متفرد متميز:

وحيدٌ من الخلانِ في كل بلدةٍ إذا عظمُ المطلوبُ قلَّ المساعدُ

وكأني به يرى سواه أقل منه رتبة، وأقصر قامة، وأصغر قدرًا:

وربما أُشهدُ الطعامُ معي من لا يساوي الخبز الذي أَكَلَهْ

ولا ينسى أن يذكر أصحابه بأنه نجم:

وإنِّي لنجمٌ تهتدي صُحْبتي به إذا حالَ من دونِ النُّجومِ سحابُ

ويبشرك أن نفسه وثابة شابة، وبشاشة جيّاشة:

وفي الجسمِ نفسٌ لا تشيبُ بشيبه ولو أنَّ ما في الوجه منه حِرابُ

فهو شاب الهمة، فتي العزيمة، متوقد القلب، لا يكل ولا يمل، حتى يبلغ مناه من النجومية، والتحليق عاليًا في سماء النجاح. فلديه من الطموح إلى نيل مطالبه، وإدراك مقاصده، ما أتعب جسمه، وأنهك روحه، وعرضه للمخاطرة، وحمله على ركوب المهالك، وصح فيه قوله من قصيدة له عامرة:

وأتعبُ خلقِ الله من زاد همّه وقصرَ عما تشتهي النفسُ وجْدُهُ

وفي الناسِ من يرضى بميسورِ عيشِه ومركوبِه رجلاه والثوبُ جلدُهُ

ولكنّ قلبًا بين جنبيَّ مَا لَهُ مدًى ينتهي بي في مراد أحدُّهُ

يرى جسمَه يُكْسى شُفوفًا تَربُّه فيختارُ أن يُكْسى دروعًا تهدّهُ

obeikandl.com

رحلة ممتعة في زورق الإبداع

لابد لعشاق البيان، وهواة جمال الكلمة، ونصاعة القول، من ذائقة فنية، وحاسة سادسة للتمتع بطعم التأثير المشرق لسحر الكلام، وإلا فلا فائدة من عَرْض تُحَفِ البيان على عُمْي البصائر، وإبراز مخدرات الحسن على كل أكمه وأعشى، وما أعجبنا في المتنبي غلوه في مدح نفسه، ولا ثناؤه على إنجازاته الخيالية، إنما أعجبنا هذا الوهج الفني، والبريق الذي يكاد يذهب بالأبصار، ثم سماء عبقريته، فهو بلا شك صاحب قدح معلَّى في صياغة الكلمة، ونسج الجملة، حتى يلتفت لها القلب، ونحن معذورون في إعجابنا بشعره فقد سبقنا أساطين البيان، ودهاقنة الفصاحة، وأساتذة البديع، وكلهم معترفون بفصاحة هذا الشاعر، وتألقه وانفراده. فيا أخي اركب معنا في زورق الإبداع وربّانه أبوالطيب المتنبي الذي يقول:

أنا السابقُ الهادي إلى ما أقولُه إذا القولُ قبل القائلين مقولُ

وسوف نسوق جُمَلًا ندية بسحره، مخضلة بطلاوته، عبقة بمسك فنه؛ لتكون كالشاهد على غيرها، والدليل على سواها، وكفاك غرة الفرس، وثغرة المحب، ونون العين:

له عينٌ أصابتْ كلَّ عينٍ وعينٌ قد أصابتها العُيون

وسوف نقتصر على نون العين من نتاج هذا الشاعر الثائر الطموح والباقعة المتألق:

قالوا خذِ العينَ من كلٍّ فقلتُ لهم في العينِ فضلٌ ولكن ناظرَ العين

obeikandl.com

والآن هاك هذه الفرائد

وخير جليس في الأنام الكتاب

يقول أبو الطيب:

أعزُّ مكانٍ في الدُّنا سرج سابحٍ وخيرُ جليسٍ في الأنامِ كتابُ

فانظر كم اهتدى إلى معنى ثمين رائد، ثم أخذه فغَسَلَهُ وكواه، ووضعه وطبعه، وفصله بلفظ ساطع، وتركيب متناسق خلاب، فهل سبقه شاعر إلى اختراع هذا المعنى؟! إنه يقول لك: إن أشرف موضع يقعد فيه كل ماجد نبيل هو ظهر الفرس، حيث يقاتل العدو، ويحمي الحوزة، ويذود عن العرض، ويدافع عن الكرامة، ويبني المجد، وإن أفضل المجالس للمرء كتاب؛ حفظًا للعهد، واستثمارًا للوقت، وبعدًا عن الأذى، ومراعاة لحق الجليس، وإمدادًا للعقل، ولكن أعد النظر في رصفه للكلمات الحرة الراقية، وبنائه للبيت بلا نشاز ولا التواء، إن من الشعراء من قد يجود بهذا المعنى؛ لكنه يضعه في قالب فج بكثرة حروف الجر والضمائر، والتقدير، والتأخير، والإسفاف، والحشو.

ذو العقل يشقى في النعيم بعقله

يقول:

وذو العقلِ يشقى في النَّعيم بعقلِه وأخو الجهَالةِ في الشقاوةِ ينعمُ

لله دره، هكذا فلتكن الذاكرة الحية، والذهن الخصب الممرع، والتجربة الراشدة، إن العاقل الأريب لا يقر قراره لعطشه، ومعرفته بتغير الأيام، ودوران الليالي، ومفاجأة الحوادث، وهجوم المزعجات، أما الغبي الحافي، فهو كالبهيمة لا يرى إلا موطن قدميه، فهو في شقاوته يتنعم لجهله بالعواقب، وقلة خبرته بالنوائب، وانطماس بصيرته عن مشاهدة سنة الحياة؛ من العسر واليسر، والغنى والفقر، والسرور والحزن﴿ **أَمْ تَحْسَبُ أَنَّ أَكْثَرَهُمْ يَسْمَعُونَ أَوْ يَعْقِلُونَ إِنْ هُمْ إِلاَّ كَالأَنْعَامِ بَلْ هُمْ أَضَلُّ سَبِيلاً** ﴾ [**الفرقان** : ٤٤].

يقول شكسبير: «الذكي يعيش من جنته في جحيم، والغبي يعيش من جحيمه في جنة»، ولكن تبقى الريادة للمتنبئ والسبق.

مصائب قوم عند قوم فوائد

يقول:

بذا قضتِ الأيامُ ما بين أهلِهَا مصَائبُ قومٍ عند قومٍ فوائدُ

فتطير هذه الحكمة في الآفاق، وتجري على الألسنة ، وتكون حاضرة على شفاه الخطباء والحكماء، وتشاهد على البيت توقيع المتنبي الخاص الذي يميزه عن غيره، وانظر إلى جملة «بذا قضتِ الأيامُ ما بين أهلِها» فإذا هي عبارة مستقيمة صحيحة لا عوج فيها ولا أمتًا، ثم انظر إليه وهو يتسفز ذهنك لتترقب الحكمة القادمة فيبادرك بها: «مصائبُ قومٍ عند قومٍ فوائدُ»، فتكون هذه الحكمة ناطقة بعمق الرجل، وذكائه وسعة تجربته، وهو الاستفادة من نكبات الغير، وأخذ العبرة من ذلك، وهو منطق القرآن ﴿ **.. فَاعْتَبِرُوا يَا أُوْلِي الأَبْصَارِ** ﴾ [**الحشر** : ٢].

والمتنبي قدير في جلب الحكمة الصادقة، وفى سبك اللفظ الجميل، فليس شعره من شعر الأعراب الساذج الباهت، وليس من شعر حفظة المتون العلمية المقننة المتكلف، بل هو سائغ للشاربين، يسر الناظرين.

ولا التذكير فخر للهلال

يوم رثى والدة سيف الدولة قال:

ولو كانَ النساءُ كمن فَقدْنا لفضلتِ النساءُ على الرجالِ

فما التأنيث لاسم الشمس عيبٌ ولا التذكيرُ فخرٌ للهلالِ

فأنت تشاهد انسيابًا لذيذًا لايعكره حشو في اللفظ، ولا يكدره غرابة في اللغة، ولا يشوهه تبذل سوقي، بل تشاهد الفخامة، فهو يمهد لك بالبيت الأول حتى إذا تهيأت لسماع النظرية، واستقبال الدليل باشَرَكَ بالبيت الثاني في رقة وعذوبة، فكأنك تمضغ سكرًا، أو تمص عنبًا، خلاف ما تشاهده في كثير من الشعر الإنشادي الإنشائي أو التقريري الإخباري، أو الغريب الوحشي، ولهذا بز المتنبي الشعراء في هذا الباب.

ذكر الفتى عمره الثاني

يقول:

ذكرُ الفتىَ عمرُه الثاني وحاجتُه ما قاته وفضولُ العيشِ أشغالُ

فهذه ثلاثة مقاطع من الحكمة النادرة، والوعي الراشد، والتجارب المماثلة وما هذا الرجل إلا فيلسوف متأمل، يستولي على مكان الإعجاب فيك، وانظر إلى

إيجازه وفصاحته في قوله: «ذكر الفتى عمره الثاني»، انتهى المقطع ليكون قطعة ماس، أو حبة لؤلؤ مائسة، تقلبها في يدك فتزداد شرفًا وبريقًا، ولك أن تحدث العقلاء في مسألة الذكر الحسن فتقول: «ذكرُ الفتى عمره الثاني»، فتقنع الجميع بجلالة هذا الأمر والترغيب فيه، ثم تقول: «وحاجته ما قاته»، فتطبع درسًا في القلوب، درسًا لا ينسى في علم القناعة، بأقل لفظ، وأخف قول، وأصدق عبارة، ثم تقول: «وفضولُ العيشِ أشغالُ»، فتزّهد الناس في التكاثر، والانهماك في الجمع والتكالب على الدنيا، فإذا عبارة «وفضولُ العيشِ أشغال» كتاج مرصع على هامة كريمة، أو خاتم على رسالة، أو عنوان على كتاب، وانظر إلى قدرته في طي مسافات المعنى في اقتصاد من القول، وأبهة من البلاغة.

إن الثناء على التنبال تنبال

يقول:

وقد أطالَ ثنائِي طُولُ لابسِه إن الثَّناءَ على التنِّبالِ تنبالُ

ومعنى كلامه أنني قد أطلت الثناء على هذا الممدوح لكثرة مناقبه، وجلالة قدره، وغزارة خصاله؛ فلذلك وجدت مجالًا للكلام، بخلاف التنبال الذي هو القصير القزم التافة، فإن الثناء عليه قصير وشحيح؛ لأنه لا مجال للإسهاب في وصفه ومدحه، وقد أراد في هذا البيت أن يعتذر من الإطالة، فأتى بأحسن المدح في ممدوحه، ثم ختم البيت بقضية عادلة، وكلمة سائرة، وهي أنه بحسب الممدوح كرمًا ولؤمًا، يكون المدح طولًا وقصرًا، كما أن الثياب تفصل على طول الناس وقصرهم، فكذلك الثناء، وهذا من دقيق نظره، وجدارته من اقتناص المعاني.

إذا أنت أكرمت الكريم ملكته

يقول:

إذا أنتَ أكرمتَ الكريمَ ملكتَهُ وإنْ أنتَ أكرمتَ اللئيمَ تمردا

معناه: أن الكريم تملك وده ووفاءه بالإحسان إليه؛ فيكون لك مواليًا مصافيًا حافظًا لجميلك، ذاكرًا لإحسانك، بخلاف اللئيم، فلا يزيده الإحسان إلا تمردًا وتنكرًا؛ لخبث طبيعته، وسوء سيرته، ولؤم خلقه. وأكثر الناس يعرفون هذا المعنى، لكن تقديمه لهم في عبارة شاردة، وحكمة فائقة، مطلب يهش له العقلاء، ويتوق له الأدباء، وقد قلنا لك: إن المتنبي لا يعاضل بين الكلام، ولا يثقل البيت بالضمائر، وحروف الجر، والتقديم والتأخير، كما يفعله صفاف الشعراء، الذين يثقلون السامع بحشو الكلام، وزائد القول. وكم سمعنا من عامة الناس من يردد هذا البيت فضلًا عن طلبة العلم، وما ذاك إلا لاستيلاء هذا الشاعر عرش الشهرة، وامتلاكه ساحة الأدب، وامتيازه بالأسر والتأثير.

غرقت فيه خواطره

يقول في ممدوحه:

إذا تَغَلغَلَ فكرُ المرءِ في طَرَفٍ من مجدِه غرقتْ فيه خَواطرُهُ

فهو هنا يترقى بك عن مدح الأعراب المكشوف إلى مدح دقيق، ومعنى عميق، يدل على علو كعبه في سعة الاطلاع، ورحابة المعرفة مع جودة الخاطر يقول هنا: إن هذا الممدوح إذا غاص فكر الإنسان في جزء واحد من مجده الواسع،

ومواهبه الجمة؛ استغرقت هذه الصفات كل خواطر هذا الإنسان، واستولت على ذهنه وحيرته، فكيف بباقي صفاته وسائر خصاله، وهو ثناء نادر وقوعه في المدائح لدقته وغرابته، ولكنه لذيذ تعشقه النفوس؛ لأنه فريد متوهج.

obeikandl.com

الرجل يتقطع أسفا، ويعلن التمرد على حياته

تمنٍّ يلـذُّ المسْـتهامُ بذِكْـرِه وإن كان لا يُغْني فتيلًا ولا يُجْدي
وغيظٌ على الأيامِ كالنَّارِ في الحشا ولكنهَّ غيظُ الأسـيرِ على القِدِّ

هكذا يغلي غضبًا، ويصرخ ندمًا، لكنه لاحيلة له، بل هو مثل الأسير في قيده، لا ينفعه غضبه من هذا القيد، وهو مشحون بالسخط من بني زمانه؛ لأنهم أنانيون وطمّاعون ليس معهم حل إلا السيف، حتى يحكم الله بينه وبينهم وهوخير الحاكمين:

من الحلمِ أن تستعملَ الجهلَ دونه إذا اتسعتْ في الحلمِ طُرْقُ المظالمِ
وأن تردَ الماءَ الذي شَطْره دمٌ فتُسقى إذا لم يُسْقَ من لم يُزاحِمِ
ومن عرفَ الأيامَ معرفتي بها وبالناسِ روّى رمحه غيرَ راحمِ
فليسَ بمرحومٍ إذا ظَفِروا به ولا في الردَى الجاري عليهم بآثمِ

هذا رأيه الصريح في بني جنسه وفي زمانه، إن الرجل ملتاع ملدوغ من حساده، منكوب من الأعداء، مضطهد من الملوك، ولكن كان لهذه النوائب نفعًا من إذكاء قلبه، واشتعال ضميره بهذا العطاء الجزل من البيان الجليل، والأدب النبيل، ولو أن المتنبي سلم من هذه النكبات، لكان شعره مثلجًا كشعر المئات من الشعراء الباردين الثقلاء، الذين أغلوا علينا الأوراق والحبر، وخدعوا القارئ بحسن طباعة دواوينهم، ليجد فيها غثاء من رخيص القول، وزبدًا من تافه الحديث.

لكن أبا الطيب أنضجته المعاناة، فصارت تسيل على شفته قوافٍ سائرة، تدعوك إلى العيش في ظلالها، وتأملِ جمالها والتمتع بخمائلها، ونحن نعلم أن سبب هذا الهيجان العاطفي، والثوران النفسي، إنما هو لعدم نيله مطالبه الدنيوية الرخيصة، من منصب وصدارة وإمارة، فهو مغرم بهذه المقاصد، متيم بهذه الهوايات، ويحسبها أجل ما يناله المرء؛ لأن الرجل شاعر، وليس لديه من علم الوحي، وفقه الديانة، ونور الملة، ما يعصمه عن هذا المذهب، ويدله على ما هو أنفع وأرفع، وهو رضوان الله عز وجل ﴿ **مَا عِندَكُمْ يَنفَدُ وَمَا عِندَ اللَّهِ بَاقٍ . .** ﴾ [**النحل** : ٩٦].

حلاوة وطلاوة علت قوافيه الماتعة

إن كانَ قد ملكَ القلوبَ فإنَّه ... مَلكَ الزمانِ بأرضِه وسمائهِ

الشمسُ من حُسَّادِه والنصرُ من ... قرنائِه والسيفُ من أسمائهِ

أين الثلاثة من ثلاثِ خلاله ... من حسنه وإبائه ومَضائِهِ

مضتِ الدُّهورُ وما أتين بمثله ... ولقد أتى فعجزنَ عن نُظَرائهِ

يا لطيف! ما هذا الكلام الشريف، ارجع البصر كرتين إلى هذه الأبهة اللفظية كقوله: «ملك القلوب»، وما فيها من قوة وأسر ونفث سحر، وهذا ليس معروفًا عند شعراء الصحراء، وضعاف الأدباء، فإن ملك القلوب أعظم من ملك الأبدان، ثم جعل هذا الملك مُسَلمًا للمدوح، وإنما أثبت له ملك الزمان بأرضه وسمائه، ثم طالع تشبيهه للمدوح بالشمس في الحسن، والنصر في الإباء، والسيف في المضاء، ولكن في تقسيم شاعري رائع، يناديك من أطراف قلبك إلى التيقظ، والتمتع بمسارح الجمال، ومرابع الخيال، في قالب فني كله رواء وطلاء، يذوب رقة، ويندى رشاقة، ويسكب لطفًا، وهذا سر أهمله كثير من الشعراء؛ لأنهم يأتون إلى معنى مكشوف بلفظ ساذج، ليس عليه حلة من الإبداع، كقول جرير في ممدوحه:

تعوَّد صالحَ الأخلاقِ إنِّي ... رأيتُ المرءَ يلزمُ ما اسْتَعَادا

والحمد لله على السلامة، فما زادنا جرير على أن وزن لنا كلامًا لو تركه بلا وزن كان أسهل، أو كقوله:

أقلِّي اللومَ عاذلَ والعتابَا وقولي إن أصبتِ لقد أصابا

فانظر إلى هذا التقرير البارد والشعر الإخباري الثقيل.

وهذا ابن دريد يقول لنا في مطلع مقصورته:

يا ظبيةَ أشبهُ شيءٍ بالمها ترعى الخُزامى بين أشْجارِ النَّقا

فقد أفادنا أن الظبية مثل المها ـ ما شاء الله! ـ وأنها ـ والحمد لله ـ ترعى الخزامى بين أشجار النقا، هذا كل ما في البيت، فلا تتعب نفسك في الغوص على معانيه، وإخراج جواهره، فليس فيه إلا ما ذكرت.

وهذا الرازي يقول:

نهايةُ إقدامِ العقولِ عقالُ وغايةُ سعي العالمين ضَلال

فأنت أمام كلام منطقي قانوني مدون، ليس له حلاوة، ولا طلاوة، ومعناه يفهمه الحاضر والباد.

وأين هذا من قول المتنبي:

وأنا الذَّي اجْتلبَ المنيةَ طرفُه فمن المطالبُ والقَتيلُ القاتلُ؟!

فما أبدع ما قال! وما أمتع ما نطق به! فهنا يحق للذهن أن يتأمل، وللروح أن تنتشي، فهو يقول لك:

أنا المتسبب بنظري إلى الجمال حيث جنى طرفي عليّ، وأوردني حياض الموت، فلن أطالب أحدًا بديتي، ولو كنت قتيلًا، فأنا القاتل في الحقيقة؛ لأنني نظرت بطرفي فقتلت.

وأين أقوالهم من قوله:

قد كنتُ أشفقُ من دمّعي على بَصَري فاليومَ كلُّ عزيزٍ بعدكُم هانا

فشكرًا لهذا الإبداع والتألق الفني، واللهيب والجذب، وكأنها أمثال في الذيوع والانتشار، وضع يدك على قلبك واقرأ معي قول أبي الطيب:

وما شَرَقي بالماء إلا تذكّرًا لماء بهِ أهلُ الحبيبِ نزولُ

يقول: إنني إذا غصصت بالماء وأنا أشربه على المائدة، فبسبب تذكري ماء نزل به أهل الحبيب، فلما ذكرت ذلك شَرِقْت بهذا الماء، واختنقت من شدة الأسى واللوعة. وقد أكرر هذا البيت كثيرًا فأغالب دمعي، وأعصر غصصًا كامنة في نفسي.

obeikandl.com

شاعر يرسم بريشته الأحداث

يقول في سيف الدولة بعدما عُوفِي من مرضه:

المجدُ عُوفي إذ عوفيتَ والكرمُ وزالَ عنكَ إلى أعدائِك الألمُ

إلى أن يقول:

وما أخصُّكَ في برءٍ بتهنئةٍ إذا سَلِمتَ فكلُّ الناسِ قد سلموا

وكأني بهذا المريض المعافى يترنح طربًا، ويطير شوقًا من هذه التهنئة الحافلة، والأنشودة الراقية، التي انهمرت على الممدوح كغمامة هلت ماءها في صيف متوقد.

فهو يخبره أن المجد مرض بمرضه، وعوفي بعافيته، وكذلك الكرم، ثم يدعو الله أن ينقل ألم الممدوح إلى أعدائه، ثم يهنئ الناس كلهم بعافية هذا الماجد الشهم النبيل. وأرعه سمعك وهو يقول لسيف الدولة:

هو البحرُ غُصْ فيه إذا كان ساكنًا على الدرِ واحذره إذا كان مزبدا

فإني رأيتُ البحرَ يعثرُ بالفتى وهذا الذي يأتي الفتى متعمّدا

تظلُّ ملوكُ الأرضِ خاشعةً له تُفَارقه هَلْكى وتلقاه سجّدا

هذا مدح تنصت له أذن الدهر، وتهش له الجبال حفاوة واحتفالًا، ولن أشرحه هنا؛ لأنه قريب منك؛ لكن في إباء سهل، لكن في امتناع مفهوم، لكن في عمق بديع.

obeikandl.com

تحليق في سماء الإبداع

من الشعراء من يمشي على بطنه، ومنهم من يمشى على رجلين، ومنهم من يمشى على أربع، ومنهم من يطير كالمتنبي، لكن بارتفاع سبعة وثلاثين قدمًا عن سطح البحر، فهو - دائمًا - محلق، وإن اقترب أحيانًا من الأرض، كما يقول هو عن العلو:

ذي المعالي فَلْيَعْلُوَنْ مَنْ تعالى ... هَكَذَا هَكَذَا وإلا فلا لا

شرفٌ ينطحُ النجومَ بِرَوْقَيْـ ... ـهِ وعزٌّ يقلقل الأجبالا

فالرجل صاعد بموهبته، ولا يريد أن توازنه بغيره من الشعراء:

أجزني إذا أُنشدتَ شعرًا فإنما ... بشِعْري أتاكَ المادحون مردَّدا

ودعْ كلَّ صوتٍ غير صوتي فإنني ... أنا الطائرُ المحكي والآخر الصّدى

فهو يطلب إليك أن تفرده بالاستماع والإعجاب وحده؛ لأنه محلق وسواه ماشٍ.

والآن يريد أن يخبرك بصعوبة المجد، وثمن التضحية، ومهر المعالي، فيقول:

تريدين لقيانَ المعالي رخيصةً ... ولابدَّ دونَ الشهدِ من إبرِ النحلِ

فنصف البيت مقدمة خطابية، والنصف الآخر دليل وبرهان، ولكن يسمو في أمثاله، فهو يستعمل التشبيه المعروف، ولكنه الراقي الذائع، وأراد أبو فراس الحمداني المعاني نفسها فقال:

تهونُ علينا في المعالي نفوسُنا ... ومن طلبَ الحسناءَ لم يُغْلِه المهرُ

وأنا أرى أن بيت المتنبي أجمل وأكمل، وأما بيت أبي فراس فهو على شهرته به جدري في وجهه؛ لأنه قال: «لم يغله المهر» أي أراد لم يغل عليه المهر، فلا يرقى إلى سمو شاعرية المتنبي، وتدفق ذاكرته الخلابة الخصبة.

ويقول في باب آخر:

وما صَبَابةُ مشتاقٍ على أملٍ من اللقاءِ كمشتاقٍ بلا أملِ

فهو يخترع معنى بديعًا في الحب، ويوجد فارقًا معقولًا بين الشوق مع أمل اللقاء والشوق بغير أمل، فبيته أسمى وأرقى من قول الشاعر:

أحدثُّ نفسي باللقاءِ وقربِه وأوهمُها لكنَّها تتوهمُ

فإن البيت الأخير على جمال فيه ساذج مكشوف، وأحسن منه قول الشاعر:

أحدثُّ النفسَ بالآمالِ أرقبُها ما أَضْيَقَ العيشَ لولا فسحة الأمل

وأحسن من هذا وأجمل قول الشاعر:

منى إنْ تكنْ حقًا تكنْ أحسنَ المنى وإلا فقدْ عِشْنا بها زمنًا رغدا

ولكن جرس المتنبي وموسيقاه لها طعم آخر، ومذاق يختلف عن كل مذاق.

حتى إنك إذا سمعت قوله:

وأنا الذِّي اجتلبَ المنيةَ طرفُه فمن المطالبُ والقتيلُ القاتلُ؟!

فإنه يطريك ويعجبك؛ لأنه يغوص على المعنى، ثم يوشيه لفظًا أجمل من زهر الرياض، ثم يختار المفرد فيأسر قلبك، وأنت إذا أمعنت النظر في بيته المتقدم، لا تدرك المعنى من أول وهلة، حتى تتأمل وتُمْعن النظر، وتعيد البصر كرتين، لأن المعنى المتبذل المكشوف رخيص، كالبضاعة المعروضة بعرض الطريق؛ من خشب وحجارة، بخلاف الذهب والماس، فإنه يوضع خلف الأبواب عليه الأقفال لارتفاع ثمنه.

وقد طرق الأرجاني معنى المتنبي:

أعينيَّ كفَّا عن فؤادي فإنَّه ... من البَغي سعي اثنين في قتل واحد

وبيت المتنبي أرق وأمتع؛ لأن بيت الأرجاني فيه محاكمة قضائية وخصومة.

وقال آخر:

عُوقِبَ قَلْبي وجَنَى ناظري ... وربما عُوقِبَ من لا جَنَى

وهذا بيت رث غث، ليس له إشراق وروعة كبيت أبي الطيب. وفي الغالب لا لا توازن بين أبي الطيب وشاعر آخر إلا وجدت له تفوقًا وارتفاعًا، اسمعه يقول في وصف شجاعة ممدوحه:

تعوَّدَ أنْ لا تقضمَ الحبَّ خيلُه ... إذا الهامُ لم تَرفع جُنُوبَ العلائقِ

ولا تَرِدَ الغُدرانَ إلا وماؤُها ... من الدَمِ كالريحانِ فوقَ الشَّقَائق

فما أجمل الوصف، وما أجمل المدح، ووازنه بقول ابن عنين:

وتعافُ خيلُهم الورودَ بمنهلٍ ... ما لم يكنُ بدمِ الوقائعِ أحمرا

فإنك تجد المتنبي أرقى صورة، وأشد تأثيرًا، واسمع إليه في هذه الثلاثة الهائمة الساحرة:

إن كُوتبوا أَوْ لَقُوا أو حَوربوا وجَدَوا ... في الخطِّ واللفظِ والهيجاءِ فُرسانا

كأن ألسُنَهُم في النطقِ قد جُعِلَت ... على رماحِهِمِ في الطَّعنِ خِرصَانا

كأنهم يِردونَ الموتَ من ظمأٍ ... أو يَنْشِقون من الخطّيِّ ريحانا

واسمع إليه يقول:

كأنَّ الهامَ في الهَيْجا عُيونُ ... وقد طُبِعت سُيوفُك من رقادِ

وقد صُغتَ الأسنّةَ من هَمومٍ ... فما يَخْطُرن إلا في فُؤادِ

وقال حساده إنه سرق المعاني من منصور النميري إذ يقول:

وكأنَّ وقعَتَه بجُمْجُمةِ الفَتَى ... خَدَرُ المنيةِ أو نُعاسُ الهَاجِعِ

وقول المهلهل:

الطاعنُ الطعنةَ النجلاءَ تحسبُها ... نومًا أناخَ بجفنِ العينِ يغفِيْها

وقول ابن المعتز:

أينَ الرماحُ التي غذيتَها مهجًا ... مُذ متَّ ما وردتْ قلبًا ولا كبدا

وقول أبي تمام:

كأنَّه كانُ تِربَ الحبِّ مُذ زمنٍ ... فليسَ يُعجِزُهُ قلبٌ ولا كبِد

وليس عليها جميعًا ما يُقال له طيب، غير قول أبي الطيب، وأين فضل الطل من الوابل الصيب، فشاعرنا متفرد متوحد متميز.

مداخلات مع المتنبي

في شارع رئيس من شوارع الرياض، مكتوب في لوحة إعلانية بارزة «**وخير جليس في سهرة رمضان الإم بي سي!!**»، وقصدهم إلغاء بيت المتنبي الشهير: «**وخيرُ جليس في الأنامَ كتابُ**» وما أخذوا هذه العبارة إلا لشهرتها، ومعرفة الناس بها، وجاذبيتها، ويكفي المتنبي شيوعًا أن أبياته صارت تحرف لمصالح دعائية وتجارية. وهذا هو الشُّرود الأدبي، والشيوع الثقافي الذي فرض حضوره على الناس.

بإمكانك أن تجعل من أشعاره جوابًا لحواراتك مع محدثك؛ إن كنت فطنًا ذا بديهة حية وذاكرة حاضرة.

فإن لامك على حب فقل:«**لا تعذلِ المشتاقَ**»، وإن سأل عن حالك فقل: «**واحرَّ قلباه**»، وإن شكى إليك تعب المعالي فقل: «**لولا المشقةُ**»، وإذا شكى إليك الدنيا فقل: «**لحى الله ذي الدُّنيا**»، وإن مدح لك رجلًا موصوفًا بالفضل فقل:«**وإن تفقِ الأنامَ**»، وإن ذكر لك لؤم أحد الأنذال فقل: «**وإن أنتَ أكرمتَ اللئيمَ تمردا**»، وإن أخبرك بمجاملاته لأعدائه فأنشده: «**ومن نكدِ الدُّنيا على الحرِّ**»، وإن قال لك لقد تعبت في سفرك إلينا فقل له: «**جزى الله المسير إليك خيراً**»، وإن شكى إليك الحساد فقل: «**إني وإن لمت حاسديّ فما .·. أنكرُ أني عقوبةٌ لَهُمُ**»، وإن أخبرك ببعض المشكلات التي تواجهه فأنشده: «**إذا اعتادَ الفتى خوضَ المنايا .·. فأهونَ ما يمر به الوحولُ**»، وإن مدح لك امرأة بالدين والعقل والعلم فقل: «**ولو كانَ النساءُ كمن فقدنا .·. لفضلتِ النساءُ على الرجالِ**».

obeikandl.com

لغة البكاء عند المتنبي

لهذا الشاعر الأعجوبة رحلة طويلة مع البكاء، فهو مصاب في والديه؛ إذ عاش يتيمًا، مصاب في وطنه؛ فهو مشرد منفي، ومصاب في مقاصده؛ فلم يتم له ما يطمح إليه من إمارة باذخة ومنصب عالٍ. ثم إن فراق الأحبة مزق قلبه حتى قال:

لولا مفارقةُ الأحبابِ ما وجَدَت لها المَنايـا إلـى أرواحِنَا سـبلا

ويصبح باكيًا من وحشة فراق أحبابه:

سَـهُرت بعد رَحيلي وحشـةً لَكمُ ثم استمرَّ مَريري وارْعَوَى الوَسَنُ

والرجل ملـذوع بهذا النـوى والشـتات الذي أبعده عن أحبابه، وأقصاه عن أصحابه:

فـراقُ وَمَنْ فارقـتُ غيـرُ مذمِ وَأَمٌّ وَمَـنْ يممـت خيـرُ مُيَمَّمِ

لكن المتنبي على رغم ظهور نفسه الجسورة، وروحه الطموحة في شعره، يمتلك نفسًا رقيقة، عنده دموع غزيرة حارة، يدخرها للنكبات ليسفكها على فراق من يحب يقول:

قد كنتَ أُشفقُ من دمعي على بَصَري فاليـومَ كلُّ عزيـزٍ بعدكـم هانـا

ويقول:

عَشيّةَ يعدُونا عن النَظَـر البُكَـا وعَـن لذَّةِ التَّوديع خَـوفُ التَّفرقِ

ويخاطب نفسه فيقول:

بادٍ هواكَ صَبرتَ أم لم تَصْبِرا وبُكاكَ إنْ لم يجر دَمعُك أو جرى

والحقيقية أن شعراء العربية بدعوا في فن البكاء، وتفننوا في هذا الغرض، فأجود فن لديهم الرثاء؛ لأنه الصادق الذي لا رياء فيه، ولا مداجاة. فهذا الصمة القشيري يتفجع بقوله:

بكتْ عَيْني اليُمنَى فلما زجرتُها عن الجهلِ بعد الحِلْمِ أسبلتا معًا

وهو معنى لطيف ظريف، وقد وافقه الأعور السلمي في بيتين مؤثرين إذ يقول:

بكيتَ بعينٍ ليسَ فيها غَضَاضة وعينٌ بها ريبٌ من الحدَثَانِ

عَذَرتُك يا عيني الصحيحةِ بالبكا فما أنت يا عوراءُ والهملانِ

وتلطف الشاعر السعدي الشيرازي، فأبدع وأحسن ما شاء أن يحسن فقال:

بكتْ عيني غداةَ البينِ دمعًا وأخرى بالبُكا بخلت علينا

فعاقبتُ التي بالدمعِ ضَنَّتْ بأنْ أغمضتُها يوم التقينا

ولولا الاستطراد لأوردت أمثلة كثيرة على روعة هذا الفن عند الشعراء وإجادتهم له.

والشاهد أن المتنبي يبكي في مواطن، شأنه شأن الشاعر ذي العاطفة الجياشة، والقلب الرقيق، والروح المرهفة، كيف لا وهو الذي يقول:

خلقتُ أَلُوفا لو رجعتُ إلى الصِّبَا لفارقتُ شيبي مُوجَعَ القلبِ باكيًا

فهو يبين لك أن نفسه المتوثبة إلى المجد، الثائرة على الأعداء، لها عالم آخر من الحنين والعطف واللوعة. فالرجل إذا بكى، بكى بنفس مكلومة، مفجوعة منهكة، مصابة بسهام الحوادث كما قال:

رمانِي الدَّهرُ بالأرزاءِ حَتَّى فؤادِي فِي غشاءٍ من نِبَالِ
فصرتُ إذا أصابَتني سِهَامٌ تكسرتِ النِّصالُ على النِّصالِ

إن بكاء المتنبي ليس مفتعلًا، بل بكاء رجل ملذوع، ملسوع ملدوغ، فلا تتهمه في اصطناع البكاء، وتكلف الدموع، بل هي براهين على ذوبان نفسه، واحتراق جوانحه.

obeikandl.com

رحلة مع المتنبي والشعراء: موازنة ومفاضلة ومشابهة

أبو الطيب له أصدقاء وأعداء، شأن العباقرة اللامعين، والجهابذة الساطعين، فهو عند أصدقائه فرد في بابه، نجم في سمائه، أسطورة من أساطير الشعر، وهو ملك القافية عندهم، ورسول الإبداع، ولكنه عند أعدائه سارق من كيس غيره، عالة على سواه، يعدو على نتاج الشعراء، ويختلس معانيهم، ويزوِّرُ أبياته، ويزخرف كلماته، وليس له جهد إلا نظم ما سبق، وهكذا وقع الخلاف على هذا الشاعر، وهكذا فلتكن العظمة. وأريد أن أذهب بك أيها القارئ في رحلة طويلة مع المتنبي والشعراء، نستمع إليه وإليهم، ونوازن بين ما قالوه؛ لنرى من هو السابق منهم واللاحق.

يقول أبو الطيب كما ذكر ذلك الكندي وليس في ديوانه:

أَبِعين مفتقر إليكَ نظرتَني ... فأهنتَني وقذفتني من حَالِق

لستَ الملومَ، أنا الملومُ لأنَّني ... أنزلتُ آمالي بغيرِ الخَالِقِ

وهذا المعنى لهج به الشعراء وأكثروا منه، لكن صياغة المتنبي للمعنى فائقة وشائقة، وهذا أكثر شعره، فإن المعنى قد يسبقه إليه شاعر؛ لكنه يكسو المعنى مطرفًا جميلًا، فكأنك ما سمعته من قبل، وعلى ذلك البيتين السابقين فقد قال الشاعر:

وكنتُ كالمتمنِّي أن يرى فلقًا ... من الصَّباحِ فما أنْ رآه عَمِي

وقال غيره:

لما بـدا العـارضُ فـي خَـــدِّه بشَّـرتُ قلبـي بالنَّعيـمِ المقيـمِ

وقلـتُ هـذا عـارضٌ ممطـــرٌ فجاءني منه العـذابُ الأليـمِ

فانظر إلى عذوبة ألفاظ المتنبي وتميزها على ما ذكرته من أبيات، وهذا يدلك على قوة تخيله، وبراعة ذهنه، وجودة اختيار، ولله في خلقه شؤون!!

ولكن هذه العبقرية الشاعرية لها كبوات وعثرات، شأن العمل البشري، فإنهم شبهوا إنتاج العباقرة بالبيت، فيه مجلس للضيوف، وغرفة للأهل، ودار للطبخ، وهكذا، فتجد في عمل هؤلاء النابغين الإبداع الراقي الذي يخلب الألباب، ثم تجد السفول والابتذال، والمعنى الرخيص، واللفظ الموحش المزدرى.

ومن سقطات العبقرية قول المتنبي:

كفى بجِسَمي نحولاً أنني رجـلٌ لولا مُخَاطـبتي إيَّاكَ لـم تَرنـي

فكيف يخاطب ممدوحه وقد مُحِيَ خلقه، وذاب شخصه، واندرس هيكله، وهذه مبالغة ممجوجة، استخف بها النقاد وحق لهم ذلك.

ويقول أبو الطيب:

فقَلْقَلتَ بالهَمِّ الذي قَلْقَلَ الحَشَا قلاقـلُ عيـسٍ كُلُّهـن قلاقـلُ

وقال بعض الأدباء لما قرأ البيت: كأن الرجل فقد عقله لما قال هذا البيت، وقال آخر: ليته أراحنا من هذا البيت فقد أتعبنا وأضنانا.

ومثل هذا اللغو الخطابي، والغرابة الموحشة قول الأعشى:

وقدْ غَدوت إلى الحانوتِ يتبعُني شاوٍ مشلٌّ شلولٌ شلشلٌ شولُ

وهذا كلام سامج ساذج، سخيف ثقيل على السمع؛ لأن الإشراق والفصاحة مطلب بياني ومقصد شاعري.

ويذكرني هذا ببيت أبي تمام الذي سهر عليه ليلة كاملة، ثم فتح عليه فقال مع الفجر وليته ما قال:

سلمى سَلمتِ من العاهاتِ ما سَلِمتْ سلامُ سَلمى وما قد أوْرقَ السلمُ

فانظر كيف سبكه ولبكه وحبكه وهاسه وداسه، وهذا ليس بشعر أو كما قال صفي الدين الحلي:

يا بَلِي البالِ قد بَلْبلت بالبالِ بَالي لنوًى زلزلتني قد زالَ عَقْلي زوالي

وأعاذنا الله من هذه اللوثة والغثيان والسقط في القول. والمقصود أن المتنبي كغيره من الشعراء، له عثرات في شعره مضحكة، حتى أنه لما قال في وصف الجبان:

وضاقتِ الأرضَ حتَّى كان هاربُهُم إذا رأى غير شيء ظنه رجلا

قال النقاد غير شيء ليس موجودًا فكيف يراه؟! وهذا يخالف العقل، وقال في بيت آخر:

إنِّي على شَغَفٍ بما في خُمرها لأعفُّ عَمَّا في سَراويلاتها

فقلنا: ما هذه العفة الدنيئة واللغط والسقط والشطط؟! وليته سكت عن هذا الهذيان، وقال في قصيدة لعضد الدولة:

فما يُسمي كَفَّنا خُسرَ مُسمٍ ولا يُكَنى كَفَنا خُسرَ كاني

وكأن الرجل يتكلم بالأردو أو بالبشتو، ولعل العجيب في هذا البيت سوء التعقيد والوحشة.

ويقول في موطن آخر في ممدوحه:

العارضُ الهتن ابنُ العارضِ الهتنِ ابـ ـن العارض الهتن ابنِ العارضِ الهتنِ

فانظر كيف تقيأ هذا الكلام ولو بقي فيه لقتله.

وقال عن سيف الدولة يصف أجداده:

فحمدانُ حمدونٌ وحمدونُ حارِثٌ وحارثُ لُقمانٌ ولقمانُ راشِدُ

وهذا هو التكلف والنزق والطيش والسفه، والحمد لله على السلامة.

وهذا لا يعني أن هذا الشاعر عاجز فاتر، بل هو أبو الشعر، وأستاذه بلا منازع؛ لكن أردت أن أخبرك بعثرة العظماء، وسقطة العباقرة، ونقص العمل البشري. وإلا لو ذهبنا نمعن النظر في لوحات أبي الطيب الجميلة، ورسومه الشاعرية الساحرة، لأخذنا العجب وأسرنا الإبداع. وله باع طويل في الفنون الشعرية، فهو إذا ذهب إلى الغزل أشجى، وإذا ذكر الديار أبكى، وإذا مدح كفى، وإذاوصف شفى، وإذا هجا كوى، وكل هذا دليل على تمكنه، وقوة ذاكرته، وخصوبة خياله، وجودة خاطره، وسيولة ذهنه، وصفاء قريحته.

وتعال إلى شيء من رثائه وعويله وصراخه من الدنيا، وتفجعه من الفراق، وذكره للموت، واسمع ماذا يقول هذا الأعجوبة:

يقول في رثائه لشجاع:

الحزنُ يقلقُ والتَّجملُ يَردعُ والدَّمعُ بينهما عِصِّيٌ طيعُ

فيا له من مطلع عجيب، ومن بداية مؤثرة ساطعة، تحرك الشجون، وتستمطر العيون.

ويقول باكيًا شاكيًا من الدنيا:

لحا اللهَ ذي الدُّنيا مناخًا لراكبِ فَكُلُّ بعيدِ الهَّمِ فيها معذبُ

فانظر إلى هذا الإيقاع المؤثر، والنشيد الصادق، والحكمة الثاقبة، مع سهولة الجمل، وحلاوة اللفظ.

وله قصيدة زهدية رثائية حزينة من أبياتها:

أَبنِي أَبِينا نحنُ أهلُ منازلٍ أبدًا غُرابُ البَينِ فيها يَنْعَقُ

نبكي على الدَّنيا وما من معشرٍ جمعتهمُ الدنيا فلم يتفرَّقُوا

أينَ الأكاسرةُ الجبابرةُ الأُولَى كَنزَوا الكُنوزَ فما بقينَ ولا بقوا

من كلِّ مَنْ ضاق الفضاءُ بجيشه حتَّى ثوى فحواهُ لحدٌ ضيِّقُ

فهو هنا متمكن مما يقول، مؤثر بشاعريته، متفاعل بعواطفه، وقد يوجد من يتفوق عليه في بعض القصائد، أو في فن من فنون الشعر، لكن في جملة شعره، وفي مجموع قصائده هو الأول، فمثلًا أبو الحسن الأنباري في قصيدته:

عُلـوٌّ في الحياةِ وفي الممـاتِ بحـقٍ أنتَ إحـدى المعجـزاتِ

أقوى وأعلى من المتنبي في مراثيه.

وابن عبدون الأندلسي في مرثيته الشهيرة التي فيها:

وليتها إذ فدتْ عمرًا بخارِجةٍ فدتْ عليّاً بمن شاءت من البشـرِ

هذه المرثية عندي أجمل من مراثي المتنبي.

وكذلك قصيدة عدي بن زيد:

أيُّهـا الشَـامتُ المعيّـرُ بالدهـ ـر أأنتَ المبَـرَّأُ الموفـورُ

لكن هؤلاء الشعراء لهم في الإبداع القصيدة والقصيدتان، لكنَّ أبا الطيب له مئة قصيدة أو أكثر كلها بديعة جميلة رائعة.

فهو عندي كطالب عبقري يدرس عشرين مادة، يحصل في كل مادة على خمس وتسعين درجة في المائة، وكل صديق من أصدقائه لم ينجح إلا في مادة واحدة، حصل على الدرجة نفسها أو مئة في المئة، ورسب في المواد الأخرى جميعًا.

فالمتنبي مُجيد في المدح، آية في الثناء على ممدوحه، حتى تشعر بأريحية وأنت تطالع مديحه، وتتمنى أنك كنت الممدوح لجودة ما أمطر به هذا الشاعر الأعجوبة.

يقول لسيف الدولة:

وقفتَ وما في الموتِ شـكٌّ لواقفٍ كأنكَ في جَفنِ الرَّدَى وهو نائـمُ

تمـرُ بكَ الأبطالُ كَلْمَى هزيمةً ووجهُك وضاحٌ وثغرك باسمُ

فلله دره أي مديح هذا؟! وأي ثناء هذا؟! وأي شعرهذا ؟!.

ويقول في كافور:

عَـدُّوكَ مذمـومٌ بِكـلِّ لسـانِ ولو كانَ من أعدائكَ القمـرانِ

ولله سـرٌّ في عـلاك وإنمـا كلامُ العِدا ضـربٌ من الهذيانِ

إلى أن يقول:

قضـى اللهُ يا كافورُ أنـك أولٌ وليـس بقـاضٍ أن يُـرى لك ثـانِ

فـانظر إلى هذا المديح الذي يسلب العـقـول، ويخلب القلوب، وليس تفـوق المتنبي في المدح حـتى يفـضل على غيـره، بل في مـجـمـوع فنونه وكل قـصـائده مجتمعة كما أسلفت، وإلا فقد حفظ التاريخ مدائح قد تفوق في مفردها مديح المتنبي، فمثلًا قول زهير في هرم:

تَـراهُ إذا مـا جئتَـهُ متهـللاً كأنَّكَ تعطِيـه الذي أنت سائِلُه

غاية في المديح .

وقول علي بن جبلة العكّوك في أبي دلف:

إنمـا الدُّنيـــا أبُــو دُلَــفٍ بين باديـــة ومحتَضَـــرِة

فإذا ولّـــى أبــو دُلَــفٍ ولــتِ الدُّنيــا علـى أثَـــرِه

قمة في الإبداع والثناء الجميل.

وقول أبي تمام في عبدالله بن طاهر:

يقول في قومَسٍ صحبي وقد أخذتَ منا السُـرى وخُطا المهرّيةِ القـودِ

أمطلعُ الشمسِ تنوي أن تَـؤُمَّ بنـا فقلـتُ كلا ولكـنْ مَطلِعَ الجـودِ

وقد أخذ ذلك خلسة من مسلم بن الوليد إذ يقول:

يقول صحبي وقد جدّوا على عَجلٍ والخيلُ تستنُّ بالرُكبانِ في اللُجمِ

أمطلعُ الشَّمسِ تبغي أن تؤم بنا فقلتُ كـلا ولكـن مَطْلعَ الكـرمِ

فمسلم بن الوليد البادي، وأبو تمام هو العادي، ولكن هذا من أجمل المدح وأرقه وأجزله، والشاهد، أنه قد يتفوق شاعر من الشعراء في جزئية على أبي الطيب، ولكن كلية الشعر الجميل تبقى لأبي الطيب، وله دولة القافية، وهو ملكها المتربع على عرشها.

obeikandl.com

نفسية أبي الطيب في شعره

أصدق ما يعبر عن المرء لسانه، والشاهد على الإنسان كلامه، وأعظم بَيِّنَةٍ عليه اعترافه، وأبو الطيب يقدم لنا أسرار نفسه، وخبايا جوانحه في شعره، ويمكنك أخذ صورة كاملة لأبي الطيب من شعره، وسوف أضرب أمثلة من قريضه لنفهم هذا الشاعر أكثر. يقول:

فثِبْ واثقًا بالله وثبةَ ماجدٍ يرى الموتَ في الهَيْجا جَنى النَّحلِ في الفمِ

فالرجل طموح سبوق، مغرم بالمعالي، عاشق للمجد، مخاطر في سبيل مراده، وليس بليدًا قاعدًا مهزومًا، كبعض الشعراء الذين ألقو بأيديهم إلى التهلكة، يقول:

لولا مَفَارقةُ الأحبابِ ما وجدتْ لها المَنايَا إلى أرواحِنَا سُبُلا

فهو رهيف الإحساس، حي العاطفة، جياش الفؤاد، وليس ثخين الطبع، بارد المشاعر، ميت الروح.

يقول:

عِشْ عزيزًا أو مُت وأنتَ كريمٌ بين طعنِ القَنَا وخَفْقِ البنودِ

فرؤوسُ الرماحِ أذهبُ للغيـ ـظِ وأشفى لغلِّ صَدْرِ الحَقودِ

لا كما قد حَييتَ غيرَ حميدٍ وإذا مُتَّ مُتَّ غيرَ فقيدِ

فاطلبِ العزَّ في لظَى ودعِ الذُّ لَ ولو كانَ في جِنانِ الخلودِ

فهذه فلسفته في الحياة، وهي الكفاح من أجل العزة، ورفض الذل، وهجر الخنوع والاستخذاء، ولو لقي الإنسان في سبيل ذلك الألاقيّ، ولو نهشته الرماح، وعضته شفرات السيوف، فهو يرى أن الحياة هي الجهاد والبذل والتضحية، والمشقة هي جنة الدنيا، وبستانُ العمر الوارف، وأن حياة الذل والقهر والكبت جهنم العيش، ولظى الدنيا، فلماذا لا يغامر الإنسان ويركب المصاعب؟! ويستهين بالحوادث؟! حتى يصل إلى مراده ومبتغاه. ويقول:

من كلِّ أبيضَ وضَّاحٍ عمامَتُهُ كأنما اشتملتْ نوراً على قبسِ

دانٍ بعيدٍ محبٍّ مبغضٍ بهجٍ أغرَّ حُلوٍ مُمِرٍ لينٍ شرسِ

ندٍ أبِيٍّ غَرٍ وافٍ أخي ثِقةٍ جَعْدٍ سَرِيٍّ نهٍ نَدبٍ رِضاً ندُسِ

وقبل أن أوضح الحديث عن نفسيته من خلال هذه المقطوعات، أذكرك بقوة لغته، وتمكنه من المفردات، واقتداره على الصياغة، وسهولة اللفظ في لسانه، وانسياب الجمل معه، وهذا هو الشاعر الذي تطاوعه اللغة، ويسعفه الكلام، وتمطره الحروف بوابل من التراكيب والصور، وتراه في المقطوعة السابقة يدعو إلى صفات متضادة، لكنها كمال في موطنها، وجمال في مجموعها، فهو يريد إنسانًا دانيًا من أحبابه، مُبْغِضًا لأعدائه، حسن الطلعة لأصدقائه، جميل المحيا لمعارفه، حسن السجايا لمن يحبه، ولكنه مر الطعم لمن يعاديه، وشرس الطباع لمن يخالفه، كريم سخي، صاحب وفاء، شريف نفس، عاقل يفهم عنك، ويحيط بمن حوله، ويدرك مراد من يحدثه، وهذه صورة الرجل المثالي المقبول عند أبي الطيب فهو مغرم بخصال الحمد، محب لمعاني النبل في

الرجال، أما عدوه فهو البخيل الجافي، ساقط الهمة الجبان البليد، ولكن هذا الشاعر المصقع، اختزل اللفظ، وأوجز في الكلام، وعصر الفضفضة الوصفية في اختصار لطيف شريف.

يقول:

أرَقٌ علـى أَرقٍ ومثلـي يـأْرقُ وجـوًى يَزِيـدُ وعَبْـرةٌ تَترقـرقُ

فانظر إلى هذه القلقة المطربة المعجبة التي يتراقص معها البدوي مع تمكن اللفظ من موضعه، فليس قلقًا في مكانه، ثم انظر لجودة المعنى؛ فإنها ذِكْرُ حال المحب في أرقه الدائم، واحتراق حشاياه بنار الوجد، وغزارة دمعته مع جمال المطلع، واختيار المفردة، فهي تناسب الحب والوجد والغرام، ويختم إحدى قصائده ببيت ذائع في المدح فيقول:

ألا كُلُّ سَمْحٍ غَيرَكَ اليومَ بَاطِلُ وكُلُّ مَدِيحٍ في سِواكَ مُضَيَّعُ

فانظر إلى حسن الختام، وإغلاق دائرة القصيدة، مع روح الحكمة وجزالة اللفظ، فكأن المعاني معروضة أمامه يختار منها ما يشاء، ويترك ما يشاء، ثم انظر إلى حسن التقسيم في البيت، فكل نصف تام كامل، لا يحتاج إلى النصف الآخر، ثم إن كلمة سمح، وباطل، ومديح، ومضيع، منتقاة فصيحة وليست ركيكة متبذلة.

ويقول:

ومَنّ يَبْغِ ما أبغي من المجدِ والعُلى تَسـاوى المَحَايِي عَنْدَهُ والمقَاتِلُ

فهذه حكمة شاردة، وبيت فريد، فنصفه الأول توطئة، والنصف الثاني نص مقصود، أو مقدمة ونتيجة، ثم إن البيت فيه من علو الهمة، وجلالة المقصود، وارتفاع القدر، ما يدل على الطموح، وشرف النفس، وهذا ظاهر في شعره، وفي البيت استقرار الكلمة وكأنها خلقت لهذا الموضع فلو قلت للناس: (تساوى المحايي عنده) ثم سكت لأكملوا وقالوا: (المقَاتِلُ).

ويقول:

ليسَ التعلُّلُ بالآمالِ من أربِي ولا القناعَةُ بالإقلالِ من شيَمِي

فإنه قابل وزاوج وضاد، فقابل بين التعلل والقناعة، ويجمع بينهما معنى الاكتفاء، وقابل بين الآمال والإقلال، وبين قوله: (أربي وشيمي) فأتى البيت تمامًا على الذي أحسن، وأبو الطيب يفعل هذا وأكثر، وهو صاحب البيت البهيج الذائع الشايع، إذ يقول:

أزُورهمُ وسوادُ الليلِ يشفعُ لي وأنْثَني وبياضُ الصُّبحِ يُغْرِي بي

فقابل بين أربعة بأربعة: أزورهم مع وأنثني، وسواد الليل مع بياض الصبح، ويشفع مع يغري، ولي مع بي، وهذه هي الموهبة الجياشة للقلب الحي والعقل الذكي، ويقول:

رِدِّي حياضَ الرّدى يا نَفْسُ واتَّركي حِيَاضَ خوفِ الردى للشَّاءِ والنَّعَمِ

فهي همته المتوثبة، ونفسه التواقة، يشرحها لنا في قوالب من السحر، ويقدمها لنا في باقات من الشعر.

ومن خصائص هذا الشاعر أنه فريد في تركيب معانيه، وقد يسبقه الشعراء إلى المعنى، لكنه يفوقهم في حسن العرض، وجمال التركيب وبراعة الإخراج، حتى تجزم أنه لم يسبقه أحد إلى هذا المعنى، وهذا الذي حير النقاد في شعره، وأوقفهم مذهولين أمام قصائده.

يقول في ممدوحه وقد دخل مدينة حمص:

دخلتَها وشعاعُ الشمسِ مُتَّقِدٌ ونورُ وجْهِكَ بين الخَلْقِ باهرُهُ

في فَيْلقٍ من حَديدٍ لو قذفتَ به صَرفَ الزمانِ لما دَارتْ دَوائرُهُ

فهو مهما صعبت القافية مَرِنٌ في جذبها، متمرس في التعامل معها، حاذق في مطارحتها، بعيد عن معاضلة الكلام، وزيادة الضمائر وحروف الجر المقحمة إقحامًا كما يفعله ضعاف الشعراء، فلا حشو في شعره، وأعد النظر في البيتين السابقين، فقوله: (دخلتها وشعاع الشمس متقد) تجد أن كل كلمة احتلت مكانها الطبيعي دون إعادة ضمير، أو زيادة حرف، أو افتعال حشو لا داعي له. وانظر كيف أنهى نصف البيت، ليصبح كاملاً تامّاً، غير محتاج إلى كلام آخر، وهذه هي البلاغة بعينها.

ويقول في قصيدة أخرى:

جَرَى حُبُّها مَجرى دَمي في مَفَاصِلي فأصبَحَ لي عن كُلِّ شُغْلٍ بها شُغلُ

كأنَّ رقيبًا منكَ سدَّ مسامِعي عَنِ العَذلِ حتَّى ليسَ يَدْخُلُها العذلُ

فأنت تشاهد قصيدة للمعاني في أي مذهب سلك، فإن قصد الغزل أتحف وشنف، وشدّك بصور من عالم الحب، ودنيا الهجر والوصال، وديوان الغرام والعشق، وإن مدح خلع على ممدوحه مطارف من أبهى الشعر قبله ولكنه مُخترع، سيّال القريحة، متجدد العطاء، ولو أمعنت النظر في البيتين السابقين لوجدت المعنى جديدًا، ولو أن بعض أجزائه سُبِقَ إليه، لكن التركيبة الكاملة، والكلية الواحدة للمعنى مُخترعة من هذا الشاعر المتمكن.

obeikandl.com

شهداء على تفرد هذا الشاعر

أدلى أرباب البيان وأساطين اللغة وجهابذة الشعر بشهادتهم عن هذا الشاعر الفذ، معترفين بسموه وعبقريته وتفرده، يقول الواحدي إمام اللغة والتفسير، وأحسن من شرح ديوان المتنبي: «إن الناس منذ عصر قديم ولّوا جميع الأشعار صفحة الإعراض، مقتصرين منها على شعر أبي الطيب، ناسين عما يُروى لسواه».

وحسبك بهذه الشهادة من أستاذ باقعة في معرفة الشعر، آية في تذوق البيان، ولو ذهبت تفكر في مدلول شهادته لوجدتها صادقة، فإن شعر هذا الرجل صار سمر الأدباء، ونشيد المسافرين، وسلوة الناس في مجالسهم ومذاكرتهم، وما رأيت عالمًا جهبذًا، ولا أديبًا لامعًا بعد المتنبي، إلا وقد استشهد بشعره، وردد أبياته.

وقال العكبري: «ولم يسمع بديوان شعر في الجاهلية ولا في الإسلام شرح مثل هذه الشروح الكثيرة، ولا تدوول في ألسنة الأدب من نظم ونثر أكثر من شعر المتنبي». وهذا كلام يشهد له الواقع، فقد غرقت أقلام الباحثين في دراسة شعره، واستخراج درر بيانه، والغوص في أعماق نتاجه، وهذا هو الشيوع والذيوع.

ويقول أبو بكر الخوارزمي: «إن المتنبي أمير شعر العصر، ولو لم يكن له إلا قوله:

أرَى كُلَّنا يَبْغِي الحياةَ لنفسِهِ ... حريصًا عليها مستهامًا بها صَبَّا

فُحُبُّ الجبانِ النفس أوردَهُ البقا ... وحُبُّ الشُّجَاعِ النَّفسَ أورده الحرْبَا

لكفاه».

وقد وصفه المستشرق «غوث» بشاعر العرب الكبير، ويقول كاتب العربية مصطفى صادق الرافعي في مجلة المقتطف: «إن هذا المتنبي لا يفرغ ولا ينتهي؛ لأن الإعجاب بشعره لا ينتهي ولا يفرغ، وقد كان نفسًا عظيمة خلقها الله كما أراد، وخلق لها مادتها العظيمة على غير ما أرادت، فكأنما جعلها بذلك زمنًا يمتد في الزمن، وكان الرجل مطويّاً على سر ألقى الغموض فيه من أول تاريخه، وهو سر نفسه، وسر شعره، وسر قوته».

وقال الربعي: «كان يقرأ ديوان المتنبي على النحاة والأدباء حرفًا حرفًا، ويروونه عن بعضهم، وقد ضُبِط الديوان على المتنبي، وصحح عليه، وما ذاك إلا لعظم هذا الشعر وتفرده».

وقال ابن العديم في بغية الطلب: «وكان أبو الطيب شاعرًا مشهورًا مذكورًا محظوظًا من الملوك والكبراء الذين عاصرهم، والجيّد من شعره لا يجارى فيه ولا يلحق».

وترجم له ابن عساكر المؤرخ المشهور، ومجد شعره، وأثنى على حكمه. وشرح ديوانه ابن جني بكتاب سماه «الفسر» وكتاب «اللامع العزيزي»، و«معجز أحمد» لأبي العلاء المعري، غاص فيه على درر المتنبي، وشرح ديوانه الواحدي بشرح مجيد فريد في بابه، هو أمتع الشروح وأنفعها.

وشرح ديوانه التبريزي في كتاب «الموضح» ودرس شعره أستاذ البلاغة عبدالقاهر الجرجاني، وتكلم عن شعره أبو منصور السمعاني، والعالم الإفليلي، والأديب أبو الحجاج الأعلم، وعلق على شعره عبدالرحمن الأنباري. وكتب

الحسن بن محمد بن وكيع كتاب «المنصف» تناول ما للمتنبي وما عليه، ومثله وأحسن منه كتاب «الوساطة» للقاضي علي الجرجاني، وشرح ديوانه أبو البقاء العكبري وكتب عنه أبو اليمن زيد بن الحسن الكندي النحوي المشهور، وكذلك عبدالواحد بن محمد بن علي بن زكريا، ومحمد بن علي الهراسي الكافي، وأبوالحسن محمد بن عبدالله الدلفي، وكمال الدين الواسطي، وغيرهم كثير. وعقب على شعره أساطين البيان ورواد اللغة، كأبي بكر الخوارزمي، وعبدالرحمن بن دوست النيسابوري، وأبي الفضل العروضي، وابن فورجه في كتاب «التجني على ابن جني»، وكتاب «الفتح على أبي الفتح»، ومعاني أبياته لابن جني، والتنبيه للرَّبَعي. وكتاب «قصائد المتنبي» للأعلم الشنتمري، وكتاب «نزهة الأديب في سرقات المتنبي من حبيب» لحسنون المصري، وكتاب «الانتصار المنبي عن شعر المتنبي» لأبي الحسن المغربي، و«التنبيه المنبي على رذائل المتنبي» لأحمد المغربي، وبقية «الانتصار المكثر من الاختصار» للمغربي أيضًا، و«الرسالة الحاتمية» لأبي الحسن الحاتمي، وكتاب «جبهة الأدب» للحاتمي أيضًا، وكتاب «المآخذ الكندية من المعاني الطائية»، و«الاستدراك على ابن الدهان» لابن الأثير الجزري، وكتاب «الإبانة» للصاحب العميدي.

وقال ياقوت الحموي: «ولم نسمع بديوان شعري في الجاهلية ولا في الإسلام شرح هكذا بهذه الشروح الكثيرة سوى هذا الديوان، ولا بتداول شعر في أمثال أو طُرف أو غرائب على ألسنة الأدباء في نظم أو نثر أكثر من شعر المتنبي».

وترجم له المقريزي في كتابه «المقفى» ترجمة طويلة، وأورد من روائعه شيئًا كثيرًا، وترجم له الذهبي مؤرخ الإسلام، وأشاد بشعره، وذكر سيرته ابن كثير ونوه

بنبوغه، وأما المفسرون بعد المتنبي فنشروا شعره في تفاسيرهم، وبدعوا في الاستشهاد بأدبه، وأكثَرَ أهل اللغة والأدب من دراسة شعره ما بين مادح وقادح، وكتب عنه في كل مجلة أدبية، وتحدث عنه في كل مَحْفَل شعري، بل خصص له حفل كامل باسمه، وعقدت له ندوات خاصة، وأقيمت أمسيات لأبي الطيب وحده، وأعدت دراسات عنه وعن شعره، وقدمت رسائل في الماجستير والدكتوراه عن هذا الشاعر العظيم، وضَمَّنَ الشعراءُ بعده شعره في قصائدهم، واكتسبوا منه، ومدحوه بقصائد كاملة، واستشهد الخطباء بأبياته على المنابر، وفي المحافل، وقُرئ ديوانه في مجالس العلماء، ومنتديات الأدباء، وذيَّل الحكماء رسائلهم بشعره، وصَدَّر الوزراء والأمراء والكتَّاب خطاباتهم بأبياته، وترجم شعره إلى اللغات الحية، وأقيمت مسرحيات باسم المتنبي، واختصر ديوانه، ومنهم من جمع حكمه، ومنهم من شرح شواهده، ومنهم من أفرد روائعه، ومنهم من درس جانبًا من جوانب شاعريته، ومنهم من رد عليه وعارضه، ومنهم من طارحه وجاراه، ومنهم من ألف في معاناته، ومنهم من فضله على كل شاعر، ومنهم من فضل كل شاعر عليه!!

وشرح شعره وشَكَّل ابن سيده على بن إسماعيل وجمع معظم شروح شعره عبدالرحمن البرقوقي، وما له وما عليه، وشرح ديوانه بالفارسية المحببي محمد أمين بن فضل الله بعنوان «محبي شرح ديوان متنبي» وطبع بالهند وشرحه مولانا عبدالله العبيدي بعنوان «تصويب البيان في شرح الديوان» وهو شرح بالأوردية، وهجم على شعره الصاحب بن عباد بعداوة مكشوفة في كتابه «الكشف عن مساوئ المتنبي» وأغار على شعره ابن وكيع بمؤلف سماه «المنصف في نقد الشعر وبيان سرقات المتنبي ومشكل شعره» وهو أبعد ما يكون عن الإنصاف،

وكتب الصاحب بن عباد رسالة ثانية بعنوان «الأمثال السائرة مِن شعر أبي الطيب المتنبي» فيها اعتدال وإنصاف. وترجم للمتنبي الأديب البارع أبو منصور الثعالبي في يتيمة الدهر ترجمة وافية كافية شافية ضافية، وألف أبو القاسم الأصبهاني كتاب «الواضح في مشكلات شعر المتنبي» ونقل عنه عبدالقادر البغدادي في «خزانة الأدب»، وفيه عداوة وتحايل على المتنبي.

وقد جمع ما تفرق من أخبار المتنبي عبدالله الجبوري في كتاب «أبو الطيب المتنبي في آثار الدارسين»، وألف عنه محمود محمد شاكر كتابًا ذائعًا شائقًا عجبًا بعنوان «المتنبي رسالة في الطريق إلى ثقافتنا» وهو من أجمل الكتب في بابه وأجلها وأحسنها. وكتب عنه عبدالوهاب عزام كتاب «ذكرى أبي الطيب بعد ألف عام»، وشرح ديوانه في ألمانيا المحدث الكبير تقي الدين الهلالي.

وكتب عنه طه حسين كتاب «مع المتنبي»، وبحث في شعره جمع من الأدباء والمؤلفين، كجاسم محسن عبود، ومارون عبود، وشوقي ضيف، ومحمد عبدالرحمن شعيب، ومصطفى الشكعة، وعصام السيوفي، واليازجي وغيرهم.

وأكثر الشعراء المعاصرين مدحوه بقصائد أو أبيات ودبَّجوا قصائدهم ببعض جمله وأبياته وحكمه.

وكتب عنه فريق من المستشرقين وأدباء الغرب.

وقال كوركيس عواد: «كتب عن المتنبي دراسات فرنسية، وإنجليزية، وإسبانية وألمانية، وإيطالية، ولاتينية، وروسية، وبولندية).

وقد درس ديوان المتنبي المستشرق بلاشير في أطروحته «أبو الطيب المتنبي دراسة في التاريخ الأدبي» ترجم إبراهيم الكيلاني جزءًا منها وترجم الجزء الآخر أحمد أحمد بدوي.

ودرس المتنبي عمدة المستشرقين «سلفستر دو ساسي» وأولى شعره عناية فائقة وأبرز مؤلفاته عن هذا الموضوع «المنتقيات العربية» وجمع دراساته في كتاب سماه «الأنيس المفيد للطالب المستفيد، وجامع الشذور من منظوم ومنثور».

وكتب عنه المستشرق «دولا كرانج» كتابًا بعنوان «نخب الأزهار في منتخبات الأشعار».

وتحدث عن أبي الطيب المستشرق «شلومبرجر» وأبرز القيمة التاريخية لشعر المتنبي. أما «ماسينيون» فقد عرض في كتابه «عناصر إسماعيلية في شعر المتنبي» وقال: «بأن المتنبي باطني إسماعيلي» وقد جانب في ذلك الصواب، وركب الصعاب، وأخطأ في الجواب، ومن أكثر المستشرقين عناية بالمتنبي «بلاشير» لأنه درس حياته وشعره، ونذر شطرًا من عمره لبحث أدب هذا الشاعر.

وكان «أندريه ميكال» في كتابه «المتنبي شاعر عربي: بعض التأملات» من أكثرهم دقة وتحريرًاوضبطًا، ولم يقلد غيره في التعصب والتحامل.وكتب عن أبي الطيب الكاتب الألماني «رايسكه» بحثًا بعنوان «مختارات من الشعر العربي، غزليات ومراث من ديوان المتنبي».

وكتب «هامر» النمساوي كتاب «المتنبي شاعر العربية الأكبر». وقد ترجم ديوانه كاملًا إلى الألمانية.

ومن أجمل من درس أراء المستشرقين ودراساتهم عن المتنبي الدكتور حسن الإمراني في كتابه «المتنبي في دراسات المستشرقين الفرنسيين».

وما زالت الدراسات والبحوث، والندوات، والمحاضرات، تكتب وتقام وتعقد في شعر هذا الرجل وأدبه، ولم أجد شاعرًا عند العرب قديمًا وحديثًا وجد حظوة عند الناس كما وجد هذا الشاعر، وهو عند العرب في الشعر كشكسبير عند الإنجليز، ويمكن جمع مكتبة كاملة فيما قيل فيه من شعر ونثر وشرح ومقالات وبحوث وكأنه يقصد نفسه بقوله:

إذا تَغلغلَ فِكْرُ المرءِ في طَرِفٍ ... من مجدِهِ غَرقتْ فيه خواطرُهُ

أو كأنه المقصود بقوله:

هو الجَدُّ حتى تفضُل العينُ أختَها ... وحتَّى يصيرُ اليومُ لليومِ سيّدا

obeikandl.com

obeikandl.com

غـــرره ودرره

ذَلَّ مـن يَغبـطُ الذَّليـلَ بعيـشٍ ربَّ عيـشٍ أخـفُّ منـه الحِمَامُ

المعنى: من راقته حياة الذليل، وأعجبه ما هو عليه من سوء الحال فتمنى أن يكون نظيره فليس بعاقل؛ لأنه رضي لنفسه منزلة الهوان. فالذليل لا يغبط على عيشه وإنما يغبط العزيز، والموت أيسر على النفس الكريمة من الحياة في الذل.

كُـلُّ حِلـم أتـى بغيـر اقْتِـدَارٍ حُجَّـةٌ لاجِـئٌ إليهـا اللِّئَـامُ

المعنى:الحلم يكون عن قدرة، فإذا رأيت العاجز قد اعتصم بالحلم، فذلك برهان لؤمه، فهو إنما ينفي عجزه عن الانتقام بحجة أنه حليم وليس بالحلم، حتى إذا سنحت فرصة نقض الحلم ووثب على الخصم وانتقم لنفسه.

مَـن يَهُـن يَسْهُل الهَـوانُ عليْهِ مـا لِجُـرحٍ بميتٍ إيـلاَمُ

المعنى: الإنسان إذا كان هينًا في نفسه بأن لم يعرف لها حقها من العزة، سهل عليه احتمال الهوان فلا يتألم منه، كالميت لا يتوجع من الجرح الذي كان يتوجع منه وهو حيّ لفقدان الإحساس.

وفي اختيار المتنبي التشبيه بالميت إشارة إلى أن المهين حياته موت، ووجوده عدم، فما أطيب الحياة مع الكرامة، وما أخبثها مع الهوان.

أفاضلُ الناسِ أعراضٌ لذا الزمنِ يخلو من الهمِّ أخلاَهُم من الفِطَنِ

المعنى: الفُضلاء من الناس هدف للزمان، يرميهم بنازلاته وصروفه، ويقصدهم بحدثانه ومحنه، فلا يزالون في أحزان تترى، وأوصاب تتكرر من جراء تفكيرهم في عواقب الأمور، واستنفاد وسعهم في مهام الأعمال، وإنما يخلو من الهم من كان خلوًا من العقل، غفلًا من الذكاء.

وإذا أتَتْكَ مذمَّتِي من ناقِصٍ فَهِي الشَّهادةُ لي بأنِّي كَامِلُ

المعنى: هجو الناقص إياي برهان فضلي ودليل كمالي، فعادة الناقص أن يطري نظراءه الناقصين وأعمالهم، ويذم أضداده أولي الفضل وأمورهم، فالناس أعداء ما جهلوه، وإنما يعرف الفضل من الناس ذوُوه.

ومن يُنفقِ الساعاتِ في جَمْعِ مالِهِ مخافةَ فَقرٍ فالذي فعلَ الفقرُ

المعنى: من أنفد ساعات العمر في جمع المال خشية إملاق، كان ذلك الفعل هو الإملاق بعينه، فإنك إذا أفنيت دهرك في جمع المال ولم تنفقه وتتمتع به، فقد مضى عمرك في الفقر.

ومِن نَكَدِ الدنيا على الحُرِّ أن يَرى عَدوًّا لَه ما مِن صَداقَتِه بُدُّ

المعنى: من عُسر الحياة على كريم النفس؛ أن يحتاج فيها إلى مصانعة عدوه ومداراته؛ ليأمن شره، حيث لا يجد مفرًا من إظهار المصادقة والمداراة دفعًا لغائلته.

وأُكبرُ نفسِي عن جزاءِ بغيبةٍ وكُلُّ اغتيابٍ جُهدُ مَنْ ما له جُهدُ

المعنى: أرى نفسى أكبر وأرفع من أن أكافئ العدو على إساءته بالاغتياب،

فإن الاغتياب طاقة من لا طاقة له بمحاربة عدوه، فإنما يغتاب الناس العاجز الذي لا يستطيع أن يثأر بنفسه، ولا يقدر أن يداوي بالشر من الشر.

من الحلمِ أن تستعملَ الجهلَ دُونه إذا اتَّسعتْ في الحلْمِ طُرْقُ المظالمِ

المعنى: إذا أفضى حلمك إلى طمع الناس فيك وظلمهم إياك، ورأيت أنه قد اتسعت عليك أبواب المطامع، وتشعبت طرق المظالم، فمن الحلم أن تلجأ إلى الشدة حتى تكبح جماح الطامعين، وتفل «تكسر» شَباة «حدّة» الظالمين.

إذا لم تكنْ نفسُ النَّسيبِ كأصْلِه فماذا الذي تُغْني كرامُ المناصبِ

المعنى: إذا كان المرء شريف الأصل دنيء النفس، فلا يفيده شرف أصله مع دناءة نفسه، فالمرء بفضيلته لا بفصيلته، ومن هذا يؤخذ أنه لا ينبغي أن يعتمد الإنسان في فخره وشرفه على سوى نفسه.

والهَمُّ يخْتَرِمُ الجسيمَ نحافةً ويشيبُ ناصيةَ الصَّبي ويُهرِم

المعنى: الحزن يفتك بالنفوس فتكًا ذريعًا، ويحطم الأبدان تحطيمًا، ويذهب بجسامة العظيم الجسم ويوقعه في الهزال، وإذا تمكن من الصبي أشابه، قبل إبان المشيب، وبدل صباه هرمًا، وقوته ضعفًا، وصحته سقمًا، وكلّ ذلك ناشئ عن شدة الاضطراب من الحادثات، والتأثر بالمرجفات.

ذو العقلِ يَشقَى في النَّعيمِ بعقلِه وأخو الجهَالةِ في الشقاوةِ ينعمُ

المعنى: العالم البصير بعواقب الأمور شقيّ في الحياة وإن طاب عيشه، وتدفقت نعمته؛ لأنه دائم التفكير كثير الاشتغال بمهام الأعمال.

أما الجاهل، فهو ناعم البال، مُطمئن القلب لغفلته وجهله بتحوّل الأحوال وتقلّب الحوادث، وإن كان سيئ الحال رديء العيش.

لا يسلَمُ الشرفُ الرفيعُ من الأذى حتى يُراقَ على جوانبه الدَّمُ

المعنى: العليّ المنزلة في قومه محسود لا يزال يُرمى بالمكاره، فلا يبرأ شرفه من الأذى حتى يسيل الدم على جوانبه، إذ قد يبعث الاحتفاظ بالشرف على سفك الدماء، وإزهاق الأرواح.

والظلمُ من شِيَمَ النفوس فإن تَجِدْ ذا عِفةٍ فَلعلَّةٍ لا يظلِمُ

المعنى: الظلم من طبائع النفوس؛ لأنها مكتنفة بالمطامع، محفوفة بالشهوات، فكانت مجبولة على الظلم لسد مطامعها، وقضاء شهواتها، فالإنسان ظالم بالطبع، فإذا وجدت إنسانًا لا يظلم فذلك لعِلَّةٍ دينية أو سياسية، كخوف من ربه، أو من حكومته.

ومن البليةِ عَذْلُ من لا يرعوي عن جهلِه وخطابُ من لا يفهمُ

المعنى: من البلية على الحُرّ أن يلوم من أسرف في شهواته، وأفرط في لذّاته، واستولى على حواسه شيطان الغفلة، فلا يجد إلى الانتصاح سبيلًا، ومن البلية كذلك على الحر أن يخاطب من لا عقل له فلا يفهم ما يقول، فهو والجماد سيان.

والذلُ يظهِرُ في الذليلِ مودةً وأودُّ منه لَمَنْ يَودُّ الأرقمُ

المعنى: الحاجة ذلّ تكلف الإنسان ما ليس من طبعه، فقد يظهر الإنسان لمن يبغضه المودّة لذله منه وخوفه، فلا تغرنّك ذلة الذليل، يظهر لك المودة، ويبطن لك

البغض، فهو شرّ من الحية الخبيثة، التي تُظهر لمن لامسها عدم الأذى بلين الملمس و(عند التقلب في أنيابها العطب).

ومن العداوةِ ما ينالُكَ نفعُه ومن الصداقةِ ما يضرُّ ويؤلمُ

المعنى: يقول: رب عداوة جلبت إليك نفعًا، أقله التحفظ من وقوع المهالك، ورب صداقة أعقبت لك ضرًا وألمًا، أورثهما عدم التوقي ممن تصادقه، ويدخل في هذا المعنى المثل السائر(عدو عاقل خير من صديق جاهل).

يَرى الجبناءُ أن العجزَ عقْلٌ وتلك خديعةُ الطَّبْعِ اللَّئيمِ

المعنى: أنَّ الرجل الجبان الذي يهاب ركوب الغمار في سبيل درك المعالى وبلوغ الأماني؛ يرى أن عجزه عن ذلك من العقل والحكمة، وليست الحقيقة كما ظن، وإنما هي خدعة يخدع بها نفسه كل رجل خامل الذكر، ساقط القدر، ليطري عجزه، ويزين خموله.

وكلُّ شجاعةٍ في المرء تغنيْ ولا مِثلَ الشجاعةِ في الحكيمِ

المعنى: الإقدام يغني، والجراءة تجدي في كل حال، فكل شجاعة نافعة للمرء، إلا أن نفعها في الحكيم أتم وأكمل، وذلك أن الشجاعة ربما كانت طريقًا لحتفه وأودت بروحه، فيذهب شهيد التهور، وقتيل ثأر شجاعته الخرقاء.

وكمْ مِنْ عائبٍ قولًا صحيحًا وآفتُه من الفَهْمِ السقيمِ

المعنى: إذا مرض فهم المرء ضل في الرأي، وأخطأ في الحكم، فيرى بفهمه السقيم الكذب صدقًا، والخطأ صوابًا، ويعيب ما لا يُعاب.

والأسَى قبلَ فُرقَةِ الروحِ عجزٌ والأسى لا يكونُ بعد الفراقِ

المعنى: لايحسن بك أن تحزن للموت قبل وقوعه؛ لأن ذلك ينغص عليك العيش؛ ولأنك عاجز فلا تستطيع أن تدرأ عن نفسك الموت بحزنك، وإذا وقع الموت فلا عليك، إذ لا عِلْمَ لك بوقوعه حتى تحزن، وفي هذا البيت حث على الشجاعة، وتحذير من الجبن، وتهوين للموت؛ لئلا يخافه الإنسان فيتحاشى من الإقدام، وينثني عن اقتحام صعاب الأمور، وفي هذا المعنى يقول المتنبي:

وإذا لم يكنْ من الموتِ بُدٌّ فمن العجزِ أن تكون جبانا

*****

والغِنَى في يَدِ اللئيمِ قبيحٌ قدرَ قبحِ الكريمِ في الإملاقِ

المعنى: قبيح بالأيام أن نرى فيها اللئيم غنيًا والكريم فقيرًا، وذلك لأنَّ الغنى في يد اللئيم سلاح يُحارب به الكرام، ويساعده على تنفيذ لؤمه. والكريم إذا أملق كان مثله كمثل المنهل العذب إذا نضب ماؤه، أو البدر في الليلة الظلماء إذا احتجب ضياؤه.

وإذا كانتِ النفوسُ كباراً تعبتْ في مُرَادها الأجسامُ

المعنى: إذا قويت الهمة، وكبرت النفس تعب الجسم، في غاياتها الكثيرة، ومطامعها المختلفة، والبيت من قصيدة يمدح بها سيف الدولة، وقد عزم على الرحيل عن أنطاكية.

ولـو كـان النسـاءُ كمـنْ فَقَـدْنا لفُضِّـلتِ النسـاءُ علـى الرجـالِ

المعنى: لو أن نساء العالم بلغن من الكمال والعفاف ما بلغت هذه المفقودة؛ لتفوقن على الرجال في الفضل، إذ هي اليتيمة العصماء في عقد الفضيلة، والبيت من قصيدة يرثي بها والدة سيف الدولة.

وما التأنيثِ لاسمِ الشَّمسِ عيبٌ ولا التَّذكيرِ فَخْـرٌ للهـلالِ

المعنى: لا يكون تأنيث المفقودة مدعاة إلى الحط من قيمتها، أو ذريعة على التقليل من كرامتها، فالشمس مؤنثة، وقد فضلت القمر في الضياء، فنوره مستمد من نورها، وشأوه في الفضل دون شأوها، تلك وسيلة محسوسة تذرع بها المتنبي إلى تفضيل المرأة على الرجل وهذا من أحسن الأساليب وأبدع الخيال.

فإنْ تَفُـقِ الأنـامَ وأنتَ منهـم فإن المسـكَ بعضُ دم الغـزالِ

المعنى: يقول ـ وقد انتقل في القصيدة من الرثاء إلى مدح سيف الدولة ـ: أيها الملك العظيم إن فضلت الناس وأنت من جملتهم، وتعيش بينهم، ومشارك لهم في الجنس، فلا غرابة، فقد يفضل بعضُ الشيء كله، فالمسك وهو بعض دم الغزال، قد فاق أصله جملة، فربّ واحد قد فاق أمة، وبعض قد فاق جملة.

من كانَ فوقَ مَحَلِّ الشمسِ موضعُهُ فليسَ يرفعُـهُ شيءٌ ولا يضـعُ

المعنى: يقول مخاطبًا سيف الدولة: من بلغ من الفضائل غايتها، وحل من المنازل أسماها، وحاز من الشجاعة أقصاها، فلا يرتفع بنصرة أحد، ولا يتضع بخذلانه، وإنك أيها الملك العظيم لكذلك، فشجاعتك فوق كل شجاعة، وقدرك

فوق كل قدر، تواضعت الشمس عن موضعك الذي يشتاق إليه كل سيد، ويقصر عن إدراكه كل عظيم.

فقد يُظَن شجاعًا من به خَرَقٌ وقد يُظَن جَبَانا من بِهِ زَمَعُ

المعنى: قد يخطئ ظنُ الإنسان فيطوح به عن الحقيقة، فيتوهم مَنْ بِهِ حماقة وخفة شجاعًا، ويظن من تعتريه رعدة من الغضب جبانًا، فالعبرة بالتجربة، فهي التي تصيب بها كبد الحقيقة، وكأنه يقول لسيف الدولة: إني قد سبرت حالك، فإذا مدحتك بعد التجربة فلا أخطئ في مدحي إياك.

إنَّ السِّلاحَ جميعُ الناسِ تحمله وليس كل ذوات المِخْلَبِ السَّبُعُ

المعنى: ليس كل رجل يحمل السلاح شجاعًا يقوى على المبارزة، كما أنه ليس كل ذي مخلب سبعًا يفترس بمخلبه، فقد يتقلد السلاحَ الجبانُ، وقد يوجد من ذوات المخالب ما دون السبع، فما كل أصفر دينارًا لصفرته، ولا كل حلو سكرًا لحلاوته.

وما الخوفُ إلا ما تَخَوفَهُ الفَتَى ولا الأمن إلا ما رآه الفتى أمنا

المعنى: الخوف والأمن ناشئان عن اعتقاد الإنسان في الشيء، رسولان يبعث بهما الوهم، وعرضان يُحدثهما الوجدان، فإذا اطمأن قلب المرء إلى شيء صار أمنًا عنده، وإن كان غير مأمون، وإذا فزعت نفسه منه صار خوفًا، وإن كان غير مخوف، والبيت من قصيدة يمدح بها سيف الدولة، وكان قد توقف عن الغزو لما سمع بكثرة جيش الروم.

وحيدٌ من الخُلانِ في كل بلدةٍ إذا عَظُمَ المطلوبُ قَلَّ المُسَاعِدُ

المعنى: يقول: أنا منفرد عن الأصدقاء الذين يعتمد عليهم في الخطوب المتفاقمة، والنازلات الشديدة، فما لي من مساعد على تحقيق ما أطلب؛ وذلك لعظم مطلبي، وإذا عظم مطلوب المرء قل من يساعده عليه، والبيت من قصيدة يمدح بها سيف الدولة.

بذا قَضَتِ الأيامُ ما بين أهلِها مصائبُ قومٍ عندَ قومٍ فوائدُ

إن طبع الأيام سرور قوم بإساءة آخرين، وما رأينا حادثًا من حوادث الأيام إلا سُرَّت به طائفة، وسيئت به أخرى، فالدّهر يومان، يومٌ لك، ويومٌ عليك ﴿**وَتِلْكَ الأَيَّامُ نُدَاوِلُهَا بَيْنَ النَّاسِ..**﴾ [آل عمران: ١٤٠].

وفي تعبِ مَن يَحْسُدُ الشَّمسَ نورها ويَجْهَدُ أن يأتي لها بضريبِ

المعنى: يقول: إنّ من يحاول أن يأتي لسيف الدولة بنظير، كمن يحاول أن يأتي للشمس بمثل، فهو بين الناس كالشمس بين الكواكب، فكما أن الشمس لا يعدلها في ضوئها واحد من الكواكب، كذلك سيف الدولة، لا يعدله في فضائله أحد من الناس، ومن تكلف فهو كمن يرقم على صفحات الماء.

ويقول في قصيدة يمدح فيها سيف الدولة.

ومَنْ صَحِبَ الدَّنيا طويلًا تقلّبتْ على عينيه حتَّى يرى صدقها كِذْبا

المعنى: من أحب الدنيا لزيادة ترف، وبسطة رزق، ورفيع منصب، لا يلبث أن يراها

قد تقلبت على عينه، فتريه عكس ما رأى، فيستحيل نعيمه بؤسًا، وسعته إملاقًا، ويتبين له أنّ الدنيا غاشَّة لمن استرشدها، ومغوية لمن أطاعها كما قال أبو نواس:

إذا امتحن الدَّنيا لبيب تكشَّفت لـه عـن عـدوّ فـي ثياب صـديقِ

*****

ومن تكن الأُسدُ الضواري جدوده يكنْ ليله صبحًا ومطعمه غصبا

المعنى: من اشتد أزره في قومه، وقوي ركنه بينهم، لا تتعرض له في طريق مراده عقبة، ولا تستعصى عليه أمنية، ينال ما يريد من أعدائه قهرًا، ويعود له العسير يسيرًا.

أعيذُها نظـرات منكَ صادقةً أن تحسَبَ الشَّحمَ فيمن شَحمُه ورمُ

المعنى: اعصم نظراتك من أن لا تكون نظرات يقين، فأنت إذا نظرت إلى الشيء بحسب ظاهره تصب منه كبد الحقيقة، فلا تغلط فتكون كمن ظن الورم شحمًا، والسراب ماء، وقد أراد المتنبي بهذا البيت أن يعاتب سيف الدولة، حيث توهم كل من يدعي الشعر شاعرًا، وشبه حاله في ذلك بحال من ظن الورم شحمًا، والبيت من قصيدة يعاتب بها سيف الدولة في محفل من العرب.

وما انتفاعُ أخي الدنيا بناظِرِه إذا استوتْ عنده الأنوارُ والظُلَمُ

المعنى: ماذا يستفيد الإنسان من البصر إذا تساوت عنده الأشياء وأضدادها، فلم يفرق بين الغث والسمين، وبين النور والظلمة، وكأن المتنبي يقول لسيف الدولة: يجب أن تميز بيني وبين أولئك الساقطين الذين قربتهم من مجلسك، بدعوى أنهم شعراء، كما تميز بين الأنوار والظلم.

إذا رأيتَ نيوبَ الليثِ بارزةً فلا تظنَّنَّ أن الليثَ يبتسمُ

المعنى: إذا رأيت الأسد كشر عن أنيابه فلا تحسب ذلك منه تبسمًا؛ لأن الأسد لا يبتسم؛ وإنما هو بذلك يتحفز للوثوب، وكأن المتنبي في هذا البيت قاس نفسه بالأسد، في أنه إذا ضحك أمام الجاهل، كان ذلك منذرًا بقرب الانتقام، ومؤذنًا بحلول الافتراس.

وبيننَا لو رَعيتَم ذاكَ معرفةٌ إن المعارفَ في أهلِ النُّهى ذِمَمُ

المعنى: قد جمعتني وإياكم رابطة الصحبة، وهي عند ذوي العقول الراجحة عهد يجب الوفاء به.

شر البلادِ مكانٌ لا صديقَ به وشر ما يكسبُ الإنسانُ ما يَصِمُ

المعنى: أسوأ البلاد حالًا بلدٌ لا تجد فيه صديقًا تأنس بودّه، وتسكن نفسك إلى كريم فعله، يشاطرك السراء والضراء، وأخبث الربح ما ألصقَ بك العار، وألحق بك البوار.

وشرُّ ما قنصَتْه راحتي قَنَصٌ شُهبُ البُزَاةِ سواءٌ فيه والرَّخَمُ

المعنى: أخبث ربح ربحته في حياتي ما شاركني فيه الرفيع والوضيع، كما أنّ أخبث صيد ظفر به الصياد ما شاركه فيه البزاة الشهب مع رفعتها واختيارها أطيب الفريسة، والرخمُ مع دناءتها ووقوعها على أردأ ما يصاد. يريد المتنبي أن ما منحه سيف الدولة من العطايا شاركه فيه أهل الغباوة والجهالة، فليست من المنح الخاصة بنظرائه، والتحف اللائقة بمثله. فشبه نفسه بشهب البُزاة في الرفعة وعدم الرضا بالدون، وشبه غيره من الشعراء الساقطين بالرخم في الضعة.

لَعَـلَ عَتبَـكَ محُمـودٌ عواقِبُـهُ وربَّما صَـحَّتِ الأجْسَـامُ بالعِلَلِ

المعنى: لعلّ ما أحدثه الوشاة من لومك إياي محمود العاقبة، مشكور المغبة، فقد يفسد العضو الواحد بالكيّ، فتصلح به بقية الأعضاء، فالعُودُ لا يظهر أريجه إلا بعد أن يحترق، والصديق لا تزيد محبته إلا بعد أن يفترق، فرب لوم أفضى إلى احتفاء، ورب علة بعثت على تعجيل الشفاء، والبيت من قصيدة يعتذر بها إلى سيف الدولة.

لأنَّ حِلْـمَكَ حِلـمٌ لا تَكَلَّفُـهُ ليس التكحلُ في العينين كالكحلِ

المعنى: يقول مخاطبًا سيف الدولة: إن حلمك أيها الملك العظيم حلم طبعت عليه، فلا يتكلفه غيرك من الناس، وحلم الطبع غير حلم التكلف، كما أنَّ حسن الكحل الذي يكون خلقه في العين غير حسن الاكتحال.

وليسَ يَصِحُّ في الأفهامِ شيءٌ إذا احتـاجَ النَّهارُ إلى دليلِ

المعنى: إذا احتاج أحد إلى إقامة البرهان على وجود النهار، وقد عمّ نوره الآفاق، فاحكم عليه أن ليس في ذهنه شيء صحيح من البديهات والنظريات، وقد شبه المتنبي شعره بالنهار، فمن أنكر فضله فكأنما أنكر وجود النهار، وهذا من أجود التشبيهات وأبدع الخيال، والبيت من قصيدة قالها في مجلس سيف الدولة وكان يمتحن الفرسان.

وما كَمَدُ الحسادِ شيئًا قصدتُه ولكنه من يَزْحَمِ البحرَ يغرقِ

المعنى: يقول: إن أولئك الحسدة الذين ينازعونني في فضائلي، رجعوا من

ذلك بالغلّ الذي أفعم صدورهم، وقطع أمعاءهم، على أنني لم أتعمد الضرر، فكأن مثلهم في ذلك، مثل الذي يتعرض مريج غمار البحر فيغرق، وما كان قصد البحر أن يغرقه، والبيت من قصيدة يمدح فيها سيف الدولة ويذكر الفداء الذي طلبه ملك الروم.

وإطراقَ طرفِ العينِ ليسَ بنافعٍ إذا كانَ طرفُ القلبِ ليسَ بمطرقِ

المعنى: العبرة بما يلحظه القلب، لا بما تلحظه العين، فالقلب ملك الحواس، وهي مسخرات بأمره، فلا يكون إلاّ ما يطلبه، فإذا أغضت العين عن شيء، وقد اتجه إليه القلب، فلا يُجدي إغضاؤها.

أيَدْري ما أرابَكَ من يُريبُ وهلْ تَرقَى إلى الفَلَكِ الخُطُوبُ

المعنى: أتدري تلك الآلام التي ساورتك، وهذه النّازلات التي أحدقت بك، بمن تحل؟! وممن تنال؟! وكيف تصل إليك الخُطُوب، وقد ساكنت النجوم جوارًا، فكنت في المنزلة نظير فلك السماء، وهل ترقى إلى الفلك الخطوب؟! والبيت مطلع قصيدة قالها عند اشتكاء سيف الدولة من دُمل.

وما قَتَلَ الأحرارَ كالعفو عنهمُ ومَنْ لكَ بالحرِّ الذي يَحْفَظَ اليدا

المعنى: الحُرُّ إذا أنت عفوت عن زلته، وصفحت عن سقطته، أثر ذلك في نفسه تأثيرًا يفوق وخزات السنان، فكأنما قتلته بعفوك وطعنته بعطفك، وقلما تجمعك الأيام بحر يراعي الجميل، ويستبقي المعروف، والبيت من قصيدة يهنئ فيها سيف الدولة بعيد الأضحى.

إذا أنتَ أكرمتَ الكريمَ ملكتَـهُ وإنْ أنتَ أكـرمـتَ اللئيـمَ تمردا

المعنى: الكريم إن أنت أوليته منك إحسانًا فقد أسرت نفسه، وملكت قلبه، وأما اللئيم، فإن عطفت عليه، زدته تعديًا وتطاولًا، فإنّ إكرامك إيّاه يطمعه فيك؛ فينهال عتوًا وتحملًا.

ووضعَ النَّدى في موضعِ السَّيفِ بالعلا مضرٌ كوضعِ السَّيفِ في مَوْضِعِ النَّدَى

المعنى: الحكيم من يتفرس في الناس، فيعامل كلاً بما يلائم حاله من لين وشدة، يخاشن في مواضع المخاشنة، ويلاين في مواضع الملاينة، فإذا هو عكس الآية، واستعمل الإحسان في موطن الإساءة، والإساءة محلّ الإحسان، أضر ذلك بعلاه، وأبعده من بلوغ مناه، وطوّح به فى مهواة لا يسعه النجاة منها.

وأَتْعَبُ من ناداك مَن لا تجيبُهُ وأغيظُ مَنْ عاداك من لا تُشاكلُ

المعنى: يقول: أتعب حاسديك بمخاطبتهم إياك من ترفعت عن مجاوبته، وتنزهت عن مشافهته، وأشد أعدائك عليك حنقًا من لا يماثلك في منزلتك، ولا يضارعك في درجتك، والبيت من قصيدة يمدح بها سيف الدولة عند دخول رسول ملك الروم عليه.

على قدرَ أهلِ العزم تأتي العزائمُ وتأتي على قدرِ الكرامِ المكارمُ

المعنى: تكون مطالب المرء التي يعزم عليها، والغايات التي يُوطن النفس على بلوغها، بمقدار ما بلغه من عالي الهمَّة وقوة الإرادة، فإن كان كبير النفس قويّ العزم، كان الأمر الذي يعزم عليه عظيمًا، وكذلك المكارم تكون على قدر ذويها،

فمن كان من الناس أكرم كان ما يأتيه من المكارم أعظم، والبيت مطلع قصيدة يمدح بها سيف الدولة.

وما الحسنُ في وجهِ الفتَى شرفًا له إذا لم يكنْ في فعلِه والخلائقِ

المعنى: يبلغ المرء الشرف والرفعة من كماله لا من جماله، ومن حسن مخبره لا من بهاء منظره، فلا يغنيه جميل الخلقة، مع قبيح الفعل والخليقة، والبيت من قصيدة يذكر فيها إيقاع سيف الدولة بقبائل العرب.

وما بلدُ الإنسانِ غَيرُ المُوافقِ ولاأهلُهُ الأدنونَ غَيْرُ الأصَادقِ

المعنى: كل بلد زكا خيره، وطاب هواؤه، ووافقك مناخه، وتوافرت لك فيه أسباب النعيم، فهو بلدك الحقيقي، وكل ناس أخلصوا لك النصيحة، ومحضوا لك الود، فهم أهلك الأدنون، وعشيرتك الأقربون، وفي هذا البيت حث على التغرب عن الوطن، إذا ضاق به العيش، وساءت الحال.

وإذا لم تجدْ من النَّاسِ كُفْوًا ذاتُ خِدْرٍ أرادتِ الموتَ بَعْلا

المعنى: يقول: إذا لم تجد ربة العفاف، وذات الخدر والصَّينة من الأزواج من هو كفوٌ لها في شرفها، ويماثلها في حسبها ونسبها، اختارت الموت لها زوجًا، فهو يتكفل بصيانتها، ويحتفظ بأثيل مجدها، وكريم حسبها، والبيت من قصيدة يعزي فيها سيف الدولة بأخته.

وإذا الشَّيخُ قال: أُفٍّ فما مَـ ـلَّ حَيَاةً وإنما الضَّعْفَ مَلاّ

المعنى: إذا رأيت كبير السن يتضجر، فلاتظن أنه سئم الحياة، وملّ العيش،

وإنّما هو ملّ الضعف والهرم، واستكره الكبر والألم، تلك العوامل التي تحجب عنه لذة الحياة، وحلاوة العيش، فالحياة تستحب في الشبيبة والكبر، حب الحياة طبيعة الإنسان.

آلــةُ العيـشِ صِـحةٌ وشَــبابٌ فـإذا ولَّيـَا عـن المــرء ولَّـى

المعنى: لا يطيب العيش إلا بشيئين: الصحة والشباب، فإذا فقد الإنسان أحدهما أو كليهما، اختلّ نظامه، وذهب رونقُه، ودنا أجلُه، وخاب أملُه.

وإذا مـا خـــلا الجبــانُ بأرضٍ طلـبَ الطَّعـنْ وحـده والنــزالا

المعنى: إذا انفرد الجبان بأرضه، وبعد عن الأقران بنفسه، طلب المنازلة والمجالدة، وأظهر الرغبة في القتال والمبارزة، حتى إذا جاءه شجاع يُبارزه فرَّ عن قِرنه، ورجع إلى عادته من جُبنه، والبيت من قصيدة يمدح بها سيف الدولة ويذكر نهوضه إلى الثغر.

من أطَاقَ التمـاسَ شــيءٍ غلاَبًا واغتصـابًا لم يَلْتمسْــه سُـؤَالا

المعنى: طبع الإنسان على حب الغلبة والاستظهار، فإذا هو استطاع أن ينال الشيء بالاغتصاب والعنف، أبى أن يلتمسه بالسؤال والرّفق، ليبين للنّاس أنّه من ذوي الحول والطولِ، وقد أكد هذا المعنى بالبيت بعده.

كـلُ غــادٍ لحاجــةٍ يتمنَّــى أن يكــونَ الغَضـنفَرَ الرِّئْبَـالاَ

المعنى: كل ساعٍ وراء حاجة يستنفد فيها منتهى الوسع، ويزاولها بغاية الجهد،

يودّ لو يبلغ قوة الغضنفر الرئبال ـ وهما اسمان للأسد ـ، حتى يكون في مقدمة الساعين، ومنقطع النظير بين الناجحين.

الرَّأيُ قبلَ شَجَاعةِ الشُّجعانِ هو أولٌ وهي المحلُّ الثَّانِي

المعنى: الرأى له المكانةُ الأولى من فضائل الإنسان، وللشجاعة المكانة الثانية، فالشجاعة من غير رأي لا تجدي، ورُبما أودت بحياة صاحبها؛ لأنها تكون تهوراً صرفًا، والبيت من قصيدة يمدح بها سيف الدولة عند قدومه من بلاد الروم.

ولربما طَعَنَ الفتى أقرانَه بالرَّأيِ قبلَ تَطَاعُنِ الأقرانِ

المعنى: قد ينال الإنسان بعقله ما لا يستطيع أن يناله بشجاعته، وذلك أنه ربما طعن الفتى نظراءه برجاحة عقله، وأصالة رأيه، قبل الطعن بشفرة السيف، وحدّ النّصال، فينصب لهم الحبائل بتدبيره، ويحتال للإيقاع بهم والاستظهار عليهم بعقله.

لولا العُقولُ لكان أدنى ضَيْغمٍ أدنَى إلى شرفٍ من الإنسانِ

المعنى: العقل قوة فوق القوى، ومزية دونها المزايا، لولاه لكان أقل حيوان مفترس أقرب من الإنسان إلى الشرف، وأوسع منه في النفوذ والسلطان.

وكلٌّ يرَى طُرُقَ الشجاعة والنَّدى ولكن طبعَ النَّفسِ للنفسِ قائدُ

المعنى: الشجاعة والندى فضيلتان، لا يجهل أحد طريق الوصول إليهما، ولكن طبيعة النفس تثني عزم المرء عن الشجاعة خشية العطب، ويصده عن الجود مخافة الإملاق، والبيت من قصيدة يمدح بها سيف الدولة.

وعادَ في طلبِ المتروكِ تاركُه إنا لنغفلُ والأيامُ في الطَّلبِ

المعنى: من المتعين على الحكيم أن يعد لحوادث الأيام عدّتها، ويتأهب لدرء نازلاتها، فإذا هو غفل عن ذلك، فالأيام له بالرصد، تطالبه بما ترك، وتحاسبه على ما فرط، هذا تفسير البيت على أنه من الحكم، أما باعتبار سياق قصيدة الرثاء بموت أخت سيف الدولة الكبرى، فمعناه أنّ الموت تركها، ثم عاد فأخذها.

وما قضى أحدٌ منها لُبَانَتَهُ ولا انتهى أَرَبٌ إلا إلى أَرَبِ

المعنى: نشأ الإنسان وقلبه مفعم بالشهوات، مزدحم بالغايات، فلا تنقضي له من الأيام حاجات، فإذا ما تمت مأربة سنحت له أخرى.

ومن تَفكَّرَ في الدَّنيا ومَهجَتِه أقامه الفكرُ بين العجزِ والتعبِ

المعنى: شغفُ الإنسان بالدنيا ورونقها يبعثه على الكدّ في طلبها، وحرصه على سلامة نفسه يثني عزمه عنها، فلا يزال بين عاملين يتناوبانه وهما: حب الحياة وحب السلامة، فالأول يحبب إليه التعب والعمل، والثاني يزين له العجز والكسل.

إذا كنتَ تَرضى أن تعيشَ بِذلةٍ فلا تَسْتَعِدَنَّ الحُسَامَ اليَمَانِيَا

المعنى: إنما تحملُ السيف لتدرأ به عن شرفك ومنعتك، ولتكون رفيع المقام عزيز الجانب، فإذا كنت ترضى أن تعيش ذليلًا ممتهنًا، فماذا تصنع بالسّيف أيها الوضيع؟! والبيت من قصيدة يمدح بها كافورًا.

فما ينفعُ الأُسْدَ الحياءُ من الطوى ولا تُتَّقَى حتى تكونَ ضَوَاريا

المعنى: للأسد من بين الحيوانات صولة، يمتاز عنها بأنه يستحيي أن يتعرض لفريسة غيره، فيأكل منها ولو بات على الطَّوى، لكنه لا يُغنيه حياؤه من الجوع شيئًا، إلاّ إذا نشط وخرج من عرينه ساعيًا متصيدًا حتى يسد عوزه، كذلك لا يُخشى جانبه، ولا يُغضى من مهابته، إلاّ إذا كان مفترسًا ضاريًا، وفي البيت حث على السَّعي وعلُوّ الهمَّة.

إذا الجودُ لم يُرْزَق خلاصًا من الأذى فلا الحمدُ مكسوبًا ولا المالُ باقيًا

المعنى: الجود والمال ذريعة إلى الحمد، والامتنان به أذى يستوجب الذّم، فإذا لم يكن الجود من المنّ خالصًا، ضاع المال من غير أن يكتسب المرء حمدًا، ولم يتّخذ على الجود أجرًا.

و للنفسِ أخلاقٌ تدل على الفَتَى أكانَ سخاءً ما أتى أم تَسَاخيا

المعنى: قد يتكلف الإنسان من الفعال ما ليس من طبعه، فيجود وطبعه البخل، ويتشجع وعادته الجُبن، ولكن الخصال إذا تكررت فتباينت، والسجايا إذا تتابعت فتغايرت، انكشف النّقاب عن حقيقة ما يأتيه؛ إن كان طبعًا أو تطبعًا، فسُرعان ما تتغير الفعال المتكلفة، فهي أشدّ انقلابًا من الريح الهبوب.

فما الحَداثةُ من حلمٍ بمانعةٍ قد يُوجد الحلمُ في الشُّبانِ والشيبِ

المعنى: صغر السن لايمنع من أن يكون الإنسان حليمًا، فقد نجد الشاب يستعمل الأناة والحلم، كما يفعل الشيخ، نعم، وإن كان للشاب نزق وخفة، فليس ذلك أمرًا مطردًا، فلكل قاعدة شذوذ، والبيت من قصيدة يمدح بها سيف الدولة.

وما الصارمُ الهندي إلا كغيره إذا لم يُفارِقهُ النجادُ وغِمدُهُ

المعنى: الشيء لا يظهر فضله على غيره إلاّ بالتجربة، وكذلك السيف القاطع ما دام في غمده فلا يفضل السيف المسلول، وإنما يعرف مضاؤه إذا استل من جفنه، وحصل به الطعن، وقد شبه المتنبي نفسه بالصارم، حيث جهل الناس فضله، فلم يدركوا الفرق بينه وبين غيره، والبيت من قصيدة يمدح بها كافورًا.

إذا ساءَ فعلُ المرءِ ساءتْ ظنونُه وصدَّق ما يعتادُه من توهُمِ

المعنى: المرء إذا لؤم طبعه، وساءت فعاله، ساءت لذلك ظنونه بالناس، فيتوهم السوء في كل شيء يراه أو يسمعه، فكل حركة تقع أمامه من أحد يتوهمها شرًا له، وإيقاعًا به، لأنه كثير المساوئ، فهو - دائمًا - يوجس في نفسه خيفة، ويرقب شرًا، والبيت من قصيدة يمدح بها كافورًا.

وأحلمُ عن خِلِّي وأعلمُ أنَّهُ متى أجزِه حلمًا على الجهلِ ينْدَمِ

المعنى: إذا فعل الصَّديق ما لا يليق، صفحت عنه حلمًا، لاعتقادي أنّ مجازاته بالحلم خير؛ لأنه يبعث في نفسه الندم على ما فرط منه، فيرعوي عن غيه، ويثوب إلى رشده، ويبادر إليّ مُعتذرًا سميعًا مُطيعًا، ويعلم أنني نِعم الصَّديق.

لمن تَطْلَبُ الدُّنيا إذا لم تُردِ بها سرورَ محبٍّ أو إساءةَ مجرمِ

المعنى: إنما يسعى الإنسان وراء متاع الحياة من جمع المال، واعتلاء المناصب، ابتغاء سرور المحب ومعونته، أو إساءة العدو ونكايته.

إنما تَنْجحُ المقالةُ في المر ء إذا صَادقَتْ هوىً في الفؤادِ

المعنى: إنما يبلغ القول النجاح ويفضي إلى المقصود منه إذا وافق هوى في القلب، وميلًا في النفس، وإلا فهو صرخة في واد، ونفخة في رماد، والبيت من قصيدة ينفي بها عن ابن الإخشيد الميل إلى ما يقوله الوشاة.

وكلُّ امرئٍ يُولي الجميلَ محبَّبٌ وكلُّ مكانٍ ينبتُ العزَّ طَيِّبُ

المعنى: كل امرئ تعود فعل الجميل وإسداء الخير، وبسط الكف محبب إلى الناس، يستميل نفوسهم بإحسانه، ويستعطف قلوبهم بكرمه، وكذلك كل مكان يجد فيه المرء الترف والعزّ، فهو المكان الطّيب، والبيت من قصيدة يمدح بها كافورًا.

ولو جازَ أنْ يحووا عُلاك وهبتَها ولكنْ من الأشياءِ ما ليس يُوهبُ

المعنى: يقول: إنك قد بلغت من المعالي غاية لا تُدرك، ومن الجود شأوًا لا يُلحق، ولو كانت علاك مما يُوهب لوهبتها، ولكنّ من الأشياء مالا يسوغ هبته كالمجد والعلا.

ما كلَّ ما يتمنى المرءُ يدركُه تجري الرياحُ بما لاتشتهي السُّفنُ

المعنى: أمانّي المرء شتى، وما كل ما يتمناه يُدركه، فقد يتهيأ المرء للشيء ويُعد له عدته، فتعترض له عقبات تصدّه عن إدراكه، وذلك كربان السفية يتوجّه بها طريقًا في اليمّ، فتطوح بها الرياح إلى غير ما قصد، والبيت من قصيدة قالها عندما بلغه أنّ قومًا نعوه في مجلس سيف الدولة بحلب وهو بمصر.

غَيرَ أن الفَتى يلاقي المنايا كالحاتٍ ولا يلاقِي الهَوانا

المعنى: سهل على نفس الحُر أن يتجرّع كأس الحمام، ولايذوق طعم الهوان، فالموت ألم ساعة، والهوان آلام تترى، والبيت من قصيدة يمدح بها كافورًا.

وإذا لَمْ يكنْ من الموت بُدٌّ فمن العجزِ أن تكونَ جبانًا

﴿كُلُّ نَفْسٍ ذَائِقَةُ الْمَوْتِ﴾، فالجبان لا ينفعه الفرار، والشجاع لا يضره الإقدام، والعاجز من إذا ساورته مهمة هاب الخطر وقدم الحذر.

ومن هابَ أسبابَ المنيةِ يَلْقَها ولورامَ أسبابَ السَّماءِ بسلمِ

*****

كلّ ما لم يكنْ من الصَّعبِ في الأنـ ـفسِ سَهْلٌ فيها إذا هو كانا

المعنى: يقول: الأمر الشديد إنما يصعب على النفس قبل وقوعه، فإذا وقع سهل.

لولا المشقةُ سادَ النَّاسُ كلُهم الجودُ يفقرُ والإقدامُ قتَّالُ

المعنى: في الجود والإقدام سيادة الإنسان، ولولا ما يجده من مشقة على النفس من جَرَّائِهما لرأيت الناس كلهم سادة، فالجود يشق على النفس مخافة الفقر، والإقدام يعزّ عليها فرارًا من القتل، وإنَّ للسيادة قومًا خاطروا من أجلها بالنفوس، وبذلوا أنفس الذخائر، وقليل ما هم، والبيت من قصيدة يمدح بها أبا شجاع فاتكًا.

ولـم أرَ فـي عـيوبِ النَّاسِ شـيئًا كنقـصِ القـادرين علـى التَّمـامِ

المعنى: لا عـيب فـي النـاس أبلـغ من عـيب مـن اسـتطاع أن يكون كـامـلا في الفـضل والنبل فلم يفـعل، إذا لا عُـذر لـه في ترك أسـبـاب الكمـال وفـي وِسْـعِـهِ تحصيلها، وأنه الأولى بالعيب من الناقص الذي لا يقدر على الكمال.

وللسِّـرِ منى موضـعٌ لا ينالُـه نديمٌ ولا يفضـي إلِيـه شَـرابُ

المعنى: مكان السر من نفسي بحيث لا يبلغ حقيقته الصديق، ولا يدُب إليه دبيب الشـراب مع تغلغله في البدن، فللسـر عندي مكان حـريز، وموضع حصين، والبيت من قصيدة يمدح به كافورًا.

أعزُّ مكانٍ في الدُّنا سَرجُ سابحٍ وخيرُ جليسٍ في الزَّمـانِ كِتَابُ

المعنى: أفضل مكان يرى فيه الإنسان عزّه وسؤدده ظهر السابح، وخير جليس لا يشقى به المرء الكتاب، وذلك أن الفرس مطيـة الشـجـاع ورفيق النشـيط، وتبلغ عليه ما تريد من نحو التجول في الأرجاء، ومبارزة الأعداء، أما الكتاب، فيقص عليك من أنباء ما قد سبق، ويتحفك بما فيه الكفاية، وينتهج بك سبيل الهداية.

ومـن جَهِلَـتْ نفسُـــه قــدرَهُ رأَى غيـــرُه منـــهُ مالا يَـــرى

المعنى: من لم يعرف لنفسه حقها فأتبعها هواها استرسلت مع الشهوات، وغررت به فيمـا لا تحمد عقباه، وزينت له السّوء، فيستحسن من خصاله ما يستقبحه النّاس من أمثاله، والبيت من قصيدة يذكر فيها خروجه من مصر.

أينَ الذَّي الهرَمانِ من بنيانِه ما قَومُهُ ما يومُه ما المصْرَعُ

المعنى: يقول: أين ذلك الملك المعظم الذي شاد الهرمين الكبيرين والبناءين الشامخين، أقامهما شاهدين بأثيل مجده، ونادر قدرته، شاب الزمان وهما شابان، ودرست معالم بانيهما، وهما قائمان، وغيبته بطن الأرض، وهما ظاهران، أين قومه على كثرة عَددهم وعُددهم، عفت آثارهم، وذهبت رسومهم، وفي هذا البيت تنبيه على أنّ كل حيّ هالك لا محالة، ولا سبيل إلى البقاء، والبيت من قصيدة يرثي بها أبا شجاع.

تَتَخلفُ الآثارُ عن أصحَابِها حيناً ويدركُها الفناءُ فتتبعُ

المعنى: يقول: تبقى آثار المرء بعده حينًا من الدهر لتدلّ على بديع صنعه، وواسع علمه، وفرط ذكائه، وغزير فضله، ثم يُصيبها بعد ذلك ما أصابه من الفناء، فتذهب تلك الآثار كأن لم تغن بالأمس، تلك طبيعة الحياة وتصاريفها.

ولم تزلْ قلةُ الإنصافِ قاطعةً بين الرجالِ ولو كانوا ذوي رحمِ

المعنى: ترك الإنصاف داعية القطعية، ومجلبة الشقاق بين الناس، وإن كان بينهم صلة رحم، وجامعة قرابة.

إذا أنتَ لم تنصفْ أخاكَ وجدتَهُ على طرفِ الهِجرانِ إن كانَ يَعقِلُ

والبيت من قصيدة يرثي بها فاتكًا.

ذَريني أَنَل ما لا يُنالُ من العُلى فصعبُ العُلى في الصَّعبِ والسَّهلُ في السَّهلِ

المعنى: يخاطب نفسه التي تلومه على ركوب الأهوال، يقول: اتركيني أيتها النفس أنل من المعالي ما لم ينله غيري مما تكلُّ دونه الهمم، فما كان منها سهلًا قريب التّناول

فلا يتطلب تعبًا، وماكان منها صعبًا بعيد المنال فلا يكون إلاّ بمزاولة صعاب الأعمال، وركوب غمارها، والبيت من قصيدة يمدح بها أبا الفوارس.

تُرِيدينَ لقيــانَ المعالــي رخيصــةً ولابدُّ دونَ الشَّهدِ من إبرِ النَّحــلِ

المعنى: يقول: أتريدين أيتها النفس نيل العلى عفوًا بلا تعب، وهي كالشَّهد الذي لا يجنيه مشتاره إلاّ بعد أن يلاقي وخزات إبر النّحل، فكأنك تنزعين إلى طلب المستحيل وإدراك ما لا يكون.

obeikandl.com

obeikandl.com

عرض وتحليل

إذا قِيل رفقًا قال للحلمِ موضعٌ وحلمُ الفتى في غير موضعه جهلُ

أي أنه إذا أمر بالرفق بالأقران، وقيل له أرفق رفقًا، قال: موضع الحلم غيرُ الحرب، يعني: أن الرفق والحلم يستعملان في السلم، وأما الحرب فلا رفق فيها بالأقران، والحليم فيها جاهلٌ كواضع الشيء في غير موضعه، وقد أكثر الناس في هذ المعنى ومن أشهر ما فيه قول الفند الزماني:

وبعضُ الحلمِ عندَ الجَهـ ـل للذلَّة إذعانُ

وقول سالم بن وابصة:

إنَّ من الحلمِ ذُلاً أنتَ عارفُه والحلمُ عن قدرةٍ فضلُ من الكرَمِ

وقال الخُزيمي:

أرى الحلمَ في بعضِ المواضعِ ذُلةً وفي بعضها عزًّا يُسَوَّدُ صَاحِبَهُ

وقال الأعور الشنّى:

خذِ العفو واغفْر أيها المرءُ إنني أرى الحلمَ ما لم تخشَ منقصةً غنما

وقد ذكره أبو الطيب وقال: من الحلم أن تستعمل الجهل دونه، وقال: كل حلم أتى بغير اقتدار، البيت قال: إني أصاحب حِلمي وهو بي كرمٌ، البيت.

أهونْ بطولِ الثُّواءِ والتَّلفِ والسَّجنِ والقيدِ يا أبا دُلفِ

غيرَ اختيارٍ قبلتُ بِرَّكَ بي والجوعُ يُرضي الأسودَ بالجيفِ

يقول: قبلته اضطرارًا لا اختيارًا، كالأسد يرضى بأكل الجيف إذا لم يجد غيرها لحمًا، وهذا من قول المهلبي:

ما كنتَ إلاكلحمِ ميتٍ دعا إلى أكله اضطرارُ

ومثله لدعبل الخزاعي:

لعمرُ أبيكَ ما نُسِبَ المُعلَّى إلى كرم وفي الدنيا كريمُ

ولكنَّ البلادَ إذا اقشعرَّت وصوّح نبتُها رُعِيَ الهشيمُ

ومثله قول الآخر:

فلا تحمدوني في الزيارةِ إنني أزوركُم إذ لا أرى مُتَعَللا

وأبو دلف هذا كان صديق المتنبي، برّه وهو في سجن الوالي الذي كتب إليه:

أيا خَدَّدَ اللهُ وردَ الخُدودِ وقدَّ قدودَ الحِسانِ القُدودِ

يقول المتنبي:

وحفيفُ أجنحةِ الملائكِ حوله وعيونُ أهلِ اللاذقيةِ صُورُ

يقال في جمع الملك الملائكة والملائك جمع على غير قياس قَالَ حسان:

بأيدي رجالٍ هاجروا نحو ربهم وأنصاره حقًّا وأيدي الملائكِ

وصُور جمع أصْوَر، وهو المائل يقال: صاره يصوره إذا أماله وصور يصور إذا صار مائلًا، ومنه قول الشاعر:

اللهُ يعلمُ أنّا في تلفُتِنا يوم الوداعِ إلى أحبابنا صُورُ

يقول: أحاطت بنعشه ملائكة السماء، حتى سمع لأجنحتهم حفيف، وعيون أهل بلده مائلة إليه إما لأنهم يحبونه، فلا يصرفون عيونهم عنه، شوقًا إليه وحزنًا عليه، وإمَّا لأنهم يسمعون حسّ الملائكة، فيميلون نحو الحس الذي يسمعون.

كَفَلَ الثَّنــاءَ لــه بِــرَدِّ حياتِــه ... لما انْطَــوى فكأنَّــهُ مُنشــورُ

يقال: أنشر الله الميت ومنه قوله تعالى:﴿ ثُمَّ إِذَا شَاءَ أَنشَرَهُ ﴾ [عبس: ٢٢]، ويقال - أيضًا - نشره، يقول: ثناء الناس عليه وذكرهم إياه بعده كفيل بردّ حياته؛لأنّ من بقي ذكره فكأنه لم يمت وهذا من قول الحادرة:

فأثنــوا علينــا لا أبًا لأبيكــمُ ... بإحسـانِنا إن الثَّنــاءَ هــو الخُلدُ

وقال التميمي أيضًا:

رَدَّتْ صــنائِعُه إليــه حياتَــه ... فكأنَّــهُ مـن نَشْــرِها مَنْشُــورُ

وقال ـ أيضًا ـ الطائي:

سـلفوا يرونَ الذِّكرَ عيشًا ثانيًا ... وَمضَــوا يعـدُّون الثناء خلــودًا

*****

سيُحيي بكَ السُّمَّارُ ما لاحَ كوكبٌ ... ويحدُو بِكَ السُّفَّارُ ما ذَرَّ شَارقُ

أي يحيون الليل بذكرك وحديثك، والمسافرون يغنّون بمدائحك فيحدون الإبل بها، وقوله: ما لاح كوكب، وما ذر شارق من ألفاظ التأبيد، والمعنى أبدًا، أي أنت أبدًا تذكر في الأسفار، ويحدى بمدائحك في الأسفار، هذا هو الظاهر، وقوم يقولون: ما لاح كوكب أي ما بقي من الليل شيء، وما ذرّ شارق أي ما بقي من

النهار شيء ترى فيه الشمس، وبهذا قال ابن جنّي أي يسيرون إليك نهارًا فينشدون مديحك، وإذا جاء الليل سمروا بذكرك، والقول هو الأول؛ لأنّ الحُداء لا يختص بالنهار بل يكون بالليل في أكثر الأمر، وغالب العادة.

إذا بدا حَجَبَت عَيْنيكَ هيبَتُهُ ... وليس يحجُبُهُ سترٌ إذا احتَجَبا

يريد أنه شديد الهيبة إذا ظهر للرَّائين حجبت هيبته عيونهم عن النظر إليه كما قال الفرزدق:

يَغضِي حياءً ويُغضَى من مهابَتِه ... فما يُكلَّمُ إلا حين يبتسمُ

وقال أيضًا:

وإذا الرجالُ رأوا يزيدَ رأيتهم ... خُضعَ الرقابِ نواكسَ الأبصارِ

وقال أبو نواس:

إن العيونَ حُجِبنَ عَنْكَ بهيبةٍ ... فإذا بَدَوت لهُنَّ نُكِّس نَاظِرُ

وقوله:

ليس يحجبه ستر

يريد أن نور وجهه يغلب الستور فيلوح من ورائها كما قال:

أصبحتَ تأمرُ بالحجاب لخلوةٍ ... هيهاتَ لستَ على الحِجابِ بِقَادرِ

وذكر ابن جنّي تأويلين آخرين، أحدهما، أنّ حجابه قريب لما فيه من التواضع فليس يقصر أحد أراده دونه وإن كان محتجبًا، والآخر أنه وإن احتجب فليس بمحتجب لشدة تيقظه ومراعاته للأمور.

ونَذيمُهُم وبَهِم عَرَفْنَا فَضْلَهُ وبِضِدَّها تتبينُ الأشْيَاءُ

يقول نعيب اللئام، وفضله إنما يعرف بهم؛ لأن الأشياء إنما تتبين بأضدادها، فلو كان الناس كلهم كرامًا مثله لم نعرف فضله، وقال ابن جني: وهذا كقول المنبجيّ:

فالوجهُ مثلُ الصَّبحِ مبيضٌّ والشَّعرُ مثلُ الليلِّ مسودُّ

ضدّان لما استجمعا حسنا والضِّدُّ يُظهرُ حُسْنه الضِّدُّ

وقال هذا البيت مدخول معيوب؛ لأنه ليس كل ضدّين إذا اجتمعا حسنا، ألا ترى أن الحسن إذا قرن بالقبيح بان حُسن الحسن، وقُبح القبيح، وبيت المتنبي سليم؛ لأن الأشياء بأضدادها يصح أمرها. انتهى كلامه وقد أكثر الشعراء في هذا المعنى قال أبو تمام:

وليس يَعرِفُ طيبَ الوصلِ صاحبُهُ حتى يُصابَ بنأي أو بهجْرانِ

وقال أيضًا:

والحادثاتُ وإن أصابكَ بُؤسها فهو الذي أنباكَ كيفَ نَعيمها

وقال أيضًا:

سَمُجتْ ونَبَّهنَا على استسمَاجِها ما حولها من نُضْرةٍ وجَمَالِ

وكذاك لم تُفْرِطْ كآبةُ عاطلٍ حتى يجاورها الزمانُ بحالي

وقال البحتري أيضًا:

قد زادَها إفراطُ حُسنِ جِوارَها لأخلاق أصفارِ من المجدِ خُيَّبِ

وحُسنُ درايٍّ الكَواكبِ أن تُرى طَوَالعَ في داجٍ من الليلِ غيهبِ

وقد ملح بشار في قوله:

وكانَ جَواري الحيّ إذ كُنْتِ فيهمُ قِباحًا فلما غِبتِ صرنَ مِلاحا

وأبو الطيب صرح بالمعنى، و بيّن أن مجاورة المضادّة هي التي تثبت حسن الشيء وقبحه ثمّ أخفاه في موضع آخر فقال:

ولولا أيادي الدهرِ في الجمعِ بيننا غَفَلنا فلم نَشْعُر له بذنوبِ

*****

مُتَفرِّقُ الطعَّمينِ مُجْتمِعُ القُوى فكأنَّه السَّراءُ والضَّراءُ

يقول: فيه حلاوة لأوليائه، ومرارة لأعدائه، وهو مع ذلك إنسان واحد، قواه مجتمعة غير متباينة، وأوّل هذا المعنى للبيد:

مُمِقرٌ مرٌّ على أَعْدائِهِ وعلى الأدنَين حلوٌ كالعَسَلِ

ثم تبعه الآخرون فقال المسيب بن علس:

هم الرَّبيعُ على من ضافَ أرحُلَهم وفي العدوِّ مناكيدٌ مشَائيم

وقال علاقة بن عركيّ:

وكنتم قديمًا في الحروبِ وغيرها ميامينَ في الأدنى لأعدائكُم نُكْدُ

وقال كعب بن الأجذم:

بنو رافعٍ قومٌ مشائيمُ للعِدى ميامنُ للمولى وللمتجرِّم

وقال النابغة الجعدي:

فتىً تَمَّ فيه ما يَسَرُّ صديقَه على أنَّ فِيهِ ما يسُوء الأَعادِيا

قال ابن فورجة: مجتمع القوى يعني قويّ العزائم والآراء، وأنكر القول الأول وهو قول ابن جنّي. ا. هـ.

أَعْدَى الزَّمانَ سَخَاؤُهُ فَسَخَا بِهِ ولقَدْ يَكونُ به الزَّمانُ بَخِيْلا

قال ابن جنّي: أي تعلم الزمان من سخائه فسخا به، وأخرجه من العدم إلى الوجود، ولولا سخاؤه الذي أفاد منه، لبخل به على أهل الدنيا، واستبقاه لنفسه، قال ابن فورجة: هذا تأويل فاسد، وغرضٌ بعيدٌ، والسخاء بغير الموجود لا يوصف بالعدوى، وإنما يعني سخا به عليّ وكان بخيلًا به، فلمّا أعداه سخاؤه أسعدني الزمان بضمّي إليه وهدايتي نحوه، هذا كلامه، والمصراع الأول مقول من قول ابن الخيّاط:

لمستُ بكفِّي كَفُّهُ أبتغِي الغِنَى ولَمْ أدرِ أنأنّ الجود من كفه يعدي

فلا أنا منه ما أفاد ذوو الغنى أفدتُ وأعدانِي فأتلفتُ ما عِنْدِي

وقال الطائي أيضًا:

عَلَّمني جودُكَ السَّماحَ فما أبقيتُ شيئًا لديَّ من صِلتك

وقال أيضًا:

لستَ يحيى مصافحًا حَين أُلقى أنَّني إنْ فعلتُ أتلفتُ مالي

وأبو الطيب نقل المعنى إلى الزمان، والمصراع الثاني من قول أبي تمام:

هيهاتَ أن يأتـي الزَّمـانُ بمثلـه إنَّ الزمـــانَ بمثلـــه لبخيـــلُ

الحـبُّ ما منـعَ الكـلامَ الألـسَنا وألـذُّ شَـكْوى عاشِـقٍ ما أعْلَنـا

رُوِيَ الألسَنا - بفـتح السين - ويكون على هذه الرواية بمعنى الذي يقـول: غاية الحبّ ما منع لسانَ صاحبه من الكلام، فلم يقدر على وصف ما في قلبه منه كما قال المجنون:

ولما شَكوتُ الحبَّ قالت كَذَبتني فمالي أرى الأعضاءَ منك كَواسِيا

فما الحبُّ حَتَّى يلصقَ الجلدُ بالحَشا وتَخرسَ حتَّى لا تجيبَ المناديا

وكما قال قيس بن ذريح:

وما هُـــو إلا أنْ أرَاهَـــا فجـــاءةً فأبهـــتُ حتَّى ما أكـادُ أجـيبُ

ويجوز - أيضًا - أن يكون ما بمعنى: الذي، على رواية من روى الألسُنا - بضم السين -، والظاهر أن ما نافية؛ لأن المصراع الثاني حث على إعلان العشق، وإنما يعلن من قدر على الكلام وكما يقول الموصلي:

فبُحْ باسمِ من تَهوى ودَعني من الكِنَى فلا خير في اللذاتِ من دونِها سترُ

ويقول السري الرفاء:

ظهرَ الهوى وتهتكت أستارُه والحبُّ خيرُ سبيله إظهارُه

أَعْصِي العواذلَ في هَواه جَهارةً فألذُّ عيشِ المستهامِ جَهارُه

*****

وإذا أتتكَ مَذَمتِـي مـن ناقـصٍ فهـي الشَّـهادةُ لـي بأنّي كاملُ

يقـول: إذا ذمني ناقص كـان ذمّـه دليل كـمـالي وفـضلي؛ لأن النـاقص لا يحبّ الكاملَ الفاضلَ لما بينهما من التفاضل، وهذا من قول أبي تمام:

لقدْ أَسِفَ الأعداءُ مَجْدَ ابنِ يوسُفٍ وذو النَّقصِ في الدَّنيا بذي الفَضْلِ مُولعُ

وأخذه هو من قول مروان بن أبي حفصة:

ما ضَرَّني حَسَدُ اللئامِ ولم يَـزلْ ذو الفَضّلِ يَحْسُدُه ذوو التَّقْصِيرِ

وأصل هذا من قول الأول الطِّرماح:

لقدْ زادَنِـي حبًا لنفْسِـي أنَّنِـي بغيضٌ إلى كلِّ امرئٍ غيرِ طائـلِ

وأنّـي شَـقيٌ باللئَـامِ ولا أرى شـقيًّا بهم إلا كـريمَ الشـمائلِ

*****

أبدُو فيسجُدُ من بالسّوءِ يذكُرني ولا أعاتِبُـه صـفحًا وإهـوانا

يقول: من يذكرني بالسوء في غيبتي إذا ظهرت له عظمني، وخضع لي، وأنا أعرض عن عتابه إهانة له، وإنما قال إهوانا لأنه أخرجه على الأصل ضرورة كما قال المَّرار الفقعسي:

صَدَدْتَ فأطولتَ الصُّدودَ وقلَّما وصالٌ على طُولِ الصَّدُودِ يدومُ

يريد فأطلت فجاء به على الأصل.

وهكذا كَنْتُ في أهلِي وفي وطَنَي إنّ النَّفيسَ غَريبٌ حيثما كانا

يقول: كنت وأنا في وطني وفيما بين أهلى غريب، قليل الموافق والمساعد، ثمّ قال: وكذلك الرجل النفيس العزيز، غريب حيث كان، كما قال أبو تمام:

غَرَّبتهُ العُلَى علىَ كثْرةِ الأهـ ـلِ فأضْحى في الأقربين جنيبًا

فليطلْ عُمْرهُ فلو ماتَ في مَرْ وَ مقيمًا بها لماتَ غريبًا

****

مُحَسَّدُ الفَضلِ مكذوب على أثَرِي ألقى الكَمِيَّ ويلقانِي إذا حانا

قوله مكذوب على أثري من قول البرج التغلبي:

يَغْتَابُ عِرْضي خالياً وإذا تلاقينا اقشعرَّا

ومن قول سويد بن أبي كاهل:

ويُحيِّيني إذا لاقيتُه وإذا يخلُو له لَحْمي رَتَعْ

وتقدير الكلام مكذوب عليّ على أثري، أي يُكذب عليّ إذا قمت وخرجت من مشهد ومجمع، والشجاع إذا حان حينه لقيني في المعركة.

*****

وأحسَبُ أنِّي لو هَوَيتُ فِراقَكُم لفَارقتُهُ والدَّهرُ أَخْبثُ صاحبِ

يريد أن الدهر يخالفه في كل ما أراد، حتى لو أحب فراقهم لواصلوه، وكان من حقه أن يقول لفارقتني؛ لأن قوله لفارقته فعل نفسه وهو يشكو الدهر، ولا يشكو فعل نفسه، ولكنّه قلبه؛ لأن من فارقك قد فارقته فهذا من باب القلب، وإنما قال أخبث صاحب، وكان من حقه أن يقول أخبث الأصحاب؛ لأنه أراد أخبث من يصحب، وما كان اسم فاعل في مثل هذا يجوز فيه الإفراد والجمع.

قال الله تعالى:﴿ وَلَا تَكُونُوا أَوَّلَ كَافِرٍ بِهِ ﴾ [البقرة:٤١] يعنى لاتكونوا أول من يكفر به وأنشد الفراءُ:

وإذا هَمُ طَعِموا فألأَمُ طاعِمٍ وإذا هُمُ جَاعُوا فشَرُّ جِياعِ

فأتى بالأمرين جميعًا، وأشار أبو الطيب إلى أن من أهواه ينأى عني، ومن أبغضه يقرب منى لسوء صحبة الدهر إياي، كما قال لطف الله بن المعافى:

أرى ما أشتَهِيه يَفِرُّ مِنِّي وما لا أشْتَهِيه إلِيّ يأتي

ومن أهواهُ يُبغِضُنِي عنادًا ومن أَشْنَاه يَشْبثُ في لهاتِي

كأنّ الدَّهرَ يطلبُني بثأرٍ فليسَ يَسُرُّه إلا وفاتِي

*****

ذو العقلِ يَشْقى في النَّعيمِ بعقلهِ وأخو الجهالةِ في الشَّقاوة يَنْعَمُ

يريد أن العاقل يشقى وإن كان في نعمة لتفكّره في عاقبة أمره، وعلمه بتحول الأحوال، والجاهل ينعم وهو في الشقاوة لغفلته، وقلة تفكره في العواقب وقد قال البحتريّ:

أرى الحلمَ بؤسًا في المعيشةِ للفَتى ولا عيشَ إلا ما حبَاك به الجهلُ

وقال أبو نصر بن نباتة:

من لِي بعيشِ الأغبياءِ فإنَّهُ لا عيشَ إلا عيشُ مَنْ لمْ يعلَمِ

وسابق هذه الحلبة بن المعتزّ في قوله:

وحـــلاوةُ الدَّنيـــا لجاهلهـــا ومَـــرارة الدَّنيـــا لمـــن عَقَـــلا

وأحسن ابن ميكال في قوله:

العقـلُ عـن درك المطالبِ عَقْلـةٌ عجبـًا لأمـر العاقـلِ المعقـولِ

وأخـو الدرايـةِ والنباهـةِ متعبٌ والعـيشُ عيـشُ الجاهـلِ المجهولِ

وقد قال القدماء: ثمرة الدنيا السرور، وما سُرَّ عاقل قط؛ يراد بتفكُّره في العواقب وتخوفه إياها.

obeikandl.com

المتنبي في المحكمة الشرعية

ما عليه:

١ ـ فمن ذلك أنه شبه حلاوة رشفات محبوباته لفمه بحلاوة التوحيد بقوله[١]:

يترشفن من فمي رَشَفاتٍ هنَّ فيه أحلى من التوحيدِ

وهذا البيت يدل على رقة دين المتنبي، الذي تساوى عنده التوحيد الذي هو أساس الأعمال، برشفات محبوباته، فهو قول (كفري)، لا يقيم وزنًا لدين الله، بل يسخر منه، ويُنزله إلى أسفل المنازل عندما يشبهه بهذه المعصية التي وقع فيها.

وقد حاول بعض المتعصبين لأبي الطيب توجيه هذا البيت الذي يشهد بقلة دينه توجيهًا آخر، فقالوا: بأن التوحيد هو نوع من التمور التي تُوجد في العراق!![٢]

وبعضهم اعترف بأن المراد من قوله«التوحيد» هو توحيد الله!، ولكنه تمحل في تخريج هذا القول بادعاء أن الدين لا يحكم على الشعر!، وأنه يجوز للشاعر مالا يجوز لغيره من أنواع التجاوزات![٣]

---

(١) ديوانه ١ / ٦٢ .

(٢) انظر: «الرُف الطيب» لناصيف اليازجي (١ / ١٥).

(٣) انظر: شرح ديوان المتنبي لأبي البقاء العكبري (١ / ٣١٥) حيث نقل شيئاً من هذا عن ابن القطاع.

يقول القاضي الجرجاني متبنيًا هذا الرأي الشاذ[١] في كتابه «الوساطة بين المتنبي وخصومه»:

(والعجب ممن ينقص أبا الطيب، ويغض من شعره لأبيات وجدها تدل على ضعف العقيدة، وفساد المذهب في الديانة. كقوله[٢]:

يَترشفْن من فَمي رشَفاتٍ هن فيه أحلَى من التَّوحيدِ

وقوله[٣]:

وأبهرَ آيات التهامي أنه أبوك وأجدى ما لكم من مناقبِ

وهو يحتمل لأبي نواس قوله:

قلت والكأس على كـ ـفي تهوي لا التشامي

أنا لا أعرف ذاك الـ ـيوم في ذاك الزحام

وقوله[٤]:

يا عاذلي في الدهر ذا هجرُ لا قدرٌ صح ولا جبرُ

ما صح عندي من جميع الذي يُذكر إلا الموت والقبرُ

فاشرب على الدهر وأيامه فإنما يهلكنا الدهرُ

---

(١) ومثله عبدالرحمن البرقوقي في شرحه لديوان المتنبي (٢ / ٤٠). وقال: «مثل هذه المبالغات مقبول مستساغ في مذهب الشعراء..» إلى آخر ما قال!

(٢) ديوانه: ١ / ٣١٥.

(٣) ديوانه: ١ / ١٥٤.

(٤) الموشح: ص ٢٧٦.

(٤) الموشح: ص ٢٧٧.

وقوله[١]:

عاذلتي بالسفاه والزجر ... استمعي ما أبث من أمري
باح لساني بمضمر السر ... وذاك أني أقول بالدهرِ
بين رياض السرور لي شيع ... كافرة بالحساب والحشرِ
موقنة بالممات جاحدة ... لما رووه من ضغطة القبرِ
وليس بعد الممات منقلب ... وإنما الموت بيضة العقرِ[٢]

وقوله:

أأترك لذة الصهباء نقداً ... لما وعدوه من لبن وخمرِ
حياة ثم موت ثم بعث ... حديث خرافة يا أمَّ عمروِ

وقد روي أنهما لديك الجن.

وقوله[٣]:

فدع الملام فقد أطعتُ غوايتي ... ونبذتُ موعظتي وراء جداري
ورأيت إيثار اللذاذة والهوى ... وتمتعاً من طِيْبِ هذي الدارِ
أحرى وأحزم من تنظر آجل ... ظني به رجمٌ من الأخبارِ
إني بعاجل ما ترين موكل ... وسواه إرجافٌ من الآثارِ
ما جاءنا أحدٌ يخبِّر أنه ... في الجنة مذ مات أو في النارِ

---

(١) الموشح: ص ٢٧٧ .
(٢) بيضة العقر: آخر بيضة تبيضها الدجاجة إذا هرمت.
(٣) الموشح: ص ٢٧٧، مع تغيير في رواية الأبيات.

فلو كانت الديانة عارًا على الشعر، وكان سوء الاعتقاد سببًا لتأخر الشاعر، لوجب أن يمحى اسم أبي نواس من الدواوين، ويحذف ذكره إذاعُدت الطبقات، ولكان أولاهم بذلك أهل الجاهلية، ومن تشهد الأمة عليه بالكفر، ولوجب أن يكون كعب بن زهير وابن الزبعرى وأضرابهما ممن تناول الرسولﷺوعاب من أصحابه بكمًا وخرسًا وبكاء[١] مفحمين؛ ولكن الأمرين متباينان، والدين بمعزل عن الشعر)[٢].

قلت: كيف يكون الدين بمعزلٍ عن الشعر، والله -عز وجل- قد سمَّى إحدى سور القرآن بسورة (الشعراء)، فهل هذا إلا لأجل بيان شمول الإسلام وأحكامه للشعراء وأقوالهم؟ وقد قال سبحانه: ﴿ مَا يَلْفِظُ مِن قَوْلٍ إِلاَّ لَدَيْهِ رَقِيبٌ عَتِيدٌ ﴾ (ق: ١٨)، وقالﷺ: « **إن الله قد عفا لأمتي الخطأ و النسيان، وكلام غائب العقل**».

ومسألة (علاقة الدين بالشعر) هي مسألة طال فيها الكلام وتشعب، ما بين مؤيد ومعارض، منذ أن بدأ الشعراء يمارسون تجاوزاتهم الشرعية في أبياتهم الشعرية، خائضين في ألوانٍ من الردة والمعصية[٣].

---

(١) البكاء: جمع بكيء، وهو من قل كلامه خلقه.

(٢) الوساطة بين المتنبي وخصومه(ص٦٣ - ٦٣).وقد حاول الدكتور عبدالباسط بدر حمل كلام القاضي الجرجاني على محمل حسن في كتابه« مقدمة لنظرية الأدب الإسلامي».

(٣) يعد أبو بكر الصولي من أوائل من خاض في هذه المسألة عندما تصدى للدفاع عن (تجاوزات) أبي تمام في كتابه «أخبار أبي تمام» قائلاً: (ما ظننت أن كفراً يُنقص من شعر) (ص ١٧٢) .

عندما هب أهل الإسلام معنفين لهم، وزاجرين عن ركوب هذا الشطط، ومفارقة الإيمان وأهله، وقابلهم أناسٌ لم يقدروا الله حق قدره، ولم يُعطوا شرعه، نصَّبوا أنفسهم للدفاع عن تلكم التجاوزات وتبريرها، ثم مفترين مقولة: إن الدين لا علاقة له بالشعر[١].

قال الدكتور ناصر الخنين ملخصًا لقول الصواب في هذه القضية[٢]:

(وهذا الكلام مجمل ينبغي توضيحه وتخصيصه؛ فهناك فرق كبير بين أن يقول شاعر مسلم شعرًا فيه كفر وإلحاد، ويعلنه ويجاهر به، وبين أن يقول كافر شعرًا حسنًا لايحمل معنى الكفر، ولا يقود إلى الإلحاد، بل قد يكون فيه خير، أو دعوة إليه، فهذا الأخير لا ضير فيه، ولا خوف في قبول حسنه واستحسانه، وسماعه واستنشاده، ولنا في رسول الله ﷺ أسوة حسنة، وذلك حينما استنشد أشعار أمية بن أبي الصلت وسمعها.

أما الصنف الأول: وهو الأشعار الصادرة عن المسلم، فإن إسلام الشاعر لا يشفع لأشعاره جميعها بأن تكون مسلَّمة، لا شية فيها، أو مستحقة للاستماع، إنما الذي يستحق ذلك ويفوز به أشعاره الحسنة المستطابة، التي انطلقت من الإسلام واستنارت به، ولم تصادمه أو تناقضه، فهي بلا ريب مقدمة على أمثالها من

---

(١) وقد أطال الدكتور ناصر الخنين في كتابه «الالتزام الإسلامي في الشعر» الكلام حول هذه المسألة المهمة (٢٩٥ ـ ٣١٤) مبينًا تهافت أصحاب هذا القول. ومثله الدكتور عبد الباسط بدر في كتابه: «مقدمة لنظرية الأدب الإسلامي» فارجع إليهما إن أردت البسط والزيادة.

(٢) الالتزام الإسلامي في الشعر (ص ٣٠٢ ـ ٣٠٣).

أشعار الكفار، وذلك لمزية إسلام قائلها، ولصدق معانيه، ووضوح تصوره في غالب أحواله؛ لأنه قد استمد هذا الوضوح وذلك الصدق من الإسلام ذاته، لا من خواطره وأهوائه، ولذلك فإن أثرها على المسلمين حينما يسمعونها أو يقرؤونها أعظم وأبلغ.

وبذلك يتبين: أن الأشعار الصادرة عن المسلم وفيها كفر، أو سخرية بشيء من شعائر الدين، لا تستحق الاستماع من المسلمين، بل إنّ نفوسهم تنغلق دونها، وقلوبهم تنقبض منها، فينقص قدرها، ولا يكون لها نصيب من العناية، وإن تكن في الذروة الفنية من حيث الصياغة الشعرية.

ولهذا فقد اختلف العلماء في إقامة الحد على الشاعر المسلم فيما لو جاء في شعره بما يوجب الحد الشرعي.

ولا مرية في أن الأشعار التي تحمل الخبث والفسق يبوء صاحبها بها، وتحور عليه، ولكن لا ينبغي تمكينه هو أو غيره من إشاعة أشعار الفسق والمجون في أوساط المسلمين، وحتى لا يشككهم في دينهم، أو يفسد عليهم أبناءهم أوينال منهم).

وقال: ـ حفظه الله ـ[(١)]:

(ولو كان الشعر ضربًا من الخيال أو نوعًا من العبث اللفظي الذي لا يُلْقى له بال، ولا يحمِل معنى ولا يؤدي إليه، ولا يؤاخذ صاحبه عليه لما أعار الرسول عليه أفضل الصلاة والتسليم اهتمامه إلى شعراء قريش، ولما ألقى لأشعارهم بالًا،

(١) المصدر السابق ص٣٠٦ .

حينما هجوه وعابوا عليه دعوته..ولكن الأمر في ذلك مختلف؛ فقد أهدر دم الذين هجوه، وأمر شعراءه بالرد عليهم والنيل منهم جزاءً وفاقًا.

وهل الدين: إلا أوامر وزواجر؟ فكيف يقال بعد ذلك كله: (إن الدين بمعزل عن الشعر؟)، اللهم إلا إذا كان لدى قائل ذلك، أو من يُسلم بمذهبه، تأويل سائغ لكل ما تقدم، ويعضده الدليل ويشفع له التعليل، فإذا لم يكن ثمّ شيء من ذلك فقد بطلت تلك النتيجة وسقط ذلك الزعم، بفساد مقدماته وانعدام بيناته).

وأقول بعد هذا: إن بيت المتنبي:

يترشفن من فمي رشفات هن فيه أحلى من التوحيد

هو من الأبيات التي عابه عليها العلماء والنقاد الذين يعلمون خطورة الدفاع عن من يحاد الله في شعره، متذكرين قوله تعالى: ﴿**هَا أَنتُمْ هَؤُلاءِ جَادَلْتُمْ عَنْهُمْ فِي الْحَيَاةِ الدُّنْيَا فَمَن يُجَادِلُ اللَّهَ عَنْهُمْ يَوْمَ الْقِيَامَةِ أَم مَّن يَكُونُ عَلَيْهِمْ وَكِيلاً**﴾[١].

وقال التوحيدي في شرحه لهذا البيت:

(يقول: كن يمصصن ريقي لحبهن إياي، كانت تلك الرشفات أحلى في فمي من كلمة التوحيد؛ وهي لا إله إلا الله، وهذا إفراط وتجاوز حد)[٢].

وقال ابن رشيق في « العمدة»[٣].

---

(١) سورة النساء: ١٠٩ .
(٢) (ص ٣٠).
(٣) (٢ / ٦٣).

(فإذا صرتَ إلى أبي الطيب صرتَ إلى أكثر الناس غلوًا، وأبعدهم فيه همة، حتى لو قدر ما أخلى منه بيتًا واحدًا، وحتى تبلغ به الحال إلى ما هو عنه غني، وله في غيره مندوحة، كقوله:

يترشفن من فمي رشفات هن فيه أحلى من التوحيد

وقال ابن القيم ـ رحمه الله ـ:

(فتأمل حال أكثر عشاق الصور تجدها مطابقة لذلك، ثم ضع حالهم في كفة، وتوحيدهم وإيمانهم في كفة، ثم زن وزنًا يرضى الله به ورسوله، ويطابق العدل، وربما صرّح العاشق منهم بأن وصل معشوقه أحب إليه من توحيد ربه كما قال الفاسق الخبيث:

يترشفن من فمي رشفاتٍ هن فيه أحلى من التَّوحيدِ)[1]

٢ ـ ومن ذلك قوله[2]:

كل شيء من الدماء حرام شربه ما خلا دم العنقود

فاسقنيها فدى لعينيك نفسي من غزالٍ وطارفي وتليدي

فهو هنا يُحلل شرب الخمر التي يسميها (دم العنقود)، وهذا من التقول على الله بلا علم، بل هو تحليلٌ لما حرم الله، واعتراضٌ على حكمه تعالى.

---

(١) الجواب الكافي لمن سأل عن الدواء الشافي (ص ٣٥٤) ط دار ابن كثير.
(٢) ديوانه ١ / ٦٤ .

وتحريم الخمر ليس مما يُجهل، فهي محرمة بنص الكتاب، وذلك في قوله تعالى: ﴿ يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا إِنَّمَا الْخَمْرُ وَالْمَيْسِرُ وَالأَنصَابُ وَالأَزْلامُ رِجْسٌ مِّنْ عَمَلِ الشَّيْطَانِ فَاجْتَنِبُوهُ لَعَلَّكُمْ تُفْلِحُونَ ﴿٩٠﴾ إِنَّمَا يُرِيدُ الشَّيْطَانُ أَن يُوقِعَ بَيْنَكُمُ الْعَدَاوَةَ وَالْبَغْضَاءَ فِي الْخَمْرِ وَالْمَيْسِرِ وَيَصُدَّكُمْ عَن ذِكْرِ اللَّهِ وَعَنِ الصَّلاةِ فَهَلْ أَنتُم مُّنتَهُونَ ﴾[١].

وتحليل الذي عُلم تحريمه بالضرورة من الدين، هو من الأعمال (الكفرية) التي هوى صاحبها في حفرة سحيقة، قادته إليها نفسه المتعالية المتكبرة على شرع الله وأوامره.

٣ ـ ومن ذلك قوله[٢]:

أبـداً أقطـع البـلاد ونجمـي ... في نحـوس وهـمتي في سـعودِ

فهو هنا يؤمن بالنجوم، وأن لها تأثيرًا في أقدار البشر، وهذا من الضلال المبين، وقد قال ﷺ: « **من اقتبس علمًا من النجوم اقتبس شعبة من السحر، زاد ما زاد** »[٣].

والعجب أن المتنبي قد ناقض قوله هذا في شعر آخر له يقول فيه[٤]:

فتبـًا لديـن عبيـد النجـوم ... ومـن يدعـي أنهـا تعقـلُ

---

(١) سورة المائدة: ٩٠ ، ٩١ .
(٢) ديوانه: ١ / ٦٤ .
(٣) أخرجه أحمد وأبو داود وصححه الألباني في صحيح الجامع (٦٠٧٤).
(٤) ديوانه: ٢ / ٥٩ ١٧٢.

ولكنها أخلاق الشعراء الذين يهيمون في كل وادٍ من القول، دون ضوابط أوتذكار لما سلف منهم، فقول أمس منقوض بقول اليوم.

٤ ـ ومنها قوله:

فاطلب العزّ في لظى وذرِ الذ ل ولو كان في جنان الخلودِ

وهذا امتهان لجنة الخلد التي وعد الرحمن عباده بالغيب، وهو يعلم أن من دخل الجنة فإنه لا يصيبه فيها ذل ولا خزي، بل هو عزيز في الدنيا، وعزيز في الآخرة، قال تعالى: ﴿ **وَلِلَّهِ الْعِزَّةُ وَلِرَسُولِهِ وَلِلْمُؤْمِنِينَ** ﴾ [**المنافقون** :٨].

وأما من دخل النار فإنه في ذل وهوان، وقال تعالى عن أصحاب النار: ﴿ **وَتَرَاهُمْ يُعْرَضُونَ عَلَيْهَا خَاشِعِينَ مِنَ الذُّلِّ يَنظُرُونَ مِن طَرْفٍ خَفِيٍّ** ﴾ [**الشورى**: ٤٥].

ومن كان منهم عزيزًا في الدنيا فإن عزه الموهوم ينقلب ذلًا وخزيًا يوم القيامة، وفي ذلك قول الله عن (كبار) أهل النار: ﴿ **ذُقْ إِنَّكَ أَنتَ الْعَزِيزُ الْكَرِيمُ** ﴾[**الدخان** :٤٩]. أي في الدنيا، وهذا من باب السخرية منهم، وزيادة حسرتهم عندما يتذكر عزه السابق. قال ابن كثير: (أي قولوا له ذلك على وجه التهكم والتوبيخ).

٥ ـ ومن ذلك قوله[١]:

أنا في أمة تداركها الله غريب كصالحٍ في ثمودِ

---

(١) ديوانه: ١ / ٦٥ .

وهذا القول منه في باب التعاظم الذي عُرف به الشاعر، وإلا فكيف يشبه هذا الشاعر المسرف نفسه بنبي الله صالح ـ عليه السلام ـ؟!

٦ ـ ومن ذلك قوله[١]:

لم يخلق الرحمنُ مثل محمدٍ أحداً وظني أنه لا يَخلُقُ

ولقد صدق الشاعر في هذا القول لو كان يقصد بمحمد الممدوح رسول الله ﷺ، فإنه أفضل الخلق بلا شك كما قال ﷺ: « **أنا سيد ولد آدم ولا فخر** »[٢]. ولكن الشاعر يقصد بمحمد هذا ممدوحه. وهذا القول: كذب عظيم وغلو فاحش، لا يتفوه به مسلم، وهو من الافتراءات على الله عز وجل.

ولكن، قد قلت سابقًا إن المتنبي يرتكب العظائم في سبيل تحقيق طموحاته الدنيوية الدنيئة.

٧ ـ ومن ذلك قوله[٣]:

ألا كلُّ سمحٍ غيرك اليوم باطلُ وكل مديحٍ في سواك مُضيعُ

وقد كذب الشاعر، إن مدح الله -عز وجل-، ومدح رسوله -عليه الصلاة والسلام- ليس بمضيع، بل هو مما يدخره الإنسان لنفسه في الآخرة، وقد قال ﷺ: لأحد الشعراء لما قال: (إني قد حمدت ربي عز وجل بمحامده ومدحته)

---

(١) ديوانه: ١ / ٧٢ .
(٢) أخرجه البخاري.
(٣) ديوانه: ١ / ٧٦ .

قال ﷺ: «**أما إن ربك عز وجل يحب المدح**»[١] أي يحب من عبده أن يمدحه ويحمده، فيثيبه على ذلك ولا يُضيعه.

٨ ـ ومن ذلك قوله[٢]:

يا من ألوذُ به فيما أؤمله ... ومن أعوذُ به مما أحاذرُهُ

لا يجبرُ الناسُ عظمًا أنت كاسره ... ولا يهيضون عظمًا أنت جابرُهُ

وهذا القول لا يصلح إلا في حق الله -تعالى-، فهو الملاذ والمستعاذ، وهو الذي لا يجبر الناس من كسر، ولايهيضون من جبر. قال شيخ الإسلام في هذين البيتين: (إنما يصلح هذا لجناب الله سبحانه وتعالى)[٣].

٩ ـ ومن ذلك قوله[٤]:

أنى يكون أبا البرية آدمٌ ... وأبوك والثقلان أنت محمدُ

يفنى الكلام ولا يحيط بفضلكم ... أيحيط ما يفنى بما لا ينفدُ

وهذا من الغلو الفاحش في المدح، والذي لا ينفد فضله هو الله - سبحانه وتعالى -، قال عز وجل: ﴿**مَا عِندَكُمْ يَنفَدُ وَمَا عِندَ اللَّهِ بَاقٍ**﴾ [**النحل**: ٩٦].

---

(١) أخرجه أحمد (٣ / ٤٣٥) وحسنه الألباني في صحيح الأدب المفرد(٦٦٠).

(٢) ديوانه: ١ / ٨٧ .

(٣) البداية والنهاية لابن كثير (١ / ٢٧٥).

(٤) ديوانه: ١ / ٩٤ .

١٠ ـ ومن ذلك قوله[١]:

دعوتك عند انقطاع الرجاء والموتُ مني كحبل الوريدِ
دعوتك لمّا براني البلاءُ وأوهن رجليَّ ثقل الحديدِ

والمسلم الحق يلتجئ إلى الله -عز وجل- عند الكُرب، ويدعوه عند انقطاع رجائه بالناس، قال تعالى: ﴿أَمَّن يُجِيبُ الْمُضْطَرَّ إِذَا دَعَاهُ وَيَكْشِفُ السُّوءَ﴾[٢].

١١ ـ ومن ذلك قوله[٣]:

يا من نلوذ من الزمان بظله أبداً ونطرد باسمه إبليسا

والذي يُطرد إبليس باسمه هو المولى عز وجل، قال تعالى: ﴿فَإِذَا قَرَأْتَ الْقُرْآنَ فَاسْتَعِذْ بِاللَّهِ مِنَ الشَّيْطَانِ الرَّجِيمِ﴾[٤]. وقال ﷺ: «إذا نودي بالصلاة أدبر الشيطان وله ضُراط حتى لا يسمع التأذين»[٥]. فالشيطان يطرد بذكر الله ـ تعالى ـ.

وهذا البيت من حقه أن يُقال في الله -عز وجل- وذكره، لا في بشر قد يكون ممن قد تلاعب به الشيطان يمنة ويسرة.

١٢ ـ ومن ذلك قوله[٦]:

أو كان صادفَ رأسَ عازر سيفُهُ في يوم معركة لأعيا عيسى

---

(١) ديوانه (١ / ٩٨).
(٢) سورة النمل، الآية: ٦٢ .
(٣) ديوانه (١ / ١٠٣).
(٤) سورة النحل، الآية:٩٨ .
(٥) أخرجه البخاري.
(٦) ديوانه (١ / ١٠٢).

أو كان لُجُّ البحر مثلَ يمينه ما انشقَّ حتى جاز فيه موسى

أو كان للنيران ضوء جبينه عُبدت فصار العالمون مجوسا

وهذه الأبيات من السخرية بمعجزات الأنبياء، وعدم حفظ مكانتهم عليهم السلام.

فالمتنبي يزعم ـ وهو كاذب ـ أن سيف الممدوح لو ضُرب به عازر[١] لما استطاع عيسى -عليه السلام- أن يحييه!! ونسي الشاعر أن إحياءه عيسى -عليه السلام- كان بإذن الله لا بإذنه. قال تعالى عن عيسى ـ عليه السلام ـ أنه قال: ﴿وَأُحْيِي الْمَوْتَىٰ بِإِذْنِ اللَّهِ﴾[٢].

وهكذا انشقاق البحر لموسى ـ عليه السلام ـ هو بإذن الله.

١٣ ـ ومن ذلك قوله[٣]:

وكأنما عيسى بن مريم ذِكرُهُ وكأنَّ عازرَ شخصُهُ المقبورُ

وهذا من احتقار الأنبياء ـ عليهم السلام ـ عندما يشبه ممدوحه بهم.

١٤ ـ ومن ذلك قوله[٤]:

فأعيذ إخوته برب محمدٍ أن يحزنوا ومحمدٌ مسرورُ

أو يرغبوا بقصورهم عن حفرةٍ حيَّاه فيها منكر ونكيرُ

---

(١) عازر ـ كما يقول النصارى ـ هو الرجل الذي أحياه عيسى ـ عليه السلام ـ لأنه صديقه، وهذا من الإسرائيليات التي لا تُصدق ولا تُكذب (انظر: تفسير القرطبي٤ / ٩٤) وقد فُتن شعراء الحداثة ممن يدعون الإسلام بعازر هذا، وجعلوه رمزاً في أشعارهم لكل انبعاث بعد الممات تقليداً منهم لشعراء النصارى.

(٢) سورة آل عمران، الآية: ٤٩ .

(٣) ديوانه: ١ / ١١٧ .

(٤) ديوانه: ١ / ١١٨ .

وهذا القول من الافتراء وادعاء علم الغيب، حيث يزعم أن هذا الميت سيحييه منكر ونكير في قبره! وهو بهذا القول يزعم أنه يعزي ويواسي أهله.. وكان الأحرى به أن يعزيهم بما ثبت في السُنة الصحيحة، من الدعوة إلى الصبر والرضا بالقدر.

١٥ ـ ومن ذلك قوله[١]:

ملكٌ تصوَّر كيف شاء كأنما يجري بفضل قضائه المقدور

وهذا ادِّعاء سخيف، حيث يزعم أن القدر يوافق ممدوحه في كل ما يريد. وهذه لم تكن للأنبياء وهم أشرف الخلق وأفضلهم، فكيف بغيرهم ممن قد يكون من السفلة!؟

وقد قال تعالى لأشرف خلقه: ﴿**وَلَوْ كُنتُ أَعْلَمُ الْغَيْبَ لاسْتَكْثَرْتُ مِنَ الْخَيْرِ وَمَا مَسَّنِيَ السُّوءُ**﴾[٢].

١٦ ـ ومن ذلك قوله[٣]:

فما ترزق الأقدار من أنت حارمٌ ولا تحرمُ الأقدارَ من أنت رازقُ

وهذا القول لا يصلح إلا لله -عز وجل-، فهو الذي إذا أراد رزق عبد من عباده فلن يحرمه أحدٌ هذا الرزق، وإذا أراد حرمانه منه فلن يرزقه سوى الله.

---

(١) ديوانه: ١ / ١١٩ .
(٢) سورة الأعراف، الآية: ١١٨ .
(٣) ديوانه: ١ / ١٢٢ .

قال تعالى: ﴿ وَإِن يَمْسَسْكَ اللَّهُ بِضُرٍّ فَلا كَاشِفَ لَهُ إِلاَّ هُوَ وَإِن يُرِدْكَ بِخَيْرٍ فَلا رَادَّ لِفَضْلِهِ ﴾[١].

١٧ ـ ومن ذلك قوله[٢]:

إن المنيـــةَ لـو لاقتهـــمُ وقفـت خرقـاءَ تتهم الإقـدام والهـــربا

وهذا غلو قد تجاوز الحد، حيث يزعم أبو الطيب أن الموت يفرق ويخاف من ممدوحـه، والله قـد أخـبـرنا بأن الناس هم الذين يفـرون من الموت الذي هو ملاقيهم لا محالة: ﴿ قُلْ إِنَّ الْمَوْتَ الَّذِي تَفِرُّونَ مِنْهُ فَإِنَّهُ مُلاقِيكُمْ ﴾[٣].

١٨ ـ ومن ذلك قوله[٤]:

ولو يممتهـمْ في الحشـرِ تجـدو لأعطـوك الذي صـلوا وصـاموا

وهذا كذب من القول لا يجيده غير الشعراء! فهو يُخبر عن كرم ممدوحيه بأنه قد تجاوز الحد، وأنك لو استمنحتهم شيئًا يوم الحشر، فإنه من شدة كرمهم سيعطونك صلاتهم وصيامهم!! والله يقول عن ذلك اليوم العظيم: ﴿ يَوْمَ يَفِرُّ الْمَرْءُ مِنْ أَخِيهِ ﴿٣٤﴾ وَأُمِّهِ وَأَبِيهِ ﴿٣٥﴾ وَصَاحِبَتِهِ وَبَنِيهِ ﴿٣٦﴾ لِكُلِّ امْرِئٍ مِّنْهُمْ يَوْمَئِذٍ شَأْنٌ يُغْنِيهِ ﴾[٥].

---

(١) سورة يونس، الآية.
(٢) ديوانه: ١ / ١٤٣ .
(٣) سورة الجمعة، الآية:٨ .
(٤) ديوانه: ١ / ١٤٣ .
(٥) سورة عبس، الآيات: ٣٤ ـ ٣٧ .

١٩ ـ ومن ذلك قوله[١]:

وأعطيتَ الذي لم يعط خلقٌ عليك صلاة ربك والسلامُ

وهذا القول لا يصلح إلا لنبينا محمد ﷺ فهو الذي أعطي ما لم يُعط خلقٌ غيره، فقد قال ﷺ: «**أعطيت خمسًا لم يعطهن نبي قبلي**»[٢] وهو الذي يُصلى عليه ويُسلم، هو وإخوانه الرسل -عليهم الصلاة والسلام-، وأما غيرهم فلا يخص بصلاة أو سلام.

قال ابن القيم ـ رحمه الله بعد ذكره الخلاف في هذه المسألة ـ: (وفصل الخطاب في المسألة: أن الصلاة على غير النبي ﷺ؛ إما أن تكون على آله وأزواجه وذريته أو غيرهم، فإن كان الأول؛ فالصلاة عليهم مشروعة مع الصلاة على النبي ﷺ، وجائزة مفردة.

وأما الثاني: فإن كان الملائكة وأهل الطاعة عمومًا الذين يدخل فيهم الأنبياء وغيرهم؛ جاز ذلك أيضًا، فيقال: « اللهم صلِّ على ملائكتك المقربين وأهل طاعتك أجمعين»، وإن كان شخصًا معينًا، أو طائفة معينة؛ كره أن يتخذ الصلاة عليه شعارًا لا يخل به.

ولو قيل بتحريمه لكان له وجه. ولا سيما إذا جعله شعارًا له، ومنع منه نظيره، أو من هو خير منه، وهكذا كما تفعل الرافضة بعلي ـ رضي الله عنه ـ

---

(١) ديوانه: ١ / ١٤٨ .

(٢) أخرجه البخاري ومسلم.

حيث ذكروه قالوا: عليه الصلاة والسلام، ولا يقولون ذلك فيمن هو خير منه، فهذا ممنوع، ولا سيما إذا اتخذ شعارًا لا يخل به، فتركه حينئذ متعين، وأما إن صلى عليه أحيانًا بحيث لا يجعل ذلك شعارًا، كما يصلى على دافع الزكاة وكما قال ابن عمر للميت: « صلى الله عليه »، وكما صلى النبي ﷺ على المرأة وزوجها، وكما روي عن عليّ من صلاته على عمر، فهذا لا بأس به. وبهذا التفصيل تتفق الأدلة، وينكشف وجه الصواب، والله الموفق)[١].

٢٠ ـ ومن ذلك قوله[٢]:

فلقد دهشتُ لما فعلت ودونه ما يُدهش الملكَ الحفيظَ الكاتبا

وهذا افتراء على ملائكة الله الكرام، حيث زعم أنها تدهش من أفعال ممدوح المتنبي! والكتبة الحافظون لا يدهشون، وإنما يحصون أعمال بني آدم عليهم. قال تعالى: ﴿مَا يَلْفِظُ مِن قَوْلٍ إِلاَّ لَدَيْهِ رَقِيبٌ عَتِيدٌ﴾[٣]. وقال عز وجل: ﴿وَإِنَّ عَلَيْكُمْ لَحَافِظِينَ ﴿١٠﴾ كِرَامًا كَاتِبِينَ ﴿١١﴾ يَعْلَمُونَ مَا تَفْعَلُونَ﴾[٤].

٢١ ـ ومن ذلك قوله[٥]:

نفذَ القضاءُ بما أردت كأنَّه لك كلما أزمعتَ أمرًا أزمعا

---

(١) جلاء الأفهام (ص ٦٦٣ ـ ٦٦٤) تحقيق: مشهور سلمان.
(٢) ديوانه: ١ / ١٥٧ .
(٣) سورة ق، الآية: ١٨ .
(٤) سورة الانفطار، الآيات: ١٠ ـ ١٢ .
(٥) ديوانه: ١ / ١٦٤ .

والقضاء لم يجر بما يشتهي أنبياء الله ـ عليهم الصلاة والسلام ـ فكيف بمن سواهم ممن يزعم المتنبي أن القضاء ينفذ حسب ما يريدون!؟

٢٢ ـ ومن ذلك قوله[١]:

من يزره يزرْ سليمان في المـ ـلكِ جلالًا ويوسفًا في الجمالِ

وقد سبق مثل هذا، حيث شبه المتنبي ممدوحيه بالأنبياء ـ عليهم الصلاة والسلام ـ وهو من الغلو.

٢٣ ـ ومن ذلك قوله[٢]:

رجل طينُه من العنبرِ الور د وطينُ العبادِ من صلصالِ

فبقيات طينه لاقت المـا ء فصارت عذوبة في الزُلالِ

وهذا من غلوه المعتاد في ممدوحه في تصويره بصورة غير البشر الآخرين؛ قاصدًا هباته وعطاياه!

٢٤ ـ ومن ذلك قوله[٣]:

طلبنا رضاهُ بتركِ الذي رضينا له فتركنا السجودا

فقد رضي المتنبي أن يسجد لممدوحه ـ والعياذ بالله ـ والسجود كما هو معلوم لا يجوز لغير الله، وعندما عاد معاذٌ ـ رضي الله عنه ـ من اليمن وكان قد

---

(١) ديوانه: ١ / ١٦٦ .
(٢) ديوانه: ١ / ١٦٨ .
(٣) ديوانه: ١ / ١٧٧ .

شاهدهم يسجدون لعظمائهم، أراد أن يسجد لرسول الله ﷺ فنهاه النبي ﷺ عن ذلك[١].

٢٥ ـ ومن ذلك قوله[٢]:

لو كان علمُك بالإله مقسَّمًا ... في الناسِ ما بعث الإلهُ رسولًا

لو كان لفظك فيهم ما أنزل القـ ... ـرآن والتوراة والإنجيلا

وهذا غلوٌ فاحش وقول (كفري) يقشعر جلد المؤمن من سماعه، حيث زعم الشاعر لممدوحه أن علمه كعلم الأنبياء، وأن لفظه كالقرآن والإنجيل والتوراة!! نعوذ بالله من الكفر والضلال.

٢٦ ـ ومن ذلك قوله[٣]:

متى أحصيتُ فضلَك في كلامٍ ... فقد أحصيتُ حبات الرمالِ

وإن بها وإن به لنقصًا ... وأنت لها النهايةُ في الكمالِ

وهذا من الغلو في المدح، وإلا فإن النهاية في الكمال ليس إلا لله -عز وجل- فهو سبحانه «السيد الذي كمل في سؤدده، العليم الذي قد كمل في علمه والحكيم الذي قد كمل في حكمته، وهو الذي قد كمل في أنواع الشرف والسؤدد»[٤].

---

(١) أخرجه أحمد وابن ماجه، وصححه الألباني في صحيحه (١٢٠٣).
(٢) ديوانه: ١ / ١٩٢ .
(٣) ديوانه: ١ / ١٩٤ .
(٤) تفسير ابن كثير (٤ / ٦٠٩، ٦١٠).

٢٧ ـ ومن ذلك قوله[١]:

يا بدر إنك والحديثُ شجونُ ... من لم يكن لمثاله تكوينُ

لعظمت حتى لو تكون أمانةً ... ما كان مؤتمناً بها جبرينُ

وهذا القول فيه تنقص من جناب جبريل ـ عليه السلام ـ الذي أخبر الله عنه بأنه: ﴿ذِي قُوَّةٍ عِندَ ذِي الْعَرْشِ مَكِينٍ ﴿٢٠﴾ مُطَاعٍ ثَمَّ أَمِينٍ﴾[٢].

فالله -عز وجل- قد أخبرنا بأمانة جبريل ـ عليه السلام ـ وأنه غير متهم والمتنبي يزعم أنه قد يخون الأمانة!! وهذا القول من الأقوال (الكفرية)، ولا يشك في هذا مسلم.

٢٨ ـ ومن ذلك قوله[٣]:

ما يُرتجى أحدٌ لمكرمةٍ ... إلا الإلهُ وأنت يا بدرُ

لقد أخطأ المتنبي عندما ساوى بين ممدوحه وبين الله -عز وجل- بحرف (الواو) الذي يقتضي المشاركة والمساواة، وكان الصواب أن يعطف بحرف(ثم) الذي يُنزل المخلوق عن رتبة الخالق عز وجل. وعندما قال رجل للنبي ﷺ: ماشاء الله وشئت، قال له ﷺ: «**أجعلتني لله نداً**»[٤].

---

(١) ديوانه: ١ / ٢٠١ .

(٢) سورة التكوير، الآيتان: ٢٠ ـ ٢١ .

(٣) ديوانه: ١ / ٢٠٧ .

(٤) أخرجه أحمد، وصححه الألباني في صحيحه (١٣٩).

٢٩ ـ ومن ذلك قوله[١]:

حسبك الله ما تضلُ عن الحـ ـــقِ ولا يهتدي إليـــك أثـامُ

فهو يدعي العصمة لممدوحه، فهو - دائمًا - على الحق، وهو - دائمًا - لايرتكب الآثام!

٣٠ ـ ومن ذلك قوله[٢]:

فأصبحتُ أستسقي الغمامُ لقبرها وقد كنتُ أستسقي الوغى والقنا الصما

فأحوال القبور وساكنوها لا يؤثر فيهم الأمطار ولا السيول، وإنما هي رحمة الله -عز وجل- ثم العمل الصالح، فمن عمل خيرًا فُسح له في قبره، وأتاه من الجنة ما يسره، ولو كان مدفونًا وسط صحراء محرقة، ومن عمل شرًا ضُيق عليه قبره، وآتاه الله من سموم النار ما يسوءه، ولو كان مدفونًا وسط حدائق ذات بهجة.

وقد أخبر ﷺ عن المؤمن بعد موته بأنه «**يُفسح له في قبره مدَّ بصره**» وأما الكافر والمنافق «**يُضيق عليه قبره حتى تختلف فيه أضلاعه**»[٣] نسأل الله العفو والعافية.

٣١ ـ ومن ذلك قوله[٤]:

أما وحَقُّكَ وهو غايةُ مقسمٍ للحق أنت وما سواك الباطل

وهذا قسم بغير الله، وهو شرك أصغر، حذرنا منه رسول الله ﷺ بقوله: «**من حلف بغير الله فقد أشرك**» وقال ﷺ: «**من كان حالفًا فليحلف بالله**

---

(١) ديوانه: ١ / ٢١١ .

(٢) ديوانه: ١ / ٢١٩ .

(٣) أخرجه أبو داود وغيره، وصححه الألباني في «أحكام الجنائز» (ص ١٥٩).

(٤) ديوانه: ١ / ٢٢٥ .

أو ليصمت» وقال ابن مسعود ـ رضي الله عنه ـ:«**لأن أحلف بالله كاذبًا خير من أحلف بغير الله صادقًا**» وهذا من كمال فهمه ـ رضي الله عنه ـ لأن الحلف بالله كاذبًا معصية، والحلف بغيره ولو كان المرء صادقًا فيه شرك، وفرقٌ فيما بينهما.

والقسم بغير الله هو مما تساهل فيه الشعراء قديمًا وحديثًا، فهم يقسمون بالمحبوب، وبصفاته الخَلقية والخُلقية قاصدين تعظيمه بزعمهم.

٣٢ ـ ومن ذلك قوله[(١)]:

وترى المروةَ والفتوَّةَ والأبوَّ ةَ في كل مليحة ضراتِها

هن الثلاث المانعاتي لذتي في خلوتي لا الخوف من تبعاتِها

فقد صرح المتنبي هنا أن الذي يمنعه من اللذات ليس الخوف من الله -عز وجل-، وإنما هو المروءة والفتوة والأبوة. وكان الأجدر به أن يمتنع عن اللذات خوفًا من الله؛ ليكتب له أجر هذا الامتناع. قال تعالى: ﴿**وَأَمَّا مَنْ خَافَ مَقَامَ رَبِّهِ وَنَهَى النَّفْسَ عَنِ الْهَوَىٰ ﴿٤٠﴾ فَإِنَّ الْجَنَّةَ هِيَ الْمَأْوَىٰ**﴾[(٢)].

٣٣ ـ ومن ذلك قوله[(٣)]:

فآجرك الإلـ ـه على عليلٍ بعثتَ إلى المسيحِ به طبيبا

وهذا يلحق بسابقه، ففيه تنقص لأنبياء الله ـ عليهم السلام ـ عندما يشبههم بغيرهم، أو يبتذل ذكرهم.

---

(١) ديوانه (١ / ٢٣٠).
(٢) سورة النازعات، الآيتان: ٤٠ ـ ٤١ .
(٣) ديوانه (١ / ٢٤١).

٣٤ ـ ومن ذلك قوله[١]:

يبنـي بـــه ربُنـا المعالـي كمـا بكـم يغفـرُ الذنـوبـا

والذنوب لاتُغفر بأحد، إنما يغفرها الله برحمته، قال تعالى: ﴿وَمَن يَغْفِرُ الذُّنُوبَ إِلاَّ اللَّهُ﴾ [آل عمران: ١٣٥][٢].

٣٥ ـ ومن ذلك أنه يعتقد أن عليًا ـ رضي الله عنه ـ هو الوصي بعد رسول الله ﷺ، وهذه عقيدة الشيعة الإمامية والزيدية، ويقول المتنبي في مدح طاهر ابن الحسين[٣]:

هو ابن رسـولِ اللهِ وابنُ وصيِّه وشِبهُهُما شَبَّهتُ بعد التجارب

٣٦ ـ وهو يذم أحد الأموات الذين يبغضهم بقوله[٤]:

قالوا لنا: مات إسحاق! فقلت لهم: هذا الدواء الذي يشفي من الحُمُقِ

إن مات مات بلا فقد ولا أسفٍ أو عاشَ عاشَ بلا خلقٍ ولا خُلُقِ

منـه تعلـم عبـدٌ شـقَّ هامتَـه خونَ الصديقِ ودسَّ الغدرِ في المَلَقِ

وحلـف ألـفِ يمين غيـر صـادقةٍ مطرودةٍ ككعوبِ الرمح في نسقِ

ما زلـت أعرفـه قـردًا بـلا ذنبٍ صفرًا من الباس مملوءًا من النزقِ

---

(١) ديوانه: ١ / ٢٦١ .
(٢) سورة آل عمران، الآية: ١٣٥ .
(٣) ديوانه: ١ / ٢٧٠ .
(٤) ديوانه: ١ / ٢٧٥ .

كريشة في مهب الريح ساقطةٍ لا تستقر على حال من القلقِ

تستغرق الكفُ فوديه ومنكبَه فتكتسي منه ريح الجورب العرقِ

فسائلواْ قاتليه كيف مات لهم موتًا من الضرب، أو موتًا من الفرقِ

وهذا القول دليل على وقاحة المتنبي، حيث تعرَّض للأموات في قبورهم بهذا الهجاء المر، والرسول ﷺ يقول: « **إذا مات صاحبكم فدعوه، لاتقعوا فيه**»(١).

٣٧ ـ ومن ذلك قوله(٢):

ما رآها مكذبُ الرسل إلا صدقَّ القولَ في صفات البُراق

فهو يشبه فرسه بالبراق الذي ركبه رسول الله ﷺ ليلة الإسراء والمعراج، وقال ﷺ عنه بأنه: « **فوق الحمار ودون البغل، يقع خطوه عند انقضاء طرْفه..**»(٣).

فالبراق خلق من خلق الله لايشبهها شيء من حيوانات الدنيا، مهما ادعى المتنبي خلاف ذلك.

٣٨ ـ ومن ذلك قوله(٤):

يا راحلًا كلُ من يودعه مودعٌ دينه ودنياه

(١) أخرجه أبو داود، وصححه الألباني في صحيحه (٢٨٥) أماحديث: «**اذكروا محاسن موتاكم**» فضعيف.

(٢) ديوانه: ١ / ٢٧٨ .

(٣) أخرجه البخاري ومسلم.

(٤) ديوانه: ١ / ٢٩٠ .

والراحل أو المسافر لا يأخذ معه إلا دينه هو، أما دين المودّعين فهو باقٍ معهم؛ لأنه مجموعة من الأقوال والأعمال الملازمة للإنسان.

وقد أمر ﷺ أن يُقال للمسافر عند سفره «**أستودع الله دينك وأمانتك وخواتم عملك**»[(١)].

لأنه محتاج إلى أن يحفظ الله دينه في سفره، لا أن يحفظ هو دين الآخرين، كما يزعم المتنبي!

٣٩ ـ ومن ذلك قوله[(٢)]:

لحبُّ ابن عبدالله أولى فإنه به يُبدأ الذكرُ الجميلُ ويختمُ

والذي يُبدأ به الذكرُ الجميل ويُختم: الله ـ عز وجل ـ فقد علمنا رسوله ﷺ أن نبدأ أعمالنا باسمه تعالى، وعلمنا أن نختم ذلك بذكره تعالى، سواء بالحمد أوالاستغفار.

٤٠ ـ ومن ذلك قوله[(٣)]:

فلا موتَ إلا من سِنانك يُتَّقى ولا رزقَ إلا من يمينك يُقسَمُ

وأسباب الموت كثيرة كما قيل: تعددت الأسباب والموت واحد.

لا كما يزعم المتنبي بأنه لا موت إلا من سنان ممدوحه.

---

(١) أخرجه أبو داود وغيره وصححه الألباني في صحيح أبي داود (٢٢٦٥).
(٢) ديوانه: ٢ / ٥٣ .
(٣) ديوانه: ٢ / ٥٦ .

وأما الرزق فهومن عند الله -عز وجل-، قال سبحانه: ﴿فَابْتَغُوا عِندَ اللَّهِ الرِّزْقَ وَاعْبُدُوهُ﴾[١]. وقال﴿هَلْ مِنْ خَالِقٍ غَيْرُ اللَّهِ يَرْزُقُكُم مِّنَ السَّمَاءِ وَالأَرْضِ لا إِلَهَ إِلاَّ هُوَ فَأَنَّىٰ تُؤْفَكُونَ﴾[٢]. ويصدق على المتنبي قوله تعالى: ﴿يَعْرِفُونَ نِعْمَتَ اللَّهِ ثُمَّ يُنكِرُونَهَا وَأَكْثَرُهُمُ الْكَافِرُونَ﴾[٣]. فهو يعلم أنه لا رازق إلا الله، ثم ينسب ذلك إلى غيره.

٤١ ـ ومن ذلك قوله عن خيمة سيف الدولة[٤]:

فما اعتمد اللهُ تقويضَها ولكنْ أشار بما تفعلُ

وهذا من الافتراء على الله أنه أراد تقويضها قاصدًا توجيه سيف الدولة إلى ملاقاة أعدائه!.

٤٢ ـ ومن ذلك قوله[٥]:

ولستُ أبالي بعد إدراكِيَ العلا أكان تُراثًا ما تناولتُ أم كسبا

فهو يهدف إلى العُلاَ، سواء ورثه من آبائه، أو كان كسبًا له قد اجتهد في تحصيله، وهذا العُلاَ الذي يعنيه المتنبي هو علو الصيت بين الناس، وتولي الضِيَع والإمارات، فهو الذي أجهد فيه نفسه، وضيع عمره ـ كما سبق ـ.

---

(١) سورة العنكبوت، الآية: ١٧ .
(٢) سورة فاطر، الآية:٣ .
(٣) سورة النحل، الآية: ٨٣ .
(٤) ديوانه: ٢ / ٥٨ .
(٥) ديوانه: ٢ / ٧٧ .

٤٣ ـ ومن ذلك قوله في ممدوحه[١]:

الذي ليس عنه مُغنٍ ولا منـ ـه بديل ولا لما رامَ حامِ

وهذا القول لا يصلح إلا لله -عز وجل-، فهو الذي ليس عنه مغنٍ، ولا منه بديل. كما قال ﷺ: « **الحمد لله كثيراً طيباً مباركاً فيه غير مكفي ولامودَّع ولا مستغنىً عن ربنا** »[٢].

٤٤ ـ ومن ذلك قوله[٣]:

فَومنَ أحبُّ لأعصينّك في الهوى قسمًا به وبحسنِه وبهائِهِ

وهذا قسم بغير الله، وقد مضى أنه محرم.

٤٥ ـ ومن ذلك قوله[٤]:

وكيف تعلك الدنيا بشيءٍ وأنت لعلة الدنيا طبيبُ

وهذا من الغلو في المدح، حيث جعل ممدوحه طبيبًا لجميع علل الدنيا، وهذا لا يكون إلا لله -عز وجل-، فهو «الطبيب»[٥] سبحانه، هو الذي يشفي عباده، ويصلح أحوالهم، كما قال إبراهيم ـ عليه السلام ـ: ﴿ **وَإِذَا مَرِضْتُ فَهُوَ يَشْفِينِ** ﴾[٦].

---

(١) ديوانه: ٢ / ١٠٣ .
(٢) أخرجه البخاري (٩ / ٥٨٠ فتح).
(٣) ديوانه: ٢ / ١٠٣ .
(٤) ديوانه: ٢ / ١١٥ .
(٥) ورد في قوله ﷺ: « **الله الطبيب** » أخرجه أبو داود وصححه الألباني في السلسلة الصحيحة (١٥٣٧).
(٦) سورة الشعراء، الآية: ٨٠ .

obeikandi.com

٤٦ ـ ومن ذلك قوله [١]:

تظل ملوكُ الأرض خاشعةً لـهُ تفارقـه هَلكى وتلقاهُ سـجَّدا

والسجود لغير الله لا يجوز ـ كما سبق ـ.

٤٧ ـ ومن ذلك قوله[٢]:

تخـرُ لـه القبائـل سُـاجداتٍ وتحمـدُه الأسـنَّةُ والشِـفارُ

٤٨ ـ ومن ذلك قوله[٣]:

ومـا لاقنـي بلـدٌ بعدكـم ولا اعتضتُ من رب نعماي ربْ

ونقول لأبي الطيب: حتى الله لم تعتض به عن ممدوحك؟! قال تعالى: ﴿وَمَا بِكُم مِّن نِّعْمَةٍ فَمِنَ اللَّهِ﴾[٤]. فهو -سبحانه- رب النعم الذي يستحق التمجيد والتفرد بهذا المدح.

٤٩ ـ ومن ذلك قوله [٥]:

أيـا سـيفَ ربـك لا خَلقِـهِ ويـا ذا المكـارمِ لا ذا الشُـطَبْ

كيف يزعم المتنبي أن سيف الدولة الحمداني هو سيف الله؟!

وهل كان سيف الدولة يقاتل الأعداء دفاعًا عن دين الله -عز وجل-، أم كان

---

(١) ديوانه: ٢ / ١٢٣ .
(٢) ديوانه: ٢ / ١٥٦ .
(٣) ديوانه: ٢ / ١٩٨ .
(٤) سورة النحل، الآية: ٥٣ .
(٥) ديوانه: ٢ / ١٩٨ .

دفاعًا عن أرضه وديارِه؟! والحق أنه لا يُطلق هذا اللقب (سيف الله) إلا على من أطلقه رسول الله ﷺ عليه، كخالد بن الوليد ـ رضي الله عنه [١] ـ أما غيره فلا ندري أكان سيفًا لله أم سيفًا لمصالحه ودولته؟!

٥٠ ـ ومن ذلك قوله[٢]:

أغاية الدين أن تحفوا شواربكم يا أمةً ضحكت من جهلها الأممُ

ونحن نعلم كالمتنبي أن الدين ليس غايته إحفاء الشوارب، وإنما هي سُنة وجاءت عن رسول الله ﷺ بقوله: « **أحفوا الشوارب**»[٣] فمن عمل بها فقد فاز بالأجر والمغنم، ومن خالفها فقد خالف سُنة النبي ﷺ، ومع ذلك لا يجوز لأبي الطيب أن يسخر من هذه السُنة النبوية بهذا القول الذي يوحي باحتقارها.

٥١ ـ ومن ذلك قوله[٤]:

فتمليكُ دلَيرٍ وتعظيمُ قدرِه شهيدٌ بوحدانيةِ اللهِ والعدلِ

وهذا أيضًا من الافتراء على الله بأنه عادلٌ إذ ملَّك ممدوح المتنبي (دليـر) وعظَّم قدره!.

---

(١) كما في قوله ﷺ عن غزوة مؤتة: « **حتى أخذ الراية سيف من سيوف الله..**» أخرجه أحمد (٣ / ١١٣) والنسائي (٤ / ٢٦).

(٢) ديوانه (٢ / ٢٨٥).

(٣) أخرجه البخاري ومسلم.

(٤) ديوانه (٢ / ٢٨٤).

٥٢ ـ ومن ذلك قوله[١]:

جـاء نيـروزُنا وأنت مـــرادُهُ ووَرَت بالـــذي أراد زنـــــادُه

٥٣ ـ ومثله قوله[٢]:

عربـــي لســـــانــه فلســـفيٌ رأيُـــــهُ فارســـــيَّةٌ أعيـادُه

وهذا من الفرح بأعياد الفرس المشركين الذين يبتهجون بالنيروز[٣]، ويشاركهم في ذلك مدَّعو الإسلام «الرافضة» من أبناء الفرس، الذين يحنون إلى تراث آبائهم.

ومعلوم أن الفرح بأعياد الكفار وتهنئتهم بها حرامٌ شرعًا، قال الشيخ ابن عثيمين رحمه الله:

«مخالطة غير المسلمين في أعيادهم محرّمة؛ لما في ذلك من الإعانة على الإثم والعدوان وقد قال الله تعالى:﴿ **وَتَعَاوَنُوا عَلَى الْبِرِّ وَالتَّقْوَىٰ وَلَا تَعَاوَنُوا عَلَى الْإِثْمِ وَالْعُدْوَانِ** ﴾[٤].

---

(١) ديوانه: ٢ / ٢٩١ .

(٢) ديوانه: ٢ / ٢٩٢ .

(٣) عيد النيروز عيد فارسي المنشأ أحدثه ملكهم جمشيد وهو عبارة عن ستة أيام تُقضى حوائج الأيام في الخمسة الأيام الأولى وأما اليوم السادس فيجعله الأكاسرة لخواصهم وأنسهم ويسمونه« النيروز الكبير» وهذا العيد يُعد رأس السنة الفارسية الشمسية وهويوافق الحادي والعشرين من شهر مارس من السنة الميلادية. انظر: مجلة ـ الأزهر عدد ١٠ ص ١٤٨٥ وشرح ثلاثيات المسند للسفاريني (١ / ٥٧٨)، وحاشية الدكتور عبدالله التركي والحلو على « المغني» لابن قدامة (٤ / ٤٢٨).

(٤) سورة المائدة، الآية: ٢ .

ولأن هذه الأعياد إن كانت لمناسبات دينية؛ فإن مشاركتهم فيها تقتضي إقرارهم على هذه الديانة، والرضا بما هم عليه من الكفر، وإذا كانت الأعياد لمناسبات غير دينية؛ فإنه لو كانت هذه الأعياد في المسلمين ما أقيمت، فكيف وهي في الكفار؟ لذلك قال أهل العلم: «إنه لا يجوز للمسلمين أن يشاركوا غير المسلمين في أعيادهم، لأن ذلك إقرار ورضا بما هم عليه من الدين الباطل ثم إنه معاونة على الإثم والعدوان»[(١)].

٥٤ ـ ومن ذلك قوله[(٢)]:

لنا مذهب العُبّاد في ترك غيرِهِ وإتيانه نبغي الرغائب بالزهدِ

رجونا الذي يرجون في كل جنةٍ بأرجان حتى ما يئسنا من الخلدِ

وفي هذين البيتين أفصح المتنبي بكل وضوح عن هدفه من مدح الممدوح؛ إذ هو يبحث عن (الرغائب) لا غير، وهو يُشبه فعله هذا بفعل العبَّاد الذين يخلصون العبادة لله -عز وجل- طالبين جنته، هاربين من ناره، فالمتنبي قد حقق (الإخلاص) في قصد الممدوح وحده دون غيره مبتغيًا (رغائبه)!.

٥٥ ـ ومن ذلك قوله[(٣)]:

فإن يكن المهديُ من بان هديُهُ فهذا وإلا فالهدى ذا فما المهدي؟

يعللنا هذا الزمان بذا الوعدِ ويخدع عما في يديه من النقدِ

---

(١) مجموع فتاوى الشيخ ابن عثيمين (١ / ٦١ ـ ٦٢) دار الوطن للنشر، الرياض.

(٢) ديوانه: ٢ / ٣٠٠ .

(٣) ديوانه: ٢ / ٣٠١ .

وهذا القول فيه سخرية من عقيدة ثابتة عند أهل السُنة والجماعة، وهي عقيدة خروج المهدي، وقال ﷺ: «**يكون في أمتي المهدي**»[(١)].

أما المتنبي فمهديه غير مهدي المسلمين، وإنما هو ممدوحه الذي قد بان هديه، كما يزعم شاعر المديح!

٥٦ ـ ومن ذلك قوله[(٢)]:

الناسُ كالعابدين آلهةً وعبدهُ كالموحدِ اللهَ

وهذا من الغلو في المدح الذي برع فيه المتنبي، ولو كان على حساب دينه وعقيدته، فهو هنا يشبه حاله مع ممدوحه كحال المخلصين مع الله عز وجل.

٥٧ ـ ومن ذلك قوله[(٣)]:

ملاعبُ جِنَّةٍ لو سار فيها سليمانٌ لسارَ بترجمانِ

وهذا تبذلٌ لاسم نبي الله سليمان ـ عليه السلام ـ وكذب عليه، حيث ادعى أنه سيحتاج إلى ترجمان عندما يسير في هذا الشعب، والله قد أخبرنا بأنه قد علّمه منطق الحيوانات. وقال -سبحانه- عنه ـ عليه السلام ـ: ﴿**وَقَالَ يَا أَيُّهَا النَّاسُ عُلِّمْنَا مَنطِقَ الطَّيْرِ وَأُوتِينَا مِن كُلِّ شَيْءٍ**﴾[(٤)].

---

(١) أخرجه ابن ماجه، وحسنه الألباني في صحيح ابن ماجه (٣٢٩٩) وانظر: رسالة (الرد على من كذب بالأحاديث الصحيحة الواردة في المهدي) ورسالة (عقيدة أهل السنة والأثر في المهدي المنتظر) كلاهما للشيخ عبدالمحسن العباد ـ حفظه الله ـ وانظر: «السلسلة الصحيحة» للألباني (٢٣٧١).

(٢) ديوانه: ٢ / ٣٠٧ .

(٣) ديوانه: ٢ / ٣٠٨

(٤) سورة النمل، الآية: ١٦ .

٥٨ ـ ومن ذلك قوله[١]:

أبوكم آدمٌ سنَّ المعاصي وعلّمكم مفارقة الجنانِ

وهذا تهور من المتنبي، حيث زعم أن آدم ـ عليه السلام ـ قد سنَّ لنا المعاصي وارتضاها، وهو ـ عليه السلام ـ إنما أذنب ذنبًا تاب منه، ثم قدَّر الله عليه مفارقة الجنة، ثم ابتلاه بهذه الدار النكدة؛ ليعود بشوق عظيم إلى الجنة مرة ثانية.

٥٩ ـ ومن ذلك قوله[٢]:

فإن الناسَ والدنيا طريقُ إلى من ما له في الناس ثانِ

وهذا كذب من الشاعر، فالذي ماله في الناس ثانٍ هو رسول الله ﷺ لا ممدوح المتنبي.

٦٠ ـ ومن ذلك قوله[٣]:

ولولا كونكم في الناس كانوا هُراءً كالكلام بلا معانِ

وهذا يلحق بما مضى من الغلو في المديح.

٦١ ـ ومنه أيضًا قوله[٤]:

ولم أقل مثلُك أعني بهِ سواك يا فردًا بلا مُشبِهِ

هذا ما تيسر لي من ملحوظات على ديوان المتنبي من أخطاء، تجاوز فيها حدود الشرع، أحببت أن لا يتسامح فيها قراؤه ومحبوه، أو يغضوا الطرف عنها.

---

(١) ديوانه: ٢ / ٣٠٩ .
(٢) ديوانه: ٢ / ٣١٠ .
(٣) ديوانه: ٢ / ٣١٢ .
(٤) ديوانه: ٢ / ٣٢٧ .

obeikandl.com

صواعق المتنبي

obeikandl.com

obeikandl.com

الصاعقة الأولى: القلب أعلم يا عذول بدائه(*)

القلبُ أعلمُ يا عَذُولُ بدائِهِ ... وأحَقُّ منك بجَفنِهِ وبمَائِهِ

فَوَمَن أحبُّ لأعصينكَ في الهوَى ... قَسَمًا به وبحُسنه وبهائِهِ

أأحبّهُ وأحب فيه ملامةً؟ ... إن الملامَةَ فيه من أعدائِهِ

عَجِبَ الوُشاةُ من اللُّحاة وَقولهم ... دَعْ ما نَراكَ ضَعفتَ عن إخفائِهِ

ما الخِلُّ إلا من أودُّ بقلبِهِ ... وأرَى بطَرف لا يَرى بسَوائِهِ

إنّ المُعِينَ عَلى الصّبَابَة بالأسَى ... أولى برَحمَة ربّها وإخائِهِ

مَهلًا فإنّ العَذلَ من أسقامِهِ ... وترفقًا فالسمعُ من أعضائِهِ

وَهَبِ الملامةَ في اللذاذَةِ كالكَرَى ... مَطرُودةً بسُهادِهِ وبُكَائِهِ

لا تَعذُلِ المشتاقَ في أشواقِهِ ... حتى يَكونَ حَشاكَ في أحْشائِهِ

إن القتيل مضرَّجًا بدموعه ... مِثلُ القَتيلِ مُضَرَّجًا بدمائِهِ

والعشقُ كالمعشُوق يعذُبُ قُربهُ ... للمُبتَلى وَينَالُ من حَوبَائِهِ[1]

لو قُلتُ للدّنِفِ الحَزينِ فديتُهُ ... مما به لأغرتَهُ بفدائِهِ[2]

وُقِيَ الأميرُ هَوَى العُيُونِ فإنهُ ... ما لا يَزُولُ ببَأسِهِ وسخَائِهِ[3]

(*) مناسبة القصيدة أمرَ سيف الدولة أبا الطيب بإجازة أبيات فقالها.

(١) روحه.

(٢) الدنف: ذو المرض. أغرته: حملته على الغيرة.

(٣) وقي: حفظ.

يستأسرُ البَطَلَ الكَميَّ بنظرةٍ ... ويَحُولُ بَين فُؤاده وَعَزائه

إنّي دَعَوتُكَ للنوائبِ دَعوَةً ... لم يُدعَ سامِعُهَا إلى أكفَائه

فأتَيتَ من فَوقِ الزّمانِ وَتحتِه ... مُتَصَلصلًا وأمَامه وورائه[١]

مَن للسيوف بأن تكونَ سَميَّهَا ... في أصلِه وفِرندِه ووَفَائه

طُبع الحديدُ فكانَ من أجناسِه ... وَعَليٌّ المطبُوعُ من آبَائه

عَذلُ العَواذلِ حَولَ قَلبي التّائه ... وَهَوَى الأحبّةِ منهُ في سَودائه[٢]

يَشكُو الملامُ إلى اللّوائمِ حَرَّهُ ... ويصدُّ حينَ يَلُمنَ عن بُرَحائه[٣]

وبمهجَتي يا عاذلي الملكُ الذي ... أسخَطتُ أعذَلَ منكَ في إرضائه

إن كانَ قَد مَلَكَ القُلُوب فإنهُ ... ملك الزمَانَ بأرضِه وَسَمائه

الشمسُ من حسّادِه والنصرُ من ... قرنائه والسّيفُ من أسمَائه

أينَ الثلاثَةُ من ثَلاث خِلاله ... من حسنه وإبَائه ومضائه[٤]

مَضَتِ الدّهُورُ وَمَا أتَينَ بمثلِه ... ولقَد أتَى فَعَجَزن عَن نُظرائه[٥]

---

(١) متصلصلاً: مصوتًا.

(٢) التائه: المتحير. سواء القلب: العلقة السوداء في جوفه.

(٣) البرحاء: شدة الأذى.

(٤) الخلال: الخصال. الإباء: الامتناع.

(٥) نظرائه: أمثاله.

الصاعقة الثانية: إنما التهنئات للأكفاء(*)

إنما التـــهنئـــاتُ للأكـــفـــاءِ ... ولَمن يَدّني من البُـــعَـــداءِ

وأنا مِنكَ لا يُهنِّئُ عُـــضـــوٌ ... بالمسَـــرّاتِ ســـائرَ الأعـــضـــاءِ

مُـــســـتَـــقِلٌّ لكَ الدّيارَ ولو كـــا ... نَ نُجُـــومًـــا آجُـــرُّهَذا البِنَاءِ(١)

ولـوّ أنّ الـذي يَـخِـــــرّ مِنَ الأمـ ... ـواهِ فـيـهـا من فِـضّـةٍ بَيـضَـاءِ

أنـتَ أعـلى مَـــــحَـلـةً أن تـهـنّـى ... بمكانٍ في الأرضِ أو في الســمــاءِ

ولكَ النـاسُ والبِـــلادُ ومَـــا يَسـ ... ـرَحُ بينَ الغَـبـراءِ والخَـضـرَاءِ(٢)

وَبَسـاتِينُكَ الجِـيـادُ ومَـا تحـ ... ـملُ مِن سَـمـهَـريّةٍ سَـمـرَاءِ

إنما يَفـــخـــرُ الكـريمِ أبُو المسـ ... ـكِ بما يَبـــتـني منَ العَلـيـــاءِ

وَبأيّامِـــــهِ الـتي انسـلَخَت عَـنـ ... ـهُ ومـا دارُهُ سِـوَى الهَـيـجـاءِ

وبما أثرت صَـــوَارِمُـــهُ البِـــيـ ... ـضُ له في جَـــمَـــاجِمِ الأعْـــداءِ

وبمسكٍ يُكنى بـه لـيسَ بالمسـ ... ـكِ ولـكـنـهُ أرِيـجُ الـثّـنَـاءِ

لا بمَا يبـتَني الحَـواضِـرُ في الرّيـ ... ـفِ وَمَـا يَطّبي قُلُوب النّسـاءِ(٣)

نَـزَلَتْ إذ نَـزَلتَـــهَـــا الدّارُ في أحْـ ... ـسَنَ منهـــا مِنَ السَّنا والسّنَاءِ(٤)

(*) مناسبة القصيدة: قالها المتنبي يهنئ كافوراً بداره التي بناها بإزاء الجامع الأعلى على البركة.

(١) الآجر : اللبن المطبوخ.

(٢) الغراء: الأرض. الخضراء: السماء.

(٣) يطبي: يستميل.

(٤) السنى: الضوى. السناء: الرفعة والشرف.

حَلّ في مَنبتِ الرّياحينِ منهَـــا مَنبتُ المَكرُمـــــاتِ وَالآلاءِ[١]

تَفضَحُ الشّمسُ كلّما ذرّتِ الشّمـ ـسُ بشَمسٍ مُنيرَةٍ سَوداءِ

إنّ في ثَوبكَ الذي المجدُ فيهِ لضِيَاءً يُزري بكُلّ ضِيَاءِ

إنما الجلدُ مَلبَسٌ وابيضَاضُ الـ ـنّفسِ خَيرٌ من ابيضَاضِ القَبَاءِ

كَرَمٌ في شَجَاعَةٍ وذَكَاءٌ في بَهَاءٍ وقُدرَةٌ في وَفَاءِ

من لبيضِ الملُوكِ أن تُبدلَ اللو نَ بلَونِ الأستاذِ والسّحنَاءِ[٢]

فَتَراهَا بَنُو الحُروبِ بأعيَا نٍ تَراهُ بها غَداةَ اللقَاءِ

يا رَجَاءَ العُيُون في كلّ أرضٍ لم يكُن غيرَ أن أرَاكَ رَجَائي

ولَقَد أفنَتِ المفَاوِزُ خَيلي قَبلَ أن نَلتقي وزَادي وَمَائي

فَارم بي ما أرَدتَ مني فإني أسَدُ القَلبِ آدَميُّ الرُّوَاءِ[٣]

وفُؤادي من الملُوكِ وإن كا نَ لساني يُرَى منَ الشّعراءِ

(١) الآلاء: النعم.
(٢) السحناء: الهيئة.
(٣) الرواء: النظر.

الصاعقة الثالثة: أمن ازديارك في الدجى الرقباءُ(*)

أمنَ ازديارَكِ في الدُّجى الرُّقَباءُ ... إذ حَيثُ كنتِ منَ الظَّلامِ ضياءُ(١)

قَلَقُ المليحةِ وهيَ مِسكٌ هَتكها ... ومَسيرُها في اللّيلِ وهيَ ذُكاءُ(٢)

أسَفي على أسَفي الذي دَلهتني ... عَن علمِه فَبِه عَليّ خَفاءُ(٣)

وَشَكيّتي فَقدُ السّقامِ لأنّهُ ... قَدْ كانَ لما كانَ لي أعضاءُ

مَثّلتِ عَينَكِ في حَشايَ جِراحَة ... فتَشابَهَا كِلتاهُمَا نجلاءُ(٤)

نَفَذَت عَليّ السّابِريَّ وربّما ... تَندَقّ فيهِ الصَّعدَةُ السّمراءُ(٥)

أنا صَخرَةُ الوادي إذا ما زُوحمتْ ... وإذا نَطَقتُ فإنّني الجَوْزاءُ(٦)

وإذا خَفيتُ على الغَبيّ فَعاذِرٌ ... أن لا تَراني مُقلَةٌ عَمياءُ

شيَمُ الليالي أن تُشَكّك ناقَتي ... صَدري بها أفضَى أم البَيداءُ(٧)

فَتَبيتُ تُسئِدُ مُسئِداً في نَيّها ... إسآدَها في المهمَهِ الإنْضاءُ(٨)

(*) مناسبة القصيدة: يمدح بها هارون بن عبدالعزيز الأوراجي، الكاتب المشهور، وكان يذهب إلى التصوف.

(١) الازدیار: الزيادة. الدجى: جمع دجية، وهي الظلمة.

(٢) القلق: الاضطراب. هتكها: فضيحتها. ذكاء: علم للشمس.

(٣) دلّهتني: أذهبت عقلي.

(٤) مثلت: صورت. البخلاء: الواسعة.

(٥) السابري: الدريح. تندت: تتكسر. الصعدة: القناة المستوية من منبتها.

(٦) الجوزاء: من أبراج الفلك.

(٧) الشيم: الطباع. أفضى أوسع.

(٨) تسئد: تسير الليل كله. النيّ: الشحم. المهمة: المفازة. الإنضاء: الهزال.

بَيني وبَينَ أبي عَليّ مُثلُهُ ... شمُّ الجِبالِ ومثلهنَّ رجاءُ[١]

وعِقابُ لبنانٍ وكيفَ بقَطعِها ... وهُوَ الشّتاءُ وصَيفُهُنّ شِتاءُ[٢]

لبَسَ الثّلُوجُ بها عَليّ مَسالكي ... فَكَأنّها بِبَياضِها سَوداءُ[٣]

وكَذا الكَريمُ إذا أقامَ ببَلدَةٍ ... سَالَ النُّضارُ بها وقامَ الماءُ[٤]

جَمَدَ القِطارُ ولو رَأتهُ كمَا تَرَى ... بُهِتَت فَلَم تَتَبَجسِ الأنواءُ[٥]

في خَطّهِ من كلّ قلبٍ شَهوَةٌ ... حتى كأنّ مِدادَهُ الأهْواءُ[٦]

ولكُلّ عَينٍ قُرّةٌ في قُربِهِ ... حتى كأنّ مَغيبَهُ الأقْذاءُ[٧]

مَن يَهتَدي في الفِعلِ ما لا تَهتَدي ... في القَولِ حتى يَفعَلَ الشّعراءُ

في كلّ يَومٍ للقَوافي جَولَةٌ ... في قَلبِهِ ولأذنِهِ إصغَاءُ

وإغارَةٌ فيما احتَواهُ كأنما ... في كُلّ بيتٍ فَيلقٌ شَهبَاءُ[٨]

من يَظلِمُ اللؤماءَ في تَكليفِهِم ... أن يُصبِحُوا وهُمُ لَهُ أكفَاءُ[٩]

ونَذيمُهُم وبِهِم عَرَفنَا فَضلَهُ ... وبِضِدّها تَتَبيّنُ الأشياءُ[١٠]

---

(١) الأشم: المرتفع.

(٢) العقاب: جمع عقبة، وهي المرتقى الصعب من الجبل.

(٣) لبس الأمر: اختلط ما شتبه.

(٤) النضار: الذهب. قام الماء: جمد.

(٥) القطار: جمع قطرة المطر. بهتت: تحيرت. تتبجس: تنفجر.

(٦) المداد: الحبر. الأهواء: جمع هوى، وهو ميل النفس إلى شهواتها.

(٧) قرة العين: سردرها. الأقذاء: جمع قذي، وهو ما يقع في العين.

(٨) الفليق: الكتيبة من الجيش. الشهباء: التي غلب بياضها على سوادها.

(٩) اللؤماء: االأخساء. الأكفاء: الأمثال.

(١٠) نذيمهم: نعيبهم.

من نفعُهُ في أن يُهاجَ وضَرُّهُ ... في تَركِهِ لَوْ تَفطَنُ الأعداءُ

فالسّلمُ يَكسِرُ من جَناحَي مالِهِ ... بنَوالِهِ ما تجبُرُ الهَيْجاءُ[١]

يُعطي فتُعطَى من لُهَى يدِهِ اللهَى ... وتُرَى بِرُؤيَةِ رَأيِهِ الآراءُ[٢]

مُتَفرقُ الطّعمَينِ مُجتَمعُ القُوَى ... فكأنّهُ السّرّاءُ والضّرّاءُ

وكأنّهُ ما لا تَشاءُ عُداتُهُ ... مُتَمَثّلاً لوُفُودِهِ ما شاؤوا

يا أيّها المُجدى عَلَيهِ رُوحُهُ ... إذ لَيسَ يأتيهِ لها استجداءُ[٣]

احمَد عُفاتَكَ لا فُجِعتَ بفَقدِهم ... فَلَتَركُ ما لم يأخُذوا إعْطاءُ[٤]

لا تَكثُرُ الأمواتُ كَثْرَةَ قلّةٍ ... إلا إذا شَقِيَت بكَ الأحياءُ

والقَلبُ لا يَنشَقّ عَمّا تحتَهُ ... حتى تحِلّ بهِ لكَ الشّحناءُ[٥]

لم تُسمَ يا هَارونُ إلا بَعدَما اقـ ... ـتَرعَت ونازَعتِ اسمَكَ الأسماءُ[٦]

فغَدوتَ واسمُكَ فيكَ غيرُ مُشارِكٍ ... والنّاسُ فيما في يَدَيكَ سَواءُ

لَعَمَمتَ حتى المدنُ منكَ مِلاءُ ... ولَفُتّ حتى ذا الثّناءُ لفاءُ[٧]

ولَجُدتَ حتى كِدتَ تَبخَلُ حائِلاً ... للمُنتَهَى ومنَ السّرورِ بُكاءُ[٨]

---

(١) النوال: العطاء. الهيجاء: من أسماء الحرب.

(٢) اللهى: العطايا الجزيلة.

(٣) المجدي عليه: الموهوب.

(٤) العفاة: القاصدون المعروف.

(٥) الشحناء: العداوة.

(٦) اقترعت: ألقت قرعة.

(٧) ملاء: مؤنق ملآن. لفت: تجاوزت. اللقاء: القليل جدًا.

(٨) الحائل: المتغير.

أبدأتَ شَيئًا ليسَ يُعرَفُ بَدْؤُهُ ... وأعَدْتَ حتى أنكرَ الإبداءُ[١]

فالفَخرُ عن تَقصيرِهِ بكَ ناكبٌ ... والمجدُ من أن يُستزادَ بَراءُ[٢]

فإذا سُئلتَ فَلا لأنّك مُحوِجٌ ... وإذا كُتمتَ وشَت بكَ الآلاءُ[٣]

وإذا مُدحتَ فلا لتَكسبَ رِفعَة ... للشّاكرينَ على الإلَه ثَناءُ

وإذا مُطِرت فلا لأنك مُجدِبٌ ... يُسقى الخَصيبُ ويُمطَرُ الدّأماءُ[٤]

لم تحكِ نائلك السّحابُ وإنما ... حُمت به فَصَبيبُها الرُّحضاءُ[٥]

لم تَلقَ هذا الوَجهَ شَمسُ نَهارِنَا ... إلا بوَجهٍ لَيسَ فيهِ حَياءُ

فبأيما قَدَمٍ سَعَيتَ إلى العُلى ... أدَمُ الهِلالِ لأخمَصَيكَ حِذاءُ[٦]

ولكَ الزّمانُ من الزّمانِ وقايَة ... ولكَ الحِمامُ من الحِمامِ فِداءُ[٧]

لو لم تكن من ذا الوَرَى اللذ منك هُو ... عَقِمَت بمولِد نَسلِها حَوّاءُ[٨]

---

(١) أبدأت: أحدثت. أعدت كررت.

(٢) ناكب: عادل.

(٣) كتمت: احتجبت عن الناس. وشت: نمّت. الآلاء: النعم.

(٤) الدأماء: البحر.

(٥) الصبيب: الماء المصبوب. الرحضاء: عرق الحمى.

(٦) الأدم: جمع أديم، وأديم الهلال: ما بدا منه. الأخمص: ما لا يصيب الأرض من باطن القدم.

(٧) الحمام: الموت.

(٨) اللذ: لغة في الذي. العقم: عدم الإنجاب.

الصاعقة الرابعة: ألا كُلّ ماشِيَةِ الخَيزَلى(*)

ألا كُلّ ماشِيَةِ الخَيزَلى ... فِدَى كلّ ماشِيَةِ الهَيْذَبى(١)

وكُلّ نَجاةٍ بُجاوِيَّةٍ ... خَنُوفٍ وَما بِيَ حُسنُ المِشى(٢)

ولَكنّهُن حِبالُ الحَياةِ ... وَكَيدُ العُداةِ وَمَيْطُ الأَذى(٣)

ضَرَبْتُ بِها التّيهَ ضَرْبَ القِما ... رِ إمّا لِهذا وإمّا لِذا(٤)

إذا فَزِعَتْ قَدَّمَتها الجِيادُ ... وَبيضُ السّيُوفِ وَسُمْرُ القَنا

فَمَرّت بِنَخْلٍ وَفي رَكبِها ... عَنِ العالَمِينَ وَعَنْهُ غِنى

وأَمسَت تُخَيّرُنا بِالنّقا ... بِ وادِي المِياهِ وَوادِي القُرى

وقُلْنا لَها أَيْنَ أَرْضُ العِراقِ ... فَقالَتْ وَنَحْنُ بُتُربانَ ها

وَهبَّتْ بِجِسْمي هُبُوبَ الدَّبُو ... رِ مُستَقبِلاتٍ مَهَبّ الصَّبا(٥)

رَوامِي الكَفافِ وَكَبدِ الوِهادِ ... وجارِ البُوَيْرَةِ وادِي الغَضى(٦)

وجابَتْ بُسَيْطَةَ جَوْبَ الرّدا ... ءِ بين النّعامِ وَبَيْنَ المَها(٧)

(*) مناسبة القصيدة: يصف منازل طريقه عند قدومه إلى الكوفة، ويهجو كافورًا.

(١) الخبز لى: ضرب من مشي النساء فيه تثاقل. الهيذبي: ضرب من مشي الخيل.

(٢) النجاة: الناقة السريعة. الخنوف: من خنف البعير إذا قلب خف يده في المشي.

(٣) ميط الأذى دمغه.

(٤) التيه: المفازة.

(٥) الدبور: الريح الغربية. الصبا: الريح تأتي من الشرق.

(٦) أسماء أماكن.

(٧) الرداء: الغطاء يلتحف به.

إلى عُـقْـدَةِ الجَـوْفِ حـتى شَـفَتْ ... بِـمـاءِ الجَـراوِيِّ بَعضَ الصّـدى

وَلاحَ لَهـا صَـوَرٌ والصـبّـاحَ، ... وَلاحَ الشَّـغُـورُ لَهـا والضـحى

وَمَـسّى الجُـمَـيـعيَّ دِئْداؤها ... وغـادى الأضـارِعَ ثمّ الدَّنا[١]

فَـيـا لَكَ لَـيلًا على أعْكُشٍ ... أَحَمَّ البـلاد خـفِيَّ الصُّـوى[٢]

وَرَدْنا الرُّهَيْـمَـةَ في جَـوْزِه ... وباقـيـه أكـثـرُ مِـمّـا مَـضى[٣]

فَلَمّـا أنَخْنا رَكَـزْنا الرّمـا ... حَ بَـينَ مَـكـارِمِـنـا والـعُـلـى[٤]

وبتـنا نُـقَـبّـلُ أسْـيـافَـنا ... وَنَمْـسَـحُـهـا من دِمـاء العِدى

لتَـعـلَمَ مِـصْـرُ وَمَنْ بالعِـراقِ ... وَمَنْ بالعَـواصِمِ أنّي الفَـتى

وأنّي وَفَـيـتُ وأنّي أبَـيـتُ ... وأنّي عَـتَـوْتُ على مَنْ عَـتـا[٥]

وَمـا كُلّ مَنْ قـالَ قَـولًا وَفَى ... ولا كُلّ مَنْ سِيمَ خَـسْـفًـا أبى[٦]

وَمَـنْ يَـكُ قَـلْـبٌ كَـقَـلـبِي لَـهُ ... يَشُقّ إلى العِـزِّ قَلْبَ التَّـوى[٧]

وَلا بُـدّ لـلـقَـلـبِ مِـنْ آلَـةٍ ... وَرَأيٍ يُـصَـدّعُ صُمّ الصّـفـا[٨]

---

(١) الدئداء: ضرب من العَدْو. غادي: أتى غدوة.
(٢) الصوى: حجر يوضع علامة على الطريق.
(٣) جوز الشيء: وسطه.
(٤) أنخنا: نزلنا.
(٥) عتوت: تجبرت.
(٦) سام: كلف. الحنف: الهوان.
(٧) التوى الهلاك.
(٨) آلة القلب: العقل.

وكُلّ طَريقٍ أَتاهُ الفَتى ... على قَدَرِ الرِّجْلِ فيهِ الخُطى[١]

ونامَ الخُوَيْدِمُ عَنْ لَيْلِنا ... وقَدْ نامَ قَبْلُ عَمى لا كَرى[٢]

وكانَ على قُربِنا بَينَنا ... مَهامِهُ مِنْ جَهلِهِ والعَمى[٣]

وماذا بِمِصْرَ مِنَ المُضْحِكاتِ ... ولَكِنّهُ ضَحِكٌ كالبُكا

بِها نَبَطِيٌّ مِنَ أَهْلِ السَّوادِ ... يُدَرِّسُ أَنْسابَ أَهلِ الفَلا[٤]

وأَسْوَدُ مِشفَرُهُ نِصْفُهُ ... يُقالُ لَهُ أَنتَ بَدرُ الدّجى[٥]

وَشِعْرٍ مَدَحتُ بِهِ الكَرْكَدَنّ ... بَينَ القَريضِ وَبَينَ الرُّقى[٦]

فَما كانَ ذلكَ مَدْحًا لَهُ ... ولَكِنّهُ كانَ هَجْوَ الوَرى

وَقَدْ ضَلَّ قَوْمٌ بِأَصْنامِهِمْ ... وأَمّا بِزِقّ رِياحٍ فَلا[٧]

وَمَنْ جَهِلَتْ نَفْسُهُ قَدْرَهُ ... رَأى غَيْرُهُ مِنهُ ما لا يَرى

---

(١) أتاه: سلكه.
(٢) الكرى: النعاس.
(٣) المهامة: الفلوت.
(٤) النبط: جبل من العجم.
(٥) المشفر: شفة البعير.
(٦) الكركدن: اسم حيوان. الرقى: جمع رقية من أعمال السحر.
(٧) زق: اسم عام للظرف.

الصاعقة الخامسة: ضروبُ الناس عشّاقٌ ضروبا(*)

ضُـروبُ الناسِ عـشّـاقٌ ضُـروبَا ... فـأعـذَرُهُم أشـفُّـهُمُ حَـبـيـبَـا(١)

ومـا سَكَني سِـوَى قَـتلِ الأعـادي ... فـهَل من زَورَةٍ تَشـفي القُلوبَا

تَظَلّ الطّيـرُ منهـا في حَـديثٍ ... تَرُدُّ به الصّـراصِـرَ والنّعـيـبَـا(٢)

وقـد لَبِـسَت دِمـاءَهُمُ عَلَيـهِم ... حِـدادًا لم تَشُقّ لَهُ جُـيُـوبَا

أدَمنا طَعنَهُم والقـتلَ حـتى ... خَلَطنا في عِظامِـهِم الكُعُـوبَا(٣)

كـأنّ خُـيـولنا كـانت قـديمًا ... تُسـقّى في قُـحُـوفِـهِم الحَليبَـا(٤)

فَـمَـرّت غَـيـرَ نافِـرَةٍ عَلَيـهِم ... تَدوسُ بنا الجَـمـاجِمَ والتّـريبَـا(٥)

يُقَـدّمُـهـا وقـد خُـضِـبَت شَـواهَا ... فَـتىً تَرمي الحُـرُوبُ بِـهِ الحُـرُوبَا(٦)

شَـديدُ الخنـزُوانَةِ لا يُـبَـالي ... أصـابَ إذا تَـنَمّـرَ أم أُصـيـبَـا(٧)

أعَـزمي طالَ هذا الليلُ فـانظُرْ ... أمِنكَ الصّـبحُ يَفـرَقُ أن يَؤوبَا

كـأنّ الفَـجـرَ حِبٌّ مُـسـتَـزارٌ ... يُراعي مِن دُجنّتِـهِ رَقِـيـبَـا(٨)

(*) مناسبة القصيدة: يمدح بن سيار بن مكرم التميمي، الذي كان يحبُّ الرمي بالنشاب ويتعاطاه.

(١) الضرب: الصنف والنوع. أشفهم: أفضلهم.

(٢) النعيب: صوت الغراب.

(٣) الكعوب: جمع كعب: ما بين الأنبوبتين من الرمح.

(٤) القحوف جمع قحف: العظم فوق الدماغ.

(٥) التريب: عظم الصدر.

(٦) الشوى: الأطراف.

(٧) الخنزوانة: الكبر. تَنَمَّر: صار كالنمر غضبًا.

(٨) يراعي: ينتظر. الدجنة: الظلمة.

كـــأنّ نُجُـــومَـــهُ حَلْيٌ عَلَيـــهِ ... وقـد حُـذيت قـوائمُـهُ الجبـوبَا[١]

كـأنّ الجَـوّ قـاسَى مـا أقـاسِي ... فـصـارَ سَـوادُهُ فـيـهِ شُـحُـوبَا

كـأنّ دُجـاهُ يَجـذِبُهـا سُـهـادي ... فَلَيسَ تَغـيـبُ إلا أن يَغـيـبَـا

أقلّبُ فـيـه أجـفـاني كـأنّي ... أعُـــدّ به عـلـى الدّهـرِ الـذنُوبَـا

ومـــا لَـيـلٌ بأطولَ مِـن نَهـــارٍ ... يَظَلّ بلَحظِ حُـسّـادي مَـشُـوبَا

ومـا مَـوْتٌ بأبغَضَ مِن حَـيـاةٍ ... أرَى لَهُمُ مَـعي فـيـهـا نَصـيـبَـا

عَـرَفتُ نَوائبَ الحَـدَثانِ حـتى ... لو انتَسَبَت لكُنتُ لهَا نَقيبَا[٢]

ولـمّـا قلّتِ الإبلُ امـتَـطَينَا ... إلى ابنِ أبي سُلَيـمـانَ الخُطُوبَا[٣]

مَطايا لا تَـذِل لمن عَلَيـهَـا ... ولا يَبـغي لهَـا أحَـدٌ رُكُـوبَا

وتَرتَعُ دونَ نَبتِ الأرضِ فـيـنا ... فَـمـا فـارَقـتُـهـا إلا جَـدِيبَـا[٤]

إلى ذي شِـيـمَـةٍ شَـغَـفَت فُـؤادي ... فلَولاهُ لقُلتُ بهـا النّسـيـبَـا[٥]

تُـنـازعُـنـي هـواهـا كـلُّ نـفـسٍ ... وإن لم تُـشـبِـهِ الرّشَـأ الرّبِيـبَـا[٦]

عَـجـيبٌ في الزّمـانِ ومـا عَـجـيبٌ ... أتَى مِن آل سَـيّـارٍ عَـجـيـبَـا

---

(١) الجبوب: وجه الأرض.
(٢) النقيب: الخبير بأحوال القوم وأنسابهم.
(٣) الخطوب: الصائب الشديدة.
(٤) ترتع: ترعى.
(٥) النسيب: التشبيب بالنساء.
(٦) الرشأ: ولد الغزال. الربيب: المربي.

وشَيخٌ في الشّبابِ وليسَ شَيخًا ... يُسمى كل من بَلَغَ المَشيبَا
قَسَا فالأسدُ تفزعُ من يَدَيه ... ورَقّ فنَحنُ نَفزَعُ أن يَذوبَا
أشَدُّ منَ الرّياحِ الهُوجِ بَطشًا ... وأسرَعُ في النّدى منها هُبُوبَا[١]
وقالوا ذاكَ أرمى من رَأينَا ... فقُلتُ رَأيتمُ الغَرَضَ القَريبَا[٢]
وهَل يُخطي بأسهُمِهِ الرمَايَا ... وما يُخطي بما ظَنَ الغُيُوبَا
إذا نُكِبَت كَنائنهُ استَبَنَّا ... بأنصُلِها لأنصُلِها نُدُوبَا[٣]
يُصيبُ ببعضِها أفواقَ بعضٍ ... فلَولا الكَسرُ لاتصَلَتْ قَضيبَا[٤]
بكُل مُقوّمٍ لم يَعصِ أمراً ... له حتى ظَنَناهُ لَبيبَا
يُريكَ النّزعَ بَينَ القَوسِ منهُ ... وبَينَ رَميّهِ الهَدَفَ اللهِيبَا[٥]
ألستَ ابن الأُلى سَعِدوا وسادوا ... ولم يَلِدوا امرَأً إلا نجيبَا
ونالُوا ما اشتَهوا بالحَزمِ هَونًا ... وصادَ الوَحشَ نملُهُمُ دَبيبَا[٦]
وما ريحُ الرّياضِ لهَا ولكِن ... كَساها دَفنُهُم في التُّربِ طيبَا
أيا من عادَ رُوحُ المجدِ فيهِ ... وصارَ زَمانهُ البالي قَشيبَا[٧]

(١) البطش: الأخذ بالعنف والسطوة.
(٢) الغرض: الهدف يرمى بالسهام.
(٣) الندوب: أثر الجرح.
(٤) الأفواق: جمع فوق بالضم: موضع الوتر من السهم.
(٥) النزع: جذب الوتر للرمي. الرمي: المرمى.
(٦) الهون: الرفق والسكينة. الدبيب: المشي على هينة.
(٧) القشيب: الجديد.

تَيَـمـمني وكـيلُكَ مـادحًـا لي ... وأنشَـدَني مِنَ الشّـعـرِ الغَـريبَـا[١]

فـآجَـرَكَ الإلَـهُ على عَليلٍ ... بَعَـثتَ إلى المسـيحِ بهِ طَبِـيـبَـا

ولَستُ بمنكِرٍ منكَ الهَـدايَا ... ولَكِن زِدتَني فـيـهـا أديبَـا

فـلا زالَت دِيارُكَ مُـشـرِقـاتٍ ... ولا دانَيت يا شَـمسُ الغُـرُوبَا[٢]

لأصـبِحَ آمِنًا فـيكَ الرّزايا ... كـمَـا أنَا آمِنٌ فـيكَ العُـيُـوبَا

(١) تيممني: قصدني.

(٢) دانيت: قاربت وأشرفت.

الصاعقة السادسة: آخرُ ما الملكُ معزّىً به(*)

آخرُ مَا الملكُ مُعَزّى بِهِ ... هذا الذي أثرَ في قَلْبِهِ

لا جَزَعًا بَل أنفًا شَابَهُ ... أن يَقدِرَ الدّهرُ على غَصْبِهِ(١)

لو دَرَتِ الدنيَا بما عِندَهُ ... لاستَحيَتِ الأيّامُ من عَتْبِهِ

لَعَلّهَا تحسَبُ أنّ الذي ... لَيسَ لدَيهِ لَيسَ من حِزْبِهِ

وأنّ مَن بَغدادُ دارٌ لَهُ ... ليس مُقيمًا في ذَرَا عَضْبِهِ(٢)

وأنّ جَدّ المَرءِ أوطانُهُ ... مَن ليس منها ليس من صُلْبِهِ

أخَافُ أن تَفطَنَ أعداؤهُ ... فَيُجفلُوا خَوفًا إلى قُرْبِهِ

لابُدّ للإنسانِ من ضَجعَةٍ ... لا تَقلِبُ المُضجَعَ عن جَنْبِهِ

يَنسى بها ما كانَ من عُجبِهِ ... ومَا أذاقَ الموتُ من كَرْبِهِ

تَبخَلُ أيدِينَا بأرواحِنَا ... على زَمَانٍ هي من كَسْبِهِ

فَهَذِهِ الأرواحُ من جَوّهِ ... وهَذِهِ الأجسامُ من تُرْبِهِ

لَو فكّرَ العَاشِقُ في مُنتَهَى ... حُسنِ الذي يَسبيهِ لم يَسْبِهِ(٣)

لم يُرَ قَرنُ الشّمسِ في شَرقِهِ ... فَشَكّتِ الأنفُسُ في غَرْبِهِ

(*) مناسبة القصيدة: يرثي عَمَّة عضد الدولة ببغداد.

(١) الأنف: الحمية. شابه: خامره.

(٢) الذرا: الكنف.

(٣) يسبيه: يأسره.

يموتُ راعي الضأن في جهلهِ ... ميتة جالينوس في طبّهِ

وَرُبما زَادَ على عُمرِهِ ... وَزَادَ في الأمنِ على سِرْبِهِ[1]

وَغَايَةَ المُفرِطِ في سلمِهِ ... كَغَايةِ المُفرِطِ في حَرْبِهِ

فَلا قَضَى حاجَتَهُ طالب ... فُؤادُهُ يَخفقُ من رُعبِهِ

أستَغفرُ اللهَ لشَخصٍ مضَى ... كانَ نَداهُ مُنتَهى ذَنبِهِ

وكانَ مَن عَدّدَ إحْسَانَهُ ... كأنّما أفرَطَ في سَبِّهِ

يُريدُ من حُبّ العلى عَيشَهُ ... ولا يُريدُ العَيشَ من حُبّهِ

يَحسَبُهُ دافنُهُ وَحدَهُ ... وَمَجدُهُ في القبرِ من صَحبِهِ

ويُظهِرُ التّذكيرُ في ذِكرِهِ ... ويُستَرُ التأنيثُ في حُجبِهِ

أُختُ أبي خَيرِ أميرٍ دَعَا ... فَقَالَ جَيشٌ للقَنا : لَبّهِ

يا عَضُدَ الدّولَةِ مَن رُكنُها ... أبُوهُ والقَلبُ أبُو لُبّهِ

وَمَن بنوهُ زَينُ آبائه ... كأنّهَا النُّورُ على قُضبِهِ

فَخراً لدَهرٍ أنتَ من أهلِهِ ... ومُنجِب أصبَحتَ من عَقْبِهِ

إنّ الأسَى القرنُ فَلا تُحيِهِ ... وسَيفُكَ الصّبرُ فلا تُنبِهِ

ما كانَ عندي أنّ بَدرَ الدّجَى ... يُوحشُهُ المَفقُودُ من شُهبِهِ

حاشاكَ أن تَضعُفَ عن حَملِ ما ... تَحَمّلَ السّائرُ في كُتبِهِ

وَقَد حَمَلتَ الثقلَ من قلبِهِ ... فأغنَتِ الشّدةُ عَنْ سَحبِهِ

---

(١) سربه: نفسه.

يَدخُلُ صَبرُ المَرءِ في مَدحِه ... وَيَدخُلُ الإشفَاقُ في ثَلبِه[1]

مِثلُكَ يَثني الحُزنَ عن صَوبِهِ ... وَيَستَرِدّ الدّمعَ عن غَربِه

إيمَا لإبقَاءٍ عَلى فَضْلِه؛ ... إيما لتَسليم إلى رَبّه[2]

وَلم أقُلْ مِثلُكَ أعني بِهِ ... سِواكَ يا فَرْدًا بِلا مُشبِهِ

(١) الإشفاق: الخوف. الثلب: الذم.

(٢) إيما: لغة في إمّا.

obeikandl.com

الصاعقة السابعة: فهمتُ الكتاب أبر الكُتُبْ(*)

فَـهـمتُ الكتـابَ أبَرَّ الكُتُبْ ... فَسَمعًا لأمرِ أميرِ العَربْ(١)

وَطَوعًا لَهُ وابتِهاجًا بِهِ ... وإن قَصّرَ الفِعلُ عَمّا وَجَبْ

ومَا عَاقَني غَيرُ خَوفِ الوُشاةِ ... وإن الوِشايات طُرْقُ الكَذِبْ

وتَكثِيرِ قَومٍ وتَقليلِهم ... وتَقريبِهِم بَينَنَا والخَبَبْ

وَقَد كَانَ يَنصُرُهُم سَمعُهُ ... ويَنصُرُني قَلبُهُ والحَسَبْ

ومَا قُلتُ للبَدرِ أنتَ اللجَينُ ... وما قُلتُ للشمسِ أنتِ الذّهَبْ

فَيَقلقَ منه البَعيدُ الأنَاةِ ... ويغضبَ منه البطيءُ الغَضَبْ(٢)

ومَا لاقني بَلَدٌ بعدكُمْ ... ولا اعتَضْتُ من رَب نعمايَ رَبْ(٣)

وَمَن رَكِبَ الثورَ بَعدَ الجَوَا ... دِ أنكَرَ أظلافَهُ والغَبَبْ(٤)

وَمَا قِستُ كُلَّ مُلُوكِ البِلادِ ... فَدَع ذِكرَ بعضٍ بِمَن في حلَبْ

ولَو كُنتُ سَمّيتُهُم باسمِهِ ... لَكَانَ الحَديدَ وكانُوا الخَشَبْ

أفي الرّأي يُشبَهُ أم في السّخَا ... ءِ أم في الشّجاعةِ أم في الأدبْ

(*) مناسبة القصيدة: رداً على كتاب سيف الدولة الذي أرسله إليه يطلب إليه القدوم إليه.

(١) أبر: أصدق.

(٢) الأناة: الرفق والحلم.

(٣) لاقني: أمسكني وحبسني.

(٤) الأظلاف: جمع ظلف. وهو للبقرة بمنزلة الحافر للدابة. الغبب: اللحم المتدلي تحت حنك البقرة.

obeikandl.com

مُبَارِكُ الاسمِ أغَرُّ اللّقَبْ كَرِيمُ الجِرشّى شرِيفُ النّسَبْ[١]

أخُو الحربِ يُخدِمُ مما سبَى قَنَاهُ ويَخلَعُ مما سَلَبْ[٢]

إذا حازَ مالًا فَقَد حازَهُ فَتى لا يُسَرّ بما لا يَهَبْ

وإنّي لأتبعُ تَذكَارَهُ صَلاةَ الإلَهِ وَسَقيَ السُّحُبْ[٣]

وأثني عَليه بآلائِهِ وأقربُ منه نأى أو قَرُبْ[٤]

وإن فارقتني أمطارُهُ فأكثر غُدرَانهَا ما نضبْ[٥]

أيَا سَيفَ ربكَ لا خلقِهِ ويا ذا المكارمِ لا ذا الشطبْ[٦]

وأبعَدَ ذي همّةٍ همّةً وأعرَفَ ذي رُتبَةٍ بالرتبْ

وأطعَنَ مَن مَسّ خَطّيّةً وأضرَبَ من بحُسامِ ضربْ

بذا اللفظ ناداك أهلُ الثغورِ فلبيت والهامُ تحت القضبْ

وقد يئسوا من لذيذ الحياةِ فعينٌ تغُورُ وقلبٌ يجبْ[٧]

وغرّ الدمستق قولُ العُدَا ة إن عليًّا ثقيلٌ وصبْ[٨]

---

(١) الجرشى: النفس.

(٢) أخو الحرب: ملازمها.

(٣) الصلاة: بمعنى البركة.

(٤) آلائه: نعمه.

(٥) نضب: غار.

(٦) الشُّطب: جمع شطبة: الطريقة في متن السفينة.

(٧) تغور: تدخل في الرأس. يجب: يخفق.

(٨) الثقيل: الشديد المرض.

وقد علمت خيلُهُ أنهُ ... إذا همّ وهو عليلٌ ركبْ
أتاهُم بأوسعَ من أرضِهِمْ ... طوال السبيب قصار العُسُبْ[١]
تغيبُ الشواهقُ في جيشِهِ، ... وتبدو صغاراً إذا لم تغبْ
ولا تعبرُ الريحُ في جَوّهِ ... إذا لم تخطّ القنا أو تشبْ[٢]
فغرّق مدْنَهُمُ بالجُيُوشِ ... وأخفت أصواتهم باللجبْ
فأخبث به طالبًا قَتلَهُمْ ... وأخبِث به تاركًا ما طلبْ
نأيتَ فقاتلهُم باللّقاءِ ... وجئت مقاتلهم بالهربْ
وكانُوا لهُ الفَخرَ لما أتَى ... وكُنتَ له العُذرَ لما ذهبْ
سَبَقتَ إليهم منایاهُمُ ... ومنفعةُ الغَوث قبلَ العطبْ
فخروا لخالقهم سجدًا ... ولو لم تغث سجدوا للصلبْ
وكم ذدت عنهم ردى بالرّدى ... وكشَّفْتَ من كُربٍ بالكربْ[٣]
وقد زعموا أنه إن يعُدْ ... يعُدْ معه الملك المعتصِبْ[٤]
ويستنصران الذي يعبُدانِ ... وعندهما أنه قد صلبْ
ليدفع ما نالهُ عنهما ... فيا للرجال لهذا العجبْ
أرى المسلمين مع المشركيـ ... ـن إما لعجزٍ وإما رهبْ

(١) السبيب: شعر الناصية والعرف. العسب: عظام الذنب.
(٢) تخط: تتجاوز.
(٣) ذاد عنه: دافع عنه. الكرب: الهموم والأحزان.
(٤) المعتصب: المتوج.

وأنت مع الله في جانبٍ قليلُ الرقاد كثيرُ التعبْ
كأنك وحدك وحدتهُ ودان البريّة بابنٍ وأبْ
فليت سيوفك في حاسدٍ إذا ما ظهرتَ عليهم كئبْ[1]
وليت شكاتك في جسمِهِ وليتك تجزي ببُغض وحُبْ
فلو كنت تجزي به نلتُ منـ ـك أضعف حظ بأقوى سَبَبْ

(١) ظهرت: غلبت. كئب: حَزِن.

obeikandl.com

الصاعقة الثامنة: بغيرك راعياً عبث الذئابُ(*)

بِغَيرِكَ راعيًا عبث الذئابُ ... وغيرَك صارمًا ثلمَ الضرابُ(١)

وتملكُ أنفسَ الثقلين طُرًّا ... فكيف تحوز أنفسَها كلابُ(٢)

وما تركوكَ معصيةً ولكنْ ... يُعافُ الوردُ والموتُ الشرابُ(٣)

طلبتهم على الأمواه حتى ... تخوف أن تُفتشهُ السحابُ

فبت لياليًا لا نوم فيها ... تخُبُّ بك المسوَّمةُ العرابُ

يهز الجيشُ حَولَكَ جانبيْه ... كما نفضتْ جناحيها العُقابُ

وتَسألُ عنهمُ الفَلَوَاتِ حتى ... أجابك بعضها وهم الجوابُ

فَقاتلَ عن حريمهم وفرّوا ... ندى كفيك والنسبُ القُرَابُ(٤)

وحفظك فيهم سلفي مَعَدٍ ... وأنَّهم العشائرُ والصحابُ

تكفكف عنهم صم العَوَالي ... وقد شَرِقَتْ بظُعنِهِمِ الشعابُ(٥)

وأسقطت الأجنة في الوَلايَا ... وأجهضت الحَوائِل والسقابُ(٦)

(*) مناسبة القصيدة: قالها حينما انتصر سيف الدولة على بني كلاب عند ماءين يعرفان بالغبّارات والخرّارت.

(١) عبث به: استخف. الضراب: الضاربة.

(٢) طرّاً: جميعًا.

(٣) عاف الشيء: كرهه.

(٤) القراب: القريب.

(٥) شرقت: غَصَّت.

(٦) الولايا: جمع ولية: البرذعة وما تحتها. الحوائل: الإناث من أولاد الإبل. السقاب: الذكور.

وعمرو في ميامنهم عمورٌ ... وكعبٌ في مَياسِرهم كعابُ

وقد خذَلَتْ أبو بكر بنيهَا ... وخاذلها قُريطٌ والضِّبابُ[١]

إذا ما سرتَ في آثار قومٍ ... تخاذلتِ الجماجمُ والرّقابُ

فعدن كما أخذن مكرَّمات ... عليهنّ القَلائدُ والملابُ[٢]

يُثِبنَك بالذي أوليت شُكرًا ... وأينَ من الذي تُولي الثوابُ

وليس مصيرهنَّ إليك شينًا ... ولا في صَوْنهنّ لَديكَ عابُ[٣]

ولا في فقدهن بني كلابٍ ... إذا أبصرنَ غُرَّتَكَ اغترابُ

وكيف يتمُّ بأسك في أناسٍ ... تُصيبُهُمُ فيُؤلمك المصَابُ

ترفَّقْ أيها المولى عليهم ... فإن الرِّفقَ بالجاني عِتَابُ

وإنهمُ عبيدُك حيث كانوا ... إذا تدعو لحادثةٍ أجابوا

وعينُ المخطئين هُمُ وليسوا ... بأول معشرٍ خطئُوا فتابوا

وأنت حياتهم غضبت عليهُمْ ... وهَجرُ حياتهم لهم عقابُ

وما جهلتْ أياديك البَوادي ... ولكن ربما خفي الصوابُ[٤]

وكم ذنبٍ مُولِّدهُ دلالٌ ... وكم بعدٍ مولِّدهُ اقترابُ

---

(١) خذله: ترك نصرته.

(٢) الملاب: ضرب من الطيب.

(٣) الشين والعاب: العيب.

(٤) أياديك: نعمك. البوادي: خلاف المدن.

وجـرمٍ جـرّهُ سـفـهـاءُ قـوم ... وحل بغـيـر جـارمـه العـذابُ
فـإن هابوا بجـرمـهم عليًـا ... فـقـد يرجـو عَلِيًّـا من يهـابُ
وإن يكُ سـيفُ دولةِ غـيـرِ قـيسٍ ... فـمنه جلود قَـيسٍ والثـيـابُ
وتحتَ ربابه نبـتـوا وأثّوا ... وفي أيامـه كـثُـرُوا وطابوا[1]
وتحتَ لوائه ضـربوا الأعَـادي ... وذلَّ لهم من العـرب الصـعـابُ
ولو غـيـرُ الأمـيـر غـزا كـلابًا ... ثناهُ عن شُـمُـوسِـهِم ضـبـابُ[2]
ولاقى دون ثـأيِـهِم طـعـانًـا ... يُلاقي عـنـدهُ الذئبَ الغـرابُ[3]
وخـيـلًا تغـتـذي ريحَ المَوامي ... وَيَكفـيـهـا من المَاء السّـرَابُ[4]
ولكِن رَبُّهُم أسـرَى إليـهِمْ ... فـمـا نَفَعَ الوقـوفُ ولا الذّهابُ
ولا لـيـلٌ أجـنّ ولا نـهـارٌ ... ولا خـيـلٌ حـملن ولا رِكَـابُ
رمـيـتـهم ببـحـرٍ من حـديدٍ ... له في البـرّ خلفـهم عُـبَـابُ
فـمـسـاهم وبسطهم حَـريرٌ ... وصـبـحـهم وبسطهم تُرَابُ
ومن في كـفـه منهم قـناةٌ ... كـمن في كـفـه منهم خِـضـابُ
بنو قـتـلى أبيك بأرض نجـدٍ ... ومن أبقى وأبقـتـه الحِـرابُ

---

(١) الرباب: السحاب. أثّ النبات: كثر والتف.
(٢) ثناه: رده.
(٣) الثأي: جمع ثأية: مأوى الإبل والغنم حول البيوت.
(٤) الموامي: جمع موماة: الفلاة.

عـفـا عنهم وأعـتـقـهم صـغـارًا وفي أعناق أكـثـرهم سِـخـابُ[1]

وكـلكـم أتى مـــأتى أبـيـــه وكلٌّ فـعـال كلكم عُـجَـابُ

كـذا فليَـسـرِ من طلب الأعـادي ومـثلَ سـراك فليكُنِ الطِّلابُ

(١) سخاب: قلادة تلبسها الصبيان.

obeikandl.com

الصاعقة التاسعة: أيدري ما أرابك من يُريبُ(*)

أيدري مـــا أرابَكَ من يريبُ ... وهل ترقى إلى الفَلَكِ الخطوبُ(١)

وجسمُك فوق همةِ كل داءٍ ... فقربُ أقلها منه عجيبُ

يجشِّمُكَ الزمانُ هوى وحُبًّا ... وقد يُؤذي من المقةِ الحبيبُ(٢)

وكيف تُعِلُّك الدنيا بشيءٍ ... وأنت لِعِلّةِ الدنيا طَبيبُ

وكيف تنوبك الشكوى بداءٍ ... وأنت المستغاثُ لما ينُوبُ(٣)

مَللتَ مُقامَ يوم ليسَ فيه ... طعانٌ صادقٌ ودمٌ صَبيبُ

وأنتَ المرءُ تمرضُهُ الحشايَا ... لهمته وتشفيه الحروبُ(٤)

وما بك غيرُ حُبّكَ أن تَراهَا ... وعثيرُها لأرجِلها جنيبُ(٥)

مُجَلِّحَةً لها أرضُ الأعادي ... وللسمر المناحرُ والجنوبُ(٦)

فَقَرطهَا الأعنة رَاجِعَاتٍ ... فإنّ بعيد ما طَلَبَت قريبُ(٧)

إذا داءٌ هَفَا بُقراطُ عَنهُ ... فلم يُعرف لصاحبه ضريبُ(٨)

(*) مناسبة القصيدة: قالها عندما زار سيف الدولة لجرحٍ أصابه.

(١) أرابه: شككه وجعل عنده ريبة.

(٢) جشمه: غازله ولاعبه. المقة: المحبة.

(٣) تنوبك: تصيبك.

(٤) الحشايا: جمع حشية: الفراش المحشو.

(٥) العثير: الغبار.

(٦) جلح: أقدم.

(٧) قرط اعنان: أرخاه.

(٨) هفا: زل. بقراط: الطبيب المشهور. الضريب: النظير.

بسَـــيفِ الدولَةِ الوُضّـــاءِ تمسي جُـفُـوني تحت شَـمسٍ مـا تغـيبُ[1]

فـأغــزو من غــزا وبـه اقــتــداري وأرمـي مـن رمـى وبـه أصـــــيبُ

وللحُـســادِ عــذرٌ أن يشِــحّــوا عـلـى نـظـري إلـيـــــه وأن يـذوبـوُا

فـــإني قـــد وصلتُ إلى مكانٍ عليـــه تحـســدُ الحـدق القُلُوبُ

(١) الوضّاء: الحسن.

obeikandl.com

الصاعقة العاشرة: مُنًى كن لي أن البياض خضابُ(*)

مُنًى كُنّ لي أن البَياضَ خِضابُ ... فيَخفَى بتَبييضِ القُرون شَبابُ(١)

ليَاليَ عندَ البِيضِ فَوادِيَ فِتنةٌ ... وَفَخرٌ وذاك الفخر عنديَ عابُ(٢)

فكيف أذُم اليَوم ما كنتُ أشتَهي ... وأدعُو بما أشكُوهُ حينَ أُجَابُ

جلا اللونُ عن لونٍ هدى كلَّ مسلكٍ ... كمَا انجابَ عن ضَوءِ النّهارِ ضَبابُ

وفي الجسمِ نَفسٌ لا تشيبُ بشيبِه ... ولو أن ما في الوَجهِ منهُ حِرَابُ

لهَا ظُفْرٌ إنْ كَلَّ ظُفرٌ أُعِدّهُ ... ونَابٌ إذا لم يَبقَ في الفَمِ نَابُ

يُغيِّر مني الدهرُ ما شاء غيرهَا ... وأبلُغُ أقصَى العُمرِ وهيَ كَعابُ

وإني لنَجمٌ تَهتَدي صُحبتي بِهِ ... إذا حالَ من دون النّجومِ سَحَابُ

غنيٌّ عن الأوطانِ لا يستخِفّني ... إلى بَلَدٍ سَافرتُ عنهُ إيابُ

وعن ذَمَلانِ العِيسِ إن سامحَتْ بِهِ ... وإلا فَفي أكوَارِهِنّ عُقَابُ(٣)

وأصدَى فلا أُبدي إلى الماء حاجةً ... وللشّمسِ فوق اليَعمَلاتِ لُعابُ(٤)

وللسِّرّ مني موضِعٌ لا يَنَالُهُ ... نَديمٌ ولا يُفضي إليه شَرَابُ

(*) مناسبة القصيدة: يمدح بها كافور الأخشيدي، ملك مصر.

(١) القرون: ضفائر الشَّعر.

(٢) الفودان: جانبا الرأس. العاب: العيب.

(٣) الذملان: السير السريع. الأكوار: جمع كور: الرحل.

(٤) أصدى: أعطش. اليعملات: النياق الجميلة.

وللخَـوْدِ مني سـاعـةٌ ثم بيننا فَـلاةٌ إلى غـيـر اللقـاء تُجـابُ[١]

ومـا العـشق إلا غـرّةٌ وطَمَـاعـةٌ يُعـرِّضُ قلبٌ نفـسـهُ فـيُـصـابُ

وغـيـر فُـؤادي للغَـوَاني رَمـيّـةٌ وغَـيـرُ بنَاني للزجَـاج رِكَـابُ[٢]

تَركنا لأطراف القنا كُلَّ شَـهـوَةٍ فـلـيس لـنـا إلا بـهِـن لِـعَـابُ

نُصـرّفـهُ للطّعن فَـوقَ حَـوَادرٍ قـد انقصـفَتْ فـيهنّ منه كِعَـابُ[٣]

أعـزُّ مكان في الدنى سـرجُ سـابحٍ وخـيـرُ جليسٍ في الزمان كِـتـابُ[٤]

وبحـرُ أبي المسْكِ الخـضمُّ الذي لهُ على كلّ بحـرٍ زخـرةٌ وعُـبـابُ[٥]

تجـاوزَ قـدر المدحِ حـتى كـأنّهُ بأحـسَنِ مـا يُثنى عليـه يُعَـابُ

وغـالبَـهُ الأعـداءُ ثم عنوْا لهُ كـمـا غالبتْ بيضَ السيـوفِ رِقابُ

وأكـثـرُ مـا تلقى أبا المسْكِ بذلَةً إذا لـم تَصُنْ إلا الحَـديدَ ثِيَـابُ[٦]

وأوسَعُ مـا تَلقـاهُ صَـدراً وخلفَـهُ رمـاءٌ وطعنٌ والأمَـامَ ضِـرَابُ

وأنفـذُ مـا تلقـاهُ حكمًـا إذا قَـضَى قـضـاءً مُلُوكُ الأرض منه غـضـابُ

يقـودُ إليـه طاعـةَ الناسِ فـضلُهُ ولو لم يقُـدْهَا نَائلٌ وعِـقَـابُ

---

(١) الخود: المرأة الناعمة. تُجاب: تقطع.

(٢) رميَّة: هدف. الزجاج: كؤوس الخمر.

(٣) السمان: الغلاظ.

(٤) سابح: الفرس السريع.

(٥) الخضم: الماء الكثير. العُباب: كثرة الموج وارتفاعه.

(٦) بذلة: ترك الصيانة.

أيا أسـدًا في جسـمِه روحُ ضَيـغَمٍ ... وكم أسـدٍ أرواحُـهُنّ كِـلابُ

ويا آخـذًا من دهرِه حقَّ نفسِـه ... ومِـثلُكَ يُعطَى حَـقَّـه ويُهـابُ

لـنا عـندَ هذا الـدهرِ حقٌّ يَـلُطّهُ ... وَقَـدْ قَلّ إعـتـابٌ وطَالَ عِـتَـابُ[١]

وقـد تُحدِثُ الأيامُ عندك شـيـمَـةً ... وتَنعَـمِـرُ الأوقـاتُ وهي يبـابُ[٢]

ولا مُلْكَ إلا أنت والمُلكُ فَـضلَةٌ ... كـأنك سـيفٌ فـيـه وهو قِـرَابُ

أرى لي بقـرْبي منك عـينًا قَـريرَةً ... وإن كـانَ قُـربًا بالبِـعَـادِ يُشَـابُ[٣]

وهل نـافعي أن تُرفَعَ الحـجبُ بَينَنا ... ودُونَ الذي أمّلتُ منكَ حِـجـابُ

أقلُّ سـلامي حُبَّ مـا خفّ عَنكُمُ ... وأسكُتُ كَيـمَـا لا يَكونَ جَـوَابُ

وفي النفسِ حـاجـاتٌ وفـيكَ فَطَانَةٌ ... سُكُوتي بَيَـانٌ عندها وخِطابُ

ومـا أنا بالبـاغي على الحبِّ رِشـوَةً ... ضَـعيفُ هوى يُبغَى عليـه ثَوَابُ[٤]

ومـا شِـئتُ إلا أن أدُلّ عَـوَاذِلي ... عَلى أنّ رأيـي في هَوَاكَ صَـوَابُ

وأُعلِمَ قَـومًـا خَـالفُـوني فـشَـرَّقُـوا ... وَغَـرّبتُ أني قـد ظَفِـرتُ وَخَـابُوا

جَـرَى الخُلفُ إلا فـيكَ أنَّكَ واحِـدٌ ... وأنّـكَ لَـيـثٌ والمُـلُـوكُ ذِئَـابُ

وأنك إن قُـويِسْتَ صـحَّف قـارِئٌ ... ذِئَابًا ولم يُخطئ فَـقَـالَ ذُبَابُ

---

(١) يلطه: يجحده. الإعتاب: الإرضاء.

(٢) الشيمة: الخلق. تنعمر: تؤهل. اليباب: الخالي.

(٣) يُشاب: يمزح.

(٤) الباغي: الطالب.

وإنَّ مـــديحَ النـاسِ حقٌ وبـاطِلٌ ومَـدحُكَ حقٌّ لـيسَ فـيـهِ كِـذابُ
إذا نِلتُ منك الوُدّ فـــالمالُ هَينٌ وكُلُّ الذي فَـوقَ التّـــرَابِ تُرَابُ
ومـا كُنتُ لولا أنتَ إلا مُـهـاجِـرًا لَهُ كلَّ يَـوم بلدةٌ وصِـــحـــابُ
ولكِنَّكَ الدَّنيَـا إليّ حَـبـيـبَـةً فَـمَـا عَنكَ لي إلا إليكَ ذَهَابُ

obeikandl.com

الصاعقة الحادية عشرة: أغالبُ فيك الشوق والشوق أغلبُ(*)

أغالبُ فيك الشَّوقَ والشَّوقُ أغلَبُ ... وأعجبُ من ذا الهجرِ والوصلُ أعجبُ

أمـــا تغلطُ الأيامُ فيَّ بأنْ أرَى ... بغيضًا تنائي أو حبيبًا تُقرّبُ

ولله سَيْري ما أقَلّ تئيّةً ... عَشِيَّةَ شَرقيّ الحَدَالي وغُرَّبُ(١)

عَشِيةَ أحفى الناسِ بي من جفوتُهُ ... وأهدَى الطريقَينِ التي أتجنبُ(٢)

وكم لظلام الليل عندكَ من يدٍ ... تخبِّر أن المَانَويّةَ تكذِبُ(٣)

وَقَاكَ رَدَى الأعداء تسري إليهم ... وزَارَكَ فيه ذو الدّلالِ المحجّبُ

وَيَومٍ كَلَيلِ العَاشِقينَ كَمَنتُهُ ... أُرَاقِبُ فيه الشّمسَ أيّانَ تَغرُبُ(٤)

وَعَيني إلى أُذنَي أغَرَّ كأنّهُ ... منَ الليلِ باقٍ بَينَ عينيْهِ كوكبُ

لهُ فَضلةٌ عن جسمِهِ في إهَابِهِ ... تجيءُ على صَدرٍ رَحيبٍ وتذهَبُ(٥)

شَقَقتُ بِهِ الظّلماءَ أُدني عِنَانَهُ ... فيَطغَى وأُرخيهِ مرارًا فيلعَبُ(٦)

وأصْرَعُ أي الوَحشِ قَفّيتُهُ بِهِ ... وأنزلُ عنه مثلهُ حين أركَبُ(٧)

(*) مناسبة القصيدة: يمدح بها كافور الأخشيدي. سنة ٣٤٠هـ.

(١) التئية: التوقف. الحدالي: موضع بالشام. غرب: جبل بالشام.

(٢) أحفى: أكرم.

(٣) اليد: النعمة.

(٤) كمنته: استترت فيه.

(٥) الإهاب: الحلية.

(٦) أدنى: أقرب. عنانه: سير لجامه. يطغى: ينشط.

(٧) قفيته: اتبعته.

ومَـا الخَـيلُ إلا كـالصّـديقِ قليلةٌ ... وإن كـثُـرَتْ في عَين من لا يجـرّبُ

إذا لم تُشاهِد غَيـرَ حُسنِ شِياتِهَا ... وأعضائِهَا فالحُسنُ عنكَ مُغيّبُ[1]

لحى الله ذي الدنيـا مناخًـا لراكبٍ ... فكُلُّ بَعيـدِ الهَمّ فيـهَـا مُـعَذَّبُ[2]

ألا ليت شعـري هَل أقولُ قصيدةً ... فَـلا أشـتَكي فـيـهـا ولا أتَعـتَّبُ

وبي مـا يَذودُ الشّـعـرَ عني أقَلُّهُ ... ولكِنّ قَلبي يا ابنَةَ القَـومِ قُلَّبُ[3]

وأخـلاقُ كـافـورٍ إذا شئتُ مَدحـهُ ... وإن لـم أشـأ تملي عليَّ وأكـتُبُ

إذا تـرك الإنسـان أهلاً وراءهُ ... ويمم كـافُـورًا فَـمَـا يَتَـغَـرّبُ

فـتى يملأُ الأفـعـالَ رأيًا وحكمـةً ... ونـادرةً أحـيَـانَ يرضَى ويغـضبُ

إذا ضربتْ في الحرب بالسيف كفُّه ... تبيّنتَ أن السيفَ بالكفِّ يضـربُ

تزيدُ عطاياهُ على اللبث كـثـرةً ... وتلبثُ أمـواه السّـحـاب فـتنضبُ

أبا المسك هل في الكأسِ فضلٌ أنالُه ... فـإنّي أغنّي منذ حينٍ وتشـرَبُ

وهبتَ على مـقـدارِ كـفَّيْ زَمـانِنَا ... ونفسي على مقدارِ كفَّيْك تطلُبُ

إذا لـم تنط بي ضـيـعـةً أو ولايةً ... فجُودُك يكسوني وشُغلُكَ يسلبُ[4]

يضـاحكُ في ذا العيـد كلٌّ حـبيبـهُ ... حـذائي وأبكي من أحب وأندُبُ

---

(١) الشياك الألوان.

(٢) لحا: قَبَّح. المناخ: المنزل.

(٣) يذود: يطرد ويدفع.

(٤) تنط: تعلق وتفوض.

أحنّ إلى أهلي وأهوى لقاءهُمْ ... وأين من المشتاقِ عنقاءُ مغربُ[١]

فإن لم يكن إلا أبو المسك أو هُمُ ... فإنك أحلى في فؤادي وأعذبُ

وكلُّ امرئٍ يولي الجَميلَ مُحَبّبٌ ... وكل مكان ينبتُ العِزَّ طيِّبُ

يريد بك الحُسّادُ ما الله دافعٌ ... وسمرُ العوالي والحديدُ المذرَّبُ[٢]

ودون الذي يبغون ما لو تخلّصُوا ... إلى الموتِ منه عشتَ والطفلُ أشيبُ

إذا طلبوا جدواك أعطوا وحُكِّموا ... وإن طلبوا الفضلَ الذي فيك خُيبوا[٣]

ولو جاز أن يحووا عُلاك وهَبتَهَا ... ولكن من الأشياءِ ما ليسَ يوهَبُ

وأظلمُ أهلِ الظُّلمِ من باتَ حاسِداً ... لمن باتَ في نعمائه يَتَقَلبُ

وأنتَ الذي ربيت ذا المُلكِ مُرضَعًا ... ولَيسَ لهُ أمٌّ سِواكَ ولا أبُ[٤]

وكنتَ له ليثَ العرين لشِبْلِه ... وما لكَ إلا الهِندُوَانيّ مِخلَبُ

لقيت القنا عنه بنفسٍ كريمةٍ ... إلى الموتِ في الهَيجا من العارِ تهرُبُ[٥]

وقد يتركُ النفس التي لا تهابُهُ ... ويَختَرمُ النفسَ التي تَتَهيّبُ[٦]

وما عَدِمَ اللاقوك بأسًا وشدّةً ... ولكن من لاقَوا أشَدُّ وأنجَبُ

---

(١) العنقاء: طائر خرافي.

(٢) المذرب: المحدد.

(٣) الجدوى: العطية. حكموا: جعلوا الهم الحكم.

(٤) ذو الملك: ابن الإخشيد.

(٥) الهيجاء: الحرب.

(٦) يخترم: يهلك.

ثَنَاهم وبَرقُ البيض في البيض صَادقٌ عليهم وَبَرقُ البَيض في البيض خُلَّبُ[١]

سللتَ سيوفًا علّمتْ كل خاطبٍ على كل عودٍ كيف يدعو وَيخطُبُ[٢]

ويغنيك عما ينسبُ الناسُ أنهُ إليك تناهى المكرُماتُ وتنسَبُ

وأي قبيلٍ يستحِقُّكَ قدرُهُ معدٌّ بن عدنان فداك ويعربُ[٣]

وما طَربي لما رأيتُكَ بِدعَةً لقد كنتُ أرجُو أن أرَاكَ فأطرَبُ

وتعذُلُني فيكَ القَوافي وهِمَّتي كأني بمدح قَبلَ مَدحِكَ مُذنبُ

ولكنهُ طالَ الطَّريقُ ولم أزلْ أُفَتِّش عن هذا الكلامِ ويُنهَبُ

فشَرَّقَ حتى ليسَ للشَّرق مَشرِقٌ وغرَّب حتى ليس للغربِ مَغرِبُ

إذا قُلْتُهُ لم يمتنع من وُصُولِهِ جِدارٌ معلًّى أو خباءٌ مُطنّبُ[٤]

(١) ثناهم: ردهم. التبيض: الخوذ. الخلب: الكاذب الذي لا مطر فيه.
(٢) العود: العنبر.
(٣) القبيل: الجماعة.
(٤) الخباء: الخيمة. المطنب: المشدود بالأطناب.

الصاعقة الثانية عشرة: من الجآذر في زي الأعاريب(*)

من الجـــآذرُ في زيِّ الأعـــاريبِ ... حمـر الحلى والمطايا والجلابيبِ(١)

إن كنت تسألُ شكًا في مَعارفِها ... فَمَنْ بَلاكَ بتسهيدٍ وتعذيبِ

لا تَجْزِني بضنًى بي بعدها بَقَرٌ ... تجزي دموعي مسكوبًا بمسكوبِ

سوائرٌ ربما سارتْ هَوادجُها ... منيعةً بينَ مطعونٍ ومضروبِ

وربما وخدت أيدي المطيِّ بها ... على نجيعٍ من الفُرسان مصبوبِ

كم زورةٍ لك في الأعرابِ خافيةٍ ... أدهى وقدْ رقدوا من زورةِ الذيبِ(٢)

أزورهمْ وسوادُ الليل يشفعُ لي ... وأنثني وبياضُ الصبحِ يُغْري بي

قد وافقوا الوَحشَ في سُكنى مراتعِها ... وخالفوها بتقويضٍ وتطنيبِ

جيرانُها وهم شرٌّ الجوار لها ... وصَحبُها وهم شرّ الأصاحيبِ

فُؤادُ كل محبّ في بيوتهم ... ومالُ كل أخيذِ المال محروبِ(٣)

ما أوجهُ الحضرِ المستحسناتُ به ... كأوجه البدويَّات الرعابيبِ(٤)

حُسْنُ الحَضَارةِ مجلوبٌ بتطريةٍ ... وفي البداوةِ حسْنٌ غيرُ مجلوبِ

(*) مناسبة القصيدة: قالها يمدح كافور الأخشيدي، سنة ٣٤٦هـ.

(١) الجآذر: جمع جؤذر، وهو ولد البقرة الوحشية. الأعاريب: جمع أعراب وهم سكان البادية. الجلابيب: جمع جلباب، وهي الملحفة تلبسها المرأة فوق ثيابها.

(٢) أدهى: من الدهاء وهو المكر.

(٣) المحروب: الذي أخذ جميع ماله.

(٤) الرعابيب: الطوال الممتلئة.

أين المعيزُ من الآرام ناظرةً ... وغيرَ ناظرةٍ في الحسْنِ والطيبِ[١]

أفدي ظِبَاءَ فلاةٍ ما عَرَفنَ بهَا ... مضغَ الكلامِ ولا صبغَ الحواجيبِ[٢]

ولا برزنَ من الحمّام ماثلةً ... أوراكهن صقيلاتِ العراقيبِ[٣]

ومنْ هَوى كلّ من ليستْ مُمَوَّهةً ... تركت لون مشيبي غيرَ مخضوبِ[٤]

ومن هوى الصدقَ في قولي وعادته ... رغبتُ عن شعرٍ في الرأس مكذوبِ

ليت الحوادثَ باعتني الذي أخذت ... مني بحِلمي الذي أعطتْ وتجريبي

فما الحداثة من حلمٍ بمانعةٍ ... قد يوجدُ الحلمُ في الشبَّان والشيبِ

ترعرعَ الملك الأستاذ مكتهلًا ... قبل اكتهال أديبًا قبل تأديبِ

مجربًا فهمًا من قبلِ تجربةٍ ... مهذبًا كرمًا من غير تهذيبِ

حتى أصابَ من الدنيا نهايتَها ... وهمُّهُ في ابتداءاتٍ وتشبيبِ

يدبرُ المُلْكَ من مصر إلى عدنٍ ... إلى العراق فأرَضِ الروم فالنوبِ

إذا أتتها الرياحُ النكبُ من بلدٍ ... فما تهبُّ بها إلا بترتيبِ[٥]

ولا تجاوزُها شمسٌ إذا شَرَقتْ ... إلا ومنه لها إذن بتغريبِ

يُصرّف الأمرُ فيها طينُ خاتمه ... ولو تطلّس منه كلُّ مكتوبِ[٦]

---

(١) ناظرة: مقبلة.

(٢) ظباء الفلاة: نساء البدو.

(٣) ماثلة: شاخصة.

(٤) التمويه: التزوير.

(٥) النكب: جمع نكباء: وهي التي تنحرف في مهبها على غير الجهات الأربع.

(٦) تطلس: انمحى.

يحطّ كلَّ طويلِ الرمحِ حاملُهُ ... من سرجِ كلِّ طويلِ الباعِ يعبوبِ[١]

كأنَّ كلّ سؤالٍ في مسامعِهِ ... قميصُ يوسفَ في أجفانِ يعقوبِ

إذا غزتْه أعاديه بمسألةٍ ... فقد غزتْه بجيشٍ غيرِ مغلوبِ

أو حاربَتْه فما تنجو بتقدمةٍ ... مما أراد ولا تنجو بتجبيبِ[٢]

أضرَّتْ شجاعتُه أقصى كتائبِهِ ... على الحمامِ فما موتٌ بمرهوبِ[٣]

قالوا هَجَرتَ إليه الغيثَ قلتُ لهم ... إلى غيوثِ يديْه والشآبيبِ[٤]

إلى الذي تهبُ الدّولاتِ راحَتُهُ ... ولا يمنّ على آثارِ موهَوبِ

ولا يروعُ بمغدورٍ به أحداً ... ولا يُفزِّعُ موفوراً بمنكوبِ

بلى يَروعُ بذي جيشٍ يُجَدِّله ... ذا مثله في أحمّ النقع غربيبِ[٥]

وجدتُ أنفعَ مالٍ كنت أذخرُهُ ... ما في السوابق من جري وتقريبِ

لمّا رأينَ صروفَ الدهرِ تغدرُ بي ... وفينَ لي ووفتْ صمُّ الأنابيبِ[٦]

فُتْنَ المهالكَ حتى قال قائلُها ... ماذا لقينا من الجُردِ السّراحيبِ[٧]

تهوي بمنجردٍ ليست مذاهبُهُ ... للبس ثوبٍ ومأكولٍ ومشروبِ[٨]

---

(١) اليعبوب: الفرس السريع.
(٢) التجبيب: القرار.
(٣) أضرت: جرأت.
(٤) الشآبيب: الدفعة من المطر.
(٥) يجدله: يصرعه. الأحم: الأسود. الغريب: الشديد السواد.
(٦) الصم: الصلاب. الأنابيب: ما بين العقدتين من الرمح.
(٧) السراحيب: الفرس الطويلة.
(٨) تهوي: تسرع. مذاهبه: رحلاته.

يرى النجومَ بعينيْ من يحاولُها ... كأنّها سلبٌ في عينِ مسلوبِ[١]

حتى وصلتُ إلى نفس محجَّبةٍ ... تلقى النفوسَ بفضلٍ غير محجوبِ

في جسم أروعَ صافي العقلِ تُضحكُهُ ... خلائقُ الناسِ إضحاكَ الأعاجيبِ

فالحمدُ قبلُ له والحمدُ بعدُ لها ... وللقنا ولإدلاجي وتأويبي

وكيف أكفرُ يا كافورُ نعمَتَها ... وقد بلغنَك بي يا كلَّ مطلوبِي

يا أيَّها الملكُ الغاني بتسميَةٍ ... في الشرقِ والغربِ عن وصفٍ وتلقيبِ[٢]

أنت الحبيبُ ولكني أعوذُ بِهِ ... من أن أكون محبًّا غيرَ محبوبِ

(١) المحاولة: طلب الشيء بالحيلة

(٢) الغاني: المستغني.

obeikandl.com

الصاعقة الثالثة عشرة: يا أخت خير أخٍ يا بنت خير أب(*)

يا أختَ خيرِ أخٍ يا بنتَ خيرِ أبٍ ... كنايةً بهما عنْ أشرفِ النَّسَبِ

أجلُّ قدركِ أن تُسْمَيْ مُؤبّنةً ... ومن يصفْكِ فقدْ سَمّاكِ للعَرَبِ

لا يملكُ الطَّربُ المحزونُ منطقَهُ ... ودمعُه وهمًّا في قبضةِ الطربِ(١)

غدرتَ يا موتُ كم أفنيتَ من عددٍ ... بمن أصبتَ وكم أسكتَّ من لجبِ

وكم صحبتَ أخاها في منازلةٍ ... وكم سألتَ فلم يبخلْ ولم تخبِ

طوى الجزيرةَ حتى جاءني خبرٌ ... فزعتُ فيه بآمالي إلى الكذبِ

حتى إذا لم يدعْ لي صدقُهُ أملًا ... شرقتُ بالدمع حتى كادَ يشرقُ بي

تعثَّرتْ به في الأفواهِ ألسُنُها ... والبُرْدُ في الطُّرقِ والأقلامُ في الكتُبِ(٢)

كأن فعله لم تملأْ مَواكِبُها ... ديار بكرٍ ولم تخلعْ ولم تهبِ

ولم تردَّ حياة بعد توليهِ ... ولم تغثْ داعيًا بالويلِ والحرَبِ(٣)

أرى العراقَ طويلَ الليلِ مذ نُعيَتْ ... فكيفَ ليلُ فتى الفتيانِ في حلبِ

يظنُّ أن فؤادي غيرُ ملتهَبٍ ... وأن دمعَ جفوني غيرُ مُنسكبِ

بلى وحُرمَةِ منْ كانتْ مراعيَةً ... لحرمةِ المجدِ والقصَّادِ والأدبِ

(*) مناسبة القصيدة: يعزي سيف الدولة بوفاة أخته، سنة ٣٥٢هـ.

(١) الطرب: خفة تأخذ بالإنسان من فرط الحزن أو السرور.

(٢) البرد: الرسل.

(٣) التولية: الذهاب والإدبار.

ومن مضتْ غيرَ موروثٍ خلائقُها ... وإن مضتْ يدُها موروثةَ النشبِ[١]

وهمُّها في العُلى والمجدِ ناشئةً ... وهمُّ أترابِها في اللهوِ واللعبِ

يعلمنَ حين تُحيَّا حسنَ مبسمِها ... وليس يعلمُ إلا اللهُ بالشَّنَبِ[٢]

مَسَرةٌ في قلوب الطِّيبِ مَفرِقُها ... وحرةٌ في قلوبِ البيضِ واليَلَبِ[٣]

إذا رأى ورآها رأس لابسِهِ ... رأى المقانعَ أعلى منهُ في الرُّتَبِ[٤]

وإن تكنْ خُلقتْ أنثى لقدْ خُلِقَتْ ... كريمة غيرَ أنثى العقْلِ والحسبِ

وإن تكن تغلبُ الغلباءُ عنصرَها ... فإن في الخمرِ معنى ليس في العنبِ[٥]

فليت طالعةَ الشمسين غائبةٌ ... وليتَ غائبةَ الشمسين لم تغبِ

وليت عين التي آب النهارُ بها ... فداء عين التي زالت ولم تؤُبِ

فما تقلّد بالياقوت مُشبِهُها ... ولا تقلّد بالهنديَّةِ القُضُبِ

ولا ذكرتُ جميلاً من صنائعِها ... إلا بكيتُ ولا ودٌّ بلا سَبَبِ

قد كان كلُّ حجابٍ دون رؤيتِها ... فما قنعتِ لها يا أرضُ بالحُجُبِ

ولا رأيتِ عيونَ الإنسِ تدركُها ... فهل حسدتِ عليها أعينَ الشُّهبِ

وهل سمعتِ سلامًا لي ألمَّ بها ... فقد أطلتُ وما سلّمتُ من كثبِ

---

(١) النشب: المال.

(٢) الشنب: برد الريق.

(٣) اليلب: الدروع اليمنية المصنوعة من الجلد.

(٤) المقانع: القناع.

(٥) الغلباء: العزيزة الممتنعة. عنصرها: أصلها.

وكيفَ يبلغ موتانا التي دُفنت ... وقد يقصِّرُ عن أحيائنا الغَيبِ[١]

يا أحسن الصَّبرِ زرْ أولى القلوبِ بها ... وقلْ لصاحبِه يا أنفعَ السُّحبِ

وأكرمَ الناسِ لا مستثنيًا أحَدًا ... من الكرامِ سوى آبائك النُّجبِ

قد كان قاسَمَكَ الشخصينِ دهرُهما ... وعاشَ دُرُّهمُا المفديُّ بالذهبِ

وعاد في طَلَب المتروكِ تاركُهُ ... إنا لنغْفُلُ والأيامُ في الطَّلبِ

ما كانَ أقصرَ وقتًا كان بينهُما ... كأنهُ الوقتُ بينَ الوردِ والقَربِ[٢]

جزَاكَ ربُّكَ بالأحزانِ مَغفرَةً ... فحزنُ كلّ أَخِي حزنٍ أخو الغضبِ

وأنتمْ نفرٌ تسخو نُفُوسُكُمُ ... بما يهبن ولا يَسخُونَ بالسلبِ

حللتْمُ من ملوكِ الأرضِ كلِّهمِ ... محلَّ سمرِ القنا من سائرِ القصبِ

فلا تنلكَ الليالي، إنَّ أيديَهَا ... إذا ضربنَ كسرنَ النبعَ بالغربِ[٣]

ولا يعنّ عدوًّا أنتَ قَاهرُهُ ... فإنهنّ يصدنَ الصّقرَ بالخربِ[٤]

وإن سررنَ بمحبوبٍ فجعْنَ بهِ ... وقد أتينَكَ في الحالينِ بالعجبِ

وربما احتسبَ الإنسانُ غايتَها ... وفاجأتْهُ بأمرٍ غيرِ محتسبِ

وما قَضى أحدٌ منْها لُبانَتَهُ ... ولا انتَهى أَرَبٌ إلا إلى أربِ[٥]

---

(١) الغيب: جمع غائب.

(٢) القرب: سير الليل لورد الغد.

(٣) النبع: شجر صلب. الغرب: نبت ضعيف.

(٤) الخرب: ذكر الحباري، وهو يضرب به المثل في البلاهة.

(٥) اللبانة والأرب: بمعنى الحاجة.

تخـالفَ النـاسُ حـتى لا اتـفـاقَ لـهُـمْ إلا على شَـجَبٍ والخلفُ في الشـجبِ[1]

فـقـيـلَ تَخْلُصُ نفسُ المرءِ سـالمةً وقـيل تشـركُ جسمَ المرءِ في العطبِ

ومن تـفكر في الدُّنيـا ومُـهـجَـتـهِ أقـامـهُ الـفكرُ بين العَـجـزِ والتـعبِ

(١) الشجب: الهلاك. الخلف: الاختلاف.

obeikandl.com

الصاعقة الرابعة عشرة: فديناك من ربعٍ وإن زدتنا كربا(*)

فَـديناكَ من رَبعٍ وإن زِدْتَنا كَـربا ... فإنَّكَ كنتَ الشرقَ للشمسِ والغَربْا(١)

وكـيفَ عـرفْنا رَسمَ منْ لم يَدَعْ لنا ... فـؤادًا لعِـرفـانِ الرسـومِ ولا لُبّـا

نزلْنا عن الأكـوارِ نمشي كَـرامَـةً ... لمن بانَ عنه أن نلمَّ به رَكـبـا(٢)

نَذُمُّ السحـابَ الغُـرَّ في فـعلِها بِهِ ... ونُعرضُ عنها كُلّما طلعتْ عتْبا

ومن صـحبَ الدُّنيـا طويلًا تقلبت ... على عينهِ حتى يرى صدقَها كذبا

وكيفَ التذاذي بالأَصائلِ والضّحى ... إذا لمْ يعـدْ ذاكَ النسـيمُ الذي هَبّـا

ذكـرتُ به وصـلاً كـأنْ لم أفـزْ بِهِ ... وعـيشًـا كـأنّي كنتُ أقطعهُ وثبا

وفـتّـانةَ العـينين قـتـالة الهَـوى ... إذا نفحتْ شـيخًـا روائحُـها شَبّـا

لهـا بَشَـرُ الدُّر الذي قُلّدَتَ بِهِ ... ولمْ أرَ بدرًا قـبْلَهـا قُلّد الشّـهـبـا

فيا شوقِ ما أبقى ويا لي من النَّوى ... ويا دمعِ ما أجرى ويا قلبِ ما أصبى

لقـد لَعبَ البينُ المشتُّ بهـا وبِي ... وزوَّدني في السَّيرِ ما زوَّدَ الضّبا(٣)

ومن تكنِ الأسدُ الضـوارِي جُدودَه ... يكنْ ليلهُ صُبحًا ومطعمهُ غصبا

ولستُ أبالي بعـدَ إدراكِيَ العُلى ... أكـان تراثًا مـا تناولتُ أمْ كَـسْبـا؟

(*) مناسبة القصيدة: يمدح بها سيف الدولة، سنة ٣٤١هـ.

(١) الكرب: الحزن.

(٢) الأكوار: رحال الجمال. نلمّ: ننزل.

(٣) المشتت: المفرق. الضب: دابة معروفة.

فـربَّ غـلامٍ علَّمَ المجـد نفـسَـهُ كتعليمِ سيفِ الدولةِ الطعنَ والضَّربا
إذا الدولةُ استكفتْ به في ملمَّةٍ كفاها فكانَ السيفَ والكفَّ والقلبا
تُهابُ سُيُوفُ الهندِ وهي حدائدٌ فكيفَ إذا كانتْ نزاريّةً عُرْبا[١]
ويُرهبُ نابُ الليثِ والليثُ وَحدَهُ فكيفَ إذا كان الليوثُ له صَحْبا
ويخشى عُبابُ البحرِ وهوَ مكانهُ فكيفَ بمنْ يغشى البلادَ إذا عَبّا[٢]
عليمٌ بأسرارِ الدّياناتِ واللُّغى له خَطَراتٌ تفضحُ الناسَ والكُتبا
فبوركتَ من غيثٍ كأنَّ جُلُودَنا به تنبتُ الدّيباجَ والوشيَ والعَصْبا[٣]
ومن واهبٍ جزلًا ومنْ زاجرٍ هَلًا ومن هاتكٍ درْعًا ومن ناثرٍ قُصْبا[٤]
هنيئًا لأهلِ الثغرِ رأيكَ فيهم وأنكَ حزبَ اللهِ صرتَ لهم حِزبَا
وأنكَ رُعتَ الدهرَ فيها وريْبُهُ فإنْ شكَّ فليحدثْ بساحتِها خَطبا
فيومًا بخيلٍ تطردُ الرومَ عنهُمُ ويومًا بجودٍ تطردُ الفقرَ والجدبا
سراياك تترى والدُّمستُقُ هاربٌ وأصحابهُ قتلى وأموالُهُ نُهبى
أتى مرعشًا يَستقربُ البعدَ مقبلاً وأدبرَ إذ أقبلتَ يستبعدُ القربا[٥]
كذا يتركُ الأعداءَ منْ يكرهُ القنا ويقفلُ منْ كانتْ غَنيمتُهُ رُعبا

(١) نزارية: نسبة إلى قبيلة نزار المعروفة.
(٢) عباب البحر: معظمه. يغشى: يغطي. عبَّ: زخر وكثر موجه.
(٣) العصب: ضرب من برود اليمن.
(٤) القصب: المعى.
(٥) مرعش: المدينة التي بناها سيف الدولة.

وهلْ ردّ عنه باللُّقانِ وقوفُه ... صُدُورَ العَوالي والمُطهَّمَةَ القُبَّا[١]

مضى بعدما التفَّ الرّماحان ساعَةً ... كما يتلقّى الهُدبُ في الرّقدةِ الهُدبا

ولكنه ولّى وللطَّعنِ سَورَةٌ ... إذا ذَكَرتْها نفسُه لمسَ الجنْبا[٢]

وخلّى العذارى والبطاريق والقُرى ... وشُعث النصارى والقرابينَ والصُّلبا[٣]

أرى كلَّنا يبغي الحياةَ لنفسِهِ ... حريصًا عليها مُسْتهامًا بها صَبّا

فحُبّ الجبانِ النَّفسَ أورَدَهُ البَقا ... وحُبُّ الشجاعِ الحربَ أوردهُ الحرْبا

ويختلف الرّزقانِ والفعلُ واحدٌ ... إلى أن يرى إحسانُ هذا لذا ذَنبا

فأضحتْ كأنَّ السورَ من فوقِ بدئِهِ ... إلى الأرضِ قد شَقَّ الكواكبَ والتُّربا

تصدّ الرياحُ الهوجُ عنْها مخافَةً ... وتفزعُ فيها الطيرُ أن تلقُطَ الحَبّا

وتَردي الجيادُ الجُردُ فَوقَ جبالها ... وقد ندفَ الصِّنَّبرُ في طُرْقها العُطْبا[٤]

كَفى عَجَبًا أن يَعجَبَ الناسُ أنهُ ... بنى مَرْعشًا ؛ تبًّا لآرائهم تَبّا

وما الفرقُ ما بينَ الأنامِ وبينهُ ... إذا حذرَ المحذورَ واستصعبَ الصَّعبا

لأمرٍ أعدَّتْه الخلافَةُ للعدى ... وسمّته دونَ العالمِ الصارمَ العَضْبا

ولم تفترقْ عنه الأسنةُ رَحمةً ... ولم تتركِ الشّأمَ الأعادي لهُ حُبّا

---

(١) القُبّ: الضامر.

(٢) السورة: الحدّة.

(٣) الشعث: جمع أشعب: وهو مغبرُّ الرأس.

(٤) ردى الفرس: صفة بين العدو والمشي. الصنبر: الريح الباردة. العطب: القفر. وهو هنا الثلج.

ولكنْ نفاها عنه غيرَ كَريمَةٍ ... كريمُ الثنا ما سُبّ قطُّ ولا سَبّا

وجيشٌ يثني كُلَّ طودٍ كأنَّهُ ... خريقُ رياحٍ واجهت غُصُنًا رَطْبا[1]

كأنَّ نجومَ الليلِ خافَتْ مغارَهُ ... فمدّتْ عليها من عجاجتِه حُجبَا

فمنْ كان يُرضِي اللَّؤمَ والكفرَ مُلكُهُ ... فهذا الذي يُرضي المكارمَ والرّبّا

(١) الخريق: الشديدة الهبوب.

obeikandl.com

الصاعقة الخامسة عشرة: لا يُحزنِ اللهُ الأميرَ فإنني(*)

لا يُحـزنُ اللهُ الأمـيـرَ فـإنّني ... لآخـذُ منْ حـالاتِه بنصـيبِ
ومنْ سَـرّ أَهلَ الأرضِ ثم بكى أسى ... بكى بعـيـونٍ سـرّها وقلوبِ
وإنّي وإن كـانَ الدّفينُ حَـبـيـبَـهُ ... حبيبٌ إلى قلبي حبيبُ حبيبي
وقـدْ فـارَقَ الناسَ الأحِـبـةُ قَـبلَنا ... وأعـيـا دواءُ الموتِ كلَّ طبـيبِ
سُبِـقْنا إلى الدنيا فلوْ عاشَ أهلُها ... منعْنا بهـا من جـيـئـةٍ وذهُوبِ
تمـلّكَهـا الآتي تملُّكَ سـالـبٍ ... وفـارقَـهـا الماضي فـراقَ سليبِ
ولا فضلَ فيها للشجاعَةِ والنّدى ... وصبرِ الفتى لولا لقاءُ شعوبِ(١)
وأوفَى حـيـاةِ الغـابرينَ لصاحبٍ ... حـيـاةُ امرئٍ خانتْه بعدَ مشيبِ
لأبقى يماكٌ في حَـشـايَ صـبـابةً ... إلى كلِّ تركيِّ النّجـارِ جَليبِ(٢)
ومـا كُلُّ وجـهٍ أبيضٍ بمبـارَكٍ ... ولا كلُّ جـفنٍ ضـيِّقٍ بنجـيبِ
لئنْ ظَهَـرتْ فـينا عليـه كـآبةٌ ... لقـد ظهـرتْ في حدّ كل قضـيبِ
وفي كُلِّ قـوسٍ كلَّ يومٍ تناضُل ... وفي كلِّ طرفٍ كلَّ يومٍ ركـوبِ
يَعِـزُّ عليـهِ أن يُخِلَّ بِعـادةٍ ... وتدعـو لأمـر وهو غـيـرُ مُجيبِ

(*) مناسبة القصيدة: يعزي سيف الدولة بوفاة أحد عبيده، سنة ٣٤هـ.
(١) شعوب: اسم للموت.
(٢) النجار: الأصل. الجليب: المجلوب.

وكنتُ إذا أبصَرتُهُ لكَ قائمًا ... نظرتُ إلى ذي لبدتينِ أديبِ[١]

فإنْ يَكُنِ العلقَ النفيسَ فقدتَهُ ... فمنْ كفِّ متلافٍ أغرّ وهُوبِ[٢]

كأنَّ الرَّدى عادٍ على كُلِّ ماجدٍ ... إذا لم يُعَوَّذْ مجدهُ بعُيُوبِ[٣]

ولَولا أيادي الدهرِ في الجمعِ بَينَنا ... غفلْنا فلمْ نشعرْ له بذنوبِ

وللتَّركُ للإحسانِ خيرٌ لمحسنٍ ... إذا جعلَ الإحسانَ غيرَ ربيبِ[٤]

وإنَّ الذي أمستْ نزارٌ عَبيدَهُ ... غنيٌّ عن استعباده لغريبِ

كَفى بصَفاءِ الوُدِّ رقًّا لمثلهِ ... وبالقربِ منهُ مَفْخراً للبيبِ

فَعُوِّضَ سيفُ الدولة الأجرَ إنّهُ ... أجلُّ مثابٍ من أجلِّ مثيبِ[٥]

فتى الخيلِ قد بلَّ النجيعُ نحورَها ... يُطاعنُ في ضنْكِ المقامِ عصيبِ[٦]

يعافُ خيامَ الرَّيطِ في غَزواتهِ ... فما خيمُهُ إلا غُبارُ حُرُوبِ

عَلينا لكَ الإسعادُ إن كانَ نافعًا ... بشقّ قلوبٍ لا بشقّ جيوبِ[٧]

فَربّ كثيبٍ ليس تَندى جُفُونُهُ ... وربّ نَديّ الجَفنِ غَيرُ كَئيبِ

تسلّ بفكرٍ في أبيك فإنما ... بَكَيتَ فكانَ الضّحكُ بعدَ قريبِ

---

(١) ذو اللبدتين: الأسد. واللبدة: الشعر المتراكب على الكتف.
(٢) العلق: النفيس. المتلاف: الذي يتلف أمواله جودًا. الأغر: الشريف.
(٣) عاد: اعتدى.
(٤) الربيب: التام.
(٥) المثَاب: المجازى. الشيب: المجازي.
(٦) النجيع: الدم. الضنك: الضيق. العصيب: الشديد.
(٧) الإسعاد: الإعانة.

إذا استقبلتْ نفسُ الكريم مصابها ... بخُبثٍ ثنت فاستَدبَرَتهُ بطيبِ[١]

وللواجدِ المكروبِ من زفراته ... سكونُ عزاءٍ أو سُكونُ لُغُوبِ[٢]

وكمْ لكَ جداً لم ترَ العينُ وجههُ ... فلم تجرِ في آثارِه بغُروبِ[٣]

فدتْك نفوسُ الحاسدينَ فإنها ... معذبةٌ في حضرةٍ ومَغيبِ

وفي تعبٍ من يحسدُ الشمسَ نورَها ... ويَجهَدُ أن يأتيَ لَها بضَريبِ[٤]

(١) الخبث: الكره. شنت: رجعت.
(٢) الواجد: الحزين. اللغوب: الإعياء.
(٣) غروب: جمع غرب وهو الدمع.
(٤) الضريب: النظير.

obeikandl.com

الصاعقة السادسة عشرة: أعيدوا صباحي فهوَ عندَ الكواعبِ(*)

أَعيدوا صباحي فهوَ عندَ الكَواعبِ ... وردّوا رُقادي فهو لحظُ الحبائبِ

فإنَّ نهاري ليلةٌ مُدْلَهِمّةٌ ... على مُقلةٍ من بعدكُمْ في غياهبِ(١)

بعَيدَةِ ما بينَ الجُفُونِ كأنّما ... عقدتُم أعالي كلِّ هُدبٍ بحاجبِ

وأحسبُ أني لو هويتُ فراقَكُم ... لفارقْتُهُ والدّهرُ أخبثُ صاحبِ

فيا ليتَ ما بيني وبينَ أحبتي ... من البُعدِ ما بيني وبينَ المصائبِ

أراكِ ظَننتِ السّلكَ جسمي فعُقتِه ... عليك بدُرٍّ عن لقاءِ الترائبِ

ولو قلمٌ أُلقيتُ في شقّ رأسِه ... من السّقم ما غيّرتُ منْ خطّ كاتبِ

تُخَوِّفُني دونَ الذي أمرتْ بهِ ... ولم تدرِ أنَّ العارَ شرُّ العواقبِ

ولابدَّ منْ يومٍ أغرَّ محجَّلٍ ... يطولُ استِماعي بَعدَهُ للنوادبِ(٢)

يهونُ على مثلي إذا رامَ حاجةً ... وُقوعُ العوالي دونَها والقَواضبِ

كثيرُ حياءِ المرءِ مثلُ قَليلِها ... يزولُ وباقي عيشِه مثلُ ذاهبِ

إليكِ فإني لستُ ممن إذا اتَّقى ... عضاضَ الأفاعي نامَ فوقَ العقاربِ

أتاني وعيدُ الأدعياءِ وأنهم ... أعدّوا لِيَ السّودانَ في كفرِ عاقبِ(٣)

(*) مناسبة القصيدة: قالها يمدح بها أبا القاسم طاهر بن الحسين العلوي.

(١) مدلهمة: شديدة السواد. الغياهب: الظلمات.

(٢) الأغر: الأبيض. المحجل: ما كان في قوائمه بياض.

(٣) الأدعياء: جمع دعي، وهو من انتسب إلى غير أبيه. كفر عاقب: اسم قرية بالشام.

ولو صدقُوا في جدّهم لحَذِرتُهم ... فَهَلْ فيّ وحدي قَولُهم غيرُ كاذبِ
إليّ لَعَمري قصدُ كلِّ عَجيبَةٍ ... كأنّي عَجيبٌ في عُيُونِ العَجائبِ
بأي بلادٍ لم أجُرَّ ذُؤابَتي ... وأيُّ مكانٍ لم تطأهُ ركائبي
كأنَّ رحيلي كانَ منْ كفّ طاهرٍ ... فأثبتَ كوري في ظهورِ المواهبِ
فلم يبقَ خلقٌ لم يردْنَ فناءهُ ... وهنّ له شُرْبٌ ورودَ المشاربِ
فتى علّمتْهُ نفسُهُ وجدودهُ ... قراعَ العوالي وابتذالَ الرّغائبِ
فقدْ غيّبَ الشُّهَّادَ عنْ كلِّ موطنٍ ... وردّ إلى أوطانه كلَّ غائبِ
كذا الفاطميّونَ النّدى في بنانهمْ ... أعزُّ أمّحاءً منْ خطوطِ الرَّواجبِ[١]
أُناسٌ إذا لاقوا عدًى فكأنما ... سلاحُ الذي لاقوْا غُبارُ السّلاهبِ
رموْا بنواصيها القسيَّ فجئنَها ... دَوامي الهَوادي سالماتِ الجَوانبِ[٢]
أولئكَ أحلى منْ حياةٍ مُعادَةٍ ... وأكثرُ ذكراً منْ دهورِ الشبائبِ[٣]
نصرتَ عليًا يا ابنهُ ببَواترٍ ... من الفعْلِ لا فلٌّ لها في المضارِبِ
وأبهرُ آياتِ التّهاميّ أنَّهُ ... أبوكَ وأجدى ما لكُمْ من مَناقِبِ[٤]
إذا لم تكنْ نفسُ النّسيبِ كأصلِهِ ... فماذا الذي تُغني كرامُ المناصبِ[٥]

---

(١) الرواجب: مفاصل الأصابع.
(٢) الهوادي: الأعناق.
(٣) الشبائب: جمع شبيبة.
(٤) التهامي: أراد به الرسول صلى الله عليه وسلم. أجدى: أنفع. المناقب: المفاخر.
(٥) النسيب: الشريف. المناصب: الأصول.

وما قربتْ أشباهُ قومٍ أباعدٍ ... ولا بعدتْ أشباهُ قومٍ أقارِبِ

إذا عَلَوِيٌّ لم يكنْ مثلَ طاهرٍ ... فما هوَ إلا حُجّةٌ للنواصبِ[1]

يَقولونَ تأثيرُ الكَواكبِ في الورَى ... فما بالُه تأثيرُهُ في الكواكبِ

عَلا كَتَدَ الدُّنيا إلى كُلِّ غايَةٍ ... تسيرُ به سَيرَ الذلولِ براكبِ[2]

وحُقّ له أن يسبقَ الناسَ جالسًا ... ويدركَ ما لمْ يُدركوا غيرَ طالبِ

ويُحْذى عَرانينَ المُلوكِ وإنّها ... لمنْ قَدَمَيْه في أجَلّ المَراتبِ

يدٌ للزمانِ الجمعُ بيني وبينهُ ... لتفريقِه بيني وبينَ النوائبِ

هو ابنُ رسولِ اللهِ وابنُ وصيّهِ ... وشبهُهُما شبّهتُ بعدَ التّجارِبِ

يرى أنّ ما بانَ منكَ لضاربٍ ... بأقتلَ مما بانَ منكَ لعائبِ

ألا أيُّها المالُ الذي قدْ أبادَهُ ... تعزَّ فهذا فِعْلُهُ بالكتائبِ

لعلّكَ في وقتٍ شغلتَ فؤادَهُ ... عن الجودِ أو كثَّرتَ جيشَ مُحارِبِ

حملتُ إليه من لساني حَديقةً ... سقاها الحجى سقيَ الرِّياض السّحائبِ[3]

فحُيّيتَ خيرَ ابنٍ لخيرِ أبٍ بها ... لأشرفِ بيتٍ في لُؤيّ بنِ غالبِ

---

(١) النواصب: الذين خرجوا على علي بن أبي طالب رضي الله عنه.

(٢) الكتد: ما بين الكاهل إلى الظهر. الذلول: الدابة المذللة للركوب.

(٣) الحديقة: البستان، وهو هنا القصيدة نفسها. الحجى: العقل.

الصاعقة السابعة عشرة: بأبي الشموسُ الجانحاتُ غواربا(*)

بأبي الشموسُ الجانحاتُ غواربَا ... اللابساتُ منَ الحَريرِ جلابَبا
المنْهباتُ عقولنَا وقُلُوبَنَا ... وجناتِهنّ الناهباتِ النّاهبَا(١)
الناعماتُ القاتلاتُ المُحيياتُ ... المُبدياتُ منَ الدّلالِ غرائبَا
حاولنَ تفديتي وخفنَ مُراقبا ... فَوضَعنَ أيديهن فوقَ ترائبَا
وبسمْنَ عنْ بَردٍ خشيتُ أذيبُهُ ... منْ حَرّ أنْفاسي فكُنتُ الذائبَا
يا حبذا المتحمّلُونَ وحَبّذا ... وادٍ لثمتُ به الغَزالةَ كاعبَا
كيفَ الرجاءُ من الخُطوبِ تخلُّصًا ... من بعدِ ما أنشبنَ فيّ مخالبَا(٢)
أوحدْتَني ووجدْنَ حُزْنًا واحدًا ... متناهيًا فجعلنهُ لي صاحبَا
ونصبْنني غرضَ الرّماةِ تُصيبُني ... محنٌ أحدُّ منَ السيوفِ مضاربَا
أظمتنيَ الدنيا فلمّا جئتُهَا ... مستسقيًا مطرتْ عليّ مصائبَا
وحُبيتُ منْ خُوصِ الرّكابِ بأسودٍ ... من دارشٍ فغدوتُ أمشي راكبَا(٣)
حالٌ متى عَلمَ ابنُ منصورٍ بهَا ... جاءَ الزمانُ إليّ منها تائبَا
مَلكٌ سِنَانُ قناتِهِ وبنانُهُ ... يتباريانِ دمًا وعُرفًا ساكبَا(٤)

(*) مناسبة القصيدة: يمدح بها حاجب سيف الدولة علي بن منصور.
(١) الناهب: الشجاع.
(٢) الخطوب: الأمور العظام. أنشبن: علقن.
(٣) حبيت: أعطيت. الخوص: جمع أخوص، وهو غائر العينين. الدارش: جلد أسود.
(٤) يتباريان: يتعارضان. العرف: المعروف.

يستصغرُ الخطَرَ الكبيرَ لوفده ... ويظنّ دجلةَ ليسَ تكفي شاربَا[١]

كرمًا فلو حدّثْتَهُ عن نفسه ... بعظيمِ ما صنعتَ لظنّك كاذبَا

سلْ عنْ شجاعته وزُرْهُ مُسالمًا ... وحذارِ ثم حَذارِ منهُ مُحاربَا

فالموتُ تُعرَفُ بالصّفاتِ طباعُهُ ... لم تلقَ خلْقًا ذاقَ موتًا آثبَا[٢]

إن تلْقَهُ لا تلقَ إلا جحفلًا ... أو قسطلًا أو طاعنًا أو ضاربَا[٣]

أو هاربًا أو طالبًا أو راغبًا ... أو راهبًا أو هالكًا أو نادبَا

وإذا نظرتَ إلى الجبالِ رأيتَهَا ... فوقَ السهولِ عواسلًا وقواضبَا[٤]

وإذا نظرتَ إلى السهولِ رأيتَهَا ... تحتَ الجبالِ فوارسًا وجنائبَا[٥]

وعجاجة تركَ الحديدُ سوادَها ... زنجًا تبسّمُ أو قذالًا شائبَا[٦]

فكأنما كُسيَ النهارُ بها دُجَى ... ليلٍ وأطلعتِ الرّماحُ كَواكبَا

قد عسكرتْ معها الرّزايا عَسكَرًا ... وتكتّبتْ فيها الرّجالُ كتائبَا

أسدٌ فرائسُها الأسودُ يقُودُها ... أسدٌ تصيرُ له الأسودُ ثعالبَا

في رُتبةٍ حجبَ الورى عن نَيلِها ... وعلا فسمَّوه عليَّ الحاجبَا

---

(١) الخطب: الأمر العظيم.

(٢) آثبا: راجعا.

(٣) القسطل: غبار الحرب.

(٤) العواسل: الرماح. القواضب: السيوف.

(٥) الخبائب: الخيول.

(٦) العجاجة: الغبار. القذال: مؤخر الرأس.

ودعـوْهُ من فـرطِ السـخـاء مُـبـذّرًا ... ودعوْهُ من غصبِ النفوسِ الغَاصِبَا

هذا الذي أفنى النُّضـارَ مـواهبًـا ... وعِـداهُ قَـتلًا والزمـانَ تجَـاربَا

ومُـخـيِّبُ العـذّال مما أملُوا ... منهُ وليسَ يردُّ كـفًّـا خـائبَـا

هذا الذي أبصـرتُ منهُ حـاضـرًا ... مـثلَ الذي أبصـرْتُ منه غـائبَـا

كـالبـدرِ من حـيثُ التـفتَّ رأيتـهُ ... يُهـدي إلى عـينيْك نُورًا ثاقبَـا[1]

كـالبـحرِ يقـذفُ للقـريب جـواهرًا ... جُـودًا ويبـعثُ للبَـعيـدِ سـحائبَـا

كالشمسِ في كبدِ السماءِ وضَوؤها ... يغـشى البـلادَ مـشـارقًـا ومـغـاربَا

أمُـهَـجِّنَ الكُرَمـاءِ والمُزري بهِـمْ ... وتـروكَ كلِّ كـريمِ قـومٍ عـاتبَـا[2]

شـادوا منَاقـبـهُمْ وشـدْتَ مَنَاقبًـا ... وُجـدتَ مناقـبُـهُم بهنّ مـثـالبَـا[3]

لبـيكَ غـيظَ الحـاسـدينَ الرّاتبَـا ... إنا لنَخـبُـرُ من يديْكَ عـجـائبَـا[4]

تـدبيـرَ ذي حُنكٍ يُفكرُ في غَـدٍ ... وهجـومَ غـرٍّ لا يخـافُ عـواقبَـا[5]

وعطاءَ مـالٍ لـو عـداهُ طالبٌ ... أنفـقْـتَـهُ في أن تُلاقيَ طالبَـا[6]

خُـذْ من ثنايَ عليكَ مـا أسطيـعُـهُ ... لا تُلْزمنّي في الثناءِ الواجـبَـا

فلقـدْ دَهِشتُ لما فَـعَلتَ ودونَهُ ... مـا يُدهِشُ الملكَ الحَـفيظَ الكاتبَـا[7]

---

(١) الثاقب: المضيء.
(٢) هجنّه: قبّحه. أزرى: عاب.
(٣) شادوا: بنوا. المناقب: المفاخر. المثالب: المعايب.
(٤) الراتب: المقيم.
(٥) الحنك: جمع الحنكة، وهي الخبرة. الغر: الجاهل.
(٦) عداه: فاته.
(٧) الملك الحفيظ: هو الملك الذي يكتب الحسنات والسيئات.

الصاعقة الثامنة عشرة: دمعٌ جرى فقضى في الرّبعِ ما وجبا(*)

دمعٌ جرى فقضى في الرّبعِ ما وجَبَا ... لأهلِهِ وشفى أنّى ولا كربَا
عُجْنا فأذهبَ ما أبقى الفراقُ لنَا ... من العقولِ وما ردَّ الذي ذهبَا(١)
سقيتُهُ عبراتٍ ظنّها مَطَرًا ... سوائلًا من جُفونٍ ظنّها سُحُبَا
دارُ الملمِّ لها طيفٌ تَهَدّدَني ... ليلًا فما صدقتْ عيني ولا كذبَا(٢)
أنأيْتُهُ فدنا، أدنيتُهُ فنَأى، ... جمشتُهُ فنبا، قبلتُهُ فأبىَ(٣)
هام الفؤاد بأعرابيّةٍ سَكَنتْ ... بيتًا من القلبِ لم تمددْ له طُنُبَا
مظلومةُ القدّ في تشبيهِهِ غُصُنًا ... مظلومةُ الرّيقِ في تشبيهِهِ ضربَا(٤)
بيضاءُ تُطمِعُ في ما تحت حُلّتِها ... وعزّ ذلك مطلوبًا إذا طُلبَا(٥)
كأنها الشمسُ يُعيي كفَّ قابضِهِ ... شعاعُها ويراهُ الطرْفُ مقتربَا(٦)
مرّتْ بنا بين تربيها فقلت لهَا ... منْ أينَ جانسَ هذا الشادنُ العربَا(٧)
فاستضحكتْ ثم قالتْ كالمغيثِ يُرَى ... ليث الشّرى وهو منْ عجلٍ إذا انتسبَا(٨)

(*) مناسبة القصيدة: قالها يمدح المغيث بن علي بن بشر العجلي.
(١) عجنا: وقفنا.
(٢) الملم: الزائر.
(٣) أنايته: أيعدته. جشمته: داعبته. نبا: جفا.
(٤) الضرب: العسل.
(٥) حلتها: ثوبها.
(٦) أعياه: أعجزه. الطرف: النظر.
(٧) الترب: المساوي لغيره في العمر. الشادن: ولد الظبيه المستغني عن أمه.
(٨) الشرى: اسم موضع تكثر فيه الأسود. عجل: قبيلة الممدوح.

جاءتْ بأشجعَ من يُسْمى وأسمحَ من ... أعطى وأبلغَ منْ أملى ومنْ كتبَا
لو حلَّ خاطرُهُ في مُقعدٍ لمشَى ... أو جاهل لصحا أو أخرسٍ خطبَا
إذا بدا حجبتْ عينَيك هيبتُهُ ... وليسَ يحجبُهُ سترٌ إذا احتجبَا
بياضُ وجهٍ يريكَ الشمسَ حالكةً ... ودُرُّ لفظٍ يُريكَ الدُّرَّ مَخشلبَا[١]
وسيفُ عزمٍ تردّ السيفَ هبّتُهُ ... رطبَ الغرارِ من التأمورِ مختضبَا[٢]
عمرُ العدوِّ إذا لاقاهُ في رهجٍ ... أقلُّ منْ عمرِ ما يحوي إذا وهبَا
توقَّهُ فمتى ما شئتَ تبلُوَهُ ... فكنْ معاديهُ أو كنْ له نشبَا[٣]
تحلُو مذاقتُهُ حتى إذا غضبَا ... حالتْ فلو قطرتْ في الماءِ ما شُرِبَا[٤]
وتغبطُ الأرضُ منها حيثُ حلّ به ... وتحسُدُ الخيلُ منها أيَّها ركبَا
لا يردّ بفيهِ كفّ سائلِه ... عنْ نفسِهِ ويردُّ الجحفلَ اللجبَا[٥]
وكلما لقيَ الدينارُ صاحبَهُ ... في ملكهِ افترقَا من قبلِ يصطحبَا
مالٌ كأنّ غرابَ البين يرقُبُهُ ... فكلّما قيلَ هذا مُجتدٍ نعبَا[٦]
بحرٌ عجائبُهُ لم تُبقِ في سمرٍ ... ولا عجائبَ بحرٍ بعدها عجبَا[٧]

---

(١) المخشلب: حرز أبيض.
(٢) هبة السيف: مضاؤه. غراره: حدّه. التأمور: دم القلب.
(٣) النشب: المال.
(٤) حالت: تغيرت.
(٥) الجحفل: الجيش العظيم. اللجب: المختلط الأموات.
(٦) المجتدي: الطالب العطيّة.
(٧) السمر: حديث الليل.

لا يُقنعُ ابنَ عليّ نيلُ منزلةٍ ... يشكُو محاولُها التقصيرَ والتعبَا

هزَّ اللواءَ بنو عِجْلٍ به فَغَدا ... رأسًا لهم وغدا كُلٌّ لهم ذنبَا

التاركينَ منَ الأشياءِ أهوَنَها ... والراكبينَ من الأشياءِ ما صعُبَا

مبرقعي خيلهمْ بالبيض متخذي ... هامَ الكُماةِ على أرماحِهم عذبَا[١]

إن المنيّةَ لو لاقتهمُ وَقَفتْ ... خرقاءَ تتَّهمُ الإقدامَ والهَرَبَا[٢]

مراتبٌ صعدتْ والفكرُ يتبعهُا ... فجازَ وهوَ على آثارِها الشُّهُبَا[٣]

محامدٌ نزفتْ شعري ليملأها ... فآلَ ما امتلأتْ منه ولا نَضَبَا[٤]

مكارمٌ لك فُتَّ العالمينَ بها ... منْ يستطيعُ لأمرٍ فائتٍ طلبَا

لمّا أقمتَ بإنطاكيّةَ اختَلَفَتْ ... إليّ بالخبرِ الرُّكبانُ في حَلَبَا[٥]

فَسِرتُ نحوكَ لا ألوي على أحَدٍ ... أحُثّ راحلتيَّ: الفَقْرَ والأدَبَا[٦]

أذاقَني زمني بَلوىَ شَرِقتُ بها ... لو ذاقَها لبَكَى ما عاشَ وانتَحَبَا

وإنْ عَمَرتُ جَعَلتُ الحربَ والدةً ... والسّمهريَّ أخًا والمشرَفيَّ أَبَا

بكلّ أشعثَ يلقى الموتَ مُبتَسِمًا ... حتى كأنّ لهُ في قتلهِ أَرَبَا[٧]

---

(١) العَذَب: جمع عذبة، وهو الريش المعلّق في طرف الرمح.

(٢) الخرقاء: الحمقاء.

(٣) الشهب: الكواكب.

(٤) نزفت: استفرغت. آل: عاد. نضب: جفّ.

(٥) اختلفت: أتت جماعة بعد أخرى.

(٦) ألوي: أميل.

(٧) الأشعث: الأغبر. الأرب: الغاية.

قُحٍّ يكادُ صَهيلُ الخَيلِ يَقذِفُهُ عنْ سرجِهِ مرَحًا بالعِزّ أو طَرَبَا[١]

فالموتُ أعذَرُ لي والصّبرُ أجملُ بي والبَرُّ أوسَعُ والدّنيا لمن غلبَا

(١) القح: الخالص النسب.

obeikandl.com

الصاعقة التاسعة عشرة: سِرْبٌ مَحاسِنُهُ حُرِمتُ ذَواتِها(*)

سِـرْبٌ مَـحـاسِنُهُ حُـرِمتُ ذَواتِـهـا ... دانِي الصّفاتِ بَعيدُ مَوصوفاتِها(١)

أَوفى فكُنْتُ إذا رَمَـيـتُ بمقلَتي ... بَشَـرًا رأيتُ أرَقَّ مِن عَـبَـراتِـهـا(٢)

يَستاقُ عيسَهُمُ أنيني خَلفَها ... تَتَوَهّمُ الزَّفَراتِ زَجرَ حُداتِها

وكأنّها شَجَرٌ بَدَت لَكنّها ... شَجَرٌ جَنَيتُ المَوتَ من ثَمَراتِها

لا سِرتِ من إبلٍ لوَ انّي فَوقَها ... لَمَحَت حرازَةَ مَدمَعيّ سِماتِها(٣)

وحَمَلتُ ما حُمّلتِ من هذي المَها ... وحَملتِ ما حُمّلتُ من حسراتِها

إنّي على شَغَفي بِما في خُمرِها ... لأعِفُّ عَمّا في سَرابيلاتِها(٤)

وتَرى المُروّةَ والفُتُوّةَ والأبُوّ ... ةَ فيّ كُلُّ مَليحَةٍ ضَرّاتِها(٥)

هُنَّ الثّلاثُ المانِعاتي لَذّتي ... في خَلوَتي لا الخَوفُ من تَبِعاتِها

ومَطالِبٍ فيها الهَلاكُ أتَيتُها ... ثَبْتَ الجَنانِ كأنّني لَمْ آتِها

ومَقانِبٍ بمَقانِبٍ غادَرتُها ... أقواتَ وَحشٍ كُنّ من أقواتِها(٦)

(*) مناسبة القصيدة: يمدح بها أبا أيوب أحمد بن عمران.

(١) السرب: القطيع.

(٢) أوفى: أشرف. البشر: جمع بشرة، وهي ظاهر الجلد.

(٣) السمات: جمع سمة، وهي أثر الكي على الجلد.

(٤) السرابيلات: القمصان.

(٥) الفتوة: الكرم. الأبوة: عزة النفس.

(٦) المقانب: الطائفة من الخيل.

أقبلتُها غُررَ الجيادِ كأنّما ... أيدي بَني عِمرانَ في جَبَهاتِها[١]

الثّابتينَ فُروسةً كجُلُودِها ... في ظَهرِها والطّعنُ في لَبّاتِها[٢]

العارِفينَ بِها كَما عَرَفتهُمُ ... والرّاكِبينَ جُدودُهُمْ أُمّاتِها

فكأنّها نُتِجَت قِيامًا تَحتَهُمْ ... وكأنّهُمْ وُلِدوا على صَهَواتِها

إنّ الكِرامَ بِلا كِرامٍ مِنهُمُ ... مِثلُ القُلوبِ بلا سُوَيداواتِها[٣]

تِلكَ النّفُوسُ الغالِباتُ على العُلى ... والمَجْدُ يَغلبُها على شَهَواتِها

سُقِيتْ مَنابتُها التي سقَتِ الوَرى ... بنَدَى أبي أيّوبَ خيرِ نَباتِها

لَيسَ التّعَجّبُ من مَواهِبِ مالِهِ ... بَلْ مِنْ سَلامَتِها إلى أوقاتِها

عَجَبًا لهُ حَفِظَ العِنانَ بأنمُلٍ ... ما حِفْظُها الأشياءَ من عاداتِها

لَو مَرَّ يَركضُ في سُطورِ كتابَةٍ ... أحصى بحافِرِ مُهرِهِ ميماتِها

يَضَعُ السّنانَ بحيثُ شاءَ مجاوِلًا ... حتى مِنَ الآذانِ في أخراتِها[٤]

تَكبو وراءَكَ يا ابنَ أحمدَ قُرَّحٌ ... لَيسَت قَوائِمُهُنَّ مِنْ آلاتِها[٥]

رِعَدُ الفَوارِسِ مِنكَ في أبدانِها ... أجرى من العَسَلانِ في قَنَواتِها[٦]

---

(١) الغرر: البياض في وجه الفرس. الأيدي: النعم.

(٢) اللبات: جمع لبة وهو النحر.

(٣) سويداوات: جمع سويداء: وهي حبة القلب.

(٤) مجاولاً: مدافعاً ومطارداً. الأخرات: جمع خرت، وهو الثقب في الأذن.

(٥) تكبو: تسقط. القرح: جمع قارح، وهو من بلغ الخمسين من الخيل.

(٦) الرعد: الاضطراب. العسلان: الاهتزاز. القنوات: الرياح.

لا خَلقَ أسمَحُ منكَ إلاّ عارِفٌ ... بك راءَ نَفسَكَ لَم يقلْ لك هاتِها[١]

غَلِتَ الذي حَسَبَ العُشورَ بآيَةٍ ... تَرتيلُكَ السُّوراتِ مِنْ آياتِها[٢]

كَرَمٌ تَبَيَّنَ في كَلامِكَ ماثِلًا ... ويَبينُ عِتقُ الخَيلِ في أصواتِها

أعيا زَوالُكَ عَن مَحَلٍّ نِلتَهُ ... لا تَخرُجُ الأقمارُ عن هالاتِها[٣]

لا نَعذُلُ المرضَ الذي بِك شائِقٌ ... أنتَ الرِّجالَ وشائِقٌ عِلاّتِها

فإذا نَوَتْ سَفَرًا إليكَ سَبَقنَها ... فأضَفتَ قَبْلَ مُضافِها حالاتِها[٤]

ومَنازِلُ الحَمّى الجُسومُ فقُل لنا ... ما عُذرُها في تَركِها خَيراتِها[٥]

أعجَبتَها شَرَفًا فَطالَ وُقُوفُها ... لِتأمُّلِ الأعضاء لا لأذاتِها

وبَذَلتَ ما عَشِقَتهُ نَفسُكَ كلّه ... حتّى بذلت لهذه صِحّاتِها[٦]

حقُّ الكواكبِ أن تعودَكَ من عَلٍ ... وتَعُودَكَ الآسادُ مِنْ غاباتِها

والجنُّ من سُتَراتِها والوَحشُ من ... فَلَواتِها والطَّيرُ من وُكناتِها[٧]

ذُكرَ الأنامُ لَنا فكانَ قَصيدَةً ... كُنتَ البَديعَ الفَرْدَ من أبياتِها[٨]

---

(١) راء: لغة في رأى.
(٢) غلت: غلط في الحساب.
(٣) الهالات: جمع هالة، وهي دارة القمر.
(٤) الحالات: العلل.
(٥) خيراتها: أفضلها.
(٦) بذلت: جُدْت.
(٧) السترة: ما يُستتر به. وكنة الطير: عشه.
(٨) الأنام: الخلق.

في النّاسِ أمثِلَةٌ تَدورُ حَياتُها كَمَماتِها ومَماتُها كَحَياتِها[١]

فاليَومَ صِرتُ إلى الذي لَوْ أنّهُ مَلَكَ البَرِيّةَ لاستَقَلّ هِباتِها

مُستَرخصٌ نَظَرٌ إليه بما به نَظَرتْ وعَشرَةُ رِجْلِه بِدِياتِها[٢]

(١) أمثلة: صور.

(٢) الديات: جمع دية وهي ثمن الدم.

obeikandl.com

الصاعقة العشرون: أقلُّ فعالي بله أكثرهُ مجدُ(*)

أقلُّ فعالي بَلْهَ أكثرهُ مجدُ ... وذا الجدُّ فيه نلتُ أم لمْ أنل جدُّ(١)

سأطلُبُ حقي بالقنا ومشايخٍ ... كأنهمُ منْ طولِ ما التثموا مُردُ

ثقالٍ إذا لاقوْا خفافٍ إذا دُعُوا ... كثيرٍ إذا اشتدوا قليلٍ إذا عُدّوا

وطعنٍ كأنّ الطّعنَ لا طعنَ عندهُ ... وضربٍ كأنّ النارَ منْ حرّهِ بردُ

إذا شئتُ حفّتْ بي على كلِّ سابحٍ ... رجالٌ كأن الموتَ في فمها شَهْدُ(٢)

أذمُّ إلى هذا الزّمانِ أُهيْلهُ ... فأعلمهم فدمٌ وأحزمهم وغدُ(٣)

وأكرمُهُمْ كلبٌ وأبصرُهُمْ عمٍ ... وأسهدُهُمْ فهدٌ وأشجعُهم قردُ(٤)

ومن نكدِ الدنيا على الحُرّ أن يرى ... عدُوًّا له ما منْ صداقتِه بُدُّ(٥)

بقلبي وإن لم أروَ منها ملالةٌ ... وبي عن غوانيها وإنْ وصلتْ صدُّ

خليلايَ دونَ الناسِ حُزنٌ وعبرةٌ ... على فقدِ من أحببتُ ما لهما فقدُ

تلجُّ دموعي بالجفونِ كأنما ... جفوني لعينيْ كلِّ باكيةٍ خدُّ

وإني لتغنيني من الماء نُغبةٌ ... وأصبرُ عنهُ مثلما تصبرُ الرُّبدُ(٦)

(*) مناسبة القصيدة: قالها يمدح علي بن محمد بن سيار بن مكرم. وكان قد استقبله.

(١) بَله: اسم فعل بمعنى دع.

(٢) حفت: أحاطت. السابح: الفرس السريعة.

(٣) الفدم: العيي عن الكلام. الوغد: الخسيس.

(٤) أسهدهم: أسهرهم.

(٥) النكد: قلة الخير.

(٦) النغبة: الجرعة. الربد: النعام.

وأمضي كما يمضي السّنانُ لطيّتي ... وأطوي كما تطوى المجلّحةُ العُقدُ[١]

وأُكبِرُ نفسي عن جزاءٍ بغيبةٍ ... وكلُّ اغتيابٍ جُهدُ مَنْ ما له جُهدُ

وأرحمُ أقوامًا من العيّ والعبا ... وأعذرُ في بُغضي لأنّهم ضدُّ

ويمنعني ممن سوى ابن محمدٍ ... أيادٍ له عندي تضيقُ بها عندُ

توالي بلا وعْدٍ ولكن قَبْلَها ... شمائلهُ منْ غيرِ وعدٍ بها وعدُ

سرى السيفُ مما تطبعُ الهندُ صاحبي ... إلى السيفِ مما يطبعُ اللهُ لا الهندُ[٢]

فلمّا رآني مقبلًا هزّ نفسهُ ... إليّ حُسامٌ كلُّ صفحٍ له حدُّ[٣]

فلم أرَ قبلي منْ مشى البحرُ نحوهُ ... ولا رجلًا قامتْ تُعانقُهُ الأسدُ

كأنّ القسيّ العاصياتِ تُطيعُهُ ... هوًى أو بها في غيرِ أنُملِهِ زُهدُ

يكادُ يصيبُ الشيءَ من قبلِ رميهِ ... ويمكنُهُ في سَهْمِهِ المرسلِ الرّدُّ[٤]

وينفِذُهُ في العقدِ وهو مضيَّقٌ ... منَ الشعرةِ السوداءِ والليلُ مسودُّ

بنفسي الذي لا يُزدهى بخديعةٍ ... وإن كثرتْ فيها الذرائعُ والقصدُ[٥]

ومن بُعدُهُ فقرٌ ومن قُربُهُ غنًى ... ومن عرضُهُ حُرٌّ ومنْ مالُهُ عبدُ

---

(١) الطيَّة: المكان الذي يُنوى قصده. أطوي: أجوع. المجلحة: صفة للذئب. العُقد: جمع أعقد، وهو ملتوي الذنب.

(٢) طبع السيف: عمله وصنعه.

(٣) الصفح: جانب السيف.

(٤) المرسل: المطلق من اليد.

(٥) ازدهاه: استخفّه. الذرائع: جمع ذريعة، وهي الوسيلة.

ويصطنعُ المعروفَ مبتدئًا به ... ويمنعُهُ من كلِّ منْ ذمُّهُ حمدُ
ويحتقرُ الحُسّادَ عن ذِكرهِ لهمْ ... كأنهم في الخلقِ ما خُلقوا بعدُ
وتأمنُهُ الأعداءُ منْ غيرِ ذلةٍ ... ولكنْ على قدرِ الذي يُذنبُ الحِقدُ
فإن يكُ سيّارُ بنُ مُكرمٍ انقَضَى ... فإنكَ ماءُ الوردِ إن ذهبَ الوَردُ
مضى وبنوه وانفَردتَ بفضلِهِمْ ... وألفٌ إذا ما جُمّعتْ واحدٌ فَردُ
لهمْ أوجهٌ غُرٌّ وأيدٍ كريمةٌ ... ومعرِفةٌ عِدٌّ وألسنةٌ لُدُّ[1]
وأرديةٌ خُضرٌ وملكٌ مطاعةٌ ... ومركوزةٌ سُمرٌ ومقربةٌ جُردُ[2]
وما عشتَ ما ماتوا ولا أبواهُمُ ... تميمُ بنُ مرٍّ وابنُ طابخَةٍ أُدُّ
فبعضُ الذي يبدو الذي أنا ذاكرٌ ... وبعضُ الذي يخفى عليّ الذي يَبدو
ألومُ بهِ منْ لامني في وداده ... وحُقَّ لخيرِ الخَلقِ منْ خَيرِهِ الوُدُّ
كذا فتنحّوْا عن عليّ وطُرقِهِ ... بني اللؤمِ حتى يَعبرَ الملكُ الجعدُ[3]
فما في سجاياكمْ منازعةُ العُلَى ... ولا في طِباعِ التُّربَةِ المِسكُ والنّدُّ

(١) غرّ: جمع أغر، وهو الأبيض المشرق.
(٢) الأردية: الملاحف. المركوزة: صفة للرماح. المقربة: الخيل المربوطة عند البيت. الجرد: ضفيرة الشعر.
(٣) الجعد: الكريم.

الصاعقة الحادية والعشرون: لقد حازني وجدٌ بمن حازهُ بُعدُ(*)

لقد حَازني وجدٌ بمنْ حازهُ بُعدُ ... فيا ليتني بُعدٌ ويا ليتهُ وجدُ

أُسرّ بتجديدِ الهوى ذكرَ ما مضَى ... وإنْ كانَ لا يبقى له الحجرُ الصّلدُ

سُهادٌ أتانا منكَ في العينِ عندَنَا ... رُقادٌ وقُلاّم رعى سربُكم وَرْدُ(١)

ممثلةٌ حتى كأنْ لم تفارِقي ... وحتى كأنّ اليأسَ منْ وصلكِ الوعدُ

وحتى تَكادي تمسحينَ مدامعي ... ويعبقُ في ثوبيَّ منْ ريحكِ النَّدُّ

إذا غدرتْ حسناءُ وفّتْ بَعهدها ... فمنْ عهدِها أن لا يَدومَ لها عَهدُ

وإن عشِقَتْ كانتْ أشدّ صبابةً ... وإن فركتْ فاذهبْ فما فِركُها قصدُ(٢)

وإن حقدتْ لم يبقَ في قلبِها رضًى ... وإنْ رضيتْ لم يبقَ في قلبِها حقدُ

كذلكَ أخلاقُ النساءِ وربّما ... يضلُّ بها الهادي ويخفى بها الرّشدُ

ولكنّ حُبًا خامرَ القلبَ في الصِّبَا ... يزيدُ على مرّ الزمانِ ويشتدُّ

سقى ابنُ عليّ كل مزنٍ سقَتكمُ ... مكافأةً يغدو إليْها كمَا تغدو

لتَروْى كما تُروي بلادًا سكنتْها ... وينبُتَ فيها فوقَكِ الفخرُ والمجدُ

بمنْ تشخصُ الأبصارُ يومَ ركوبهِ ... ويُخرَقُ منْ زحمٍ على الرجلِ البردُ(٣)

(*) مناسبة القصيدة: قالها يمدح الحسين بن علي الهمذاني.

(١) القلام: نبت ترعاه الإبل.

(٢) الصبابة: رقّة الشوق. فركت: أبغضت.

(٣) تشخص: ترتفع. البرد: الثوب. الزحم: الزحام.

وتلقي وما تدري البنانُ سلاحَها ... لكَثرةِ إيماءٍ إليه إذا يبدُو

ضَروبٌ لهامِ الضّاربي الهامَ في الوَغى ... خفيفٌ إذا ما أثقلَ الفرسَ اللِّبدُ

بصيرٌ بأخذِ الحمدِ منْ كلِّ موضعٍ ... ولو خبأتْهُ بينَ أنيابِها الأسدُ

بتأميلِه يغنى الفتى قَبلَ نيلِه ... وبالذِّعرِ من قبلِ المهنَّدِ ينقدُّ[١]

وسيفي لأنتَ السيفُ لا ما تسُلّهُ ... لضربٍ ومما السيفُ منهُ لكَ الغمدُ

ورمحي لأنتَ الرّمحُ لا ما تبُلّهُ ... نجيعًا ولولا القدحُ لم يُثقبِ الزَّندُ[٢]

من القاسمينَ الشكرَ بيني وبينهمْ ... لأنهمْ يُسدى إليهم بأنْ يُسدوا

فشكري لهم شكرانِ: شكرٌ على الندى ... وشكرٌ على الشكرِ الذي وهبوا بعدُ

صيامٌ بأبوابِ القبابِ جيادُهُمْ ... وأشخاصُها في قلبِ خائفهمْ تعدُو[٣]

وأنفسهمْ مبذولةٌ لوفودِهم ... وأموالهُمْ في دارِ منْ لم يفدْ وفدُ

كأن عطيَّاتِ الحسينِ عساكرٌ ... ففيها العبدَّى والمطهَّمةُ الجردُ[٤]

أرى القمرَ ابنَ الشمسِ قد لبس العُلى ... رويدكَ حتى يلبسَ الشعرَ الخدُّ

وغالَ فضولَ الدّرعِ من جَنباتِها ... على بدنٍ قَدُّ القناةِ له قدُّ[٥]

وباشرَ أبكارَ المكارمِ أمردًا ... وكانَ كذا آباؤُه وهمُ مُردُ

---

(١) التأميل: رجاء الخير.

(٢) النجيع: الدم. أثقب الزند: أورى نارً.

(٣) صيام: واقفة.

(٤) المطهمة: الخيل التامة الخلق.

(٥) غاله: ذهب به. فضول الدرع: ما يفضل منها عن البدن.

مـدحتُ أباهُ قـبلهُ فـشـفى يَدي ... منَ العُدم من تُشفى به الأعينُ الرَّمدُ
حبـاني بأثمـانِ السـوابقِ دونَهـا ... مـخـافـةَ سـيـري إنهـا للنَّوى جندُ
وشـهـوةَ عـودٍ إنّ جـودَ يمينِهِ ... ثُناءٌ ثُناءٌ والجَـوادُ بهـا فـردُ
فـلا زلتُ ألقى الحـاسـدينَ بمثلِهـا ... وفي يدهمْ غيضٌ وفي يدي الرِّفدُ[1]
وعندي قـبـاطيّ الهُـمَـام ومـالهُ ... وعندهمْ مما ظَفِـرتُ بـه الجـحـدُ
يـرومـونَ شـأوي في الكَلامِ وإنّمَا ... يحاكي الفتى فيما خَلا المنطقَ القِردُ[2]
فـهمْ في جـمـوعٍ لا يراها ابنُ دأيةٍ ... وهم في ضجيجٍ لا يُحسّ به الخلدُ[3]
ومني اسـتـفـادَ الناسُ كلَّ غـريبـةٍ ... فجازوا بتركِ الذمِّ إنْ لمْ يكنْ حمدُ
وجـدتُ عليًّـا وابنهُ خـيـرَ قـومِـهِ ... وهم خيرُ قومٍ واستوى الحُرُّ والعبدُ
وأصـبَحَ شِـعـري منهـمـا في مكانِهِ ... وفي عُنُق الحسناء يستحسنُ العقدُ

(١) الغيض: النقص. الرد: الغطاء.
(٢) الشأو: الغاية.
(٣) ابن دأية: الغراب. الخلد: دويبة تعرف بقوة السمع.

الصاعقة الثانية والعشرون: أَزائِرٌ يا خَيالُ أمْ عائِدْ(*)

أَزائِرٌ يا خَيالُ أمْ عائِدْ ... أَمْ عِندَ مَوْلاكَ أنني راقِدْ

لَيسَ كما ظَنّ، غَشيةٌ عَرَضَتْ ... فَجِئتني في خلالَها قاصِدْ

عُدْ وأَعِدْها فَحَبّذا تَلَفٌ ... أَلصَقَ ثَدْيي بثَديكَ النّاهِدْ(١)

وَجُدْتَ فيهِ بِما يَشِحُّ بِهِ ... مِنَ الشّتيتِ المُؤشَّرِ البارِدْ(٢)

إذا خَيالاتُهُ أطَفنَ بِنا ... أَضْحَكَهُ أنّي لَها حامِدُ

لا أجحَدُ الفَضْلَ رُبّما فَعلَتْ ... ما لم يكُنْ فاعِلًا وَلا واعِدُ

ما تَعرِفُ العَينُ فَرقَ بَينهِما ... كُلٌّ خَيالٌ وِصالُهُ نافِدْ(٣)

يا طَفلَةَ الكَفّ عَبلَةَ السّاعِدْ ... على البَعيرِ المُقَلَّدِ الواخِدْ(٤)

زِيدِي أذى مُهجَتي أزدكِ هوًى ... فأجهَلُ النّاسِ عاشِقٌ حاقِدْ

حَكَيتَ يا لَيلُ فَرْعَها الوارِدْ ... فاحكِ نَواها لجَفنيَ السّاهِدْ(٥)

طالَ بُكائي على تَذَكّرِها ... وَطُلْتَ حتى كِلاكُما واحِدْ

ما بالُ هذي النّجُومِ حائِرةً ... كأنّها العُمْيُ ما لَها قائِدْ

(*) مناسبة القصيدة: قالها يمدح عضد الدولة، ويذكر هزيمة وهشوذان.

(١) الناهد: البارز.

(٢) الشتيت: الأملج. المؤشر: الذي فيه تحزيز.

(٣) النافذ: الفاني.

(٤) الطفلة: الناعمة. العبلة: الممتلئة. الواخد: المسرع.

(٥) فرعها: شعرها. الوارد: الطويل المسترسل.

أَوْ عُصبَةٌ مِنْ مُلُوكِ ناجِيَةٍ ... أَبُو شُجاعٍ عَلَيهِمِ واجِدُ[١]

إِنْ هَرَبُوا أُدرِكُوا وإِنْ وَقَفُوا ... خَشُوا ذَهابَ الطَّرِيفِ والتّالِدْ

فَهُمْ يُرَجّونَ عَفْوَ مُقْتَدِرٍ ... مُبارَكِ الوَجْهِ جائِدٍ ماجِدْ

أَبْلَجَ لَوْ عاذَتِ الحَمامُ بِهِ ... ما خَشِيَتْ رامِيًا وَلا صائِدْ

أَوْ رَعَتِ الوَحْشُ وَهيَ تَذكُرُهُ ... ما راعَها حابِلٌ وَلا طارِدْ[٢]

تُهدِي لَهُ كُلَّ ساعَةٍ خَبَرًا ... عَن جَحفَلٍ تحتَ سَيفِهِ بائِدْ

وَمُوضِعًا في فِتانِ ناجِيَةٍ ... يَحْمِلُ في التّاجِ هامَةَ العاقِدْ[٣]

يا عَضَدًا رَبُّهُ بِهِ العاضِدْ ... وَسارِيًا يَبعَثُ القَطا الهاجِدْ

وَمُمْطِرَ المَوْتِ والحَياةِ مَعًا ... وأَنتَ لا بارِقٌ وَلا راعِدْ

نِلتَ وما نِلتَ من مَضَرَّةَ وَهْـ ... ـشُوذانَ ما نالَ رأيُهُ الفاسِدْ

يَبْدأُ مِنْ كَيدِهِ بِغايَتِهِ ... وإِنّما الحَربُ غايَةُ الكائِدْ

ماذا عَلى مَنْ أَتى يُحارِبُكُمْ ... فَذَمَّ ما اختارَ لَوْ أَتى وافِدْ[٤]

بِلا سِلاحٍ سِوى رَجائِكُمُ ... فَفازَ بالنَّصرِ وانثَنى راشِدْ

يُقارِعُ الدّهْرُ مَن يُقارِعُكُمْ ... على مَكانِ المَسُودِ والسّائِدْ

---

(١) واجد: غضبان.

(٢) الحابل: الذي ينصب الشرك.

(٣) الفتان: غشاء الرحل من أدم. الناجية: الناقة السريعة التي تنجو بصاحبها. العاقد: أي عاقد التاج.

(٤) الوافد: الذي يطلب العطاء.

وَلـيتَ يَـومَـيْ فَـناءِ عَـسـكَـرِهِ ... ولـم تَـكُـنْ دانِـيًـا وَلا شـاهِـدْ[١]

ولَـمْ يَغِبْ غـائِبٌ خَلِـيـفَـتُـه ... جَـيْشُ أَبِـيـهِ وَجَـدُّهُ الصّاعِـدْ[٢]

وكُـلُ خطِّيَّـةٍ مُـثَـقَّـفَـةٍ ... يَهُـزّهـا مـارِدٌ عَلى مـارِدْ[٣]

سَـوافِكٌ مـا يَدَعْنَ فـاصِلَةً ... بَيْنَ طَرِيِّ الدّمـاءِ والجـاسِـدْ[٤]

إذا المنايا بدتْ فـدعـوتُهـا ... أُبْدِلَ نُونًا بِدالِـهِ الحـائِـدْ[٥]

إذا دَرى الحِـصْنُ مَنْ رَمـاهُ بِهـا ... خَـرَّ لَهـا في أَسـاسِـهِ سـاجِـدْ

مـا كـانت الطِّرْمُ في عَـجـاجَـتِـهـا ... إلاّ بَعـيـرًا أَضَلّهُ نـاشِـدْ[٦]

تَسـأَلُ أهلَ القِـلاعِ عَنْ مَلِكٍ ... قَـدْ مَـسَـخَـتْـهُ نَعـامَـةً شـارِدْ

تَسـتَـوحِشُ الأرضُ أَنْ تَقِـرّ بِـهِ ... فكُلّهـا مُـنْكِرٌ لَهُ جـاحِـدْ

فَـلا مُـشـادٌ وَلا مُـشـيـدُ حِـمًى ... وَلا مَـشـيـدٌ أَغنى وَلا شـائِـدْ[٧]

فـاغـتَظْ بِقَـومٍ وَهشـوذَ مـا خُلقـوا ... إلاّ لغَـيـظِ العَـدوّ والحـاسِـدْ[٨]

رَأَوْكَ لمـا بَـلَـوْكَ نـابِـتَـةً ... يأكُـلُـهـا قَـبْـلَ أَهْـلِهِ الـرّائِـدْ

---

(١) وليت: توليت.
(٢) الجد: الحظ.
(٣) المارد: الذي لا يطاق خبثاً.
(٤) الجاسد: الناشف، اليابس.
(٥) المنايا: الموت. الحائد: الذي يحيد عن الشيء.
(٦) الطرم: ناحية وهشوذان. الناشد: طالب الضالة.
(٧) المشاد: البناء. الحمى: المكان المحمي.
(٨) وهشوذ: ترخيم وهشوذان.

وَخَلِّ زِيًّا لِمَن يُحَقِّقُهُ ... ما كُلُّ دامٍ جَبِينُهُ عابِدْ

إنْ كانَ لَمْ يَعمِدِ الأميرُ لِما ... لَقيتَ مِنهُ فَيُمنُهُ عامِدْ[1]

يُقلِقُهُ الصُّبْحُ لا يَرى مَعَهُ ... بُشرى بِفَتحٍ كأنّهُ خالِدْ

والأمْرُ لله، رُبَّ مُجتَهِدٍ ... ما خابَ إلاّ لأنه جاهِدْ

ومُتّقٍ والسِّهامُ مُرْسَلَةٌ ... يَحيدُ عَن حابِضٍ إلى صارِدْ[2]

فَلا يُبَلْ قايِلٌ أعادِيَهُ ... أقائِمًا نالَ ذاكَ أمْ قاعِدْ[3]

لَيتَ ثَنائي الذي أصُوغُ فِدى ... مَنْ صِيغَ فيهِ فإنّهُ خالِدْ

لَوَيْتُهُ دُمْلُجًا على عَضُدٍ ... لِدَوْلَةٍ رُكنُها لَهُ والِدْ[4]

---

(١) يعمد: يقصد. التيمن: السعد.

(٢) الحابض: السهم يقع بين يدي الرامي لضعفه. الصارد: الناقد.

(٣) لا يبل: لا يبال.

(٤) الدملج: السوار.

الصاعقة الثالثة والعشرون: عواذلُ ذات الخال فيَّ حواسدُ(*)

عَـواذلُ ذاتِ الخـالِ فيّ حـواسـدُ ... وإنّ ضـجـيعَ الخـودِ منّي لماجـدُ(١)

يـرُدّ يـداً عـنْ ثـوبِهـا وهـوَ قـادرٌ ... ويعصي الهوَى في طيفِها وهوَ راقدُ

متى يشتفي منْ لاعجِ الشَّوقِ في الحشا ... مُحبٌّ لها في قربِه متباعدُ(٢)

إذا كنتَ تخشى العارَ في كلِّ خلوةٍ ... فلم تتصبَّاكَ الحسانُ الخرائدُ(٣)

ألحّ عليّ السّقمُ حتى ألفتُهُ ... وملَّ طبيبي جانبي والعوائدُ

مررت على دار الحبيبِ فحمحمتْ ... جوادي وهلْ تُشجي الجيادَ المعاهدُ(٤)

وما تُنكرُ الدّهماءُ منْ رسمِ منزلٍ ... سقتْها ضريبَ الشَّوْلِ فيهِ الولائدُ(٥)

أهمّ بشيءٍ والليالي كأنّها ... تُطاردُني عن كونِهِ وأطاردُ

وحيدٌ منَ الخلانِ في كلِّ بلدةٍ ... إذا عظُمَ المطلوبُ قلَّ المساعدُ

وتُسعدُني في غمرةٍ بعدَ غمرةٍ ... سبُوحٌ لها منْها عليها شَواهدُ(٦)

تثنّى على قدرِ الطّعانِ كأنّما ... مفاصلُها تحتَ الرِّماحِ مراودُ(٧)

(*) مناسبة القصيدة: قالها عندما عاق الثلج سيف الدولة، عندما أراد قصد خرشنة.

(١) الخود: المرأة الناعمة. الماجد: الحسن الخلق.

(٢) اللاعج: المحرق.

(٣) تتصباك: تشؤمك. الخرائد: الحبيبات من النساء.

(٤) حمحمت: رددت صوتها في صدرها. جوادي: فرسي. تشجي: تحزن. المعاهد: المنازل.

(٥) الدهماء: السوداء. الضريب: اللبن من مجموعة نعاج. الشول: الناقة جافة اللبن.

(٦) العمرة: الشدة. السبوح: الفرس السريعة.

(٧) المراود: الحديد التي في لجام الفرس.

وأُوردُ نفسي والمهنّدُ في يَدي ... مواردَ لا يصدرْنَ مَنْ لا يُجالدُ[١]

ولكنْ إذا لمْ يحملِ القلبُ كفَّهُ ... على حالةٍ لم يحملِ الكفَّ ساعِدُ

خليليّ إني لا أرى غيرَ شاعرٍ ... فلِمْ منهمُ الدعوى ومنّي القصائدُ

فلا تعجبَا أنّ السيوفَ كثيرةٌ ... ولكنّ سيفَ الدولةِ اليومَ واحِدُ

لهُ منْ كريمِ الطَّبعِ في الحربِ مُنتضٍ ... ومنْ عادةِ الإحسانِ والصّفحِ غامدُ[٢]

ولمّا رأيتُ الناسَ دونَ محلّهِ ... تيقنتُ أنّ الدهرَ للناسِ ناقِدُ

أحقُّهم بالسيفِ من ضربَ الطُّلى ... وبالأمنِ منْ هانتْ عليهِ الشدائدُ

وأشقى بلادِ اللهِ ما الرومُ أهلُها ... بهذا وما فيها لمجدِك جاحِدُ

شننتَ بها الغاراتِ حتّى تركتَها ... وجفنُ الذي خلْفَ الفرنجةِ ساهِدُ[٣]

مخضّبةٌ والقومُ صرعى كأنّها ... وإن لم يكونوا ساجدينَ مساجِدُ[٤]

تنكّسُهمْ والسابقاتُ جبالُهُم ... وتطعنُ فيهمْ والرماحُ المكايدُ

وتضربهم هبرًا وقد سكنوا الكُدَى ... كما سكنتْ بطنَ الترابِ الأساوِدُ[٥]

وتُضحي الحصونُ المشمخرّاتُ في الذرَى ... وخيلُكَ في أعناقِهنَّ قلائِدُ

عصفنَ بهمْ يومَ اللُّقانِ وسُقنَهم ... بهنريطَ حتى ابيضّ بالسبي آمِدُ[٦]

---

(١) المجالدة: المضاربة بالسيوف.
(٢) انتضى السيف: جرّده من غمده.
(٣) الفرنجة: قرية بأقصى الروم.
(٤) مخضبة: ملطخة بالدماء.
(٥) الهبر: التقطيع. الكدى: الأرض الصلبة. الأساود: جمع أسود، الحية العظيمة.
(٦) عصفت الحرب: أهلكت. اللقان وهنريط وآمد: أسماء أماكن.

وألحقنَ بالصفصافِ سابورَ فانهَوَى ... وذاقَ الرّدى أهلاهُما والجلامِدُ[١]

وغلّسَ في الوادي بهنّ مُشيَّعٌ ... مباركٌ ما تحتَ اللثامينِ عابِدُ[٢]

فتًى يشتهي طولَ البلادِ ووقته ... تضيقُ به أوقاتهُ والمقاصِدُ

أخو غزواتٍ ما تُغِبُّ سُيُوفُهُ ... رقابَهُمُ إلا وسيْحانُ جامِدُ

فلمْ يبقَ إلا منْ حَماهَا منَ الظُّبا ... لمى شفتَيْها والثُّديُّ النَّواهِدُ[٣]

تُبكّي عليهنّ البَطاريقُ في الدّجَى ... وهنّ لدينا ملقياتٌ كَواسِدُ[٤]

بذا قضتِ الأيامُ ما بَينَ أهلِها، ... مصائبُ قومٍ عندَ قومٍ فوائدُ

ومنْ شرَفِ الإقدامِ أنك فيهِمُ ... على القتلِ موموقٌ كأنكَ شاكِدُ[٥]

وأنَّ دَمًا أجريتَه بكَ فاخرٌ ... وأنَّ فؤادًا رُعْتَهُ لكَ حامِدُ

وكلٌّ يرى طُرْقَ الشجاعةِ والنّدى ... ولكنّ طبعَ النفسِ للنفسِ قائدُ

نهبتَ منَ الأعمارِ ما لوْ حويتَهُ ... لهنّئتِ الدّنيا بأنكَ خالِدُ

فأنتَ حسامُ المُلْكِ واللهُ ضارِبٌ ... وأنتَ لواءُ الدّينِ واللهُ عاقِدُ

وأنتَ أبو الهيجا بنُ حمدانَ يا ابنهُ ... تشابَهَ مولودٌ كريمٌ ووالِدُ[٦]

---

(١) الصفصاف وسابور: حصنان. انهوى: سقط.
(٢) غلس: سار في آخر الليل. المشيع: الشجاع.
(٣) اللمى: سُمرة مستحسنة في الشفة.
(٤) البطاريق: قُوّاد الروم.
(٥) موموق: محبوب. الشاكد: المنعم.
(٦) أبو الهيجاء: كنية والد سيف الدولة.

وحمدانُ حمدونٌ وحمدونُ حارثٌ ... وحارثُ لقمانٌ ولقمانُ راشِدُ[١]

أولئك أنيابُ الخلافةِ كلُّها ... وسائرُ أملاكِ البلادِ الزوائِدُ[٢]

أُحبكَ يا شمسَ الزمانِ وبَدرَهُ ... وإن لامني فيكَ السُّهى والفراقِدُ[٣]

وذاكَ لأنّ الفضلَ عندكَ باهِرٌ ... وليسَ لأنّ العيشَ عندكَ بارِدُ

فإنّ قليلَ الحبّ بالعقلِ صالِحٌ ... وإنّ كثيرَ الحبّ بالجهلِ فاسِدُ

(١) أسماء أجداد سيف الدولة.

(٢) الأسنان الزوائد: التي تنبت خلف الأضراس.

(٣) السهى: نجم صغير. الفراقد: جمع فرقد: وهو نجم قريب من القطب.

obeikandl.com

الصاعقة الرابعة والعشرون: عيدٌ بأيَّةِ حالٍ عُدتَ يا عيدُ(*)

عيدٌ بأيَّةِ حالٍ عُدتَ يا عيدُ ... بما مَضى أمْ لأَمرٍ فيكَ تَجديدُ

أمّا الأَحبّةُ فالبَيداءُ دونَهُمُ ... فَلَيتَ دونَكَ بيداً دونَها بيدُ(١)

لَوْلا العُلى لَم تَجُبْ بي ما أَجوبُ بِها ... وَجناءُ حَرْفٌ ولا جَرداءُ قَيدودُ(٢)

وكانَ أطيَبَ مِنْ سَيفي مُعانَقَةً ... أشباهُ رَونَقِهِ الغيدُ الأماليدُ(٣)

لَم يَترُكِ الدَّهْرُ مِنْ قَلبي ولا كَبِدي ... شيئًا تَتَيمُهُ عَينٌ ولا جيدُ

يا ساقِيَيّ أَخَمْرٌ في كُؤوسِكُما ... أَمْ في كُؤوسِكُما هَمٌّ وَتَسهيدُ؟

أَصَخرَةٌ أنا، ما لي لا تُحَرّكُني ... هَذي المُدامُ ولا هذَي الأغاريدُ

إذا أَرَدْتُ كُمَيْتَ اللَّونِ صافِيَةً ... وَجَدتُها وَحَبيبُ النَّفسِ مَفقُودُ

ماذا لَقيتُ مِنَ الدُّنْيا وأَعْجَبُهُ ... أنّي بِما أنا شاكٍ مِنهُ مَحسُودُ

أمسَيتُ أَرْوَحَ مُثرٍ خازِنًا وَيَدًا ... أنا الغَنيّ وأَموالِيَ المَواعيدُ(٤)

إني نَزَلتُ بِكَذّابينَ، ضَيفُهُمُ ... عَنِ القِرى وَعَنِ التَّرْحالِ مَحدُودُ

جودُ الرِّجالِ من الأيدي وَجُودُهُمُ ... مِنَ اللِّسانِ، فَلا كانوا ولا الجُودُ

(*) مناسبة القصيدة: قالها يهجو كافور الأخشيدي عندما أراد الخروج من مصر.

(١) البيداء: الصحراء.

(٢) جاب: قطع واجتاز. الوجناء: الناقة القوية. الحرف: الضامرة. الجرداء: الفرس القصيرة الشعر. القيدود: الطويلة العنق.

(٣) الغيد: جمع غيداء، وهي اللينة. الأماليد: النواعم.

(٤) أروح: أكثر راحة.

ما يَقبضُ المَوتُ نَفسًا من نفوسِهِمُ ... إلاّ وَفِي يدِهِ مِنْ نَتنِها عُودُ

أكُلّما اغتالَ عَبدُ السَّوءِ سَيِّدَهُ ... أو خانَهُ فَلَهُ في مصرَ تَمهِيدُ

صارَ الخَصيّ إمامَ الآبِقِينَ بِها ... فالحُرّ مُستَعبَدٌ والعَبدُ مَعبُودُ[١]

نامت نَواطِيرُ مِصرٍ عَن ثَعالِبِها ... فَقَدْ بَشِمنَ وَما تَفنى العَناقِيدُ[٢]

العَبدُ لَيسَ لِحُرٍّ صالِحٍ بِأخٍ ... لَوْ أنَّهُ في ثِيابِ الحُرّ مَولُودُ

لا تَشتَرِ العَبْدَ إلاّ والعَصا مَعَه ... إنّ العَبِيدَ لأنجاسٌ مَناكِيدُ[٣]

ما كُنتُ أحسَبُني أحيا إلى زَمَنٍ ... يُسيءُ بِي فيهِ عَبدٌ وَهوَ مَحمُودُ

ولا تَوَهَّمْتُ أنَّ النّاسَ قَدْ فُقِدُوا ... وأنَّ مِثلَ أبي البَيضاءِ مَوْجُودُ[٤]

وأنَّ ذا الأسوَدَ المثقُوبَ مَشفَرُهُ ... تُطِيعُهُ ذي العَضارِيطُ الرّعادِيدُ[٥]

جَوْعان يأكُلُ من زادي وَيُمسكني ... لكَيْ يُقالَ عَظيمُ القَدْرِ مَقصُودُ

ويلُمّها خُطّةً وَيلُمَّ قابِلِها ... لِمثلِها خُلِقَ المَهرِيّةُ القُودُ[٦]

وعِندَها لَذّ طَعمَ المَوتِ شارِبُهُ ... إنّ المَنِيّةَ عِندَ الذُّلّ قِنديدُ[٧]

مَنْ عَلَّمَ الأسوَدَ المَخصِيّ مكرُمَةً ... أقَوْمُهُ البِيضُ أَم آباؤهُ الصِّيدُ[٨]

---

(١) الآبق: الهارب من سيّده.
(٢) بشم: أصابته التخمة من الأكل.
(٣) مناكيد: قليلو الخير.
(٤) أبو البيضاء: كناية لكافور، استهزاءً به.
(٥) العضاريط: الذين يخدمون بطعامهم. الرعاديد: الجبناء.
(٦) ويلمها: كلمة تعجب. الخطة: الشأن. القود: الطوال الظهور.
(٧) القنديد: عسل القصب.
(٨) الصيّد: الملوك العظام.

أمْ أُذنَهُ في يَدِ النّخّاسَ دامِيَةً ... أمْ قَدْرُهُ وَهوَ بالفَلسَينِ مَرْدودُ

أولى اللّئام كُوَيفيرٌ بمَعذِرَةٍ ... في كلّ لُؤمٍ، وبَعضُ العُذرِ تَفنيدُ[1]

وذاكَ أنَّ الفُحُولَ البِيضَ عاجِزَةٌ ... عن الجَميلِ فكَيفَ الخصيةُ السّودُ؟

(١) التفنيد: التقريع.

obeikandl.com

الصاعقة الخامسة والعشرون: لكل امرئٍ من دهره ما تعودا(*)

لكلِّ امـرئٍ منْ دهرِه مـا تعـوَّدَا ... وعادَةُ سيفِ الدولةِ الطَّعنُ في العدى

وأن يُكذِبَ الإرجـافَ عنهُ بضـدّه ... ويمسي بما تنوي أعـاديه أسـعَدَا(١)

ورُبّ مـريدٍ ضـرّهُ ضـرَّ نفـسَـهُ ... وهادٍ إليه الجيشَ أهدى وما هدَى(٢)

ومـستكبـرٍ لم يعـرفِ اللهَ سـاعَـةً ... رأى سـيـفَـه في كـفّـهِ فـتَـشَـهّـدَا

هو البحرُ غصْ فيه إذا كانَ ساكنًا ... على الدّرّ واحـذرهُ إذا كـان مُـزبِدَا

فـإني رأيتُ البـحـرَ يعـثُـرُ بالفـتى ... وهذا الذي يأتي الفتى مُـتَـعَـمِّـدَا(٣)

تظلُّ ملوكُ الأرضِ خـاشـعَـةً لهُ ... تفـارقُـهُ هلكى وتلقـاهُ سُـجّـدَا

وتُحـيي له المالُ الصـوارمُ والقَنَا ... ويقـتلُ مـا يُحْيِي التبـسّمُ والجَـدَا(٤)

ذكيٌّ تظنّيـه طليـعـةُ عـيـنِـه ... يرى قلبُـهُ في يومِـه مـا ترى غَـدَا(٥)

وَصـولٌ إلى المستـصـعـبـاتِ بخـيلِه ... فلو كـانَ قرنُ الشمسِ ماءً لأوردَا(٦)

لذلك سـمى ابنُ الدُّمَـسـتُقِ يومَـهُ ... مماتًا وسـمّـاه الدمـسـتقُ مـولِدَا

(*) مناسبة القصيدة: قالها يمدح سيف الدولة، ويهنئه بعيد الأضحى سنة ٣٤٢هـ.

(١) الإرجاف: الإكثار من الأخبار الكاذبة.

(٢) أهدى: بعث وأتحف.

(٣) يعثر بالفتى: يهلكه.

(٤) الجدا: العطاء.

(٥) التظني: الظن.

(٦) قرن الشمس: ما يظهر منها عند طلوعها.

سريتَ إلى جيحانَ منْ أرضِ آمدٍ ... ثلاثًا، لقد أدناكَ ركضٌ وأبعَدَا[١]

فولّى وأعطاكَ ابنَهُ وجُيُوشَهُ ... جميعًا ولم يُعطِ الجميعَ ليُحمَدَا

عرضتَ له دونَ الحياةِ وطرفِهِ ... وأبصرَ سيفَ اللهِ منك مُجرَّدَا

وما طلبتْ زُرقُ الأسنةِ غَيرَهُ ... ولكنّ قسطنطينَ كانَ له الفِدَى[٢]

فأصبحَ يجتابُ المسوحَ مَخافَةً ... وقد كانَ يجتابُ الدِّلاص المُسرَّدَا[٣]

ويمشي به العكَّازُ في الديرِ تائبًا ... وما كان يرضى مشيَ أشقرَ أجرَدَا

وما تابَ حتى غادرَ الكَرُّ وجهَهُ ... جريحًا وخلّى جفنَهُ النقعُ أرمَدَا

فلوْ كانَ ينجي منْ عليّ ترهُّبٌ ... ترهَّبتِ الأملاكُ مثنى وموحَدَا

وكلُّ امرئٍ في الشرقِ والغربِ بعدَها ... يعدّ لهُ ثوبًا منَ الشَّعْرِ أسوَدَا

هنيئًا لكَ العيدُ الذي أنتَ عيدُهُ ... وعيدٌ لمنْ سمّى وضحّى وعَيّدَا

ولا زالتِ الأعيادُ لُبسكَ بَعدَهُ ... تسلِّمُ مخروقًا وتعطى مجدَّدَا

فذا اليومُ في الأيَّامِ مثلكَ في الورَى ... كما كنتَ فيهمْ أوحدًا كانَ أوحَدَا

هو الجدّ حتى تفضلَ العينُ أختَهَا ... وحتى يكونُ اليومُ لليوم سَيّدَا[٤]

فيا عجبًا من دائلٍ أنتَ سَيفُهُ ... أما يتوقى شفرتَيْ ما تَقَلّدَا[٥]

---

(١) جيحان: اسم نهر. آمد: بلد.

(٢) قسطنطين: ابن الدمستق.

(٣) يجتاب يلبس. المسوح: ثياب الشعر. الدلاص: الدرع اللينة. المسرد: المنسوج.

(٤) الجد: الحظ.

(٥) الدائل: ذو الدولة.

ومن يجعل الضِّرغامَ للصيدِ بازَهُ تصيَّدَهُ الضرغامُ فيما تَصَيّدَا
رأيتكَ محضَ الحلمِ في محضِ قدرةٍ ولو شئتَ كانَ الحِلمُ منكَ المُهنّدَا
وما قتلَ الأحرارَ كالعفوِ عنهُمُ ومنْ لكَ بالحرّ الذي يحفظُ اليدَا
إذا أنتَ أكرمتَ الكريمَ ملكتَهُ وإن أنتَ أكرمتَ اللئيمَ تمرّدَا
ووضعُ الندى في موضعِ السيف بالعلى مضرٌّ كوضعِ السيفِ في موضعِ النّدى[1]
ولكن تفوق الناس رأيًا وحِكمةً كما فقْتَهم حالًا ونفسًا ومحتِدًا
يدقُّ على الأفكارِ ما أنتَ فاعلٌ فيتركُ ما يخفى ويؤخذُ ما بَدَا
أزلْ حسدَ الحسّاد عني بكَبْتِهمْ فأنتَ الذي صيّرتَهُمْ لي حُسّدا
إذا شدَّ زندي حسنُ رأيكَ فيهمُ ضربتُ بسيفٍ يقطعُ الهام مُغمَدا
وما أنا إلا سَمهَرِيٌّ حَمَلتَهُ فزيَّنَ معروضًا وراعَ مُسَدَّدا[2]
وما الدهرُ إلا منْ رواةِ قصائدي إذا قلتُ شعرًا أصبحَ الدهرُ مُنشِدَا
فسارَ به منْ لا يسيرُ مُشَمّرًا وغنَّى به منْ لا يغني مَغَرِّدَا
أجزني إذا أُنشدتَ شعرًا فإنما بشعري أتاكَ المادحونَ مُردَّدَا
ودعْ كلَّ صوتٍ غيرَ صوتي فإنّني أنا الطائرُ المحكيُّ والآخرُ الصّدَى
تركتُ السُّرى خلفي لمنْ قلَّ مالُهُ وأنعلتُ أفراسي بنعماكَ عَسجدَا[3]

---

(١) الندى الأولى: الجود. الثانية: المطر الخفيف.
(٢) السمهري: الرمح الصلب. المعروض: المحمول بالعرض. المسدَّد: الموجه.
(٣) السرى: المشي ليلاً. العسجد: الذهب.

وقـيـدتُ نفـسي في ذراكَ مَـحَـبَّـةً ومنْ وجـدَ الإحسـانَ قـيـداً تَقَـيّـدَا[١]

إذا سـألَ الإنسـانُ أيامـه الغِنى وكنتَ على بُعـدٍ جَـعَلنَكَ مـوعِـدَا

(١) الذرى: فناء الدار ونواحيها.

obeikandl.com

الصاعقة السادسة والعشرون: أَهْلاً بدارٍ سَباكَ أَغيَدُها(*)

أَهْلًا بدارٍ سَباكَ أَغيَدُها ... أَبعَدُ ما بانَ عَنكَ خُرَّدُها(١)

ظَلْتَ بِها تَنطَوي عَلى كَبِدٍ ... نَضيجةٍ فَوقَ خِلبِها يَدُها(٢)

يا حادِيَيْ عيسَها وأحسَبُني ... أوجَدُ مَيتًا قُبَيلَ أفقِدُها(٣)

قِفا قَليلًا بِها عَليَّ فَلا ... أَقَلّ مِنْ نَظرَةٍ أزَوِّدُها

فَفي فُؤادِ المُحبِّ نارُ جَوى ... أحَرُّ نارِ الجَحيمِ أبرَدُها(٤)

شابَ مِنَ الهَجرِ فرقُ لِمَّتِه ... فَصارَ مِثلَ الدَّمَقسِ أسوَدُها(٥)

يا عاذِلَ العاشِقينَ دَعْ فِئَةً ... أضلَّها اللهُ كَيفَ تُرشِدُها

لَيسَ يُحيكُ المَلامُ في هِمَمٍ ... أقرَبُها مِنكَ عَنكَ أبعَدُها(٦)

بِئسَ اللَّيالي سَهِدتُ مِنْ طَرَبٍ ... شَوقًا إلى مَنْ يَبيتُ يَرقُدُها

أحيَيتُها والدُّمُوعُ تُنجِدُني ... شُؤونُها والظَّلامُ يُنجِدُها(٧)

لا ناقَتي تَقبَلُ الرَّديفَ وَلا ... بالسَّوطِ يَومَ الرِّهانِ أجهِدُها(٨)

(*) مناسبة القصيدة: يمدح بها محمد بن عبيد الله العلوي.

(١) الأغيد: الناعم. الخُرد: النساء الحبيبات.

(٢) الخلب: غشاء الكبد.

(٣) العيس: النوق الكرام.

(٤) الجوى: شدة الوجد.

(٥) الدمقس: الحرير الأبيض.

(٦) يحيك الملام: يؤثر.

(٧) الشؤون: مجاري الدموع.

(٨) الرديف: الراكب الآخر خلف الراكب.

شِـراكُـهـا كُـورُها وَمَـشـفَـرُها ... زِمـامُـهـا والشُّـسُـوعُ مِـقـوَدُها[١]

أشَـدُّ عَـصفِ الرِّياحِ يَسـبُـقُـهُ ... تَحـتـي مِنْ خَطوِها تـأوّدُها[٢]

في مِـثلِ ظهـرِ المِجَنّ مُـتَّـصلٍ ... بِمِثلِ بَطنِ المِجَنّ قَـردَدُها[٣]

مُـرتَمِـيـاتٌ بِنا إلى ابنِ عُـبَـيـ ... ـدِ اللهِ غِـيطانُـهـا وفَـدْفَـدُها[٤]

إلى فَـتًى يُصـدِرُ الرِّمـاحَ وَقَـدْ ... أنهَلَهـا في القُلُوبِ مُـوردُها

لَـهُ أيـادٍ إليَّ سـابِـقَـةٌ ... أعُـدَّ مِنهـا وَلا أُعَـدِّدُها[٥]

يُعطِي فَـلا مَطلَةٌ يُكَدِّرُها ... بِـهـا وَلا مَـنَّـةٌ يُـنكِـدُها

خَـيـرُ قُـرَيشٍ أبًا وأمـجَـدُها ... أكـثَـرُها نائلًا وأجـوَدُها

أطعَنُهـا بالقَناةِ أضـرَبُهـا ... بالسَّيفِ جَحْجاحُها مُسَوَّدُها[٦]

أفْـرَسُـهـا فـارِسًـا وأطوَلُهـا ... باعًـا ومِـغـوارُها وَسَـيـدُها

تـاجُ لُـؤيّ بـنِ غـالِـبٍ وَبِـهِ ... سَـما لَها فَرعُـها وَمَحتِدُها[٧]

شَـمسُ ضُحـاها هِلالُ لَيلَتِـهـا ... دُرٌّ تَقـاصِـيـرِها زَبَرجَـدُها[٨]

---

(١) الكور: رحل الناقة.
(٢) التأو: التمايل.
(٣) المجن: الترس. قرددها: أرضها المرتفعة.
(٤) الغيطان: بطون الأرض. الفدفد: الأرض الغليظة.
(٥) الأيادي: النعم.
(٦) الجحجاح: السيد.
(٧) المحتد: الأصيل.
(٨) التقاصير: القلائد. الزبرجد: حجارة كريمة.

يا لَيتَ بي ضَـــربَةً أُتيحَ لَهـــا ... كَـمـا أُتيـحَتْ لَهُ مُـحَـمّـدُها

أَثَّرَ فِـيـهـا وَفي الحَـديدِ وَمـا ... أثَّرَ في وَجـــهِـــهِ مُـــهَـنّدُها

فـاغَـتَـبطَتْ إذ رأت تَزَيُّبَـهـا ... بِمِـثله والجِـراحُ تَحـسُـدُها

وَأيـقَنَ الـنّاسُ أنَّ زارِعَـــهـــا ... بالمَكرِ في قَلبِـهِ سَـيَـحـصِـدُها

أصـبَحَ حُـسّـادُهُ وَأَنفُـسُـهُمْ ... يُحـدِرُها خَـوفُـهُ وَيُصـعِـدُها

تَبكِي عَلى الأنصُلِ الغُـمُـودِ إذا ... أَنْـذَرَهـا أَنَّـهُ يُـجَـــرِّدُهـا[1]

لِعلمِـهـا أنَّـهـا تَصـيـرُ دَمًـا ... وأنَّهُ في الرِّقـابِ يُغـمِـدُها

أطلَقَـهـا فَـالعَـدُوّ مِنْ جَـزَعٍ ... يَذُمّـهـا والصِّـدِّيقُ يَحـمَـدُها

تَنقَـدِحُ النّارُ من مَـضـارِبِـهـا ... وَصَبٌّ مـاء الرِّقـابِ يُخْـمِـدُها[2]

إذا أضَلَّ الهُـمَـامُ مُـهـجَـتَـهُ ... يَومًـا فَـأَطْرافُـهُنَّ تَنشُـدُها[3]

قَـدْ أجـمَـعَتْ هَذِهِ الخَلِيـقَـةُ لِي ... أنَّكَ يـا ابـنَ الـنَّبـيِّ أوحَـــدُها

وأنكَ بالأمسِ كُنتَ مُـحـتَلِمًـا ... شَـيـخَ مَـعَـدٍ وَأنتَ أمـرَدُها

وَكَمْ وَكَمْ نِعـمَـةٍ مُـجَلِّلَةٍ ... رَبَّـيـتَـهـا كـانَ مِنكَ مَـولِدُها

وَكَمْ وَكَمْ حـاجَـةٍ سَـمَـحتَ بِهـا ... أَقـرَبُ مِنّي إلَيَّ مَـوْعِـدُها

ومَكرُمـاتٍ مَـشَتْ عَلى قَـدَمِ الـ ... ـبِـرِّ إلى مَـنـزِلِـي تُـرَدِّدُها

---

(١) الأنصل: حدائد السيوف. الغمود: أغلفة السيوف.

(٢) المضارب: جمع مضرب وهو حد السيف.

(٣) الهمام: السيد الشجاع. نشد: طلب.

أَقَـــرَّ جِلدِي بِهـــا عليَّ فَـــلا أَقْـدِرُ حَـتَّى المَمـاتِ أجْـحَـدُها
فَـعُـدْ بِهـا لا عَـدِمـتُـهـا أبَدًا خَـيـرُ صِـلاتِ الكَرِيمِ أعْـوَدُها

obeikandl.com

الصاعقة السابعة والعشرون: ما سَدِكَتْ عِلّةٌ بمَوْرُودٍ(*)

مـــا سَـــدِكَتْ عِلّةٌ بمَوْرُودِ ... أَكْـــرَمَ مِنْ تَغلبَ بنِ داوُدِ(١)

يأنَفُ مِنْ مِيتَةِ الفِراشِ وَقَدْ ... حَلَّ بِهِ أصْدَقُ المَواعِيدِ

ومِثْلُهُ أنْكَرَ المَماتَ عَلى ... غَيرِ سُرُوجِ السّوابِحِ القُودِ(٢)

بَعدَ عِثارِ القَنا بلبّتِهِ ... وَضَربِهِ أرؤسَ الصّناديدِ(٣)

وخَوْضِهِ غَمْرَ كُلّ مَهْلَكَةٍ ... للذِّمرِ فيها فُؤادُ رِعديدِ(٤)

فإن صَبَرنا فإنّنا صُبُرٌ ... وإن بَكَينا فَغَيرُ مَردُودِ

وإن جَزِعنا لَهُ فَلا عَجَبٌ ... ذا الجَزرُ في البَحرِ غَيرُ مَعهُودِ(٥)

أينَ الهِباتُ التي يُفَرِّقُها ... على الزَّرافاتِ والمَواحِيدِ

سالِمُ أهْلِ الوِدادِ بَعْدَهُمُ ... يَسلَمُ للحُزنِ لا لِتَخلِيدِ

فَما تُرَجّى النّفوسُ مِنْ زَمَنٍ ... أحمَدُ حالَيهِ غَيرُ مَحمُودِ

إنّ نُيُوبَ الزَّمانِ تَعْرِفُني ... أنا الذي طالَ عَجمُها عُودي(٦)

(*) مناسبة القصيدة: يمدح بها سيف الدولة، ويرثي تغلب بن حمدان بعد وفاته سنة ٣٣٨هـ.

(١) سدكت به: لزمته. الموروذ: المحموم.

(٢) القود: جمع أقود، وهو طويل الظهر والعنق.

(٣) اللبة: وسط الصدر.

(٤) الذمر: الشجاع. الرعديد الجبان.

(٥) الجزع: نقيض الصبر. الجزر: النقص.

(٦) عجم العود: عضَّه.

وفيّ مـا قـارَعَ الخُطُوبَ وَمـا ... آنسَني بالمَصـائِبِ السُّـودِ

مـا كُنْتَ عَنهُ إذِ استَغاثَكَ يا ... سَيفَ بَني هاشمٍ بِمَغمُودِ

يا أكرَمَ الأكرَمينَ يا مَلِكَ الـ ... ـأملاكِ طُرًّا يا أصيَدَ الصِّيدِ

قَدْ ماتَ مِنْ قَبْلِها فَأنشَرَهُ ... وَقعُ قَنا الخَط في اللّغاديدِ[1]

وَرَميُكَ اللَّيْلَ بالجُنُودِ وَقَدْ ... رَمَيتَ أجفانَهُم بتَسهيدِ

فَصَبَّحتَهُمْ رِعالُها شُزَّبًا ... بَينَ ثُباتٍ إلى عَباديدِ[2]

تَحمِلُ أغْمادُها الفِداءَ لَهُمْ ... فانتَقَدُوا الضَّرْبَ كالأخاديدِ[3]

مَوقِعُهُ في فَراشِ هامِهِمِ ... وَرِيحُهُ في مَناخِرِ السِّيدِ[4]

أفنى الحَياةَ التي وَهَبتَ لَهُ ... في شَرَفٍ شاكِرًا وَتَسويدِ[5]

سَقيمَ جِسمٍ صَحيحَ مَكرُمَةٍ ... مَنجُودَ كَربٍ غِياثَ مَنجُودِ[6]

ثُمّ غَدا قَيْدُهُ الحِمامُ وَما ... تَخلُصُ مِنهُ يمينُ مَصفُودِ

لا يَنقُصُ الهالِكُونَ مِنْ عَدَدٍ ... مِنهُ عَليٌّ مُضَيَّقُ البِيدِ

تَهُبّ في ظَهْرِها كَتائِبُهُ ... هُبُوبَ أرْواحِها المَراوِيدِ[7]

---

(١) اللغاديد: اللحمات بين الحنك وصفحة العنق.

(٢) الرعال: قطيع الخيل. الشزب: الضوامر.

(٣) انتقدوا: قبضوا وتفحصوا. الأخاديد: الحفر المستطيلة في الأرض.

(٤) السيد: الذئب.

(٥) التسويد: جعله سيداً.

(٦) المنجود: المغموم.

(٧) المراويد: الرياح التي تجيء وتذهب.

أوَّلَ حَـرفٍ مِنِ اسـمِـهِ كـتَـبتْ سَنابِكُ الخَـيلِ في الجَـلامِـيـدِ[١]

مَـهْـمـا يُعَـزِّ الفَـتى الأمـيـرَ بِهِ فـلا بإقـدامِـهِ ولا الجُـودِ

وَمِـنْ مُـنـانـا بَـقـاؤُهُ أَبَـدًا حَـتّى يُعَـزّى بكُلّ مَـوْلُودِ

(١) السنبك: طرف الحافر. الجلاميد: نوع من الصخور.

obeikandl.com

الصاعقة الثامنة والعشرون: أودُّ منَ الأيَّامِ ما لا تودُّهُ(*)

أودُّ منَ الأيَّام ما لا تودُّهُ ... وأشكو إليها بيننا وهي جُندُهُ(١)

يباعدْنَ حبًّا يجتمعْنَ ووصلُهُ ... فكيفَ بحبٍّ يجتمعْنَ وصَدُّهُ(٢)

أبى خُلُقُ الدنيا حبيبًا تديمهُ ... فما طلبي منها حبيبًا تَرُدُّهُ

وأسرعُ مفعولٍ فعلتَ تغيُّرًا ... تكلّفُ شيءٍ في طباعِكَ ضِدّهُ

رعى اللهُ عيسًا فارقتْنا وفوقَها ... مهًا كلُّها يولي بجفنيْه خَدُّهُ(٣)

بوادٍ بهِ ما بالقلوبِ كأنَّهُ ... وقد رحلُوا جيدٌ تناثرَ عقدُهُ

إذا سارتِ الأحداجُ فوقَ نباتِه ... تفاوحَ مسكُ الغانياتِ ورندُهُ(٤)

وحالٍ كإحداهنّ رُمتُ بلوغَها ... ومِنْ دونِها غولُ الطريقِ وبُعدهُ(٥)

وأتعبُ خلقِ اللهِ من زادَ همّهُ ... وقصَّر عما تشتهي النَّفس وجدُهُ

فلا ينحللْ في المجدِ مالُكَ كلُّهُ ... فينحلّ مجدٌ كانَ بالمالِ عَقدُهُ

ودبِّرْهُ تدبيرَ الذي المجدُ كفُّهُ ... إذا حاربَ الأعداءَ والمالَ زَندُهُ

فلا مجدَ في الدنيا لمنْ قلَّ مالُهُ ... ولا مالَ في الدنيا لمنْ قلَّ مَجدُهُ

(*) مناسبة القصيدة: قالها في مدح كافور.

(١) بيننا: فراقنا.

(٢) الحبّ: المحبوب.

(٣) يولي: من الولي، المطر الذي يلي الوسمي.

(٤) الأحداج: ج حدج: مركب النساء. الرند: شجر طيب الريح.

(٥) الغول: التهلكة.

وفي الناسِ منْ يرضى بميسورِ عيشِه ... ومركوبُه رجلاه والثوبُ جلدُهُ

ولكنَّ قلبًا بينَ جنبيّ مالَهُ ... مدًى ينتهي بي في مرادٍ أحدُّهُ[١]

يرى جسمَهُ يُكسى شفُوفًا تربُّهُ ... فيختارُ أن يُكسى دروعًا تهُدُّهُ[٢]

يكلّفني التهجيرَ في كلِّ مهمهٍ ... عليقي مَراعِيهِ وزادي رُبدُهُ[٣]

وأمضى سلاحٍ قلّدَ المرءُ نفسَهُ ... رجاءُ أبي المسك الكريمِ وقصدُهُ

هما ناصرا مَنْ خانَهُ كلُّ ناصرٍ ... وأسرةُ منْ لمْ يكثرِ النَّسلَ جدُّهُ

أنا اليومَ منْ غلمانِه في عشيرةٍ ... لنا والدٌ منْهُ يفدّيه ولدُهُ

فمِنْ مالِه مالُ الكبيرِ ونفسُهُ ... ومنْ مالِه درُّ الصغيرِ ومهدُهُ

نجرّ القنا الخطيّ حولَ قبابِه ... وتردي بنا قب الرِّباط وجردُهُ[٤]

ونمتحنُ النُّشّابَ في كلِّ وابلٍ ... دويُّ القسيّ الفارسيةِ رعدُهُ[٥]

فإنْ لا تكنْ مصرُ الشَّرى أو عرينَهُ ... فإنَّ الذي فيها من الناسِ أسدُهُ[٦]

سبائكُ كافورٍ وعقيانُه الذي ... بصمّ القنا لا بالأصابعِ نقدُهُ[٧]

---

(١) أحده: أجعل له حدًا.

(٢) الشفوف: الأثواب الرقيقة. تربة: تنمية.

(٣) التهجير: السير في حد نصف النهار. المهمه: المفازة. الربد: النعام.

(٤) القباب: الخيام. تردي: من الرديان: ضرب من المشي. القب: الضامرة البطون. الرباط: اسم لجماعة الخيل.

(٥) النشاب: السهام التركية.

(٦) الشرى: مأسدة مشهورة.

(٧) السبائك: جمع سبيكة: القطعة المذوبة المفرغة في القالب من الفضة ونحوها. العقيان: الذهب.

بلاها حواليْه العدوُّ وغيرُهُ ... وجرّبهَا هزلُ الطرادِ وجدّهُ[١]

أبو المسكِ لا يفنى بذنبكَ عفوُهُ ... ولكنهُ يفنى بعذرِكَ حقدُهُ

فيا أيُّها المنصورُ بالجدِّ سعيُهُ ... ويا أيُّها المنصورُ بالسعيِّ جدُّهُ

تولى الصِّبا عني فأخلفتَ طيبَهُ ... وما ضرَّني لمّا رأيتك فقدُهُ[٢]

لقد شبّ في هذا الزمانِ كُهُولُهُ ... لديكَ وشابتْ عندَ غيرِك مُردُهُ

ألا ليتَ يومَ السيرِ يخبرُ حَرُّهُ ... فتسألَه والليلُ يخبرُ بَردُهُ

وليتَك ترعاني وحيرانُ معرضٌ ... فتعلمَ أني منْ حُسامِكَ حدّهُ

وأني إذا باشرتُ أمراً أريدُهُ ... تدانتْ أقاصيهِ وهانَ أشَدَّهُ

وما زالَ أهلُ الدهرِ يشتبهونَ لي ... إليكَ فلمّا لُحتَ لي لاحَ فَردُهُ[٣]

يُقالُ إذا أبصرتُ جيشًا وربَّهُ ... أمامَكَ ربٌّ ربُّ ذا الجيشِ عبدُهُ

وألقى الفمَ الضَّحَّاكَ أعلمُ أنّهُ ... قريبٌ بذي الكفِّ المفدَّاة عهدُهُ

فزارَكَ مني منْ إليكَ اشتياقُهُ ... وفي النَّاس إلا فيكَ وحدَكَ زهدُهُ

يُخلّفُ مَنْ لمْ يأتِ دارَكَ غايةً ... ويأتي فيدري أنَّ ذلكَ جهدُهُ[٤]

فإنْ نلتُ ما أمّلتُ منكَ فربما ... شربتُ بماءٍ يُعجزُ الطيرَ وردُهُ

ووعدُكَ فعلٌ قبلَ وعدٍ لأنَّهُ ... نظيرُ فعالِ الصادقِ القولِ وعدُهُ

---

(١) بلاها: اختبرها.

(٢) تولى: ولّى. أخلف: جعل له خلفا.

(٣) لحت: ظهرت.

(٤) يخلّف: يترك خلفه.

فكنْ في اصطناعِي محسنًا كمُجرِّبٍ ... يبنْ لكَ تقريبُ الجوادِ وشدُّهُ[١]

إذا كنتَ في شكٍّ منَ السيفِ فابلُهُ ... فإمّا تنفّيه وإما تُعِدّهُ[٢]

وما الصارمُ الهنديُّ إلا كغَيرِهِ ... إذا لمْ يفارقْهُ النجادُ وغمدُهُ[٣]

وإنك للمشكُورُ في كلِّ حالَةٍ ... ولوْ لم يكنْ إلا البشاشةَ رفدُهُ

فكلُّ نوالٍ كانَ أوْ هوَ كائنٌ ... فلحظةُ طرفٍ منكَ عندي ندّهُ[٤]

وإني لفي بحرٍ منَ الخيرِ أصلُهُ ... عطاياكَ أرجو مدّها وهي مدُّهُ

وما رغبتي في عسجدٍ أستفيدُهُ ... ولكنَّها في مفخرٍ أستجدّهُ[٥]

يجودُ به من يفضحُ الجودَ جودُهُ ... ويحمدُهُ من يفضحُ الحمدَ حمدُهُ

فإنكَ ما مرّ النحوسُ بكَوكَبٍ ... وقابلْتَهُ إلا ووجهُكَ سَعدُهُ

---

(١) اصطنعه: اختاره. التقريب والشدّ: ضربان من جري الخيل.

(٢) ابله: اختبره.

(٣) النجاد: حمالة السيف.

(٤) الند: النظير.

(٥) أستجده: أجدده.

الصاعقة التاسعة والعشرون: ما الشَّوْقُ مُقتَنِعاً مني بذا الكَمَدِ(*)

ما الشَّوْقُ مُقتَنِعًا مني بذا الكَمَدِ ... حتى أكونَ بِلا قَلبٍ ولا كَبِدِ

ولا الدّيارُ التي كانَ الحَبيبُ بِها ... تَشكُو إليَّ ولا أشكُو إلى أحَدِ

ما زالَ كُلّ هَزِيمِ الوَدْقِ يُنخِلُها ... والسّقمُ يُنحِلُني حتى حكتْ جسدي(١)

وكلّما فاضَ دمعي غاضَ مُصطَبري ... كأنّ ما سالَ من جَفنيّ من جَلَدي(٢)

فأينَ من زَفَراتي مَنْ كَلِفْتُ بِهِ ... وأين منكَ ابنَ يحيى صَوْلَةُ الأسَدِ(٣)

لمّا وزَنتُ بِكَ الدُّنيا فَمِلتَ بِها ... وبالوَرى قَلَّ عِندي كثرَةُ العَدَدِ

ما دارَ في خَلَدِ الأيّامِ لي فَرَحٌ ... أبا عُبادَةَ حى دُرتَ في خَلَدي(٤)

مَلْكٌ إذا امتَلأتْ مالًا خَزائنُهُ ... أذاقَها طَعمَ ثُكلِ الأُمّ للولدِ

ماضي الجَنانِ يُرِيهِ الحَزمُ قَبلَ غَدٍ ... بِقَلبِهِ ما تَرى عَيناهُ بَعدَ غَدِ(٥)

ما ذا البَهاءُ ولا ذا النّورُ من بَشَرٍ ... ولا السَّماحُ الذي فيهِ سَماحُ يَدِ(٦)

أيّ الأكُفّ تُباري الغَيثَ ما اتّفقا ... حتى إذا افتَرقا عادَت ولَمْ يَعُدِ(٧)

(*) مناسبة القصيدة: قالها يمدح بها أبا عبدالله بن يحيى البحتري.

(١) الودق: المطر.

(٢) غاض: قلّ ونقص. الجَلد: الصبر.

(٣) الزفرات: الأنفاس الحارة. كلف: أولع.

(٤) الخلد: البال.

(٥) الجنان: القلب. الحزم: ضبط الأمر.

(٦) ما ذا: ما: نافية مهملة. ذا: اسم إشارة.

(٧) تباري: تعارض.

قد كنتُ أحسَبُ أَنَّ المجدَ من مُضَرٍ ... حتى تَبَحتَرَ فَهوَ اليَومَ مِن أُدَدِ[١]

قَومٌ إِذا أمطَرَت مَوْتًا سُيُوفُهُمُ ... حَسبتَها سُحُبًا جادَت على بَلَدِ

لَم أُجرِ غايَةَ فِكري منكَ في صِفَةٍ ... إلاّ وَجَدْتُ مَداها غايَةَ الأبَدِ[٢]

(١) تبحتر: انتسب إلى بختر. أود: أبو عرب اليمن.

(٢) غاية الشيء: منتهاه.

obeikandl.com

الصاعقة الثلاثون: كم قتيل كما قتلتُ شهيد(*)

كمْ قتيلٍ كما قُتِلتُ شَهيدِ ... لبياضِ الطلى وورد الخُدودِ(١)

وعيونِ المها ولا كعيُونٍ ... فتكتْ بالمتيَّمِ المعمُودِ(٢)

درَّ درُّ الصِّباءِ أيامَ تجري ... رِ ذيولي بدارِ أثلة عُودي(٣)

عمركَ اللهَ ! هلْ رأيتَ بُدوراً ... طلعتْ في براقعٍ وعُقُودِ

راميات بأسهمٍ ريشُها الهُد ... بُ تشقُّ القلوبَ قبلَ الجُلودِ

يترشّفْنَ منْ فمي رَشَفاتٍ ... هنَّ فيه أحلى من التوحيدِ

كُلُّ خمصانةٍ أرقُّ منَ الخَمْـ ... ـرِ بقلبٍ أقسى منَ الجُلمُودِ(٤)

ذاتِ فرعٍ كأنما ضُرِبَ العَنـ ... ـبرُ فيه بماءِ وردٍ وعودِ

حالكٍ كالغُداف جَثلٍ دَجُو ... جيٍّ أثيثٍ جعدٍ بلا تجعيدِ(٥)

جمعت بين جسم أحمد والسقـ ... ـم وبين الجفونِ والتسهيدِ

تحملُ المسك عن غدائرِها الريـ ... ـحُ وتفترُّ عن شيب برود

هذه مهجتي لديْكِ لحيْني ... فانقُصِي منْ عذابِها أو فزيدي

(*) مناسبة القصيدة: قالها في صباه.

(١) الطلى: الأعناق والرقاب.

(٢) المعمود: الذي أسقمه الحب.

(٣) دار أثلة: مكان قرب الكوفة.

(٤) الخمصانة: ضامرة البطن.

(٥) الغداف: الغراب. الجثل: الكثير الملتف. الدجوجي: الدامس الظلام. الاثيث: الكثيف.

أهلُ مـا بي منَ الضَّنى بطلٌ صيـ ـد بتصفيفِ طُرّةٍ وبجيدِ[١]

كلُّ شيءٍ منَ الدّمـاءِ حَـرامٌ شربُهُ ما خلا ابنَة العُنقُودِ

فاسقنيها فدًى لعَينَيْكَ نَفسي مِنْ غزالٍ وطارِفي وَتليدي

شَيْبُ رَأسِي وَذلّتي ونحُولي ودُمُوعي على هوَاكَ شُهُودي

أيّ يومٍ سَررْتَني بوِصالٍ لمْ ترعْني ثلاثةً بِصُدُودِ

ما مُقامي بأرضِ نخلةَ إلا كمُقامِ المسيحِ بينَ اليهُودِ

مفرشِي صهوةُ الحصانِ ولكـ ـن قميصي مسرودة من حديدِ

لأْمةٌ فاضةٌ أضاةٌ دلاصٌ أحكمتْ نسجَها يدا داودِ[٢]

أين فضْلي إذا قنعتُ من الدهـ ـرِ بعيشٍ معجَّل التنكيدِ

ضاقَ صدري وطالَ في طلبِ الرّز قِ قيامي وَقل عنه قعودي

أبدًا أقطعُ البلادَ ونجمي في نحُوسٍ وهمّتي في سعُودِ

ولعلّي مؤمّلٌ بعضَ ما أبـ ـلغُ باللطفِ منْ عزيزٍ حميدِ

لسريّ لباسهُ خشنُ القطـ ـنِ ومرويّ مروَ لبسُ القُرُودِ[٣]

عشْ عزيزًا أو متْ وأنتَ كريمٌ بينَ طعنِ القنا وخفقِ البنودِ

فرؤوسُ الرماحِ أذهبُ للغيـ ـظِ وأشفى لغلِّ صدرِ الحقودِ[٤]

---

(١) الطرة: الناصية.

(٢) اللأمة: الدرع. الفاضة: الواسعة. الأضاة: الغدير من الماء. الدلاص: الملساء اللينة.

(٣) السري: الشريف. مرو: بلد في فارس.

(٤) الغلّ: الحقد والغش.

لا كَما قد حييتَ غيرَ حَميدٍ ... وإذا متَّ متَّ غيرَ فقيدِ

فاطلُبِ العزّ في لظَى ودعِ الذّ ... لّ ولو كانَ في جنانِ الخُلودِ

يُقتلُ العاجزُ الجبانُ وقدْ يعـ ... ـجزُ عنْ قطعِ بخبق المولودِ[١]

ويوقى الفتى المخشُّ وقد خوّ ... ض في ماءِ لبَّة الصّنديدِ[٢]

لا بقومي شرفْتُ بل شرفُوا بي ... وبنفسي فخرْتُ لا بجدودي

وبهم فخرُ كلُّ منْ نطقَ الضّا ... دَ وعوذُ الجاني وغوثُ الطّريدِ

إنْ أكنْ معجبًا فعُجْبُ عَجيبٍ ... لم يجدْ فوقَ نفْسه منْ مَزيدِ

أنا تربُ الندى وربُّ القَوافي ... وسِمَامُ العِدَى وغَيظُ الحَسودِ[٣]

أنا في أمَّةٍ تداركَها اللّـ ... ـهُ غَريبٌ كصَالحٍ في ثَمودِ

(١) البخنق: خرقة يقنع بها الرأس.

(٢) المخش: المقدم. اللبة: أعلى الصدر. الصنديد: القوي الشجاع.

(٣) ترب: أخو. الندى: الكرم والسخاء.

الصاعقة الحادية والثلاثون: أُحادٌ أمْ سُداسٌ في أُحادِ(*)

أُحـــادٌ أمْ سُـــداسٌ في أُحـــادِ ... لُـيَـــبلَتُنا المنُوطةُ بالتّنادي

كـــأنّ بَنات نَعْشٍ في دُجـــاها ... خَـرائدُ سـافـراتٌ في حِـدادِ(١)

أُفَكّرُ في مُـــعـــاقَـــرَةِ المَنايا ... وقَـودِ الخَيلِ مُشرِفَةَ الهَوادي(٢)

زَعِـــيمٌ لـلقَنا الخَطّيّ عَـــزمي ... بسَـفك دَمِ الخَواضِـرِ والبَـوادي

إلى كَمْ ذا التـــخلّفُ والتّـــواني ... وكَمْ هذا التّـمادي في التّـمادِي

وشُـغلُ النَّفسِ عن طَلَبِ المَعـالي ... ببَـيعِ الشّـعرِ في سوقِ الكَسادِ

ومـا مـاضي الشّـبـابِ بمُستَرَدٍّ ... ولا يَومٌ يَمُـــرّ بمُســـتَـــعـــادِ

متى لحظت بَياضَ الشَّيب عيني ... فـقـد وَجدَتهُ منهـا في السّوادِ

مـتى مـا ازدَدْتُ من بعـدِ التَّناهي ... فـقـد وقَعَ انتـقـاصي في ازديادي

أأرضى أن أعـــيشَ ولا أُكـــافي ... على مـــا للأمـــيـــرِ منَ الأيادي

جَـزى اللهُ المَسـيـرَ إليـه خَـيـرًا ... وإنْ تَـركَ المَطـايا كـــالمَزادِ

فَلَـمْ تَـلقَ ابـنَ إبـراهـيـمَ عَـنـسي ... وفـيـهـا قُـوتُ يَومٍ للقُـرادِ(٣)

ألَم يَـكُ بَـيـنَـنا بَـلَدٌ بَعـيـدٌ ... فَـصَـيَّـرَ طُولَهُ عَـرضَ النِّجـادِ(٤)

(*) مناسبة القصيدة: مدح علي بن إبراهيم التنوحي.

(١) بنات نعش: كواكب معروفة. الخرائد: جمع خريدة: المرأة الشابة.

(٢) الهوادي: الأعناق.

(٣) العنس: الناقة القوية. القراد: دويبة تتعلق بالبعير.

(٤) النجاد: حمّالة السيف.

وأبعَـدَ بُعـدَنا بُعـدَ التّـداني ... وقَـرَّبَ قُـربنا قُـربَ البِـعـادِ

فَلَمّـا جِـئـتُـهُ أعلى مَـحَلّي ... وأجلسني على السَّـبعِ الشِّـدادِ

تَهَلَّلَ قَـبلَ تَسلِيـمي علَيـهِ ... وأَلقى مـالَهُ قَـبْلَ الوِسـادِ

نَلُومُكَ يا عَليّ لغَـيـرِ ذَنبٍ ... لأنَّكَ قـد زَرَيتَ على العِـبـادِ[1]

وأنّكَ لا تَجُـودُ على جَـوادٍ ... هِبـاتُكَ أن يُلَقَّبَ بالجَـوادِ

كـأنّ سَـخـاءَكَ الإسـلامُ تَخـشى ... إذا مـا حُلتَ عـاقِـبَـةَ ارتِدادِ

كـأنّ الهـامَ في الهَـيـجـا عُـيُـونٌ ... وقـد طُبِـعت سُـيُـوفُكَ من رُقـادِ

وقـد صُـغتَ الأسِنَّةَ من هُمـومٍ ... فَـمـا يَخطُرنَ إلاّ في الفـؤادِ

ويَومَ جَلَبتَـهـا شُـعثَ النّواصي ... مُـعَـقَّـدَةَ السّـبـاسبِ للطّرادِ[2]

وحـامَ بهـا الهـلاكُ على أُناسٍ ... لَهُم باللاّذِقـيَّـةِ بَغيُ عـادِ

فكانَ الغَـربُ بَحـرًا من مـيـاهٍ ... وكـانَ الشَّـرقُ بَحـرًا من جـيـادِ

وقـد خَـفَـقت لك الرّاياتُ فـيـهِ ... فَظَلَّ يَمُـوجُ بالبِـيضِ الحِـدادِ

لَقُـوكَ بأكـبُـدِ الإبلِ الأبايا ... فَـسُـقتَـهمُ وحَـدُّ السَّـيفِ حـادِ

وقـد مـزَّقتَ ثَوبَ الغَيِّ عنهُمْ ... وقَـدْ ألبَـستَـهم ثَوبَ الرَّشـادِ

فَـمـا تَركُـوا الإمـارَةَ لاخـتِـيـارٍ ... ولا انتَـحَلُوا ودادَكَ من وِدادِ

ولا استَـفلُوا لزُهْدٍ في التَّـعـالي ... ولا انقـادوا سُـرُورًا بانقِـيـادِ

---

(١) زريت: حقّرت.

(٢) الشعث: المغبرة. النواصي: جمع ناصية: شَعر مقدم الرأس. السباسب: شَعر الذَّنَب.

ولكن هَبّ خَوْفُكَ في حَشاهُمْ ... هُبُوبَ الرِّيحِ في رِجلِ الجَرادِ

وماتُوا قَبلَ مَوتهِمِ فَلَمّا ... مَننتَ أعَدتَهُمُ قَبلَ المعادِ

غَمَدتَ صَوارِمًا لَوْ لَمْ يَتُوبوا ... مَحَوتَهُمُ بها مَحوَ المِدادِ

وما الغَضَبُ الطَّرِيفُ وإن تَقَوّى ... بِمُنتَصِفٍ مِنَ الكَرَمِ التِّلادِ

فَلا تَغْرُرْكَ ألسنَةٌ مَوالٍ ... تُقَلِّبُهُنَّ أفئِدَةٌ أعادِي

وكُنْ كالمَوْتِ لا يَرثِي لباكٍ ... بكَى منهُ ويَروَى وهوَ صادِ

فإنّ الجُرْحَ يَنفِرُ بعْدَ حينٍ ... إذا كانَ البِناءُ على فَسادِ

وإنّ الماءَ يَجري من جَمادٍ ... وإنّ النّارَ تَخرُجُ من زِنادِ

وكيفَ يَبيتُ مُضطَجِعًا جَبانٌ ... فَرَشْتَ لجَنبِهِ شَوكَ القَتادِ

يَرى في النّومِ رُمحَكَ في كُلاهُ ... ويَخشى أن يَراهُ في السُّهادِ

أشِرتُ أبا الحُسَينِ بمَدحِ قَومٍ ... نَزَلت بِهِم فَسِرتُ بِغَيرِ زادِ[1]

وظنّوني مَدَحتُهُمُ قَديمًا ... وأنتَ بِما مَدَحتُهُمُ مُرادِي

وإنّي عَنكَ بَعدَ غَدٍ لَغادٍ ... وقَلبِي عَنْ فِنائِكَ غَيرُ غادِ

مُحِبُّكَ حَيثُما اتَّجَهَت رِكابِي ... وضَيفُكَ حيثُ كنتُ من البِلادِ

(١) أشِرتَ: فرحت.

الصاعقة الثانية والثلاثون: أُحلُماً نَرى أَمْ زَماناً جَديدا(*)

أُحلُمًا نَرى أَمْ زَمانًا جَديدا ... أمِ الخَلقِ في شَخصِ حيٍّ أُعيدا

تَجَلّى لَنا فأضَأنا بِهِ ... كأنّا نُجُوم لَقين سُعُودا

رَأينا بِبَدرٍ وآبائِهِ ... لَبَدرٍ ولُوداً وبَدراً وَليدا

طَلَبنا رِضاهُ بتَركِ الذي ... رَضيبنا لَهُ فَتَركنا السّجودا

أمِيرٌ أَميرٌ عَلَيْهِ النَّدى ... جَوادٌ بَخيلٌ بأنْ لا يَجُودا

يُحَدَّثُ عَن فَضلِهِ مُكرَهًا ... كأنّ لَهُ منهُ قَلبًا حَسُودا

ويُقدِمُ إلاّ عَلى أنْ يَفِرّ ... ويَقدِرُ إلاّ عَلى أن يَزيدا

كأنّ نَوالَكَ بَعضُ القَضاء ... فَما تُعطِ منهُ نجدهُ جُدودا

وربَّتَما حَملَةٍ في الوَغى ... رَدَدت بها الذُّبلَ السُّمرَ سُودا

وهَوْلٍ كَشَفتَ ونَصلٍ قَصَفتَ ... ورُمحٍ تركتَ مُباداً مُبيدا

ومالٍ وهَبتَ بِلا مَوعِدٍ ... وقِرنٍ سَبَقتَ إليهِ الوَعيدا

بهَجرِ سُيُوفِكَ أَغمادَها ... تَمَنَّى الطُّلى أن يكونَ الغُمودا[1]

إلى الهامِ تَصدُرُ عَنْ مِثلِهِ ... تَرى صَدَراً عَنْ وُرُودٍ وُرُودا

(*) مناسبة القصيدة: قالها يمدح أبا الحسين بدر بن عمار بن إسماعيل الأسدي الطبرستاني وهو يومئذ يتولى حرب طبرية من قبل أبي بكر محمد بن رانق سنة (٣٢٨هـ - ٩٣٩م).

(١) الطلى: الأعناق.

قَـتَلتَ نُفُـوسَ العِـدى بالحَـديـ ـدِ حـتى قَـتَلتَ بهنَّ الحَـديدا
فـأنفـدتَ من عَـيـشِـهِنّ البَـقـاءَ وأَبقَـيتَ مّـمـا ملَكتَ النَفُـودا
كـأنَّكَ بالفَـقـرِ تَبـغي الغِنى وبالموتِ في الحَـربِ تَبـغِي الخلودا
خَـلائِقُ تَهـدِي إلى رَبِّهـا وآيَةُ مَـجـدٍ أراها العَـبـيـدا
مُـهَـذَّبَـةٌ حُلوَةٌ مُـرّةٌ حَـقَـرْنا البِـحـارَ بهـا والأسُـودا
بَعـيـدٌ على قُـربِهـا وَصـفُـهـا تغولُ الظّنون وتُنضي القَصِيدا[1]
فـأنت وَحـيـدُ بَـني آدَمٍ ولَستَ لفَـقـدِ نَظيـرٍ وَحـيـدا

(١) تغول: تهلك. تنضي: تهزل.

obeikandl.com

الصاعقة الثالثة والثلاثون: حسمَ الصلحُ ما اشتهتهُ الأعادي(*)

حَسَمَ الصلحُ ما اشتهتْهُ الأعادي ... وأذاعتْه ألسنُ الحسَّادِ

وأرادتْهُ أنفسٌ حالَ تدبيـ ... ـرُكَ ما بينها وبينَ المرادِ

صارَ ما أوضعَ المحبّونَ فيهِ ... منْ عتابٍ زيادةً في الودادِ

وكلامُ الوشاةِ ليسَ على الأحـ ... ـبابِ، سلطانهُ على الأضدادِ

إنما تنجحُ المقالةُ في المرْ ... ء إذا وافقتْ هوى في الفُؤادِ

ولعمري لقد هُزِزْتَ بما قيـ ... ـل فألفيتَ أوثق الأطْوادِ

وأشارتْ بما أبيتَ رِجالٌ ... كنتَ أهدى منها إلى الإرشادِ

قد يصيبُ الفتى المشيرُ ولم يَجـ ... ـهدْ ويشوي الصَّوابَ بعد اجتهادِ

نلتَ ما لا ينالُ بالبيضِ والسمـ ... ـرِ وصنتَ الأرواحَ في الأجسادِ

وقنا الخطّ في مراكزِها حَوْ ... لك والمرهفاتُ في الأغمادِ

ما دروْا إذ رأوْا فؤادَك فيهِمْ ... ساكنًا أنّ رأيَهُ في الطّرادِ

ففدَى رأيَك الذي لم تفدْهُ ... كلُّ رأيٍ معلَّمٍ مستفادِ

وإذا الحلمُ لم يكنْ عنْ طِباعٍ ... لم يكنْ عن تقادُمِ الميلادِ

فبهذا ومثلِهِ سُدْتَ ياكا ... فورُ واقتدْتَ كلَّ صعبِ القيادِ

(*) مناسبة القصيدة: جرت وحشية بين الأستاذ كافور والأمير أبي القاسم مدة ثم اصطلحا فقالها أبو الطيب.

وأطاع الذي أطاعَكَ والطّا ... عةُ ليستْ خلائقَ الآسادِ
إنما أنتَ والدٌ والأبُ القَا ... طعُ أحنى منْ واصلِ الأولادِ
لا عَدا الشرُّ منْ بغى لكُما الشرّ ... وَخَصّ الفَسَادُ أهلَ الفَسَادِ
أنتُما ما اتفقتُما الجسمُ والرّو ... حُ فَلا احتجتُما إلى العُوّادِ
وإذا كانَ في الأنابيبِ خُلْفٌ ... وَقَعَ الطّيشُ في صُدورِ الصِّعادِ
أشمَتَ الخلفُ بالشراة عداها ... وشَفَى ربَّ فارسٍ من إيَادِ
وتولى بني اليزيديّ بالبَصْـ ... ـرة حتى تمزقُوا في البِلادِ
وملوكًا كأمسِ في القربِ منا ... وكَطَسْمٍ وأختِها في البعادِ[1]
بكما بتُّ عائذًا فيكما منْـ ... ـهُ ومنْ كَيدِ كُلّ باغٍ وعادِ
وبلبَّيْكما الأصيلين أن تَفْـ ... ـرُقَ صمُّ الرماحِ بينَ الجيادِ
أو يكونَ الوليُّ أشقى عَدُوٍّ ... بالذي تذخرانه منْ عتادِ
هل يسُرّنّ باقيًا بعدَ ماضٍ ... ما تقولُ العداةُ في كلِّ نادِ
منعَ الودُّ والرعايةُ والسّؤ ... ددُ أنْ تبلغا إلى الأحقَادِ
وحقوقٌ ترقّقُ القلبَ للقَلـ ... ـبِ ولو ضُمّنَتْ قُلوبَ الجمادِ
فغدا الملكُ باهرًا منْ رآهُ ... شاكرًا ما أتيتما منْ سدادِ
فيه أيديكُما على الظَّفرِ الخُلـ ... ـوِ وأيدي قومٍ على الأكبادِ

(١) طسم: قبيلة من العرب البائدة. وأختها جديس.

هـــذهِ دولـــةُ المـــكـــارِمِ والـــرّأ ... فـــــةِ والمجـــــدِ والنـدى والأيادي
كـسفتْ ساعةً كـما تكسفُ الشّمْـ ... ـسُ وعـــادتْ ونُورُهـا في ازديادِ
يـزحـمُ الـدهرَ ركـنُهـــا عنْ أذاهَا ... بفـــتًى مـــاردٍ على الـمُـــرَّادِ
مـــتـلـفٍ مـــخـلـفٍ وفيّ أبـيٍّ ... عَـــالـمٍ حَـــازمٍ شُـــجَـــاعٍ جَـــوَادِ
أجـــفـلَ الناسُ عن طريقِ أبي المسـ ... ـكِ وذلّت لهُ رِقَـــابُ العِـــبَـــادِ
كـــيفَ لا يُتـــركُ الطريقُ لسَـــيلٍ ... ضَـــــيّقٍ عَن أتِـيّـــــهِ كُـلُّ وادِ

obeikandl.com

الصاعقة الرابعة والثلاثون: اليَومَ عَهْدُكُمُ فأينَ المَوعِدُ؟(*)

أليَومَ عَهْدُكُمُ فأينَ المَوعِدُ؟ هَيهاتَ ليسَ لِيَومِ عَهدِكُمُ غَدُ
أَلموتُ أقرَبُ مِخلَبًا من بَينكُمْ والعَيشُ أبعَدُ مِنكُمُ لا تَبعُدُوا
إنَّ التي سَفَكَت دَمي بِجُفُونِها لَمْ تَدرِ أنَّ دَمي الذي تَتَقَلدُ(١)
قالت وقد رأت اصفراري من به وتنهَّدَت فأجَبتُها المُتَنَهِّدُ
فَمَضَتْ وَقَدْ صَبَغَ الحَياءُ بَياضَها لَوني كَما صَبَغَ اللُّجَينَ العَسجَدُ
فَرأيتُ قَرنَ الشَّمس في قَمَرِ الدُّجى مُتَأوِّدًا غُصنٌ بِهِ يَتَأوَّدُ
عَدَوِيَّةٌ بَدَوِيَّةٌ من دُونِها سَلَبُ النُّفُوسِ ونارُ حَربٍ تَوقَدُ
وَهَواجِلٌ وصَواهِلٌ ومَناصِلٌ وذَوابِلٌ وتَوَعُّدٌ وتَهَدُّدُ(٢)
أبلَتْ مَوَدَّتَها اللّيالي بَعدَنا ومَشى عَلَيها الدَّهرُ وهوَ مُقَيَّدُ
بَرَّحتَ يا مَرَضَ الجُفُونِ بِمُمرَضٍ مَرِضَ الطَّبيبُ لهُ وَعِيدَ العُوَّدُ
فَلَهُ بَنُو عَبدِالعَزيزِ بنِ الرِّضى ولكُلِّ رَكبٍ عِيسُهُمْ والفَدْفَدُ(٣)
مَن في الأنامِ مِنَ الكِرامِ ولا تَقُلْ مَن فيكِ شأمٌ سوى شجاعٍ يُقصَدُ
أعطى فقُلتُ: لجودِهِ ما يُقتَنى، وَسَطا فقلتُ: لسَيفِهِ ما يُولَدُ

(*) مناسبة القصيدة: يمدح شجاع بن محمد الطائي المنبجي أيضاً.
(١) تتقلد: تلزمها تبعته.
(٢) الهواجل: الفلوات.
(٣) الفدفد: الصحراء.

وتَحَيَّرَت فيهِ الصِّفاتُ لأنَّها ... ألفَت طَرائقَهُ عَليها تَبعُدُ

في كلّ مُعتَرَكٍ كُلى مَفريّة ... يَذمُمْنَ منهُ ما الأسِنَّةُ تَحمَدُ

نِقَمٌ عَلى نِقَمِ الزَّمانِ يَصُبّها ... نِعَمٌ على النّعَمِ التي لا تُجحَدُ

في شانِهِ ولِسانِهِ وبَنانِهِ ... وَجنانِهِ عَجَبٌ لَمن يَتَفَقّدُ

أسَدٌ دَمُ الأسَدِ الهِزَبرِ خِضابُهُ ... موتٌ فَريصُ الموتِ منهُ يُرعَدُ[1]

ما مَنبجٌ مُذ غِبتَ إلاّ مُقلَةٌ ... سهدت ووَجهُكَ نومُها والإثمِدُ

فاللّيلُ حينَ قَدِمتَ فيها أبيضٌ ... والصّبحُ مُنذُ رَحَلتَ عنها أسوَدُ

ما زِلتَ تَدنو وهيَ تَعلُو عِزّةً ... حتى تَوارى في ثَراها الفَرقَدُ

أرضٌ لَها شَرَفٌ سِواها مِثلُها ... لَوْ كانَ مِثلُكَ في سِواها يُوجَدُ

أبدى العُداةَ بِكَ السّرورَ كأنّهُمْ ... فَرِحوا وعِندَهُمُ المُقيمَ المُقعِدُ

قَطَّعْتَهُمْ حَسَداً أراهُم ما بِهِمْ ... فَتَقَطَّعُوا حَسَداً لِمَنْ لا يَحسُدُ

حتى انثَنوا ولَوْ أنَّ حرّ قُلوبهِمْ ... في قَلبِ هاجِرَةٍ لَذابَ الجَلمَدُ[2]

نَظَرَ العُلُوجُ فلَم يَروا من حَولهم ... لِمّا رَأوكَ وقيلَ هذا السّيّد

بَقَيتَ جُموعُهُمُ كأنَّكَ كُلُّها ... وبَقيتَ بَينَهُمُ كأنَّكَ مُفرَدُ

لهفانَ يَستوبي بِكَ الغضَبَ الوَرى ... لو لَمْ يُنَهنِهكَ الحجى والسّؤدُدُ[3]

---

(١) الفريصة: لحمة عند الكتف ترتعد عند الخوف.

(٢) الهاجرة: اشتداد الحر عند الظهيرة. الجلمد: الصخر.

(٣) اللهفان: المكروب. يستوبي: من الوباء، وهو المرض.

كُنْ حيثُ شئتَ تَسر إليكَ رِكابُنا ... فالأرضُ واحدَةٌ وأنتَ الأوحَدُ

وَصْنِ الحُسامَ ولا تُذلهُ فإنّهُ ... يَشكُو يَمينَك والجَماجمُ تَشهَدُ

يَبِسَ النَّجيعُ عَلَيهِ وهوَ مُجَرَّدٌ ... مِن غِمدِهِ وكأنّما هوَ مُغمَدُ

رَيّانُ لَوْ قَذَفَ الذي أسقَيتَهُ ... لَجَرى مِنَ المُهَجاتِ بَحرٌ مُزبِدُ

ما شارَكَتهُ مَنيةٌ في مُهْجَةٍ ... إلاّ وشَفرَتُهُ على يَدِها يَدُ

إنَّ العَطايا والرّزايا والقَنا ... حُلَفاءُ طَيٍّ غَوّرُوا أو أنجَدُوا

صِحْ يا لَجُلهُمَةٍ تُجبكَ وإنّما ... أشفارُ عَينكَ ذابلٌ ومُهَنَّدُ[1]

من كلّ أكبَرَ منْ جبالِ تِهامَةٍ ... قَلبًا ومن جَودِ الغَوادي أجوَدُ

يَلقاكَ مُرتَديًا بأحمَرَ منْ دَمٍ ... ذَهَبَت بخُضرَتِهِ الطُّلى والأكبُدُ

حتى يُشارَ إليكَ: ذا مَولاهُمُ ... وَهُمُ المَوالي والخَليقَةُ أعبُدُ

أنّى يكُونُ أبا البَرِيَّةِ آدَمٌ ... وأبوكَ والثَّقَلانِ أنتَ مُحَمَّدُ

يَفنى الكَلامُ ولا يُحيطُ بفَضلِكُمْ ... أيُحيطُ ما يَفنى بما لا يَنفَدُ

(١) جلهمة: اسم طيّئ. أشفار العين: منابت الأهداب.

الصاعقة الخامسة والثلاثون: جاء نيروزنا وأنت مرادهُ(*)

جـــاء نيـــروزُنا وأنت مُـــرادُهْ ... ووِرثْ بـــالـــذي أرادَ زنـــادُهْ(١)

هـذهِ النـظرةُ الـتي نـالَهـــا مِنـ ... ـكَ إلى مـثلِهـا منَ الحـوْلِ زادُهْ

ينثني عنكَ آخـــرَ اليـــومِ منهُ ... نـاظرٌ أنتَ طرفُـــهُ ورقـــادُهْ

نحنُ في أرضِ فـــارسٍ في سُـــرورٍ ... ذا الصـبـاحُ الذي نرى مـيـلادُهْ

عظَّمَـتْـه ممالكُ الفـرسِ حـتى ... كلُّ أيامِ عـامِـه حـســادُهْ

مـا لبـسنا فـيـهِ الأكـاليلَ حـتى ... لبـسـتْـهَـا تلاعُـهُ ووهادُهْ

عند منْ لا يُقاسُ كـسرى أبو سا ... ســـانَ ملـكًا بـه ولا أولادُهْ

عـــربيٌّ لسـانُـهُ فلسـفيٌّ ... رأيـهُ فـارسـيـةٌ أعـيـادُهْ

كلّمـــا قـــالَ نـائلٌ أنـا منـهُ ... سـرفٌ قـالَ آخـرُ ذا اقـتـصـادُهْ

كـيفَ يرتدّ منكبي عن سـمـاءٍ ... والنجـادُ الذي عليْـه نجـادُهْ

قلّدتْني يمـينـهُ بحُـســَـامٍ ... أعـقـبتْ منه واحـداً أجـدادُهْ

كلّمَـا اسـتُلَّ ضـاحكتْـهُ إياةٌ ... تزعُمُ الشـمسُ أنهـا أرآدُهْ(٢)

مـثّلوهُ في جـفنهِ خـيـفـةَ الفـقْـ ... ـدِ فـفي مـثْلِ أثرهِ إغـمـادُهْ

(*) مناسبة القصيدة: يمدح ابن العميد، ويهنئه بالنيروز، ويصف سيف قلده إياه، وفرساً حمله عليه، وجائزة وصله بها، وكان قد عاب القصيدة الرائية عليه.

(١) النيروز: عيد من أعياد الفرس.

(٢) إياة الشمس: ضوءُها. والأرآد: جمع رأد: رونق الضحى.

منعلٌ لا من الحفا ذهبًا يحـ ـملُ بحرًا فرندُهُ إزبادُهْ
يقسمُ الفارسُ المدججُ لا يسـ ـلمُ منْ شفرتيْه إلا بِدادُهْ
جمعَ الدهرُ حدّهُ ويَدَيهِ وثنائي فاستَجْمَعَتْ آحَادُهْ
وتقلدتُ شامةً في نداهُ جلدُها مُنْفِساتُهُ وعتادُهْ
فرَّستْنَا سوابقٌ كنّ فيه فارقتْ لبدهُ وفيها طرادُهْ
ورجتْ راحةً بنا لا تراها وبلادٌ تسيرُ فيها بلادُهْ
هل لعُذري عند الهُمامِ أبي الفضـ ـلِ قبولٌ سوادُ عيني مدادُهْ
أنا منْ شدّةِ الحياءِ عليلٌ مكرماتُ المعلّهِ عوّادُهْ
ما كفاني تَقصيرُ ما قلتُ فيه عن علاهُ حتى ثناهُ انتقادُهْ
إنني أصْيَدُ البزاةِ ولكنَّ أجلّ النجومِ لا أصطادُهْ
رُبّ ما لا يعبّرُ اللفظُ عنهُ والذي يضمرُ الفؤادُ اعتقادُهْ
ما تعوَّدتُ أنْ أرى كأبي الفضـ ـلِ وهذا الذي أتاهُ اعتيادُهْ
إنّ في الموجِ للغريقِ لعذرًا واضحًا أن يفوتَهُ تعدادُهْ
للندى الغلبُ إنه فاضَ والشعـ ـرُ عمادي وابنُ العميد عمادُهْ
نالَ ظنّي الأمورَ إلا كريمًا ليس لي نطقُهُ ولا فيّ آدُهْ[1]
ظالمُ الجودِ كلّما حلّ ركبٌ سيمَ أنْ تحملَ البحارَ مزادُهْ

(١) الآد: القوة والبأس.

غـمـرتْني فـوائدٌ شـاءَ فـيـهـا أن يـكـونَ الـكـلامُ مما أُفـادُهْ
مـا سـمـعْنا بمنْ أحبَّ العطايا فـاشـتـهَى أنْ يكونَ فـيـهـا فـؤادُهْ
خلقَ اللـهُ أفـصـحَ الـناسِ طُـرًّا في مكانٍ أعـرابُـهُ أكـرادُهْ
وأحقَّ الغـيـوثِ نفـسًـا بحـمـدٍ في زمـانٍ كلُّ النفـوسِ جـرادُهْ
مـثلمـا أحـدثَ النبـوَّةَ في العـا لم والبـعثَ حينَ شـاعَ فـسـادُهْ
زانتِ الليلَ غـرةُ القـمَـرِ الطا لعِ فـيـه ولم يشنْه سـوادُهْ
كـثـرَ الفكرُ كـيفَ نهـدي كـمـا أهـ ـدتْ إلى ربِّـهـا الرئيسِ عـبـادُهْ
والذي عـندنَا منَ المالِ والخـيـ ـلِ فـمنْهُ هبـاتُهُ وقـيـادُهْ
فـبـعـثْنَا بأربعينَ مـهـارًا كلُّ مـهـرٍ مَـيْـدانُهُ إنشـادُهْ
عـددٌ عـشـتَـهُ يرَى الجِسْمُ فـيـهِ أربًا لا يرَاهُ فـيـمـا يُزادُهْ
فـارتبطْهـا فـإنّ قلبًـا نماهَا مـربطُ تسـبقُ الجِـيـادَ جـيـادُهْ

الصاعقة السادسة والثلاثون: أيا خَدَّدَ اللهُ وَردَ الخُدودِ(*)

أيا خَـــدَّدَ اللهُ وَردَ الخُـــدودِ ... وَقَـدّ قُـدودَ الحِـسـانِ القُـدودِ

فَـــهُنّ أسَلْنَ دَمًـــا مُـــقلَتي ... وَعَـــذّبنَ قَلبي بطُولِ الصّـــدودِ

وكَمْ للهَـوى من فَـتًى مُـدْنَفٍ ... وكَمْ للنَّوى من قَـتيلٍ شَـهيـدِ

فـوَا حَـسـرَتا مـا أمَـرَّ الفِـراقَ ... وأَعْـلَقَ نِيـرانَهُ بـالكُبُـودِ

وأغـرى الصَّبَّـابَةَ بالعـاشـقينَ ... وأقـتَلَهـا للمُـحِبّ العَـمـيـدِ

وألهَجَ نَفـسي لغَـيـرِ الخَنا ... بحُبِّ ذَواتِ اللَّمى والنّهُـودِ(١)

فكانَتْ وكُنّ فِـداءَ الأمـيـرِ ... ولا زالَ مِنْ نِعـمَـةٍ في مَـزيدِ

لقـد حـالَ بالسَّيفِ دونَ الوَعـيـدِ ... وحـالَتْ عَطاياهُ دونَ الوُعـودِ

فـأنجُمُ أمـوالِهِ في النّحُـوسِ ... وأنجُمُ سُـؤّالِهِ في السّـعُـودِ

ولَوْ لَمْ أخَفْ غَـيـرَ أعْـدائِه ... عَلَيـهِ لَبَـشَّـرتُهُ بالخُلُودِ

رَمى حَلَبًـا بنَواصي الخُـيُـولِ ... وسُـمـرٍ يُرِقْنَ دَمًـا في الصَّعـيـدِ

وبيضٍ مُـسـافِـرَةٍ مـا يُقِـمْـ ... ـنَ لا في الرِّقـابِ ولا في الغُـمُـودِ

يَقُـدْنَ الفَناءَ غَـداةَ اللِّقـاءِ ... إلى كلِّ جَـيشٍ كَـثـيـرِ العَـديدِ

(*) مناسبة القصيدة: كتب إلى الوالي وهو في الاعتقال.

(١) الخنا: الفحش. اللمى: السمرة في الشفتين.

فـولّى بأشـيـاعـهِ الخَـرشَنيُّ ... كَـشـاءٍ أحَسّ بِزَأرِ الأسُـودِ[١]

يَرَونَ مِنَ الذّعـرِ صَـوتَ الرِّياحِ ... صَـهـيلَ الجِـيـاد وخَـفْقَ البُنُودِ

فَـمَنْ كـالأمـيـرِ ابنِ بنتِ الأمـيـ ... ـرِ أوْ مَـنْ كـآبائِـهِ والجُـدُودِ

سَـعَـوْا لِلمَـعـالِي وَهُمْ صِـبـيَـةٌ ... وسـادوا وجـادوا وهُـمْ في المُهـودِ

أمـالِـكَ رِقّي ومَـن شـأنُـهُ ... هِبـاتُ اللُّجَينِ وعِـتقُ العَـبـيـدِ

دَعَـوْتُكَ عِندَ انـقِطاعِ الرَّجـا ... ءِ والمَوتُ مِنّي كـحَـبـلِ الوَرِيدِ

دَعَـوتُكَ لـمّـا بَراني البَـلاءُ ... وأوهَنَ رِجلـيّ ثِـقـلُ الحَـديـدِ

وقَـدْ كـانَ مَـشـيُـهُـمـا في النِّعـالِ ... فـقَـد صـارَ مـشـيُـهُـمـا في القُـيُـودِ

وكـنـت مِنَ النّاسِ في مَـحـفِـلٍ ... فَـهـا أنـا في مَـحـفِـلٍ مِن قُـرُودِ

تُعَـجِّـلُ فيّ وُجـوبَ الحُـدودِ ... وَحَـدّي قُـبَـيـلَ وُجـوبِ السّـجـودِ

وقـيـل: عَـدَوتَ على العـالمينَ ... بَـينَ وِلادي وبَـينَ القُـعُـودِ

فَـمـا لَكَ تَقـبَـلُ زُورَ الكَلامِ ... وقَـدْرُ الشّـهـادةِ قَـدْرُ الشّـهُـودِ

فَـلا تَسـمَـعَنّ مِنَ الكاشِـحِينَ ... ولا تَـعـبَـأنّ بِعـجـلِ اليَـهُـودِ

وكـن فـارِقًـا بينَ دَعـوى أرَدتُ ... ودَعـوى فَـعَلتُ بِشـأوٍ بَعـيـدِ[٢]

وفي جُـودِ كَـفّـيْكَ مـا جُـدْتَ لِي ... بِنَـفـسي ولَـوْ كنتُ أشـقى ثَمُـودِ

(١) الخرشني: نسبة إلى خرشنة، وهي بلدة من بلاد الروم.
(٢) الشأو: الغاية.

الصاعقة السابعة والثلاثون: نسيتُ وما أنسى عتاباً على الصدِّ(*)

نسيتُ وما أنسى عتابًا على الصدِّ ... ولا خَفَرًا زادتْ به حمرةُ الخدِّ(١)

ولا ليلةً قصّرتُها بقصيرةٍ ... أطالتْ يدي في جيدها صُحبةَ العقدِ(٢)

ومنْ لي بيومٍ مثلِ يومٍ كرهتُهُ ... قربتُ به عند الوداعِ من البُعْدِ

وألا يخُصّ الفقدُ شيئًا لأنّني ... فقدتُ فلم أفقدْ دموعي ولا وجدي

تمنٍّ يلذُّ المستهامُ بذكرِهِ ... وإنْ كانَ لا يغني فتيلًا ولا يجدي

وغيظٌ على الأيامِ كالنّار في الحَشَا ... ولكنهُ غيظُ الأسيرِ على القدِّ

فإمّا تريْني لا أقيمُ ببلدَةٍ ... فآفةُ غمدي في دُلوقي وفي حدّي(٣)

يحلّ القنا يومَ الطّعان بعَقوَتي ... فأحرمُهُ عرضي وأطعِمُهُ جلدي(٤)

تبدِّلُ أيامي وعيشي ومنزِلي ... نجائبُ لا يفكرنَ في النحس والسّعدِ

وأوجُهُ فتيانٍ حياءً تلثَّمُوا ... عليهنّ لا خوفًا من الحرِّ والبردِ

وليسَ حياءُ الوجهِ في الذئبِ شيمةً ... ولكنهُ منْ شيمةِ الأسدِ الوردِ

إذا لم تُجزْهم دارَ قومٍ مودّةٌ ... أجازَ القنا والخوفُ خيرٌ من الودِّ

(*) مناسبة القصيدة: ورد عليه كتاب عضد الدولة يستزيده، فقال عند مسيره مودعًا ابن العميد سنة أربع وخمسين وثلاثمائة (٩٦٥م).

(١) الخفر: شدة الحياة.

(٢) القصيرة: المرأة المحبوسة في خدرها.

(٣) الدلوق: خروج السيف من غمده دون أن يسلّ.

(٤) عقوتي: ساحتي.

يحيدونَ عن هزلِ الملوكِ إلى الذي ... توفرَ منْ بينِ الملوكِ على الجدِّ
ومنْ يصحبِ اسمَ ابنِ العميدِ مُحَمّدٍ ... يسرْ بينَ أنيابِ الأساودِ والأُسْدِ[١]
يمرّ منَ السّمّ الوحيّ بعَاجِزٍ ... ويعبرُ منْ أفواههنّ على دُرُدِ
كفانا الربيعُ العيسَ منْ بركاتِه ... فجاءتْه لم تسمعْ حداءً سوى الرّعدِ
إذا ما استجبنَ الماءَ يعرضُ نفسهُ ... كرعنَ بسبتٍ في إناءٍ من الوردْ[٢]
كأنّا أرادتْ شكرَنَا الأرضُ عندهُ ... فلم يُخلنا جوٌّ هبطناهُ منْ رِفدِ
لنا مذهبُ العبّادِ في تركِ غيرِه ... وإتيانه نبغي الرغائبَ بالزهدِ
رَجَونَا الذي يرجونَ في كلِّ جنةٍ ... بأرجانَ حتى ما يئسْنا منَ الخلدِ[٣]
تعرّضُ للزّوارِ أعناقُ خيلِه ... تعرُّضَ وحشٍ خائفاتٍ من الطردِ
وتلقى نواصيهَا المنايا مشيحةً ... وُرُودَ قطًا صُمٍّ تشايحنَ في وردِ[٤]
وتنسبُ أفعالُ السيوفِ نفوسَهَا ... إليه وينسبنَ السيوفَ إلى الهندِ
إذا الشرفَاءُ البيضُ متّوا بقتوهِ ... أتى نسبٌ أعلى من الأبِ والجدِّ[٥]
فتًى فاتتِ العدوى منَ الناسِ عينُه ... فما أرمدتْ أجفانَه كثرةُ الرمدِ
وخالفهم خلقًا وخلقًا وموضعًا ... فقد جلّ أن يُعدى بشيءٍ وأن يُعدي

(١) الأساود: جمع أسود، وهو الأفعى.
(٢) كرعن: شربن. السبت: الجلد المدبوغ.
(٣) أرجان: بلد الممدوح.
(٤) مشيحة: مسرعة.
(٥) متّوا: تقربوا. القتو: الخدمة.

يغيّرُ ألوانَ الليالي على العِدَى ... بمنشورةِ الراياتِ منصورةِ الجندِ
إذا ارتقبوا صبحًا رأوا قبل ضوئه ... كتائبَ لا يردي الصباحُ كما تردي[١]
ومبثوثةً لا تتقى بطليعةٍ ... ولا يحتمى منها بغورٍ ولا نجدِ
يغصنَ إذا ما عدنَ في متفاقدٍ ... من الكُثْر غانٍ بالعبيد عن الحشدِ
حثتْ كلُّ أرضٍ تربةً في غبارِهِ ... فهنّ عليه كالطرائقِ في البردِ[٢]
فإنْ يكنِ المهديُّ منْ بانَ هديهُ ... فهذا وإلا فالهُدى ذا فَما المهدي
يعلِّلنا هذا الزمانُ بذا الوَعدِ ... ويَخدَعُ عَمّا في يَدَيه من النّقدِ
هل الخيرُ شيءٌ ليس بالخيرِ غائبٌ ... أمِ الرُّشدُ شيءٌ غائبٌ ليس بالرُّشدِ
أأحزمَ ذي لبٍّ وأكرمَ ذي يَدٍ ... وأشجعَ ذي قلبٍ وأرحمَ ذي كبدِ
وأحسنَ معتم جلوسًا وركبةً ... على المنبرِ العالي أو الفرسِ النَّهدِ[٣]
تفضلتِ الأيامُ بالجمعِ بيننَا ... فلمّا حمدْنا لم تدمْنا على الحمدِ
جعلنَ وداعي واحدًا لثلاثةٍ ... جمالك والعلمِ المبرِّحِ والمجدِ
وقدْ كنتُ أدركتُ المنى غير أنني ... يعيِّرني أهلي بإدراكِهَا وَحْدي
وكلُّ شريكٍ في السرورِ بمصبَحي ... أرَى بعدَهُ من لا يرَى مثلهُ بَعدي
فجُدْ لي بقلبٍ إن رحلتُ فإنّني ... مخلّفُ قلبي عند من فَضلُه عندي
ولو فارقتْ نفسي إليكَ حياتَها ... لقلتُ أصَابَتْ غيرَ مَذمومةِ العهدِ

(١) الرديان: ضرب من العدو. (٢) حثا التراب: أهاله. (٣) النهد: الفرس الجميل.

الصاعقةَ الثامنة والثلاثون: أَمُساورٌ أَمْ قَرْنُ شَمْسٍ هَذا(*)

أَمُســـاورٌ أَمْ قَــرْنُ شَــمْسٍ هَذا ... أمْ لَيثُ غــابٍ يَقــدُمُ الأســتاذا

شِمْ مـا انتَضَيتَ فقد تركتَ ذُبابَهُ ... قِطَعًـا وقَـدْ تَرَكَ العِبـادَ جُذاذا[1]

هَبكَ ابنَ يزداذٍ حَطَمْتَ وصَحبَهُ ... أتُرى الوَرى أضحَوا بَنِي يَزداذا

غادَرتَ أوجهَهُمْ بحيثُ لَقيتَهُمْ ... أقفاءهُم وكُبُودَهُمْ أفلاذا

في مَوقِفٍ وَقَفَ الحِمامُ عَلَيهِمِ ... في ضَنكِهِ واستَحوَذَ استِحواذا

جَمَدَتْ نُفوسُهُمُ فَلَمّا جِئتَها ... أجرَيتَها وسَقَيتَها الفُولاذَا

لَمّا رَأوكَ رَأَوْا أباكَ مُحَمَّدًا ... في جَوشَنٍ وأخا أبيكَ مُعاذا[2]

أعجَلتَ أَلسُنَهُمْ بضَرْبِ رِقابِهِمْ ... عَنْ قَولِهِمْ: لا فارِسٌ إلاّ ذا

غرٌّ طَلَعتَ عَلَيهِ طِلعَةَ عارِضٍ ... مَطَرَ المَنايا وابِلًا ورَذاذا

سَدَّتْ عَلَيْهِ المَشرَفيَّةُ طُرفَهُ ... فانْصاعَ لا حَلَبًا وَلا بَغذاذا

طَلَبَ الإمارَةَ في الثّغُورِ ونَشْؤُهُ ... ما بَيْنَ كَرْخايا إلى كَلْواذا[3]

فَكأَنَّهُ حَسِبَ الأسِنَّةَ حُلْوَةً ... أوْ ظَنَّها البَرْنيَّ والآزاذا[4]

لَم يَلقَ قَبلَكَ مَنْ إذا اختَلَفَ القَنا ... جَعَلَ الطِّعانَ مِنَ الطِّعانِ مَلاذا

(*) مناسبة القصيدة: قال يمدح مساور بن محمد الرومي.

(١) ذباب السيف: حده. الجذاذ: الحطام.

(٢) الجوشن: الدرع.

(٣) كرخايا وكلواذا: قريباً من العراق.

(٤) البرني والآزاذ: نوعان من التمر.

مَنْ لا تُوافِقُهُ الحَياةُ وطِيبُها ... حتى يُوافِقَ عَزْمُهُ الإِنْقاذا

مُتَعَوِّدًا لُبْسَ الدّروعِ يَخالَها ... في البَردِ خزًّا والهَواجِرِ لاذا

أَعجِبْ بأَخْذِكَهُ وأَعجَبُ منكما ... أنْ لا تَكُونَ لِمثلِهِ أخّاذا

obeikandl.com

الصاعقةَ التاسعة والثلاثون: إنِّي لأعلمُ واللبيبُ خبيرُ(*)

إني لأعلمُ، واللبيبُ خبيرُ، أنَّ الحياةَ وإن حرصتُ غُرُورُ
ورأيتُ كلاًّ ما يُعلّلُ نفسَهُ بتعلّةٍ وإلى الفناءِ يصيرُ
أمجاورَ الدِّيماسِ رهنَ قرارةٍ فيها الضياءُ بوجهِهِ والنورُ(١)
ما كنتُ أحسبُ قبل دفنِكَ في الثَّرى أنَّ الكواكبَ في الترابِ تغورُ
ما كنتُ آملُ قبل نعشِكَ أن أرى رضوى على أيدي الرجالِ تسيرُ(٢)
خرجوا به ولكلّ باكٍ خلْفَهُ صعقاتُ موسى يومَ دُكّ الطورُ
والشمسُ في كبدِ السماءِ مريضةٌ والأرض واجفةٌ تكادُ تمورُ(٣)
وحفيفُ أجنحةِ الملائكِ حولَهُ وعيونُ أهل اللاذقيّةِ صُورُ(٤)
حتى أتوْا جدثًا كأنّ ضريحَهُ في قلبِ كلّ موحِّدٍ محفورُ
بمزوَّدٍ كفَنَ البلى مِنْ مُلكِهِ مغْفٍ وإثمِدُ عينِهِ الكافورُ
فيه السّماحةُ والفصاحةُ والتقى والبأسُ أجمعُ والحجى والخيرُ
كفلَ الثناءُ له بردّ حياتِهِ لما انطوَى فكأنَّهُ منشُورُ

(*) مناسبة القصيدة: قال هذه القصيدة يرثي محمد بن إسحاق التنوخي.
(١) الديماس: مكان عميق لا ينفذ إليه الضوء.
(٢) رضوى: اسم جبل.
(٣) واجفة: مضطربة. تمور: تذهب وتجيء.
(٤) صور: جمع أصور: مائل العين.

وكأنما عيسى ابنُ مَريمَ ذكْرُهُ ... وكأنّ عازَرَ شخصُهُ المقبورُ

غاضتْ أناملُهُ وهنّ بُحُورُ ... وخبَتْ مكايدُهُ وهنّ سعيرُ

يُبْكى عليهِ وما استقرّ قرارُهُ ... في اللّحدِ حتى صافحتْهُ الحورُ

صبراً بني إسحاقَ عنهُ تكرّمًا ... إنّ العظيمَ على العظيمِ صبورُ

فلكلّ مفجوعٍ سِواكم مُشبِهٌ ... ولكلّ مفقودٍ سواهُ نظيرُ

أيام قائمُ سيفِهِ في كفّهِ الـ ... ـيُمنى وباعُ الموتِ عنه قصيرُ

ولطالما انهملتْ بماءِ أحمَرٍ ... في شفرتيْهِ جماجمٌ ونحورُ

فأُعيذُ إخوتَهُ بربّ مُحَمدٍ ... أنْ يحزنوا ومحمّدٌ مسرورُ

أو يرغبُوا بقصورِهمْ عنْ حُفرَةٍ ... حيّاهُ فيها منكرٌ ونكيرُ

نفرٌ إذا غابتْ غمودُ سُيُوفِهم ... عنها فآجالُ العبادِ حُضُورُ

وإذا لقُوا جَيشًا تيقّن أنهُ ... منْ بطنِ طيرِ تنوفةٍ محشُورُ[1]

لم تثنَ في طلبٍ أعنّةُ خيلِهم ... إلا وعُمرُ طريدِها مبتُورُ

يمّمتُ شاسعَ دارِهمْ عن نيّةٍ ... إن المُحبّ على البِعادِ يزُورُ

وقنعتُ باللّقيا وأوّلِ نَظرَةٍ ... إن القَليلَ مِنَ الحبيبِ كثَيرُ

(١) التنوفة: الصحراء.

الصاعقة الأربعون: أطاعنُ خيلاً من فوارسها الدّهرُ(*)

أُطاعنُ خيلًا منْ فوارسِها الدّهرُ ... وحيداً وما قولِي كذا ومعي الصبرُ
وأشجعُ مني كلَّ يومٍ سلامَتي ... وما ثبتتْ إلا وفي نفْسِها أمرُ
تمرّسْتُ بالآفاتِ حتى تركتُهَا ... تقولُ أماتَ الموتُ أم ذُعِرَ الذعرُ
وأقدمْتُ إقدامَ الأتيّ كأنَّ لي ... سوى مُهجتي أو كانَ لي عندها وِتْرُ(١)
ذر النفسَ تأخذْ وسعَها قبلَ بينِها ... فمفترِقٌ جاران دارهُمُا العمرُ
ولا تحسبنّ المجدَ زقًّا وقينةً ... فما المجدُ إلا السيفُ والفتكةُ البكرُ
وتضريبُ أعناقِ الملوكِ وأنْ تُرَى ... لكَ الهبواتُ السودُ والعسكرُ المجرُ(٢)
وتركُكَ في الدنيا دويًّا كأنما ... تداولَ سمعَ المرءِ أنْمُلُهُ العشرُ
إذا الفضلُ لم يرفعْكَ عن شكرِ ناقصٍ ... على هبةٍ فالفضلُ فيمنْ له الشكرُ
ومن يُنفقِ الساعاتِ في جمعِ مالهِ ... مخافةَ فقرٍ فالذي فعَلَ الفقرُ
عليّ لأهلِ الجورِ كلُّ طِمِرّةٍ ... عليها غلامٌ ملءُ حيزُومِهِ غمرُ(٣)
يُديرُ بأطرافِ الرّماحِ عليهِم ... كؤوسَ المنايا حيثُ لا تشتهي الخمرُ
وكمْ منْ جبالٍ جُبتُ تشهدُ أنني الـ ... ـجبالُ وبحرٍ شاهدٍ أنني البحرُ

(*) مناسبة القصيدة: قال يمدح علي بن أحمد بن عامر الإنطاكي.
(١) الأتيّ: السيل يأتي من بعد، الوتر: الثأر.
(٢) الهبوات: الغبرات. المجر: الكثير.
(٣) الطمرّة: الفرس الوثابة. الحيزوم: الصدر. الغمر: الحقد.

وخـرقٍ مكانُ العـيسِ منه مكانُنَا ... من العيسِ فيهِ واسطُ الكورِ والظهرُ[١]

يخـدن بنا في جـوزه وكـأننَا ... على كُـرةٍ أو أرضُـهُ مـعنا سـفـرُ[٢]

ويـومٍ وصـلـنـاهُ بـلـيـلٍ كـأنما ... على أُفْـقِـهِ منْ برقـهِ حُللٌ حُـمـرُ

ولـيـلٍ وصلْناه بـيـومٍ كـأنما ... على مـتنِه منْ دجنِه حُللٌ خُـضـرُ[٣]

وغـيـثٍ ظننا تحـتَـه أن عـامِـرًا ... علا لم يمُتْ أو في السّحاب له قبرُ[٤]

أو ابنَ ابنهِ البـاقي عليّ بنَ أحـمـدٍ ... يجـودُ به لو لمْ أجُـزْ ويدي صـفـرُ[٥]

وإن سـحـابًا جـودُهُ مـثلُ جُـودِه ... سحابٌ على كلّ السحابِ له فخرُ

فـتى لا يضُمّ القلبُ همّـاتِ قلبِـه ... ولو ضـمّـهـا قلبٌ لما ضـمّـهُ صـدرُ

ولا ينفعُ الإمكانُ لولا سـخـاؤهُ ... وهل نافعٌ لولا الأكفُّ القنا السُّـمـرُ

قـرانٌ تلاقى الصَّلتُ فـيـه وعـامـرٌ ... كـمـا يتـلاقى الهندوانيُّ والنصـرُ[٦]

فـجـاءَ به صلتَ الجـبينِ مـعظَّمًـا ... ترى الناسَ قلاًّ حـولَه وهم كُـثْـرُ[٧]

مُـفـدًّى بآباءِ الرجـالِ سـمـيـذعًـا ... هوَ الكرمُ المدُّ الذي مـا له جـزرُ[٨]

---

(١) الخرق: الفلاة الواسعة. واسط الكور: مقدّم الرحل.
(٢) يخدن: يسرعن. جوزه: وسطه. سفر: مسافرة.
(٣) الدجن: إلياس الغيم السماء. الخضر: السود.
(٤) عامر: جد الممدوح.
(٥) أجز: أعبر. صفر: فارغة.
(٦) القران: اجتماع كوكبين.
(٧) صلت الجبين: واضحه.
(٨) السميذع: الرجل الكريم.

وما زلتُ حتى قادَني الشوقُ نحوهُ ... يسايرُني في كلِّ ركبٍ له ذِكرُ
وأستكبرُ الأخبارَ قبل لقائه ... فلمّا التقَيْنا صغّرَ الخبرَ الخُبْرُ
إليك طعنّا في مدى كلّ صفصَفٍ ... بكلّ وآةٍ، كلُّ ما لقيتْ نَحرُ[١]
إذا ورمتْ منْ لسعةٍ مرحتْ لهَا ... كأنَّ نوالًا صرّ في جلدها النِّبرُ[٢]
فجئناكَ دونَ الشمسِ والبدرُ في النوى ... ودونَكَ في أحوالكِ الشمسُ والبدرُ
كأنكَ بردُ الماءِ لا عيشَ دونهُ ... ولو كنتَ بردَ الماءِ لم يكنِ العشرُ[٣]
دعاني إليكَ العلمُ والحلمُ والحجى ... وهذا الكلام النظمُ والنّائلُ النّثرُ
وما قُلتُ منْ شعرٍ تكادُ بُيُوتُهُ ... إذا كُتبتْ يبيضّ من نورِها الحبرُ
كأنَّ المعاني في فصاحةِ لفظِها ... نجومُ الثريا أو خلائقُكَ الزُّهرُ[٤]
وجنَّبني قُربَ السلاطينِ مقتُها ... وما يقتضيني من جماجمِها النَّسرُ
وإنّي رأيتُ الضُّرّ أحسَنَ مَنظراً ... وأهونَ منْ مرأى صغيرٍ به كِبْرُ
لساني وعيني والفؤادُ وهِمتي ... أودُّ اللواتي ذا اسمُها منكَ والشَّطرُ
وما أنا وحدي قلتُ ذا الشعرَ كُلّه ... ولكنْ لشعري فيكَ منْ نفسه شعرُ
وماذا الذي فيهِ منَ الحسْنِ رونَقًا ... ولكنْ بدا في وجهِهِ نحوكَ البشْرُ
وإني ولوْ نلتَ السماءَ لعالِمٌ ... بأنكَ ما نلتَ الذي يوجبُ القدرُ
أزالتْ بكَ الأيامُ عتبي كأنما ... بَنُوها لها ذَنبٌ وأنتَ لها عُذرُ

(١) الصفصف: الأرض المستوية. الوآة: الناقة السريعة.
(٢) النبر: دويبة تلسع الإبل فيرم موضع لسعها.
(٣) العشر: أن تورد الإبل كل عشرة أيام.
(٤) الزهر: جمع أزهر: المضيء المشرق.

الصاعقة الحادية والأربعون: أرى ذلكَ القربَ صار ازورارا(*)

أرى ذلكَ القــرْبَ صــارَ ازورارا ... وصــارَ طويلَ الســلامِ اختِــصــارَا
تركــتَني اليــومَ في خَــجلَةٍ ... أمــوتُ مــرارًا وأحــيــا مــرارَا
أســارقُكَ اللحظَ مــستَحــيــيًا ... وأزجــرُ في الخيلِ مــهــري سِرارَا
وأعلم أني إذا مــا اعــتَــذَرتُ ... إليك أرادَ اعــتــذاري اعــتِــذارَا
كــفــرتُ مكارمكَ البــاهِرا ... تِ إن كــانَ ذلك مني اخــتِــيــارَا
ولكنْ حــمى الشــعــرَ إلا القَليـ ... ـلَ همٌّ حــمى النومَ إلا غــرارَا
ومــا أنا أســقــمتُ جــسمي بِهِ ... ولا أنا أضــرمتُ في القلبِ نارَا
فــلا تلزمنّي ذنوبَ الزّمَــانِ، ... إليّ أســاءَ وإيايَ ضــارَا
وعندي لكَ الشُّــردُ السّــائرا ... تُ لا يختــصــصنَ منَ الأرضِ دارَا
قــوافٍ إذا ســرنَ عن مــقــولي ... وثبنَ الجــبــالَ وخــضنَ البــحــارَا
ولي فــيكَ مــا لمْ يقلْ قــائلٌ ... ومــا لمْ يســرْ قــمــرٌ حيثُ ســارَا
فــلــوْ خــلــقَ الــنــاسُ مــنْ دهــرِهــمْ ... لكــانُوا الظلامَ وكنتَ النهــارَا
أشــــدُّهُمُ في الــندى هــزةً ... وأبعــدُهُمْ في عــدوٍّ مُــغَــارَا
ســمــا بكَ همّي فــوقَ الهُــمــومِ ... فلستُ أعــدُّ يســارًا يَسَــارَا
ومــنْ كنتَ بحــــرًا له يا عَلــيُّ ... لم يقــبلِ الدُّرَ إلا كــبَــارَا

(*) مناسبة القصيدة: قالها وقد استبطأ سيف الدولة مدحه وتنكّر لذلك.

الصاعقة الثانية والأربعون: سرْ! حلّ حيث تحله النوار(*)

سـرْ! حَل حَـيثُ تحُلّهُ النُّوّارُ ... وأرادَ فيكَ مُرادَكَ المِقدارُ

وإذا ارتحلت فشَيَّعتكَ سَلامَةٌ ... حَيثُ اتّجهتَ وديمَةٌ مِدرارُ

وصَدرتَ أغنَمَ صادرٍ عن مَوردٍ ... مَرفُوعَةً لقُدومِكَ الأبصارُ

وأَراكَ دهرُكَ ما تحاولُ في العدى ... حتَّى كأنَّ صُروفَهُ أنصارُ

أنتَ الذي بَجحَ الزَّمانُ بذكرِهِ ... وتَزَيَّنت بحَديثِهِ الأسمارُ

وإذا تَنكَّرَ فالفناءُ عِقابُهُ ... وإذا عَفا فَعَطاؤهُ الأعمارُ

وَلَهُ وإنْ وَهب المُلُوكُ مَواهِبٌ ... دَرُّ المُلُوكِ لدَرّها أغبارُ(١)

لله قَلبُك ما تَخافُ مِنَ الرَدى ... وتَخافُ أنْ يَدْنُو إليكَ العارُ

وتحيدُ عَن طَبَعِ الخَلائقِ كُلِّه ... ويَحيدُ عَنكَ الجَحْفَلُ الجَرّارُ(٢)

يا مَنْ يَعِزّ على الأَعِزّةِ جارُهُ ... ويَذِلّ مِنْ سَطَواتِهِ الجَبّارُ

كُنْ حيثُ شئتَ فما تحولُ تَنوفةٌ ... دونَ اللِّقاءِ ولا يَشطّ مَزارُ(٣)

وبدونِ ما أنا مِنْ وِدادِكَ مُضمرٌ ... يُنضي المطِيُّ ويَقرُبُ المُستارُ

إنّ الذي خَلفْتُ خَلفي ضائِعٌ ... ما لي على قَلَقي إليهِ خِيارُ

(*) مناسبة القصيدة: قال يمدح سيف الدولة وقد سأله المسير معه لمّا سار لنصرة أخيه ناصر الدولة.

(١) الأغبار: جمع غبر: بقية اللبن في الضرع.

(٢) الطبع: الدنس. الخلائق: الأخلاق.

(٣) التنوفة: الفلاة الواسعة.

وإذا صُحِبتُ فكلّ ماءٍ مَشرَبٌ لَولا العِيالُ وكل أرضٍ دارُ

إِذْنُ الأَمِيرِ بأَنْ أعودَ إليهِمِ صِلَةٌ تَسيرُ بذِكرِها الأشعارُ

obeikandl.com

الصاعقة الثالثة والأربعون: طوالُ قناً تطاعنها قصارُ(*)

طوالُ قنًا تطاعنُها قصارُ ... وقطرُكَ في ندىً ووغىً بحارُ

وفيكَ إذا جنى الجاني أناةٌ ... تُظنُّ كرامةً وهيَ احتقارُ

وأخذٌ للحواضرِ والبوادي ... بضبطٍ لمْ تعوَّدْهُ نزارُ

تشمَّمُهُ شميمَ الوحشِ إنسًا ... وتنكرُهُ فيعرُوها نفارُ

وما انقادتْ لغيركَ في زمانٍ ... فتدري ما المقادةُ والصَّغارُ

فقرحتِ المقاودُ ذفريْها ... وصعَّرَ خدّها هذا العِذارُ[1]

وأطمعَ عامرَ البقيا عليها ... ونزّقَها احتمالُك والوقارُ

وغيَّرها التراسلُ والتشاكي ... وأعجبَها التلببُ والمغارُ

جيادٌ تعجزُ الأرسانُ عنْها ... وفرسانٌ تضيقُ بها الديارُ

وكانتْ بالتوقّفِ عن رداها ... نفوسًا في رداها تُستشارُ

وكنتَ السيفَ قائمُهُ إليهِمْ ... وفي الأعداءِ حدُّك والغرارُ

فأمستْ بالبدية شَفرتَاهُ ... وأمسى خلفَ قائمهِ الحيارُ[2]

وكانَ بنو كلابٍ حيثُ كَعبٌ ... فخافوا أن يصيرُوا حيثُ صارُوا

(*) مناسبة القصيدة: قالها يصف إيقاع سيف الدولة ببعض القبائل، ولم يحضر أبو الطيب الواقعة فشرحها له سيف الدولة.

(١) الذفري: العظم الشاخص خلف الأذن. العذار: ما وقع على خدّي الفرس من اللجام.

(٢) البدية والحيار: ماءان.

تلقَّوْا عزّ مولاهم بذُلٍّ ... وسارَ إلى بني كعبٍ وسارُوا

فأقبلَهَا المروجَ مُسَوَّمَاتٍ ... ضوامرَ لا هُزالَ ولا شِيارُ[١]

تثيرُ على سلَمْيَةَ مُسبَطِرًّا ... تناكرُ تحتَهُ لولا الشّعَارُ[٢]

عجاجًا تعثرُ العقبانُ فيه ... كأنَّ الجوَّ وعثٌ أو خبارُ[٣]

وظلَّ الطعنُ في الخيلين خلْسًا ... كأنَّ الموتَ بينهما اختِصارُ

فلزَّهمُ الطرادُ إلى قتالٍ ... أحدُّ سلاحهمْ فيه الفرارُ

مضوْا متسابقي الأعضاءِ فيه ... لأرؤسهمْ بأرجلِهمْ عثارُ

يشلّهُمُ بكلّ أقبَّ نهدٍ ... لفارسهِ على الخيلِ الخيارُ[٤]

وكلِّ أصمَّ يعسلُ جانباهُ ... على الكعبينِ منه دمٌ ممارُ[٥]

يغادرُ كلَّ ملتفتٍ إليه ... ولبتُهُ لثعلبهِ وجارُ[٦]

إذا صرفَ النهارُ الضوءَ عنهم ... دجا ليلانِ ليلٌ والغبارُ

وإنْ جنَحُ الظّلامِ انجابَ عنهمْ ... أضاءَ المشرفيةُ والنهارُ

ويبكي خلفهمْ دثرٌ بكاهُ ... رغاءٌ أو ثؤاجٌ أو يعارُ[٧]

---

(١) الشيار: السِّمَن وحسن المنظر.

(٢) سلمية: بلد قريب من حماة. المسبطر: الممتدّ.

(٣) الوعث: الأرض السهلة. (الخبار) ما لان من الأرض واسترخى.

(٤) الأقب: الضامر. النهد: الجسيم.

(٥) ممار: مراق.

(٦) الوجار: السرب يأوي إليه الوحش.

(٧) الدثر: المال الكثير. الرغاء: صوت الإبل. الثؤاج: صوت الغنم. اليعار: صوت المعز.

غطا بالعِثْيَرِ البيداءَ حتى ... تحيَّرتِ المتالي والعشارُ[١]

ومرّوا بالجباةِ يضمُّ فيها ... كلا الجيشينِ منْ نقعٍ إزارُ

وجاؤوا الصَّحصَحانَ بلا سروجٍ ... وقدْ سقطَ العمامةُ والخمارُ[٢]

وأُرهقتِ العذارى مُردَفاتٍ ... وأوطئتِ الأُصيْبِيَةُ الصغارُ

وقد نُزِحَ الغويرُ فلا غُويرٌ ... ونهيا والبييضةُ والجفَارُ[٣]

وليسَ بغيرِ تدمرَ مستغاثٌ ... وتدمرُ كاسمها لهمُ دمارُ

أرادوا أن يديروا الرأيَ فيها ... فصَبّحهُمْ برأيٍ لا يُدارُ

وجيشٍ كلّما حارُوا بأرضٍ ... وأقبلَ أقبلتْ فيه تحارُ

يحفّ أغرَّ لا قودٌ عليه ... ولا ديةٌ تساقُ ولا اعتذارُ

تريقُ سيوفُهُ مهجَ الأعادي ... وكلُّ دم أراقتْهُ جبارُ[٤]

فكانوا الأسدَ ليس لها مصالٌ ... على طيرٍ وليسَ لها مطارُ[٥]

إذا فاتُوا الرّماحَ تناولتْهُمُ ... بأرماحٍ مِنَ العَطَشِ القفارُ

يرونَ الموتَ قدّامًا وخَلْفًا ... فيختارونَ والموتُ اضطرارُ

إذا سلكَ السماوةَ غيرُ هادٍ ... فقتلاهُمْ لعينيهِ منارُ

---

(١) العثير: الغبار. المتالي: الإبل يتلوها أولادها. العشر: جمع عشراء: التي قرب ولادتها.
(٢) الصحصحان: موضع.
(٣) الغوير وما بعده: أسماء مياه.
(٤) الجبار: الذي لا يطالب به.
(٥) المصال: السطوة.

ولوْ لمْ يُبقِ لم تعشِ البقايا ... وفي الماضي لمن بقيَ اعتبارُ

إذا لم يُرعِ سيدُهُمْ عليهم ... فمنْ يُرعي عليهمْ أو يغارُ

تفرّقُهُمْ وإياهُ السّجَايَا ... ويجمعُهُمْ وإياهُ النِّجارُ[١]

ومالَ بها على أركٍ وعرضٍ ... وأهلُ الرقتين لها مزارُ[٢]

وأجفلَ بالفراتِ بنُو نميرٍ ... وزأْرُهمُ الذي زأرُوا خوارُ

فهمْ حِزَقٌ على الخَابُورِ صرعى ... بهمْ من شربِ غيرِهم خمارُ[٣]

فلم يسرحْ لهم في الصّبحِ مالٌ ... ولم توقدْ لهم بالليل نارُ

حذارَ فتى إذا لم يرضَ عَنهُم ... فليس بنافعٍ لهمُ الحذارُ

تبيتُ وفودُهم تسري إليه ... وجدواهُ التي سألوا اغتفارُ

فخلَّفهم بردّ البيضِ عَنهُمْ ... وهَامُهُمُ له معهمْ مُعارُ

هم ممنْ أذمّ لهمْ عَلَيه ... كريمُ العرقِ والحسبُ النُّضَارُ

فأصبحَ بالعواصمِ مستقرًّا ... وليس لبحرِ نائلِهِ قَرَارُ

وأضحى ذكرُهُ في كلّ قطرٍ ... تدارُ على الغناءِ به العقارُ[٤]

تخرّ له القبائلُ ساجداتٍ ... وتحمدُهُ الأسنةُ والشفارُ

كأنّ شعاعَ عينِ الشّمس فيه ... ففي أبصارِنا منهُ انكسارُ

---

(١) النجار: الأصل.

(٢) أرك وعرض: بلدان قريب تدمر. الرقتان: بلدان على الفرات، وهما الرقة والرافقة.

(٣) حزق: جماعات. الخابور: نهر يرفد الفرات. الخمار: بقية السكر.

(٤) العقار: الخمر.

فـمنْ طلبَ الطعـانَ فـذا عليٌّ ... وخـيلُ اللهِ والأسَلُ الحـرارُ[1]

يراهُ الناسَ حـيثُ رأتْهُ كـعبٌ ... بأرضِ مـا لنازلِها استـتـارُ

يوسِّطُهُ المفـاوزَ كلَّ يومٍ ... طلابُ الطالبينَ لا الانتظارُ

تصاهلُ خيلُهُ متجاوباتٍ ... وما منْ عادةِ الخيلِ السِّرارُ

بنو كعبٍ وما أثَّرتَ فيهمْ ... يدٌ لم يدمْها إلا السّوارُ

بها من قطْعِهِ ألمٌ ونقصٌ ... وفيها منْ جلالتِهِ افتخارُ

لهمْ حقٌّ بشركِكَ في نزارٍ ... وأدنى الشركِ في أصلٍ جوارُ

لعلّ بنيهم لبنيكَ جندٌ ... فأولُ قرّح الخيلِ المهارُ[2]

وأنت أبرّ منْ لو عُقّ أفنى ... وأعفى من عقوبتِه البوارُ

وأقدرُ من يهيّجهُ انتصارٌ ... وأحلمُ من يحلّمُهُ اقتدارُ

وما في سطوةِ الأربابِ عيبٌ ... ولا في ذلّةِ العُبْدانِ عارُ

(١) الحرار: العطاش

(٢) القرح: جمع قارح: الذي استكمل سنة.

الصاعقة الرابعة والأربعون: حاشى الرَّقيبَ فَخانَتهُ ضَمائِرُهُ(*)

حاشى الرَّقيبَ فَخانَتهُ ضَمائِرُهُ ... وَغَيَّضَ الدَّمْعَ فانهَلتْ بَوادِرُهُ

وكاتِمُ الحُبِّ يومَ البَينِ مُنهَتِكٌ ... وصاحبُ الدَّمعِ لا تَخفى سرائرُهُ

لَولا ظِباءُ عَدِيٍّ ما شُغِفتُ بِهِمْ ... ولا بِرَبرَبِهِمْ لَوْلا جَآذِرُهُ(١)

من كلِّ أحوَرَ في أنيابِهِ شَنَبٌ ... خَمْرٌ يُخامِرُها مِسكٌ تُخامِرُهُ(٢)

نُعْجٌ مَحاجِرُهُ دُعْجٌ نَواظِرُهُ ... حُمْرٌ غَفائِرُهُ سُودٌ غَدائِرُهُ(٣)

أعارَني سُقمَ عَينَيهِ وَحَمَّلَني ... مِنَ الهَوى ثِقلَ ما تَحوِي مآزِرُهُ

يا مَنْ تَحَكَّمَ في نفسي فعَذَّبَني ... وَمَنْ فُؤادي على قَتلي يُضافِرُهُ

بِعَودَةِ الدَّوْلَةِ الغَرّاءِ ثانِيَةً ... سَلَوْتُ عَنْكَ ونامَ الليلَ ساهِرُهُ

منْ بَعدِ ما كانَ لَيلي لا صَباحَ لَهُ ... كأنَّ أوَّلَ يومِ الحَشْرِ آخِرُهُ

غابَ الأميرُ فَغابَ الخيرُ عَنْ بَلَدٍ ... كادَتْ لِفَقدِ اسمِهِ تَبكي مَنابِرُهُ

قد اشتَكَت وَحشَةَ الأحياءِ أربعُهُ ... وَخَبَّرَتْ عَن أَسى الموتى مَقابِرُهُ

حتى إذا عُقِدَت فيهِ القِبابُ لَهُ ... أَهَلَّ للهِ باديهِ وحاضِرُهُ

وَجَدَّدَتْ فَرَحًا لا الغَمُّ يَطرُدُهُ ... ولا الصَّبابةُ في قَلبٍ تُجاوِرُهُ

(*) مناسبة القصيدة: قالها في جعفر بن كيغلغ، ولم ينشده إياها.

(١) عدي: اسم قبيلة. الربرب: القطيع من بقر الوحش. الجآذر: أولاد البقر الوحشية.

(٢) الشنب: صفاء في الأسنان.

(٣) النعج: البيض. الدعج: السود. الغدائر: الجدائل.

إذا خَلَت منكَ حمصٌ لا خلتْ أبدًا ... فَلا سَقاها مِنَ الوَسميّ باكِرُهُ

دَخَلتَها وشُعاعُ الشَّمسِ مُتَّقِدٌ ... ونُورُ وَجهكَ بينَ الخَلقِ باهِرُهُ

في فَيلَقٍ من حَديدٍ لَوْ قَذَفتَ بِهِ ... صَرفَ الزَّمانِ لَما دارَت دَوائِرُهُ

تَمضي المَواكبُ والأبصارُ شاخِصَةٌ ... منها إلى المَلكِ المَيمُونِ طائِرُهُ

قَدْ حزنَ في بَشَرٍ في تاجِهِ قَمَرٌ ... في درْعِهِ أسَدٌ تَدمى أظافِرُهُ

حُلوٍ خَلائقُهُ شُوسٍ حَقائقُهُ ... تُحصَى الحَصَى قَبلَ أنْ تُحصَى مآثرُهُ

تَضيقُ عن جَيشِه الدّنيا ولَوْ رَحُبَتْ ... كَصَدرِه لم تبِنْ فيها عَساكِرُهُ

إذا تَغلغَلَ فكرُ المرءِ في طَرَفٍ ... من مَجدِه غَرِقَت فيه خَواطِرُهُ

تَحمى السّيوفُ على أعدائِه مَعَهُ ... كأنّهنَّ بَنُوهُ أو عَشائِرُهُ

إذا انتضاها لحرب لَمْ تَدَع جَسَدًا ... إلاّ وباطِنُهُ للعَينِ ظاهِرُهُ

فَقَد تَيَقَّنَ أنَّ الحَقّ في يَدِهِ ... وَقَدْ وَثِقنَ بأنَّ اللهَ ناصِرُهُ

تَركَنَ هامَ بَني عَوْفٍ وثَعلَبَةٍ ... على رُؤوسٍ بلا ناسٍ مَغافِرُهُ

فخاضَ بالسَّيفِ بحرَ المَوتِ خَلفَهُمُ ... وكانَ منهُ إلى الكَعبينِ زاخِرُهُ

حتى انتَهى الفَرسُ الجاري وما وَقَعَتْ ... في الأرضِ من جيفِ القتلى حوافِرُهُ

كَمْ مِنْ دَمٍ رَوَيَت منهُ أسنتُهُ ... ومُهجَةٍ وَلَغَتْ فيها بَواتِرُهُ[1]

وحائِنٍ لَعِبَتْ شُمُّ الرِّماحِ بِهِ ... فالعَيشُ هاجِرُهُ والنّسرُ زائِرُهُ[2]

---

(١) الولوغ: شرب السباع بألسنتها.

(٢) الحائن: الهالك.

مَنْ قالَ لَستَ بخَيرِ النّاسِ كلّهِمِ ... فجَهلُهُ بِكَ عندَ النّاسِ عاذِرُهُ

أوْ شَكَّ أنَّكَ فَرْدٌ في زَمانِهِمِ ... بلا نَظيرٍ فَفي روحي أخاطِرُهُ

يا من ألُوذُ به فيما أُؤمِّلُهُ ... وَمَن أُعُوذُ بِهِ ممّا أُحاذِرُهُ

وَمَنْ تَوَهَّمْتُ أنَّ البَحرَ راحَتُهُ ... جُوداً وأنَّ عَطاياها جَواهِرُهُ

لا يَجْبُرُ النّاسُ عَظْمًا أنْتَ كاسِرُهُ ... ولا يَهيضُونَ عظْمًا أنتَ جابِرُهُ

obeikandl.com

الصاعقة الخامسة والأربعون: بادٍ هواكَ صبرتَ أمْ لم تَصبرَا(*)

بادٍ هواكَ صبرتَ أمْ لم تَصبرَا ... وبُكاكَ إنْ لم يجرِ دمعُك أو جَرَى

كمْ غرَّ صبُرك وابتسامُك صاحبًا ... لمّا رآهُ وفي الحشا ما لا يُرَى

أمرَ الفؤادُ لسانَهُ وجفونَهُ ... فكتمْنَه وكفى بجسمِكَ مخبرَا

تعسَ المهاري غيرَ مهريّ غدا ... بمصّورٍ لبسَ الحريرَ مصوَّرَا(١)

نافستُ فيه صورةً في ستره ... لو كنتُها لخفيتُ حتى يظهرَا

لا تتربِ الأيدي المقيمةُ فوقهُ ... كسرَى مقامَ الحاجبين وقيصرَا

يقيانِ في أحدِ الهوادجِ مقلةً ... رحلتْ وكانَ لها فؤادي محجرَا

قدْ كنتُ أحذرُ بينهمْ منْ قبله ... لو كانَ ينفعُ خائفًا أن يحذرَا

ولو استطعتُ إذ اغتدتْ روادُهم ... لمنعتُ كلَّ سحابةٍ أن تقطُرَا

فإذا السحابُ أخو غرابِ فراقِهم ... جعلَ الصّياحَ بينهمْ أن يمطرَا

وإذا الحَمائلُ ما يخدنَ بنفنفٍ ... إلا شققنَ عليه ثوبًا أخصرَا(٢)

يحملْنَ مثلَ الروضِ إلا أنّها ... أسبى مهاةً للقلوب وجؤذرَا

فبلحظِها نكرتْ قناتي راحتي ... ضُعْفًا وأنكرَ خاتمايَ الخنصرَا

(*) مناسبة القصيدة: خرج أبو الطيب من الكوفة إلى العراق، فراسله ابن العميد أبو الفضل حمد بن الحسين وزير ركن الدولة من أرجان، فسار إليه، وقال يمدحه.

(١) المهاري: جمع مهري: الإبل المنسوبة إلى مهرة بن حيدان.

(٢) يخدن: يسرن سريعاً. النفنف: المفازة.

أعطى الزمانُ فما قبلتُ عطاءهُ ... وأرادَ لي فأردتُ أن أتخيّرَا
أرجَانَ أيَّتُها الجيادُ فإنهُ ... عزمي الذي يذرُ الوشيجَ مكسَّرَا[1]
لو كنتُ أفعلُ ما اشتهيتِ فعالَهُ ... ما شقّ كوكبُكِ العجاجَ الأكدَرَا
أمّي أبا الفَضلِ المبرّ أليَّتي ... لأيمنّ أجلّ بحرٍ جوهرَا
أفْتى برؤيتِهِ الأنامُ وحاشَ لي ... مِنْ أنْ أكونَ مقصّراً أو مقْصِرَا[2]
صغتُ السوارَ لأي كفٍّ بشَّرتْ ... بابنِ العميدِ وأيّ عبدٍ كبرَا
إنْ لم تغثني خيلهُ وسلاحُهُ ... فمتى أقودُ إلى الأعادي عسكرَا
بأبي وأمّي ناطقٌ في لفظِهِ ... ثمنٌ تباعُ به القلوبُ وتُشترَى
منْ لا تريهِ الحربُ خلقًا مقبلًا ... فيها ولا خلقٌ يراهُ مدبرَا
خنثى الفحولِ من الكماةِ بصبغهِ ... ما يلبسونَ من الحديدِ مُعَصْفرَا
يتكسّبُ القصَبُ الضعيف بكفِّهِ ... شرفًا على صمّ الرماحِ ومفخرَا
ويُبينُ فيما مسّ منه بنانُهُ ... تيهُ المدلِّ فلو مشى لتبخترَا
يا من إذا وردَ البلادَ كتابُهُ ... قبلَ الجيوشِ ثنى الجيوشَ تحيرَا
أنتَ الوحيدُ إذا ركبتَ طريقةً ... وَمَنِ الرَّديفُ وقد ركبتَ غضنفرَا
قطفَ الرجالُ القولَ وقتَ نباتهِ ... وقطفتَ أنتَ القولَ لما نوّرَا

---

(١) أرجان: اسم بلد بفارس. الوشيج: شجر تصنع منه الرماح.
(٢) قصّر: ترك الأمر عجزاً. أقصر: تركه اختياراً.

فَهْوَ المتبَّعُ بالمسامعِ إنْ مضَى ... وهو المضاعَفُ حسنُهُ إن كُرِّرَا

وإذا سكتَّ فإن أبلغَ خاطبٍ ... قلمٌ لكَ اتخذَ الأناملَ منبرَا

ورسائلٌ قطعَ العداةُ سحاءها ... فرأوْا قنًا وأسنَّةً وسنورَّا[1]

فدعاكَ حُسّدكَ الرئيسَ وأمسكوا ... ودعاكَ خالقُكَ الرئيسَ الأكبرَا

خلفتْ صفاتُك في العيونِ كلامَهُ ... كالخطّ يملأُ مسمعي مَنْ أبصرَا

أرأيتَ همّةَ ناقَتي في ناقةٍ ... نقلتْ يدًا سُرُحًا وخفًّا مُجمَرَا[2]

تركتْ دُخانَ الرمث في أوطانِها ... طلبًا لقومٍ يوقِدون العنبرَا

وتكرَّمتْ رُكباتُها عن مبركٍ ... تقعانِ فيه وليسَ مسكًا أذفرَا

فأتتْكَ داميةَ الأظلّ كأنما ... حُذيت قوائمُها العقيقَ الأحمرَا[3]

بدرتْ إليكَ يدَ الزَّمانِ كأنّها ... وجدتْه مشغولَ اليدينِ مفكّرَا

منْ مبلغُ الأعرابِ أني بعدَها ... جالستُ رسطاليسَ والإسكندرَا

ومللتُ نحرَ عشارِها فأضافني ... من ينحرُ البدرَ النضارَ لمن قرَى

وسمعتُ بطليموسَ دارسَ كُتبِه ... متملِّكًا متبدِّيًا متحضرَا

ولقيتُ كلَّ الفاضلينَ كأنما ... ردّ الإلهُ نفوسَهمْ والأعصُرَا

نسقُوا لنا نسق الحسابِ مقدَّمًا ... وأتى فذلِكَ إذ أتيتَ مؤخَّرَا

---

(١) السحاء: ما تشهد به الرسالة. السنور: الدروع.

(٢) سرحاً: سهلة السير. مجمراً: صلباً.

(٣) الأظلّ: باطن خفّ البعير.

يا ليتَ باكيةً شجاني دمعُها ... نظرتْ إليكَ كما نظرتُ فتعذِرَا
وترى الفضيلةَ لا تردُّ فضيلةً ... الشمسُ تشرقُ والسحابَ كنهورَا[1]
أنا منْ جميعِ الناسِ أطيبُ منزلاً ... وأسرُّ راحلةً وأربحُ مَتجَرَا
زُحلٌ على أنَّ الكواكبَ قومُهُ ... لوْ كانَ منكَ لكانَ أكرمَ مَعشَرَا

(١) كنهور: متراكم.

obeikandl.com

الصاعقة السادسة والأربعون: كَفرندي فِرنْدُ سَيفي الجُرازِ(*)

كَـفـرندي فِـرنْدُ سَـيـفي الجُـرازِ ... لَـذَّةُ العَينِ عُـــدَّةٌ لـلبـــرازِ(١)

تَحـــسَبُ الماءَ خَطَّ في لَهَبِ النّا ... رِ أدَقَّ الخُطـوط فـي الأحـــــرازِ

كُـلّمـــــا رُمتَ لَـونَـهُ مَـنَعَ النّا ... ظِرَ مَـــوجٌ كـــأنـهُ مِـنكَ هازي

ودَقِـيقٌ قَـذى الهَـبـاء أَنيقٌ ... مُـتَـوالٍ فـي مُـسـتَـوٍ هَزْهازِ

وَرَدَ الماءَ فـــالجَـــوانِبُ قَـــدْرًا ... شـرِبَتْ والتي تَلِيـهـا جَـوازي(٢)

حَـمَلَتـهُ حَـمـائِلُ الدَّهرِ حـتى ... هِيَ مُـحـتـاجَـةٌ إلى خَـرّازِ

وهوَ لا تَلحَقُ الدِّمـــاءُ غِـــرارَيـ ... ـه ولا عِـرضَ مُنتَـضيـه المَخـازي

يا مُـــزيـلَ الظَّلام عَنّي وروّضي ... يومَ شُـربي ومَـعـقِلي في البَـرازِ(٣)

واليَـمـاني الذي لو اسطَعتُ كـانتْ ... مُـقلَتي غِـمـدَهُ مِنَ الإعـزازِ

إنّ بَـرقـي إذا بَـرَقتَ فَـعـالي ... وصَـلِـيـلي إذا صَـلَلتَ ارتجـازي

لَـم أُحَـمّلكَ مُـعلَمًـا هَكَذا ... إلاّ لِضَـرْبِ الرِّقـابِ والأجـوازِ(٤)

ولقَطعِي بكَ الحَـديدَ عَلَيـهـا ... فكِلانا لِجِنسِـهِ اليَـومَ غـازِ

(*) مناسبة القصيدة: قالها بدمشق يمدح أبا بكر علي بن صالح الروذباري الكاتب.

(١) الجراز: القاطع.

(٢) الجوازي: التي لم تشرب بل تقنع بالخضرة عن الماء.

(٣) البَراز: الفضاء الواسع لا سترة به.

(٤) الأجواز: الأوساط.

سَلَّهُ الرَّكضُ بعـدَ وَهنٍ بِنَجـدٍ ... فَتَصَدَّى للغَيث أهلُ الحِجازِ

وتَمَنَّيتُ مِثلَهُ فكأَنِّي ... طالبٌ لابن صالحٍ مَن بُؤازي

لَيسَ كلُّ السَّراةِ بالرّوذَباريِّ ... ولا كُلُّ ما يَطيرُ بِبَازِ[1]

فارسيٌّ لَهُ منَ المَجدِ تاجٌ ... كانَ مِنْ جَوهَرٍ على أبْرَوازِ

نَفسُهُ فَوقَ كلّ أصلٍ شَريفٍ ... ولَوَ أنِّي لَهُ إلى الشَّمس عازِ

شَغَلت قَلبَهُ حِسانُ المعالي ... عَنْ حِسانِ الوُجوه والأعجازِ

وكأَنّ الفَريدَ والدُّرَّ واليا ... قوتَ مِنْ لَفظِهِ وَسامَ الرِّكازِ[2]

تَقضَمُ الجَمرَ والحديدَ الأعادي ... دونَهُ قَضمَ سُكَّر الأهوازِ

بَلَغَتهُ البَلاغَةُ الجَهدَ بالعَفـ ... ـوِ ونالَ الإسهابَ بالإيجازِ

حامِلُ الحَربِ والدَّيات عنِ القَوْ ... مِ وثِقلِ الدِّيوانِ والإعوازِ

كيفَ لا يَشتَكي وكيفَ تَشَكَّوْا ... وبِهِ لا بِمَن شَكاها المَرازي[3]

أيّها الواسِعُ الفِناء وما فيـ ... ـهِ مَبيتٌ لِمالِكَ المُجتازِ

بِكَ أضحى شَبا الأسنَّةِ عندي ... كَشَبا أسوُقِ الجَرادِ النّوازي[4]

وانثَنى عَنيَ الرُّدَينيُّ حتى ... دارَ دَورَ الحُروفِ في هَوَّازِ[5]

---

(١) الروذباري: نسبة إلى روذبار بلدة بالعجم.

(٢) الفريد: كبار اللؤلؤ. السام: عروق الذهب. الركاز: الذهب في معدنه.

(٣) المرازي: المصائب.

(٤) الشبا: ج شباة: الحد. النوازي: الوثابة.

(٥) هواز: من الأبجدية.

وبآبائكَ الكرام التّأسّي ... والتّسلّي عَمَّنْ مَضى والتّعازي

تَركوا الأرضَ بَعدَما ذَلَّلُوها ... ومَشَتْ تَحتَهُمْ بِلا مِهماز

وأُطاعَتهُمُ الجُيوشُ وهيبُوا ... فكلامُ الورى لُهمْ كالنُّحاز[1]

وهِجانٍ على هِجانٍ تأيّتْـ ... ـكَ عَديدَالحُبوبِ في الأقواز[2]

صَفّها السَّيرُ في العَراءِ فكانَتْ ... فَوقَ مِثلِ المُلاءِ مِثلَ الطّرازِ

وحكى في اللّحومِ فِعلكَ في الوَفـ ... ـرِ فأوَى بالعَنتَريسِ الكِنازِ[3]

كُلّما جادَتِ الظّنونُ بوَعدٍ ... عَنكَ جادَت يَداكَ بالإنجازِ

مَلِكٌ مُنشِدُ القَريضِ لَدَيه ... يَضَعُ الثَّوبَ في يَدَيْ بَزّازِ[4]

ولَنا القَولُ وهوَ أدرى بفَحوا ... هُ وأهدى فيهِ إلى الإعجازِ

ومنَ النّاسِ مَن يَجوزُ عَلَيه ... شُعراءٌ كأنّها الخازِباز[5]

ويَرى أنهُ البَصيرُ بِهذا ... وهوَ في العُمي ضائعُ العُكّازِ

كلُّ شِعرٍ نَظيرُ قائلِهِ فيـ ... ـكَ وعَقلُ المُجيزِ عَقلُ المُجازِ

(١) النحاز: داء يأخذ الإبل في صدورها.
(٢) الأقواز: جمع قوز: التل من الرمل.
(٣) العنتريس: الناقة الغليظة. الكناز: كثيرة اللحم.
(٤) بزّاز: تاجر الثياب.
(٥) الخازباز: حكاية صوت الذباب.

الصاعقة السابعة والأربعون: هَذِه بَرَزتِ لَنا فَهِجتِ رَسِيسا(*)

هَذي بَرَزتِ لَنا فَهِجتِ رَسِيسا ... ثمّ انثَنَيتِ وما شَفَيتِ نَسِيسا(١)

وَجعلتِ حظي منكِ حظي في الكَرى ... وَتَرَكتِني للفَرقَدَينِ جَلِيسا

قَطّعتِ ذَيّاكِ الخُمارَ بسَكرَةٍ ... وأَدَرتِ من خَمرِ الفِراقِ كُؤوسا

إن كُنتِ ظاعِنَةً فإنّ مَدامِعي ... تَكفِي مَزادَكُمُ وتُروِي العِيسا(٢)

حاشى لمثلِكِ أن تكونَ يَخيلَةً ... ولِمثل وَجهِكِ أنْ يكونَ عَبُوسا

ولِمثلِ وَصلِكِ أنْ يكونَ مُمَنَّعًا ... ولِمثل نَيلِكِ أنْ يكونَ خَسِيسا

خَودٌ جَنَت بَيني وبينَ عَواذلي ... حَرْبًا وغادَرَتِ الفُؤادَ وطِيسا(٣)

بَيضاءُ يمنَعُها تَكلّمَ دَلُّها ... تِيهًا ويَمنَعها الحَياءُ تَميسا(٤)

لمّا وَجَدتُ دَواءَ دائي عِندَها ... هانَت عليَّ صِفاتُ جالِينُوسا(٥)

أبقى زُرَيقٌ للثّغُورِ مُحَمّدًا ... أبقى نَفِيس للنَّفِيسِ نَفِيسا

إنْ حَلَّ فارَقَتِ الخَزائنُ مالَهُ ... أو سارَ فارَقَتِ الجُسُومُ الرُّوسا

مَلِكٌ إذا عادَيتَ نَفسَكَ عادَه ... ورَضِيتَ أوحَشَ ما كَرِهتَ أنِيسا

(*) مناسبة القصيدة: قالها يمدح محمد بن زريق الطرسوسي.

(١) الرسيس: ابتداء الحب. النسيس: بقية الروح.

(٢) المزاد: جمع مزادة: القربة. العيس: الإبل الكريمة.

(٣) الخود: المرأة الشابة الناعمة.

(٤) تميس: تميل.

(٥) جلينوس: الطبيب المشهور بهذا الاسم.

الخائضَ الغَمَراتِ غيرَ مُدافَعٍ ... والشِّمَّرِيَّ المِطْعَنَ الدِّعِّيسا[١]

كَشّفتُ جَمهَرَةَ العِبادِ فلَمْ أَجِدْ ... إلاّ مَسوداً جَنبَهُ مَرؤوسا

بَشَرٌ تَصَوّرَ غايَةً في آيَةٍ ... تنفي الظّنُونَ وتُفسِدُ التَّقييسا

وبِهِ يُضَنّ على البَريَّةِ لا بِها ... وعَلَيهِ منها لا عليها يُوسى

لَوْ كانَ ذو القَرنَينِ أعمَلَ رأيَهُ ... لّما أتى الظُّلُماتِ صِرنَ شُمُوسا

أو كانَ صادَفَ رأسَ عازَرَ سَيْفُهُ ... في يَومِ مَعرَكَةٍ لأعيا عيسى

أوْ كانَ للنّيرانِ ضَوءُ جَبينِهِ ... عُبِدَت فكانَ العالَمونَ مَجوسا

لّما سَمِعتُ بِهِ سَمِعتُ بواحِدٍ ... ورَأيتُهُ فرَأيتُ مِنهُ خَميسا

ولحظتُ أُنمُلَهُ فَسِلنَ مَواهِبًا ... ولَمستُ مُنصُلَهُ فَسالَ نُفُوسا[٢]

يا مَن نَلُوذُ مِنَ الزَّمانِ بِظِلِّهِ ... أبدًا ونَطرُدُ باسمِهِ إبليسا

صَدَقَ المُخبِّرُ عنكَ دونَكَ وَصفُهُ ... مَن في العِراقِ يراكَ في طَرَسُوسا

بَلَدٌ أقَمتَ بِهِ وذِكرُكَ سائِرٌ ... يَشنا المَقِيلَ ويَكرَهُ التَّعرِيسا[٣]

فإذا طَلَبتَ فَريسَةً فارَقتَهُ ... وإذا خَدرتَ تَخذتَهُ عِرِّيسا[٤]

إنّي نَثَرتُ عَلَيكَ دُرًّا فانتَقِدْ ... كَثُرَ المُدَلِّسُ فاحذَرِ التَّدليسا

---

(١) الشمري: المجرب. الدعيس: مبالغة اسم الفاعل، أي كثير الطعن.

(٢) لحظ الأنامل: كناية عن الاستمطار.

(٣) التعريس: النزول في آخر الليل للراحة.

(٤) العرّيس: مأوى الأسد.

حَـجَّـبـتُـهـا عَنْ أهلِ إنطاكِـيّـةٍ وجَلَوتُها لكَ فاجتَلَيتَ عَروسا

خَيرُ الطّيور على القُصورِ وشَرُّها يَأوي الخَرابَ ويَسكُنُ النّاوُوسا[1]

لَوْ جادَتِ الدُّنيا فَدَتكَ بِأهلِها أو جاهَدَت كُتِبَتْ عليكَ حَبِيسا

(١) الناووس: المقبرة.

obeikandl.com

الصاعقة الثامنة والأربعون: أظبيةَ الوحشِ لولا ظبيةُ الأنسِ(*)

أظبيـــةَ الوحشِ لولا ظبـيـــةُ الأنسِ ... لما غـدوتُ بجـدٍّ في الهـوى تعسِ

ولا سـقَيْتُ الثرى والمُزْنُ مُـخلفـةٌ ... دمـعًا يُنشّفُـهُ منْ لوعـةٍ نفـسي(١)

ولا وقـفتُ بجـسمٍ مُـسْيَ ثالثـةٍ ... ذي أرسُمٍ دُرُسٍ في الأرسُمِ الدُّرُسِ(٢)

صـريعَ مُـقْلَتِـهـا سـأال دمنتـهـا ... قـتـيلَ تكسـيـرِ ذاكَ الجـفنِ واللَّعسِ

خريدةٌ لوْ رأتـها الشمسُ مـا طلعتْ ... ولوْ رآها قـضـيـبُ البـانِ لـم يَمسِ(٣)

مـا ضـاقَ قـبلكِ خَلخـالٌ على رشإٍ ... ولا سـمـعْتُ بديبـاجٍ على كُنسِ(٤)

إن ترمني نكبـاتُ الدهرِ عن كَـثَبٍ ... ترمِ امـرأً غـيـرَ رعـديدٍ ولا نـكسِ(٥)

يفـدي بنيك عبـيـدَ اللهِ حـاسـدُهم ... بجبـهةِ العَيـرِ يُفدى حافـرُ الفرسِ

أبـا الغطارفـــةِ الحـــامينَ جـــارهـمُ ... وتاركي الليثِ كلبًا غير مُفترسِ(٦)

من كلِّ أبيضَ وضّـاحٍ عـمـامـتُـهُ ... كـأنما اشـتـملتْ نورًا على قـبسِ

دانٍ بعـيـدٍ مُـحبٍّ مُـبـغِضٍ بـهجٍ ... أغـــرَّ حُلوٍ ممرٍّ ليّـنٍ شـــرسِ

(*) مناسبة القصيدة: قال هذه القصيدة يمدح عبيدالله بن خلكان.

(١) المخلفة: التي تطمع في المطر.

(٢) مسي: مساء. الأرسم: الآثار. الدرس: المنمحية.

(٣) الخريدة: المرأة الشابة الحسنة.

(٤) الكنس: جمع كناس: مأوى الظبي.

(٥) الرعديد: الجبان. النكس: الدنيء.

(٦) الغطارفة: السادة الكرام.

نـدٍ أبـيٍّ غـــــرٍ وافٍ أخـي ثقـــــةٍ جـعـدٍ سـريّ نَهٍ نـدبٍ رضٍ نـدُسِ[1]

لـو كـــانَ فـيضُ يـديْه مـــاءَ غـــاديةٍ عـزّ القطا في الفيافي موضعُ اليبسِ

أكـارمٌ حـسـدَ الأرضَ السـمـاءُ بـهم وقـصَّـرتْ كـلُّ مـصـرٍ عن طرابُلُسِ

أيّ الملوكِ وهـم قـصـــدي أُحـــاذرُهُ وأي قـرنٍ وهم سـيـفي وهم تُرسي

(١) الغري: الحسن. الجعد: الكريم. السري: الكريم. الندس: الذكي.

obeikandl.com

الصاعقة التاسعة والأربعون: مَبيتي مِنْ دِمَشقَ على فِراشِ(*)

مَبيتي مِنْ دِمَشقَ على فِراشِ ... حَشاهُ لِي بَحرّ حَشايَ حاشِ

لَقى لَيلٍ كَعَين الظَّبيِ لَونًا ... وهَمٍّ كالحُمَيّا في المُشاشِ(١)

وشَوْقٍ كالتَّوَقّدِ في فُؤادٍ ... كجَمرٍ في جوانح كالمُحاشِ(٢)

سَقى الدَّمُ كلَّ نَصلٍ غيرِ نابٍ ... وروّى كلَّ رُمحٍ غيرِ راشِ(٣)

فإنّ الفارِسَ المنعوتَ خَفّتْ ... لُمنصُلِه الفَوارِسُ كالرّياشِ

فقد أضحى أبا الغَمراتِ يُكنى ... كأنَّ أبا العَشائِرِ غيرُ فاشِ

وقد نُسيَ الحُسَينُ بما يُسمّى ... رَدى الأبطالِ أو غيثَ العِطاشِ

لَقُوهُ حاسِراً في دِرعِ ضَربٍ ... دَقيقِ النّسجِ مُلتَهبِ الحواشي

كأنّ على الجَماجِمِ منهُ ناراً ... وأيدي القَومِ أجنحَةُ الفَراشِ

كأنّ جَواريَ المُهَجاتِ ماءٌ ... يُعاوِدُها المُهَنَّدُ من عُطاشِ

فَوَلّوا بينَ ذي رُوحٍ مُفاتٍ ... وذي رَمَقٍ وذي عَقلٍ مُطاشِ

ومُنعَفرٍ لنَصلِ السَّيفِ فيهِ ... تَواري الضَّبّ خافَ من احتراشِ(٤)

(*) مناسبة القصيدة: قال يمدح أبا العشائر، ويذكر إيقاعه بأصحاب باقيس ومسيره من دمشق.

(١) اللقى: الشيء الملقى. الحميّا: سَوْرة الخمر. المشاش: رؤوس العظام الرخوة.

(٢) المحاش: ما أحرقته النار.

(٣) ناب: من نبا السيف إذا كان عن الضريبة. رمح غير راشٍ: غير خوار ولا ضعيف.

(٤) الاحتراش: صيد الضبّ.

يُدمّي بعضُ أيدي الخيلِ بَعضًا ... وما بِعُجايَةٍ أثَرُ ارتهاشِ[١]

ورائعُها وحيدٌ لَم يَرُعهُ ... تَباعُدُ جَيشِهِ والمُستَجاشِ[٢]

كأنّ تَلَوّيَ النُّشّابِ فيهِ ... تلوّي الخوص في سَعَفِ العِشاشِ[٣]

ونَهبُ نُفوسِ أهل النّهب أولى ... بأهل المجدِ من نَهبِ القُماشِ

تُشارِكُ في النِّدام إذا نزلنا ... بطانٌ لا تُشارِكُ في الجِحاشِ

ومن قَبلِ النّطاحِ وقَبلِ يأني ... تَبينُ لك النّعاجُ منَ الكِباشِ

فَيا بَحرَ البُحورِ ولا أُوَرِّي ... ويا مَلِكَ المُلوكِ ولا أُحاشي

كأنَّكَ ناظِرٌ في كُلِّ قَلبٍ ... فَما يَخفى عَلَيكَ مَحلُّ غاشِ

أَأَصبِرُ عَنكَ لَم تَبخلْ بشيءٍ ... ولَمْ تَقبلْ عليّ كَلامَ واشِ

وكيفَ وأنتَ في الرّؤساءِ عِندي ... عَتيقُ الطّيرِ ما بينَ الخِشاشِ[٤]

فَما خاشيكَ للتّكذيبِ راجٍ ... ولا راجيكَ للتّخييبِ خاشِ

تُطاعِنُ كلُّ خيلٍ كُنتَ فيها ... ولَوْ كانوا النّبيطَ على الجحاشِ[٥]

أرى النّاسَ الظّلامَ وأنتَ نُورٌ ... وإنّي مِنهُمُ لإليكَ عاشِ

---

(١) العجاية: عصبة في اليد فوق الحافر. الارتهاش: أن تصك الدابة إحدى يديها بحافر الأخرى حتى تدمى رواهشها وهي عصب الذراع.

(٢) رائعها: مخوفها. المستجاش: الذي يطلب منه الجيش أو القائد.

(٣) العشاش: جمع عشة: النخلة قليلة السعف.

(٤) العتيق: البازي - الخشاش: صغار الطير.

(٥) النبيط: قوم بسوار العراق.

بُليتُ بِهِم بَلاءَ الوَردِ يَلقى ... أُنُوفًا هنّ أولى بالخشاشِ[١]

عَلَيكَ إذا هُزلتَ معَ الليالي ... وحَولك حينَ تَسمنُ في هراشِ[٢]

أتى خَبَرُ الأميرِ فَقيلَ كَرّوا ... فقلتُ نَعَمْ ولَوْ لحِقوا بشاشِ[٣]

يَقودُهُمُ إلى الهَيجا لجُوجٌ ... يُسنُّ قِتالُهُ والكَرُّ ناشِي[٤]

وأسرَجتُ الكُمَيتُ فناقَلَت بي ... على إعقاقِها وعلى غِشاشِي[٥]

مِنَ المُتَمرِّدات تُذَبُّ عَنْها ... برُمحِي كُلُّ طائرةِ الرَّشاشِ

ولَوْ عُقِرَتْ مَواقِفُهُ لحافٍ ... حَديثٌ عَنهُ يحمِلُ كلَّ ماشِ

وإذا ذُكِرَتْ مَواقِفُهُ لحافٍ ... وَشيكَ فَما يُنكِّسُ لانتقاشِ[٦]

تُزيلُ مَخافَةَ المَصبورِ عنهُ ... وتُلهِي ذا الفِياشِ عنِ الفِياشِ[٧]

وما وُجِدَ اشتِياقٌ كاشتِياقِي ... ولا عُرِفَ انكِماشٌ كانكِماشي[٨]

فسرتُ إليكَ في طَلَبِ المَعالِي ... وسارَ سِوايَ في طَلَبِ المَعاشِ

---

(١) الخشاش: عود يدخل في أنف البعير يشد فيه الزمام.

(٢) الهراش: الخصام.

(٣) شاش: بلد وراء النهر.

(٤) يسنّ: يطول عمره. ناشي: حديث السنّ.

(٥) المناقلة: إسراع نقل القوائم. الإعقاق: الحبل. الغشاش: العجلة.

(٦) شيك: دخلت الشوكة في جسده. الانتقاش: إخراج الشوكة.

(٧) المصبور: المحبوس على القتل. الفياش: المفاخرة.

(٨) الانكماش: الإسراع.

الصاعقة الخمسون: حُشاشةُ نفسٍ ودّعتْ يومَ ودّعوا(*)

حُشاشةُ نَفْسٍ ودّعتْ يومَ ودّعوا ... فلم أدرِ أيَّ الظاعنين أُشيّعُ

أشاروا بتسليمٍ فجدْنا بأنفسٍ ... تسيلُ منَ الآماقِ والسَّمُّ أدمُعُ(١)

حشايَ على جمرٍ ذكيٍّ منَ الهوى ... وعيناي في روضٍ منَ الحسنِ ترتعُ

ولو حُمّلتْ صُمُّ الجبالِ الذي بنا ... غداةَ افترقْنا أوشكتْ تتصدّعُ

بما بين جنبيّ التي خاضَ طيْفُها ... إليّ الدّياجي والخليّونَ هُجّعُ

أتت زائراً ما خامرَ الطيبُ ثوبَها ... وكالمسْكِ منْ أردانِها يتضوّعُ

فما جلستْ حتى انثنتْ توسعُ الخُطى ... كفاطمةٍ عن درّها قبلَ تُرضِعُ(٢)

فشرّدَ إعظامي لها ما أتَى بها ... من النومِ والتاعَ الفؤادُ المُفجَّعُ

فيا ليلةً ما كانَ أطولَ بتُّها ... وسمُّ الأفاعي عذبُ ما أتجرّعُ

تذللْ لها واخضعْ على القرب والنّوى ... فما عاشقٌ من لا يذلّ ويخضعُ

ولا ثوبُ مجدٍ غيرَ ثوبِ ابنِ أحمدٍ ... على أحدٍ إلا بلؤمٍ مُرقَّعُ

وإنّ الذي حابى جديلةَ طيِّئٍ ... به اللهُ يُعطي منْ يشاء ويمْنَعُ

بذي كرَمٍ ما مرّ يومٌ وشمسُهُ ... على رأسِ أوفى ذمةً منه تطلُعُ

(*) مناسبة القصيدة: قالها في صباه، يمدح علي بن أحمد الطائيّ.

(١) السّمّ: لغة في الاسم.

(٢) الدر: اللبن.

فأرحامُ شعرٍ يتصلْنَ لدنّهُ وأرحامُ مالٍ ما تني تتقطّعُ
فتًى ألفُ جزءٍ رأيهُ في زمانه أقلُّ جزئي بعضُهُ الرّأيُ أجمعُ
غمامٌ علينا ممطرٌ ليس يُقشعُ ولا البرقُ فيه خُلَّبًا حين يلمعُ[1]
إذا عُرضتْ حاجٌ إليْه فنفسُهُ إلى نفسِهِ فيها شفيعٌ مُشفَّعُ
خبتْ نارُ حربٍ لم تهجْها بنانُهُ وأسمرُ عريانٌ مِنَ القِشرِ أصْلعُ
نحيفُ الشَّوى يعدو على أمِّ رأسهِ ويحفى فيقوَى عدوُه حين يُقطعُ[2]
يمجُّ ظلامًا في نهارٍ لسانُهُ ويُفْهِمُ عمّن قال ما ليسَ يُسمَعُ
ذبابُ حسامٍ منه أنجى ضريبةً وأعصى لمولاهُ وذا منهُ أطوعُ
فصيحٌ متى ينطقْ تجدْ كلَّ لفظةٍ أصولَ البراعاتِ التي تتفرّعُ
بكفّ جوادٍ لو حكتْها سحابةٌ لما فاتها في الشرقِ والغربِ موضعُ
وليسَ كبحرِ الماءِ يشتقُّ قعرَهُ إلى حيثُ يفنى الماءُ حوتٌ وضفدعُ
أبحرٌ يضرّ المعتفين وطعمُهُ زُعاقٌ كبحرٍ لا يضرّ وينفعُ[3]
يتيهُ الدقيقُ الفكرِ في بعدِ غورِهِ ويغرقُ في تيّارِه وهوَ مِصقَعُ
ألا أيُّها القَيْلُ المقيمُ بمنبجٍ وهمّتُهُ فوقَ السّماكينِ تُوضعُ
أليس عجيبًا أنَّ وصفَكَ معجزٌ وأنَّ ظنوني في معاليكَ تظلعُ

(١) البرق الخلّب: الذي لا مطر فيه.
(٢) الشوى: الإطراف. يحفى: يكلّ.
(٣) المعتفين: جمع معتفي: طالب المعروف. الزعاق: المرّ.

وأنكَ في ثوبٍ وصـدرُك فـيكمـا ... على أنه من سـاحـةِ الأرضِ أوسعُ
وقلبُكَ في الدنيـا ولو دخلتْ بنا ... وبالجنّ فيـهِ مـا درتْ كـيف ترجعُ
ألا كلّ سـمحٍ غـيـرَك اليـومَ بـاطلٌ ... وكل مـديحٍ في سـواكَ مُـضـيَّعُ

obeikandl.com

الصاعقة الحادية والخمسون: أرَكائبَ الأحبابِ إنَّ الأدمعا(*)

أرَكـائبَ الأحـبـابِ إنَّ الأدمـعَـا ... تطِسُ الخدودَ كما تطِسْنَ اليرْمَعا(١)

فـاعْرِفْنَ من حـملتْ عليكنّ النوى ... وامـشينَ هونًا في الأزمّـةِ خُـضَّـعَـا

قـد كـانَ يمنعني الحـيـاءُ من البُكا ... فـالـيـومَ يمنعُـهُ البُكا أن يمنعَـا

حـتـى كـأنّ لـكـلّ عظـمٍ رنّةً ... في جلده ولكلِّ عـرْقٍ مـدمـعَـا

وكـفى بمنْ فـضحَ الجدايةَ فـاضـحًا ... لُمحـبّـهِ وبمصـرَعي ذا مـصـرَعَـا(٢)

سـفرَتْ وبرقَعَـها الفراقُ بصُفـرةٍ ... سـترتْ محاجـرَها ولم تكُ بُرقُعَا

فكأنهـا والدمعُ يقطُرُ فـوقَـهـا ... ذهبٌ بسـمطيْ لؤلؤٍ قـد رُصّـعَـا

نشـرتْ ثلاثَ ذوائبٍ من شـعـرِها ... في ليلةٍ فـأرتْ ليـالي أربعَـا

واستقبلتْ قمرَ السماءِ بوجهِها ... فـأرتْنيَ القـمـرينِ في وقتٍ مَـعَـا

رُدّي الوصـالَ سقى طُلولكِ عـارضٌ ... لو كـانَ وصلُكِ مـثلَهُ مـا أقـشَـعَـا

زجـلٌ يـريـكِ الجـوَّ نـارًا والملا ... كـالبـحـرِ والتلعـاتِ روضًـا ممرعـا(٣)

كـبنانِ عـبـد الواحـدِ الغـدقِ الذي ... أروى وأمّـنَ منْ يـشـاءُ وأجـزَعَـا

ألـفَ المروءةَ مـذْ نشـا فكأنهُ ... سُقيَ اللّبـان بهـا صبـيًّـا مُرضَـعَـا

(*) مناسبة القصيدة: قالها يمدح عبدالواحد بن العباس بن أبي الإصبع الكاتب.

(١) الوطس: الضرب القوي. اليرمع: حجارة رخوة.

(٢) الجداية: الغزال.

(٣) الزَجِل: المصوّت. الملا: الصحراء. الممرع: المخصب.

نُظمتْ مواهبُهُ عليه تمائمًا ... فاعتادها فإذا سقطن تفزّعَا

ترك الصنائعَ كالقواطعِ بارقا ... تٍ والمعالي كالعوالي شُرّعَا

متبسّمًا لعُفاته عن واضحٍ ... تغشى لوامعُه البروقَ اللّمّعَا[1]

متكشّفًا لعداته عن سطوةٍ ... لوْ حكّ منكبُها السماءَ لزعزعَا

الحازمَ اليقظَ الأغرَّ العالمَ الـ ... ـفطنَ الألدَّ الأريحيَّ الأروعَا[2]

الكاتبَ اللبقَ الخطيبَ الواهبَ الـ ... نّدسَ اللبيبَ الهبرزيّ المصقعَا[3]

نفسٌ لها خُلقُ الزّمانِ لأنه ... مُفني النفوسَ مفرِّقٌ ما جَمَّعَا

ويدٌ لها كرمُ الغمَامِ لأنهُ ... يسقي العمارةَ والمكانَ البَلقعَا[4]

أبدًا يُصدّعُ شعب وفرٍ وافرٍ ... ويلُمُّ شَعْبَ مكارمٍ مُتَصَدّعَا

يهتزُّ للجدوى اهتزازَ مُهنَّدٍ ... يومَ الرّجاءِ هززتَهُ يومَ الوَغى

يا مغنيًا أملَ الفقيرِ لقاؤُهُ ... ودُعاؤُهُ بعدَ الصلاةِ إذا دَعَا

أقصرْ ولستَ بمقصرٍ جُزتَ المدى ... وبلغتَ حيثُ النجمُ تحتكَ فاربَعَا

وحللتَ منْ شرفِ الفعالِ مواضعًا ... لم يحللِ الثقلانِ منها موضعَا

وحويتَ فضلهُما وما طمعَ امرؤٌ ... فيه ولا طمِعَ امرؤٌ أن يَطمَعَا

---

(١) العفاة: السائلون. الواضح: الثغر. تغشى: تغطّي.

(٢) الأريحي: واسع الخلق.

(٣) النَّدس: الفَهِم. الهبرزي: الوسيم. المصقع: البليغ.

(٤) العمارة: الأرض المأهولة. البلقع: الخالي.

نفـذَ القـضـاءُ بما أردتَ كـأنهُ ... لك كلَّمـا أزمـعتَ أمـراً أزمَـعَـا

وأطاعَكَ الدّهرُ العـصيُّ كـأنَّهُ ... عـبـدٌ إذا ناديتَ لبّى مُـسـرِعَـا

أكلتْ مـفـاخـرُك المفـاخـرَ وانثَنَتْ ... عن شـأوهنّ مطيٌّ وصـفي ظُلَّعـا

وجرينَ جري الشمسِ في أفلاكِها ... فـقطعنَ مـغـربَها وجُـزن المطلعَا

لو نيطتِ الدنيـا بأُخـرى مـثلِهـا ... لعـمـمنَهـا وخـشين أن لا تقنَعَـا

فـمـتى يُكذَّبُ مُـدّعٍ لك فـوقَ ذا ... واللهُ يشـهـدُ أن حـقًّـا مـا ادّعَى

ومـتى يُؤدّي شـرحَ حـالِكَ نـاطِقٌ ... حَـفِظَ القَليلَ النّزرَ مما ضَـيّـعَـا

إنْ كـان لا يُدعى الفـتى إلا كَـذا ... رجـلاً فـسمِّ الناسَ طُرًّا إصـبَـعَـا

إن كـانَ لا يسـعى لجـودٍ مـاجِـدٌ ... إلا كـذا فـالغـيثُ أبخلُ منْ سَـعَى

قـد خلَّفَ العـبـاسُ غُـرّتكَ ابنَهُ ... مـرأى لَنا وإلى القـيـامةِ مَـسـمَـعَـا

الصاعقة الثانية والخمسون: الحزن يقلقُ والتجملُ يردعُ(*)

الحـــزن يُقْلِقُ والتـــجـــمّلُ يردَعُ ... والدمْعُ بينهُـــمـــا عـــصيٌّ طيّعُ

يتنازعـــان دمـــوعَ عينٍ مـــسـهَّـــدٍ ... هـذا يجـيءُ بـهـــــا وهـذا يرجـعُ

النومُ بعـــدَ أبي شـــجـــاعَ نافـــرٌ ... والليلُ مـــعيٍ والكواكبُ ظلّعُ(١)

إني لأجبنُ عن فـــراقِ أحـــبـــتي ... وتحسّ نفـسي بالحِـمـامِ فـأشـجعُ

ويزيدني غـضبُ الأعـادي قـسـوةً ... ويلمُّ بي عـتبُ الصـديقِ فـأجـزعُ

تصـفُـو الحـيـاةُ لجـاهلٍ أو غـافلٍ ... عـمـا مـضى فـيـهـا ومـا يتـوقّعُ

ولمن يُغـالطُ في الحـقـائقِ نفـسَـهُ ... ويسـومُـهـا طلبَ المحالِ فـتطمعُ

أينَ الذي الهَـرَمـانِ منْ بنيـانِه، ... مـا قـومُـه، مـا يومُـه، مـا المصرعُ؟

تتـخلفُ الآثارُ عنْ أصـحـابِهـا ... حـينًا ويدركُـهـا الفناءُ فـتـتـبعُ

لم يُرضِ قلبَ أبي شـجـاعٍ مـبلغٌ ... قـبلَ الممـاتِ ولم يسـعْـهُ مـوضعُ

كـنّـا نـظـنّ ديـارَهُ مـمـلـوءةً ... ذهبًـا فـمـاتَ وكلّ دارٍ بلقعُ

وإذا المكـارمُ والصـــوارمُ والقـنا ... وبناتُ أعـوجَ كلُّ شيءٍ يجـمعُ(٢)

المجـدُ أخـسـرُ والمكارمُ صـفـقـةً ... من أنْ يعـيشَ لهـا الهـمـامُ الأروعُ

(*) مناسبة القصيدة: توفي أبو شجاع فاتك بمصر سنة خمسين وثلاثمائة (٩٦١م) فقال يرثيه بعد خروجه منها.

(١) الظلّع: التي تغمز في مشيها، وهو شبيه بالعرج.

(٢) بنات أعوج: خيل تنسب إلى أعوج، وهو فحل مشهور من خيل العرب.

والناسُ أنزلُ في زمـــانِكَ منزلًا ... من أنْ تعـايشـهُمْ وقـدرُكَ أرفعُ

برّدْ حـشـايَ إن استطعتَ بلفظةٍ ... فلقـدْ تضـرّ إذا تشـاءُ وتنفعُ

مـا كـانَ منكَ إلى خليلٍ قـبلَهـا ... مـا يستـرابُ به ولا مـا يُوجعُ

ولقـدْ أراكَ ومـا تلمّ ملمـةٌ ... إلا نفـاها عنكَ قلبٌ أصـمعُ[1]

ويدٌ كـأنّ نوالَهـا وقـتـالَهـا ... فـرضٌ يحقُّ عليكَ وهو تبـرّعُ

يـا منْ يبـدّلُ كـلّ يـوم حُلّة ... إني رضـيتُ بحلـةٍ لا تُنـزعُ

مـا زلتَ تخلعُـها على منْ شاءَها ... حـتى لبستَ اليـومَ مـا لا تخلعُ

مـا زلتَ تدفعُ كلَّ أمـرٍ فـادحٍ ... حـتى أتى الأمـرُ الذي لا يُدفعُ

فظللْتَ تنظرُ لا رمـاحُك شـرّعٌ ... فـيـمـا عـراكَ ولا سـيـوفُك قطّعُ

بأبي الوحـيـدُ وجـيـشُـهُ مـتكاثرٌ ... يبكي ومنْ شـرِّ السـلاحِ الأدمعُ

وإذا حصلتَ منَ السلاحِ على البكا ... فـحـشـاكَ رُعتَ به وخـدَّك تقـرعُ

وصلتْ إليكَ يدٌ سـواءٌ عندها الـ ... ـبـازي الأشـيـهبُ والغـرابُ الأبقعُ

من للـمـحـافلِ والجـحـافلِ والسـرى ... فـقـدَتْ بـفـقـدِكَ نيِّـرًا لا يطلُعُ

ومنِ اتخذتَ على الضيوفِ خليفةً ... ضـاعـوا ومـثلُكَ لا يكادُ يضـيّعُ

قـبـحًـا لوجـهكَ يا زمـانُ فـإنه ... وجـهٌ لـه منْ كلِّ قـبـحٍ بـرقعُ

أيموتُ مـثلُ أبي شـجـاعٍ فـاتكٍ ... ويعـيشُ حـاسـدُهُ الخصيُّ الأوكعُ[2]

---

(١) الأصمع: الفطن المتيقّظ.

(٢) الأوكع: اللئيم.

أيدٍ مقطعةٌ حوالي رأسِهِ وقفًا يصيحُ بها : ألا مَنْ يصفعُ
أبقيتَ أكذبَ كاذبٍ أبقيتَهُ وأخذتَ أصدقَ منْ يقولُ ويسمعُ
وتركتَ أنتنَ ريحةٍ مذمومةٍ وسلبتَ أطيبَ ريحةٍ تتضوعُ
فاليومَ قرّ لكلّ وحشٍ نافرٍ دمُهُ وكانَ كأنّه يتطلعُ
وتصالحتْ ثمرُ السياط وخيلُهُ وأوتْ إليها سوقُها والأذرعُ
وعفا الطرادُ فلا سنانٌ راعفٌ فوقَ القناةِ ولا حسامٌ يلمعُ
ولّى وكلُّ مخالمٍ ومنادمٍ بعدَ اللزومِ مشيِّعٌ ومودِّعُ[1]
منْ كانَ فيه لكلِّ قومٍ ملجأٌ ولسيفِهِ في كلِّ قومٍ مرتعُ
إنْ حلَّ في فرسٍ ففيها رَبُّها كسرى تذلُّ له الرقابُ وتخضعُ
أو حلّ في رومٍ ففيها قيصرٌ أو حلَّ في عربٍ ففيها تبَّعُ
قد كانَ أسرعَ فارسٍ في طعنةٍ فرسًا ولكنّ المنيَّةَ أسرعُ
لا قلّبتْ أيدي الفوارسِ بعدهُ رُمحًا ولا حملتْ جوادًا أربعُ

(١) المخالم: الصديق.

الصاعقة الثالثة والخمسون: مُلِثَّ القَطرِ أَعطِشْها رُبُوعاً(*)

مُلِثَّ القَطرِ أَعطِشْـــها رُبُوعًـــا ... وإلاّ فـاسْـقِـهـا السّمّ النَّقِـيـعـا(١)

أُســـائِلُهـــا عَنِ المُتـــدَيّريهـــا ... فَـــلا تَدرِي ولا تُذري دُمُـــوعـــا

لَحَـــاها اللهُ إلاّ مـــاضِـــيَـــيْـــهـــا ... زَمـانَ اللَّهـوِ والخَـوْدَ الشَّـمُـوعـا(٢)

مَنَعَّـــمَـــةٌ مُـــمَنَّعَـــةٌ رَداحٌ ... يُكَلِّفُ لَفظُها الطَّيرَ الوُقُـوعـا(٣)

كـــأنَّ نِقـــابَهـــا غَـــيمٌ رَقِـــيقٌ ... يُضيءُ بمنعِـهِ البَـدْرَ الطُّلُوعـا

أقُـولُ لها اكـشـفي ضُـرّي وَقَـولي ... بأكـثَـرَ من تَدَلّلِها خُـضُـوعـا

أخِـفـتِ اللهَ في إحـيـاءِ نَفْسٍ ... مـتى عُـصي الإلَهُ بأن أُطِيـعـا

غَـدا بِكِ كُلُّ خِلوٍ مُـسـتَـهـامًـا ... وأصـبَحَ كُلُّ مَـسـتُـورٍ خَلِيـعـا

أُحِـبّكَ أو يَقُـولوا جَـرَّ نَـملٌ ... ثَبِـيـرَ أو ابنُ إبراهِيمَ رِيعـا

بَعِـيـدُ الصيتِ مُنبثُّ السَّـرايا ... يُشَـيّبُ ذِكـرُهُ الطّفلَ الرَّضِـيـعـا

يـغُـضّ الـطَّـرفَ مـن مَـكـرٍ وَدَهـي ... كـأنّ بِـهِ ولـيسَ بِهِ خُـشُـوعـا

إذا اسـتـعـطَيـتَـهُ مـا في يَدَيه ... فـقَـدْكَ سـأَلتَ عن سِـرٍّ مُـذيعـا

قَـبُـولُكَ مَـنَّهُ مـنٌّ عَـلَـيـهِ ... وإنْ لا يبـتـدئ يَرَهُ فَظِيـعـا

(*) مناسبة القصيدة: قال يمدح علي بن إبراهيم التنوخي.

(١) الملث: المقيم الدائم.

(٢) لحاها: قبّحها. الخود: الجارية الناعمة. الشموع: الضحوك.

(٣) الرداح: ثقيلة الأرداف.

لهـــونِ المالِ أفـــرَشَـــهُ أديمًا ... وللتَّـفـريقِ يَكرَهُ أنْ يَضيعا
إذا ضَـرَبَ الأمـيـرُ رِقـابَ قَـومٍ ... فَـمـا لِكَرامَـةٍ مَـدَّ النُّطُوعـا[١]
فَلَيسَ بواهِبٍ إلاّ كَـثـيـرًا ... ولَيسَ بقـاتلٍ إلاّ قَـريعـا[٢]
ولَيسَ مُـؤدِّبًا إلاّ بِنَصلٍ ... كفى الصّمصامةُ التَّعبَ القَطيعا[٣]
عَليٌّ لَيسَ يَمنَعُ من مَـجيءٍ ... مُـبـارِزَهُ ويَمنَعُـهُ الرّجُـوعـا
عَليٌّ قـاتِلُ البَطَلِ المُفَـدّى ... وَمُـبْـدِلُهُ مِنَ الزّرَدِ النَّجيـعـا[٤]
إذا اعـوَجَّ القَنا في حـامِليـهِ ... وجـازَ إلى ضُلوعِـهِمِ الضُّلُوعـا
ونالـت ثَأرَها الأكـبـادُ مِنهُ ... فـأولتـهُ اندقـاقًـا أو صُـدوعـا
فَـحِـدْ في مُلتَـقى الخَـيلينِ عَنهُ ... وإن كُنتَ الخُبَعثنةَ الشّجيـعـا[٥]
إن اسـتَـجـرأتَ تَرمُـقُـهُ بَعيـدًا ... فأنتَ اسطَعتَ شيئًا ما استُطيعا
وإن مـاريتَني فـاركَبْ حِـصـانًا ... ومَـثِّلْهُ تَخِـرَّ لَهُ صَـريعـا
غـمـامٌ ربّمـا مَطَرَ انتِـقـامًـا ... فَـأقـحَطَ وَدْقُـهُ البَلَدَ المَريعـا[٦]
رآني بَعـدَمـا قَطَعَ المَطايا ... تَيَـمُّـمُـهُ وقَطَّعَتِ القُطُوعـا

(١) النطوع: جمع نطع: بساط من جلد.
(٢) قريعاً: السيد الشريف.
(٣) القطيع: السوط.
(٤) النجيع: الدم.
(٥) الخبعثنة: الأسد.
(٦) الودق: المطر. المريع: المخصب.

فَصَيَّرَ سَيْلُهُ بَلَدِي غَدِيراً ... وصَيَّرَ خَيْرُهُ سَنتي رَبيعا

وجاوَدَني بأن يُعطِي وأحوي ... فأَغرَقَ نَيلُهُ أخذي سَريعا

أُمُنسِيَّ السّكونَ وحَضرمَوتًا ... ووالدَتِي وكِندَةَ والسَّبيعا

قدِ استقصيتَ في سَلبِ الأعادِي ... فردَّ لهمْ من السَّلْبِ الهُجُوعا

إذا ما لم تُسِرْ جَيشًا إليهم ... أسَرتَ إلى قُلُوبِهِمِ الهُلُوعا

رَضُوا بك كالرِّضى بالشَّيبِ قسراً ... وقد وَخَطَ النَّواصِيَ والفُرُوعا

فَلا عَزَلٌ وأنتَ بِلا سِلاحٍ ... لَحاظُكَ ما تَكُونُ بِهِ مَنيعا

لَوِ استبدَلت ذِهنكَ من حسامٍ ... قَدَدتَ بِهِ المغافِرَ والدُّرُوعا

لَوِ استَفرَغتَ جُهدَكَ في قِتالٍ ... أتيتَ بِهِ على الدُّنيا جَميعا

سَمَوتَ بِهِمَّةٍ تَسمُو فتسمُو ... فَما تُلفى بِمَرتَبَةٍ قَنُوعا

وهَبكَ سَمَحتَ حتى لا جَوادٌ ... فكَيفَ عَلَوتَ حتى لا رَفيعا؟

الصاعقة الرابعة والخمسون: غيري بأكثرِ هذا الناسِ ينخدعُ(*)

غَيري بأكثرِ هذا الناسِ ينخَدِعُ ... إن قاتلوا جبنوا أو حدَّثوا شجُعُوا

أهلُ الحفيظةِ إلا أنْ تجرِّبهم ... وفي التَّجاربِ بعدَ الغيّ ما يزعُ

وما الحياةُ ونفسي بعدمَا علمتْ ... أنَّ الحياةَ كما لا تشتهي طَبَعُ(١)

ليس الجمالُ لوجهٍ صحّ مارنهُ، ... أنفُ العزيزِ بقطعِ العزِّ يُجتدعُ(٢)

أأطرحُ المجدَ عن كتفي وأطلُبُهُ ... وأتركُ الغيثَ في غِمْدي وأنتجعُ(٣)

والمشرفيَّةُ لا زالتْ مشرّفةً ... دَواءُ كلِّ كَريمٍ أو هيَ الوجعُ

وفارسُ الخيل من خفتْ فوقَّرَهَا ... في الدربِ والدمُ في أعطافِهِ دُفعُ

فأوحدتْه وما في قلبه قلقٌ ... وأغضبتْهُ وما في لفظهِ قذعُ(٤)

بالجيشِ تمتنعُ السادات كلُّهمُ ... والجيشُ بابنِ أبي الهيجاءِ يمتنعُ

قاد المقانبَ أقصى شُربِها نهلٌ ... على الشَّكيمِ وأدنى سيرِها سرعُ(٥)

لا يعتفي بلدٌ مسراهُ عن بلدٍ ... كالموتِ ليس له ريٌّ ولا شبعُ

(*) مناسبة القصيدة: قالها وقد ظفر بسيف الدولة في غزوة السنبوس.

(١) الطبع: الدنس والعيب.

(٢) المارن: الأنف.

(٣) الانتجاع: طلب مواقع الغيث.

(٤) القذع: الفحش.

(٥) المقانب: جماعات الخيل. النهل: الشرب. الشكيم: جمع شكيمة: الحديدة المعترضة في فم الفرس.

حتى أقامَ على أرباضِ خرشنةٍ ... تشقى به الرومُ والصلبانُ والبِيَعُ[١]

مخلّى له المرجُ منصوباً بصارخةٍ ... له المنابرُ مشهوداً بها الجُمَعُ[٢]

يُطمِّعُ الطيرَ فيهم طُولَ أكلِهِمِ ... حتى تكادُ على أحيائهمْ تَقَعُ

ولو رآه حَوارِيّوهمُ لَبَنَوْا ... على محبته الشرعَ الذي شَرَعُوا

لام الدمستقُ عينيْه وقد طَلَعَتْ ... سودُ الغمامِ فظنُّوا أنها قَزَعُ[٣]

فيها الكماةُ التي مفطومُها رجلٌ ... على الجيادِ التي حوليُّها جَذَعُ[٤]

تذري اللُّقانُ غباراً في مناخرِهَا ... وفي حناجرِها من آلسٍ جُرَعُ[٥]

كأنهَا تتلقّاهُمْ لتسلكهُمْ ... فالطعنُ يفتحُ في الأجوافِ ما يسعُ

تهدي نواظرَها والحَربُ مظلمةٌ ... مَن الأسنةِ نارٌ والقنا شمعُ

دونَ السَّهامِ ودونَ القرّ طافحةٌ ... على نفوسهمِ المقورّةُ المزعُ[٦]

إذا دعا العلجُ علجًا حالَ بينهما ... أظمى تفارِقُ منه أختها الضلعُ[٧]

أجلُّ منْ ولد الفقّاسِ منكتفٌ ... إذ فاتهُنَّ وأمضى منهُ منصرعُ[٨]

---

(١) الأرباض: النواحي. خرشنه: بلد بالروم.

(٢) صارخة: بلد.

(٣) القزع: القطع من السحاب.

(٤) الحولي: الذي أتت عليه سنة. الجَذَع: الذي أتت عليه سنتان.

(٥) اللقان: اسم موضع. آلس: نهر على مسافة منه.

(٦) السهام: وهج الصيف. المقورة: الضامرة. المزع: المسرعة.

(٧) الأظمى: صفة من صفات الرمح.

(٨) الفقاس: جد الدمستق.

وما نجا من شفارِ البيضِ منفلتٌ ... نجا ومنهنَّ في أحشائه فزعُ

يباشرُ الأمنَ دهراً وهو مختبلٌ ... ويشربُ الخمرَ حولاً وهو ممتقعُ

كمْ منْ حشاشة بطْريقٍ تضمّنَها ... للباتراتِ أمينٌ ما له ورعُ

يُقاتلُ الخطوَ عنه حينَ يطلبُهُ ... ويطردُ النومَ عنه حينَ يضطجعُ

تغدو المنايا فلا تنفكُّ واقفةً ... حتى يقولَ لها عودي فتندفعُ

قلْ للدمستقِ إنَّ المسلمينَ لكمْ ... خانوا الأميرَ فجازاهم بما صنعُوا

وجدتموهمْ نياماً في دمائكمُ ... كأنّ قتلاكمُ إياهمُ فجعُوا

ضعفى تعفّ الأيادي عنْ مثالهم ... منَ الأعادي وإنْ همُّوا بهم نزعُوا

لا تحسبوا منْ أسرتم كانَ ذا رمقٍ ... فليسَ يأكلُ إلا الميتةَ الضبُعُ

هَلاّ على عَقبِ الوادي وقدْ طَلَعَتْ ... أُسْدٌ تمر فرادى ليسَ تجتَمعُ

تَشُقّكُمْ بفَتَاهَا كُلُّ سلهبةٍ ... والضربُ يأخذُ منكمْ فوق ما يدعُ

وإنما عرَّض اللهُ الجنودَ بكم ... لكي يكونوا بلا فسلٍ إذا رَجعوا[1]

فكلُّ غزوٍ إليكمْ بعد ذا فلهُ ... وكلُّ غازٍ لسيفِ الدولةِ التبعُ

تمشي الكرامُ على آثارِ غيرِهم ... وأنتَ تخلقُ ما تأتي وتبتدعُ

وهل يشينكَ وقتٌ كنتَ فارسَهُ ... وكانَ غيرَك فيه العاجزُ الضَّرَعُ

من كان فوقَ محلِّ الشمسِ موضعُهُ ... فليسَ يرفعُهُ شيءٌ ولا يضعُ

---

(١) الفسل: الرذل الذي لا مروءة له.

لم يُسلِم الكرُّ في الأعقابِ مهجتَهُ ... إنْ كانَ أسلمَها الأصحابُ والشيعُ[١]

ليتَ الملوكَ على الأقدارِ معطيةٌ ... فلمْ يكنْ لدنيءٍ عندَها طمعُ

رضيتَ منهمْ بأن زرتُ الوغى فرأوا ... وأن قرعتَ حبيكَ البَيْضِ فاستمعوا[٢]

لقد أباحَكَ غِشًّا في معاملةٍ ... منْ كنتَ منهُ بغيرِ الصدقِ تنتفعُ

الدهرُ معتذرٌ والسيفُ منتظرٌ ... وأرضُهُمُ لكَ مصطافٌ ومرتبعُ

وما الجبالُ لنصرانٍ بحاميةٍ ... ولو تنصَّرَ فيها الأعصمُ الصَّدعُ[٣]

وما حمدْتُكَ في هولٍ ثبتَّ بهِ ... حتى بلوتُكَ والأبطالُ تمتصعُ[٤]

فقدْ يُظَنُّ شجاعًا من بهِ خَرَقٌ ... وقد يُظَنُّ جبانًا من به زَمَعُ[٥]

إنّ السلاحَ جميعُ الناسِ تحملهُ ... وليسَ كلُّ ذواتِ المخلبِ السَّبُعُ

(١) يُسلِم: يخذل. الشيع: الأتباع.

(٢) حبيك: جمع حبيكة: البيضة من حديد تلبس على الرأس.

(٣) الأعصم: الوعل الذي في إحدى يديه بياض. الصدع: الفتيّ.

(٤) تمتصع: تذهب هاربة.

(٥) الخرق: الخفة والطيش. الزمع: الارتعاد.

الصاعقة الخامسة والخمسون: لجنّيّةٍ أم غادةٍ رُفعَ السَّجفُ(*)

لجنّيّـــةٍ أم غـــادةٍ رُفعَ الســـجْفُ ... لوحشيـةٍ لا مـا لوحشـيّـةٍ شنْفُ(١)

نفُـورٌ عـرتْهـا نفـرةٌ فـتـجـاذَبَتْ ... سوالفُها والحليُ والخصرُ والرِّدْفُ(٢)

وخَـيَّلَ منهـــا مـــرطُهـــا فكأنما ... تثنّى لنا خـوطٌ ولاحَظَنا خِـشْفُ(٣)

زيادةُ شـــيبٍ وهي نقصُ زيادتي ... وقـوةُ عـشقٍ وهي منْ قـوتي ضـعْفُ

أراقتْ دمي منْ بي من الوجدِ ما بها ... من الوجدِ بي والشوقُ لي ولها حلْفُ

أكَـيْـدًا لنا يا بينُ واصلتَ وصلنا ... فـلا دارُنـا تدنو ولا عـيـشُنا يصْـفُـو

أردِّدُ ويلي لو قـضى الويلُ حـاجـةً ... وأكـثـرُ لـهـفي لو شـفَى غلّةً لـهْفُ

ضنىً في الهوى كالسمّ في الشهدِ كامنًا ... لذذتُ بـه جـهلًا وفي اللذةِ الحـتْفُ

فـأفنى ومـا أفنتْـهُ نفـسي كـأنما ... أبو الفـرج القاضي له دونهـا كـهْفُ

قليلُ الكرى لو كانتِ البيضُ والقَنَا ... كـآرائه ما أغنتِ البَـيْضُ والزغْفُ(٤)

يقـوم مقـام الجـيشِ تقطيبُ وجهـه ... ويستغرقُ الألفاظَ من لفظه حرْفُ

وإن فـــقـــدَ الإعطاءَ حنّتْ يمينُهُ ... إليـــه حنينَ الإلفِ فـــارقَـــهُ الإلْفُ

(*) مناسبة القصيدة: قالها يمدح أبا الفرج أحمد بن الحسين القاضي المالكي.

(١) الغادة: المرأة الجميلة. السجف: الستر. الوحشية: الظبية. الشنف: ما يعلق بأعلى الأذن.

(٢) الردف: الكفل.

(٣) المرط: كساء من صوف يؤتزر به. الخشف: ولد الغزال.

(٤) البيض: جمع بيضة من حديد تلبس على الرأس. الزغف: الدروع.

أديبٌ رستْ للعلمِ في أرضِ صدرِه ... جبالٌ جبالُ الأرض في جنبها قُفُّ[١]

جوادٌ سمتْ في الخيرِ والشرِّ كفُّهُ ... سموًّا أودَّ الدهرَ أنَّ اسمَه كفُّ

وأضحى وبينَ الناسِ في كلِّ سيدٍ ... منَ الناسِ إلا في سيادتِه خُلْفُ

يفدّونَه حتى كأنَّ دماءَهم ... لجاري هواهُ في عروقِهمُ تقْفو

وقوفَينِ في وقفَينِ شكرٍ ونائلٍ ... فنائلُهُ وقفٌ وشكرُهمُ وقفُ

ولمَّا فقدْنا مثلَهُ دامَ كشفُنا ... عليهِ فدامَ الفقدُ وانكشفَ الكشفُ[٢]

وما حارتِ الأوهامُ في عُظْمِ شأنِه ... بأكثرَ مما حارَ في حُسْنِه الطرفُ

ولا نالَ منْ حسّادِه الغيظُ والأذى ... بأعظمَ مما نالَ منْ وفرِه العُرفُ

تَفكّرُهُ علمٌ ومنطقُهُ حُكْمٌ ... وباطنُهُ دينٌ وظاهرُهُ ظرفُ

أماتَ رياحَ اللؤمِ وهي عواصفٌ ... ومغنى العُلى يودي ورسمُ الندى يعفو

فلم نرَ قبلَ ابنِ الحسينِ أصابعًا ... إذا ما هطلنَ استحيتِ الديمُ الوُطفُ[٣]

ولا ساعيًا في قلةِ المجدِ مدركًا ... بأفعالِه ما ليسَ يدركُهُ الوصفُ

ولم نرَ شيئًا يحملُ العبْءَ حملَهُ ... ويستصغرُ الدنيا ويحملهُ طرفُ

ولا جلسَ البحرُ المحيطُ لقاصدٍ ... ومنْ تحتِه فرشٌ ومن فوقِه سقْفُ

فوا عجبا مني أحاولُ نعتَهُ ... وقد فنيتْ فيه القراطيسُ والصُّحفُ

---

(١) القفّ: التلّ.

(٢) كشفنا: بحثنا.

(٣) الوطف: جمع وطفاء: المسترخية لكثرة مائها.

ومن كثرةِ الأخبارِ عن مكرماته ... يمرّ له صنْفٌ ويأتي له صنفُ
وتفترّ منه عن خصالٍ كأنها ... ثنايا حبيبٍ لا يملّ لهُ رشفُ
قصدْتُكَ والراجون قصدي إليهمُ ... كثيرٌ ولكنْ ليسَ كالذنَبِ الأنفُ
ولا الفضَّةُ البيضاءُ والتبرُ واحد ... نفوعانِ للمكدي وبينهُما صرفُ[1]
ولستَ بدونٍ يُرتجى الغيثُ دونهُ ... ولا منتهى الجودِ الذي خلفَهُ خلفُ
لا واحداً في ذا الورى منْ جماعةٍ ... ولا البعضَ منْ كلٍّ ولكنكَ الضِّعفُ
ولا الضِّعف حتى يتبعَ الضعفَ ضِعفُه ... ولا ضِعفَ ضِعفِ الضِّعفِ بل مثلَه ألفُ
أقاضينا هذا الذي أنتَ أهلُهُ ... غلطتُ ولا الثُّلثانِ هذا ولا النّصفُ
وذَنبيَ تَقصِيري وما جئتُ مَادِحًا ... بذنبي ولكنْ جئتُ أسألُ أنْ تَعفُو

(١) المكدي: الفقير. الصرف: الفضل.

الصاعقة السادسة والخمسون: أرق على أرقٍ ومثلي يأرقُ(*)

أرقٌ على أرقٍ ومثلي يأرقُ ... وجوىً يزيدُ وعبرةٌ تترقرقُ

جهدُ الصبابةِ أن تكونَ كما أُرى ... عينٌ مسهَّدةٌ وقلبٌ يخفقُ(١)

ما لاحَ برقٌ أو ترنّمَ طائرٌ ... إلا انثنيتُ ولي فؤادٌ شيّقُ

جرّبْتُ منْ نارِ الهوى ما تَنطَفي ... نارُ الغضا وتَكِلُّ عمّا يُحرقُ

وعذلتُ أهلَ العشقِ حتى ذُقتُهُ ... فعجبتُ كيفَ يموتُ منْ لا يعشقُ

وعذرتُهم وعرفتُ ذنبي أنني ... عيّرْتُهمْ فلقيتُ منهم ما لقُوا

أبني أبينا نحن أهلُ منازلٍ ... أبدًا غُرابُ البينِ فيها ينعقُ

نبكي على الدنيا وما منْ معشرٍ ... جمعتْهُمُ الدنيا فلم يتفرقُوا

أين الأكاسرةُ الجبابرةُ الأُلى ... كنزوا الكنوزَ فما بقينَ ولا بقُوا

من كلِّ من ضاقَ الفضاءُ بجيشهِ ... حتى ثوى فحواهُ لحدٌ ضيّقُ

خُرسٌ إذا نُودوا كأنْ لم يعلموا ... أن الكلامَ لهمْ حلالٌ مُطلقُ

فالموتُ آتٍ والنفوسُ نفائسٌ ... والمُستعِزُّ بما لديهِ الأحمقُ

والمرءُ يأملُ والحياةُ شهيّةٌ ... والشّيبُ أوقرُ والشبيبة أنزقُ

(*) مناسبة القصيدة: قالها في صباه يمدح أبا المنتصر شجاع بن محمد بن أوس بن معن بن الرضي الأزدي.

(١) الصبابة: رقة الشوق.

ولقدْ بكيتُ على الشبابِ ولـمّتي ... مسودّةٌ ولماءِ وجْهي رونقُ
حذراً عليه قبلَ يومِ فراقِهِ ... حتى لكدتُ بماءِ جَفني أشرَقُ
أما بنُو أوسِ بنِ معنِ بنِ الرّضَى ... فأعزُّ من تُحْدى إليه الأينُقُ[1]
كبّرتُ حولَ ديارِهمْ لما بَدَتْ ... منها الشموسُ وليسَ فيها المشرقُ
وعجبتُ منْ أرضٍ سحابُ أكفّهم ... من فوقِها وصخورِها لا تورقُ
وتفوحُ منْ طِيبِ الثناءِ رَوَائحٌ ... لهمْ بكلِّ مكانةٍ تُستنشقُ
مسكيّةُ النّفَحاتِ إلا أنهَا ... وحشيّةٌ بسواهمُ لا تعبقُ
أمريدَ مثلَ محمدٍ في عصرِنَا ... لا تبلنا بطلابِ ما لا يُلحقُ
لم يخلقِ الرحمن مثلَ محمدٍ ... أحداً وظنّي أنهُ لا يخلُقُ
يا ذا الذي يهبُ الكثيرَ وعندهُ ... أني عليه بأخذهِ أتصدقُ
أمطرْ عليّ سحابَ جودكَ ثرّةً ... وانظرْ إليّ برحمةٍ لا أغرَقُ[2]
كذبَ ابنُ فاعلةٍ يقولُ بجهلِهِ ... ماتَ الكرامُ وأنتَ حيٌّ تُرْزَقُ

(١) الأينق: النوق.
(٢) الثرّة: الغزيرة.

الصاعقة السابعة والخمسون: أتُراها لكثرةِ العُشّاق(*)

أتُراها لكثـــرةِ العُـــشّـــاقِ ... تحـــسبُ الدمعَ خلقـــةً في المآقي
كـيفَ ترثي التي ترَى كلَّ جـفْنٍ ... راءها غـيـرَ جـفنِها غـيـرَ راقي(١)
أنتِ منا فـتنتِ نفـسَكِ لكنّـ ... ـكِ عُـوفيتِ منْ ضنًى واشتـياقِ
حُلتِ دونَ المزارِ فـاليـومَ لو زرْ ... تِ لحـالَ النُّحـولُ دونَ العناقِ
إن لحـظًا أدمـتـهِ وأدمْـنا ... كـانَ عـمـدًا لنا وحـتفَ اتفـاقِ
لو عـدا عنْكِ غـيـرَ هجـرِكِ بُعـدٌ ... لأرارَ الرّسـيـمُ مخَّ المناقي(٢)
ولسـرْنا ولو وصلْنا عليـهـا ... مـثلَ أنفـاسنا على الأرمـاقِ
مـا بنا منْ هوى العـيـونِ اللواتي ... لونُ أشـفـارِهنّ لونُ الحـداقِ
قـصّـرتْ مُـدّةَ الليـالي المواضي ... فـأطالتْ بهـا الليـالي البـواقي
كـاثرتْ نائلَ الأمـيـرِ من الما ... لِ بمـا نـوّلـتْ مـن الإيـراقِ(٣)
ليسَ إلا أبـا العـشـائرِ خلقٌ ... سـادَ هذا الأنامَ باسـتـحـقـاقِ
طاعنُ الطعنةِ التي تطعنُ الفـيـ ... ـلقَ بـالذعـرِ والدمِ المُهـراقِ
ذاتُ فـرغٍ كـأنّهـا في حـشـا المُخـ ... ـبَـرِ عنهـا منْ شـدّةِ الإطراقِ

(*) مناسبة القصيدة: قالها يمدح أبا العشائر الحسن بن علي بن الحسن بن الحسين بن حمدان العدوي.
(١) راءها: مقلوب رآها. راقي: منقطع الدم.
(٢) الرسيم: ضرب من سير الإبل. المناقي: النوق السّمان.
(٣) الإيراق: مصدر أورق الطالب إذا لم ينلْ.

ضـاربُ الهـامِ في الغبـار ومـا يرْ ... هـبُ أن يشـربَ الذي هو سـاقِ
فـوقَ شـقّـاء للاشّقِ مـجـالٌ ... بين أرسـاغِـهـا وبين الصّـفـاقِ[1]
مـا رآها مـكـذِّبُ الـرسـلِ إلا ... صـدّقَ القـولَ في صـفـاتِ البـراقِ
هـمُّـهُ في ذوي الأسنّةِ لا فـيـ ... ـهـا وأطرافُـهـا له كـالنطاقِ
ثـاقبُ الـرأي ثـابـتُ الحِلْمِ لا يقـ ... ـدرُ أمـرٌ لـهُ عـلى إقـلاقِ
يا بـني الحـارثِ بنِ لُقـمـانَ لا تعـ ... ـدمْكُمُ في الوغى مـتـونُ العـتـاقِ
بعـثـوا الرُّعب في قلوبِ الأعـاد ... ي فكانَ القـتـالُ قـبلَ التـلاقي
وتكـادُ الظبـا لما عـوّدوها ... تنتـضي نفـسَـهـا إلى الأعناقِ
وإذا أشـفقَ الفـوارسُ من وقـ ... ـع القنا أشـفـقُـوا منَ الإشـفـاقِ
كلُّ ذمـرٍ يزدادُ في الموتِ حُـسنًا ... كـبـدورٍ تمامُـهـا في المحـاقِ[2]
جـاعلٍ درعَـهُ منيّـتَـهُ إن ... لم يكنْ دونَـهـا منَ العـارِ واقِ
كـرمٌ خـشّنَ الجـوانبَ منهمُ ... فـهـوَ كـالماءِ في الشِّـفـارِ الرقـاقِ
ومـعـالٍ إذا ادّعـاها سـواهُمْ ... لزمـتْـهُ جنايةُ السُّـرّاقِ
يا ابنَ منْ كلّمـا بدوتَ بدا لي ... غـائبَ الشخصِ حاضـرَ الأخـلاقِ
لـو تنكّـرْتَ في المكَـرِّ لـقـومٍ ... حـلفُـوا أنّـكَ ابـنـهُ بـالطّلاقِ

(١) الأشق: الحصان الطويل. الصفاق: جلد البطن.
(٢) المحاق: آخر ليالي القمر.

كـيفَ يقـوى بكفّكَ الزَّنـدُ والآ ... فـاقُ فـيـهـا كـالكفِّ في الآفـاقِ
قلْ نفعَ الحـديدُ فـيكَ فـمـا يلـ ... ـقـاكَ إلا منْ سـيـفُـهُ منْ نفـاقِ
إلفُ هـذا الهـواءِ أوقعَ في الأنـ ... ـفسِ أنّ الحِـمَـامَ مـرُّ المذاقِ
والأسى قـبلَ فـرقـةِ الروحِ عـجـزٌ ... والأسى لا يكونُ بعـد الفـراقِ
كم ثَراءٍ فَـرَّجتَ بـالرّمحِ عـنهُ ... كـانَ منْ بـخلِ أهلهِ في وِثاقِ
والغِنى في يَدِ اللئـيمِ قَـبـيحٌ ... قَـدرَ قُـبحِ الكريمِ في الإمـلاقِ
ليس قولي في شمسِ فعلِكَ كالشمـ ... ـسِ ولكنْ كالشمس في الإشراقِ
شـاعـرُ المجـدِ خـدْنُه شـاعـرُ اللفـ ... ـظِ كـلانا ربُّ المعـاني الدّقـاقِ
لم تـزلْ تـسـمعُ المديحَ ولـكنْ ... صـهـيلَ الجـيـادِ غـيـرُ النُّهـاقِ
ليتَ لي مثلَ جدّ ذا الدّهرِ في الأد ... هـرِ أو رزقِـه مـنَ الأرزاقِ
أنتَ فـيـه وكـانَ كلُّ زمـانٍ ... يشـتـهي بعضَ ذا على الخـلاقِ

الصاعقة الثامنة والخمسون: لعينيكِ ما يلقى الفؤادُ وما لقي(*)

لعينيكِ ما يلقَى الفؤادُ وما لَقي ... وللحُبّ ما لمْ يبقَ مني وما بقي

وما كنتُ ممن يدخلُ العشقُ قلبَه ... ولكنَّ منْ يبصرْ جفونَك يعشقِ

وبينَ الرضى والسُّخطِ والقُربِ والنوى ... مجالٌ لدفعِ المقلةِ المترقرقِ

وأحلى الهوى ما شكّ في الوصلِ ربُّه ... وفي الهجرِ فهو الدهرُ يرجو ويتقي

وغضبى من الإدلالِ سكرى من الصبى ... شفعتُ إليها من شبابي بريِّقِ

وأشنبَ معسولِ الثنيّاتِ واضحٍ ... سترتُ فمي عنه فقبّلَ مفرقي(١)

وأجيادِ غزلانٍ كجيدك زُرْنني ... فلم أتبيَّنْ عاطلًا منْ مطوَّقِ(٢)

وما كلُّ منْ يهوى يعفّ إذا خلا ... عفافي ويُرضي الحبّ والخيلُ تلتقي

سقى اللهُ أيامَ الصِّبا ما يسُرُّها ... ويفعلُ فعلَ البابليِّ المعتَّقِ

إذا ما لبستَ الدهرَ مستمتعًا به ... تخرّقتَ والملبوسُ لمْ يتخرقِ

ولم أرَ كالألحاظِ يومَ رحيلِهمْ ... بعثنَ بكلِّ القتل منْ كلِّ مشفقِ

أدرنَ عيونًا حائراتٍ كأنها ... مركَّبةٌ أحداقُها فوقَ زئبقِ

عشيةَ يعدُونا عنِ النَّظر البكا ... وعنْ لذةِ التوديعِ خوفُ التفرّقِ

(*) مناسبة القصيدة: دخل على سيف الدولة، وقد جلس لرسول ملك الروم وهو قد ورد يلتمس الفداء، فقال بعد ذلك هذه القصيدة.

(١) أشنب: بارد الأسنان.

(٢) عاطلاً: لا حليَ عليها.

نودّعهم والبينُ فينا كأنهُ ... قنا ابنِ أبي الهيجاءِ في قلبِ فيلقِ

قواضٍ مواضٍ نسجُ داودَ عندها ... إذا وقعتْ فيه كنسجِ الخدرْنقِ[١]

هوادٍ لأملاكِ الجيوشِ كأنها ... تخيّرُ أرواحَ الكماةِ وتنتقي

تَقُدُّ عليهمْ كلَّ درعٍ وجوشنٍ ... وتفري إليهمْ كلَّ سورٍ وخندَقِ[٢]

يغيرُ بها بين اللُّقانِ وواسطٍ ... ويركُزُها بينَ الفراتِ وجلّقِ[٣]

ويرجعها حُمْرًا كأنَّ صحيحَها ... يبكي دمًا من رحمةٍ المتدقِ

فلا تبلغاهُ ما أقولُ فإنّه ... شجاعٌ متى يذكرْ له الطعنُ يشتقِ

ضروبٌ بأطرافِ السيوفِ بنانُهُ ... لعوبٌ بأطرافِ الكلامِ المشقَّقِ[٤]

كسائلِهِ منْ يسألُ الغيثَ قطرةً ... كعاذلِه منْ قالَ للفلكِ ارفقِ

لقد جدتَ حتى جدتَ في كلِّ ملّةٍ ... وحتى أتاكَ الحمدُ منْ كلِّ منطقِ

رأى ملكُ الرومِ ارتياحَكَ للندى ... فقامَ مقامَ المجتدي المتملّقِ

وخلّى الرماحَ السّمهريةَ صاغرًا ... لأدربَ منه بالطّعانِ وأحذقِ

وكاتبَ منْ أرضٍ بعيدٍ مرامُهَا ... قريبٍ على خيلٍ حواليكَ سُبَّقِ

وقد سارَ في مسراكَ منها رسولُهُ ... فما سارَ إلا فوقَ هامٍ مفلّقِ

---

(١) الحذرنق: العنكبوت.

(٢) الجوشن: الدرع.

(٣) اللقان: بلد بالروم. واسط: بلد بالعراق. جلق: اسم لدمشق.

(٤) المشقق: المخرج أحسن مخرج.

فلمـــا دنا أخـــفى عليـــه مكانَه ... شـــعـــاعُ الحـــديدِ البـــارقِ المتـــألقِ
وأقبلَ يمشي في البـساطِ فما درى ... إلى البحرِ يسعى أمْ إلى البدرِ يرتقي
ولم يثنكَ الأعـداءُ عن مهـجاتِهِمْ ... بمثلِ خـــضـــوعٍ في كـــلامٍ منمَّقِ
وكنتَ إذا كـــاتبْـــتَـــهَ قـــبلَ هذه ... كـتبتَ إليـه في قـذال الدّمـستقِ[1]
فـإن تعطه منكَ الأمـانَ فـسـائلٌ ... وإن تعطه حـدَّ الحـسـامِ فـأخلقِ
وهل تَركَ البـيـضُ الصـوارمُ منهُمُ ... حـبـيـسًـا لفـادٍ أو رقـيـقًـا لمعـتقِ
لقـدْ وردوا وِرْدَ القطا شَـفَـراتِهَـا ... ومـرّوا عليـهـا رزدقًـا بعـد رزدقِ[2]
بلغتُ بسـيفِ الدولةِ النورِ رتبـةً ... أنرتُ بهـا مـا بين غـربٍ ومـشـرقِ
إذا شـاءَ أن يلهـو بلحـيـةِ أحـمقٍ ... أراه غـــبـــاري ثم قـــالَ له الحقِ
ومـا كـمـدُ الحـسـادِ شيءٌ قـصـدتُهُ ... ولكنهُ منْ يزحمِ البـحـرَ يغـرقِ
ويمتـــحنُ النـاسَ الأمـــيـــرُ برأيـه ... ويغـضي على علمٍ بكلِّ ممخـرقِ[3]
وإطـراقُ طرفِ العينِ ليسَ بـنافعٍ ... إذا كـانَ طرفُ القلبِ ليسَ بمطرقِ
فـيـا أيُّهـا المطلوبُ جـاورْه تمتنعْ ... ويا أيَّهـا المحـرومُ يمْمـهُ ترزقِ
ويا أجبنَ الفـرسـان صـاحبْـهُ تجـترئ ... ويا أشـجعَ الشـجعـانِ فـارقْه تفـرقِ
إذا سـعتِ الأعـداءُ في كـيـدِ مجـدِه ... سعى جدُّه في كـيـدهمْ سعيَ محنقِ
وما ينصرُ الفضلُ المبينُ على العدى ... إذا لم يكُنْ فـضلَ السـعـيـدِ الموفَّقِ

(١) القذال: مؤخر الرأس. (٢) الرزدق: الصف. (٣) الممخرق: المموّه والكاذب.

الصاعقة التاسعة والخمسون: أيدري الربعُ أي دم أراقا(*)

أيـدري الـربـعُ أيَّ دم أراقَـــــا ... وأيّ قلوبِ هذا الركبِ شـــاقَـــا

لـنـــا ولأهـلـــهِ أبـــدًا قـلـــوبٌ ... تلاقى في جـســـومٍ مـــا تلاقَى

ومـــا عـــفـتِ الرياحُ له مَـحَـــلاً ... عَـفَـــاهُ مَن حَـــدَا بِهِم وَسَـــاقَـــا

فليتَ هوى الأحـبـــةِ كـــانَ عـدلًا ... فـــحـــمِّلَ كُلَّ قلبٍ مـــا أطاقَـــا

نظرتُ إليـــــهمُ والعينُ شكرى ... فـصـــارتْ كلُّهـا للدمعِ مـاقَـا(١)

وقـد أخـذَ التـمـامَ البـدرُ فـيـهمْ ... وأعطاني منَ الســقَمِ المحـاقَـا(٢)

وبينَ الـفـــــرعِ والقـــــدمينِ نورٌ ... يقـــودُ بلا أزمَّـــتِـهـا النيـــاقَـا

وطرفٌ إن سـقَى العـشـاقَ كـأسًـا ... بهـا نقصٌ سَـقـانِيـهَـا دهاقَـا(٣)

وخـصـــرٌ تثـبـتُ الأبصـارُ فـيـه ... كـــأنَّ عليـــه من حَـــدَقٍ نطاقَـــا

سلي عن سـيـرتي فـرسي ورُمـحي ... وسـيـفي والـهـملَّعـةَ الدفـاقَـا(٤)

تـركـنا منْ وراءِ العـــيسِ نجـــدًا ... ونكّبْنا الســمـــاوةَ والعـــراقَـــا

فـــمـــا زالـتْ ترى والليلُ داج ... لسـيـفِ الدولةِ الملكِ ائتـــلاقَـــا

(*) مناسبة القصيدة: قالها يمدح سيف الدولة وقد أمر له بفرس وجارية.

(١) شكرى: ملأى من الدمع.

(٢) المحاق: نقصان القمر في آخر الشهر.

(٣) الدهاق: الممتلئة.

(٤) الهملّعة: الناقة السريعة.

أدلتُـــهـــا رياحُ المسكِ منه ... إذا فـتـحتْ مناخـرَها انتـشـاقَـا
أباحكَ أيُّهـا الوحشُ الأعـادي ... فلِمْ تتـعـرَّضين له الرّفـاقَـا
ولو تبَّـعتِ مـا طرحتْ قناهُ ... لكفَّكِ عن رَذايانَا وعـاقَـا[1]
ولو سِـرْنَا إليـه في طريقٍ ... مَن النيـرانِ لم نخفِ احـتـراقَـا
إمـامٌ للأئمَّـةِ منْ قـريشٍ ... إلى منْ يتـقـونَ له شـقـاقَـا
يكونُ لهمْ إذا غـضبُـوا حسـامًـا ... وللهـيـجـاءِ حينَ تقـوم سـاقَـا
فـلا تستنكرنّ له ابتـسـامًـا ... إذا فـهقَ المكرُّ دمًـا وضـاقَـا[2]
فـقـد ضـمنتْ له المهجَ العـوالي ... وحـمَّل همَّـهُ الخـيلَ العـتـاقَـا
إذا أنـعـلـنَ فـي آثـارِ قـومٍ ... وإن بعُـدُوا جـعلْنَهُمُ طراقَـا[3]
وإن نقـعَ الصـريخُ إلى مكانٍ ... نصبنَ له مـؤلَّلةً دقـاقَـا[4]
فكانَ الطعنُ بينهـمـا جـوابًا ... وكـانَ الليثُ بينهـمـا فـواقَـا
مـلاقـيـةً نواصـيـهـا المنايا ... مـعـاودةً فـوارسُـهـا العناقَـا
تبـيتُ رمـاحُـهُ فـوقَ الهـوادي ... وقـد ضـربَ العـجـاجُ لها رواقَـا
تميلُ كـأنَّ في الأبطالِ خـمـرًا ... عللن بها اصطباحًا واغتباقَا[5]

(١) الرذايا: جمع رذية: الناقة المهزولة من السير.
(٢) فهق: امتلأ.
(٣) الطراق: نعل تحت الجلد.
(٤) المؤلّلة: المحددة، يراد بها آذان الخيل.
(٥) عللن: سقين مرة بعد أخرى. الاصطباح والاغتباق: الشرب صباحاً ومساءً.

تعجبتِ المدامُ وقد حساها ... فلمْ يسكرْ وجادَ فما أفاقَا

أقامَ الشِّعرَ ينتظرُ العطايا ... فلمّا فاقتِ الأمطارَ فَاقَا

وزَّنا قيمةَ الدهماءِ منْهُ ... ووفينا القيانَ به الصداقَا

وحاشا لارتياحكَ أن يبارَى ... وللكرمِ الذي لكَ أن يباقَى[1]

ولكنّا نداعبُ منكَ قرمًا ... تراجعَتِ القرومُ له حقاقَا[2]

فتىً لا تسلُبُ القَتلَى يداهُ ... ويسلُبُ عفوهُ الأسرَى الوثاقَا

ولم تأتِ الجميلَ إليّ سهوًا ... ولم أظفرْ به منكَ استراقَا

فأبلغْ حاسديّ عليكَ أني ... كبا برقٌ يحاولُ بي لحاقَا

وهلْ تغني الرسائلُ في عدوٍّ ... إذا ما لم يكنّ ظُبى رقاقَا

إذا ما الناسُ جرّبَهُمْ لبيبٌ ... فإني قدْ أكلتهمُ وذاقَا

فلمْ أرَ وُدّهم إلا خداعًا ... ولم أرَ دينهُم إلا نفاقَا

يُقصّرُ عن يمينكَ كلُّ بحرٍ ... وعمّا لم تُلقْهُ ما ألاقَا

ولولا قدرةُ الخلاقِ قلنا ... أعمداً كانَ خَلقُكَ أم وفاقَا

فلا حطَّتْ لك الهيجاءُ سرجًا ... ولا ذاقتْ لك الدّنيا فراقَا

---

(١) يباقي: يغالب في البقاء.

(٢) الحقاق: جمع حِقّ: الإبل الداخلة في الرابعة من سنيها.

الصاعقة الستون: تذكرتُ ما بينَ العُذَيْبِ وبارقِ(*)

تذكرتُ ما بين العذَيْبِ وبارقِ ... مجرَّ عوالينا ومجرى السوابقِ
وصحبةَ قومٍ يذبحونَ قنيصَهُمْ ... بفضلِه ما قد كسّروا في المفارقِ
وليلًا توسدنا الثَّويَّةَ تحتَهُ ... كأنَّ ثراها عنبرٌ في المرافقِ
بلادٌ إذا زارَ الحسانَ بغيرِهَا ... حصى تربِها ثقبْنهُ للمخانقِ(١)
سقتْني بها القطربليَّ مليحةٌ ... على كاذبٍ من وعدِها ضوءُ صادقِ(٢)
سهادٌ لأجفانٍ وشمسٌ لناظرٍ ... وسقمٌ لأبدانٍ ومسكٌ لناشقِ
وأغيدُ يهوى نفسَهُ كلُّ عاقلٍ ... عفيفٍ ويهوى جسمَهُ كلُّ فاسقِ
أديبٌ إذا ما جسّ أوتارَ مزهرٍ ... بَلا كلَّ سمعٍ عن سِواها بعائقِ(٣)
يحدِّثُ عمّا بينَ عادٍ وبينهُ ... وصدغاهُ في خدّي غلامٍ مراهقِ
وما الحسنُ في وجه الفتى شرفًا له ... إذا لمْ يكنْ في فعلِه والخلائقِ
وما بلدُ الإنسانِ غيرُ الموافقِ ... ولا أهلُهُ الأدنونَ غيرُ الأصادقِ
وجائزةٌ دعوى المحبَّةِ والهَوَى ... وإنْ كانَ لا يخفى كلامُ المنافقِ
برأي منِ انقادتْ عقيلٌ إلى الرّدَى ... وإشماتِ مخلوقٍ وإسخاطِ خالقِ

(*) مناسبة القصيدة: كان لأبي الطيب فرس تسمّى الجهامة، ولها مهر يسمّى الطخرور، فأقام الثلج على الأرض بأنطاكية فتعذر المرعى على المهر، فقال هذه القصيدة.

(١) المخانق: القلائد.

(٢) القطربلي: نسبة إلى قطربل: وهو موضع في العراق تنسب إليه الخمر.

(٣) المزهر: العود يضرب به.

أرادوا عليَّا بالذي يُعجِزُ الوَرَى ... ويوسعُ قتْل الجحفلِ المتضايق

فما بسطُوا كفًا إلى غيرِ قاطعٍ ... ولا حملُوا رأسًا إلى غيرِ فالقِ

لقدْ أقدموا لو صادفُوا غير آخذٍ ... وقد هربوا لو صادفوا غير لاحقِ

ولما كَسَا كعبًا ثيابًا طَغَوْا بِهَا ... رمى كلَّ ثوبٍ منْ سنانٍ بخارقِ

ولما سقى الغيثَ الذي كفروا به ... سقى غيرَهُ في غيرِ تلكَ البوارقِ

وما يوجعُ الحرمانُ منْ كفّ حارمٍ ... كما يُوجعُ الحرمانُ من كفِ رازقِ

أتاهمْ بها حشوَ العجاجةِ والقنا ... سنابكُها تحشُو بطونَ الحمالقِ[1]

عوابسَ حلّى يابسُ الماءِ حزمَها ... فهنّ على أوساطِها كالمناطقِ

فليتَ أبا الهيجا يرى خلفَ تدمُرٍ ... طوالَ العوالي في طوالِ السمالقِ[2]

وسوْقَ عليٍّ منْ معدٍّ وغيرِها ... قبائلَ لا تُعطي القفيَّ لسائقِ

قشيرٌ وبلعجلانِ فيها خفيّةٌ ... كراءَيْنِ في ألفاظِ ألثغَ ناطقِ

تخلّيهم النسوانُ غيرَ فوارك ... وهم خلّوا النسوانَ غيرَ طوالقِ[3]

يفرِّقُ ما بينَ الكُماةِ وبينها ... بطعنٍ يسلِّي حرَّهُ كلَّ عاشقِ

أتى الظُّعنَ حتى ما تطيرُ رشاشةٌ ... من الخيلِ إلا في نُحُورِ العواتقِ

بكلّ فلاةٍ تنكرُ الإنسَ أرضُها ... ظعائنُ حمرُ الحليِّ حمرُ الأيانقِ

---

(١) الحمالق: جمع حملاق: باطن الجفن.

(٢) السمالق: جمع سملق: المستوي من الأرض.

(٣) فوارك: المبغضات.

وملمومةٌ سيفيَّةٌ ربعيَّةٌ ... تصيحُ الحصى فيها صياحَ اللقالقِ
بعيدةُ أطرافِ القنا من أصوله ... قريبةُ بينَ البَيضِ غبرُ اليلامقِ[١]
نهاها وأغناها عن النهبِ جودُه ... فما تبتغي إلا حماةَ الحقائقِ
توهّمها الأعرابُ سورةَ مترفٍ ... تذكّرُهُ البيداءُ ظلَّ السُّرادقِ
فذكرتهُمْ بالماءِ ساعةَ غيَّرت ... سَماوةُ كلبٍ في أُنوفِ الحزائقِ[٢]
وكانوا يروعونَ الملوكَ بأن بدوْا ... وأنْ نبتتْ في الماءِ نبتَ الغلافقِ[٣]
فهاجوكَ أهدى في الفلا من نجومه ... وأبدى بيوتًا من أداحي النقانقِ[٤]
وأصبرَ عن أمواهِ منْ ضبابه ... وآلفَ منها مقلةً للودائقِ[٥]
وكانَ هديراً منْ فحولٍ تركتها ... مهلّبة الأذناب خرس الشقاشقِ[٦]
فما حرمُوا بالرّكضِ خيلَكَ راحةً ... ولكنْ كفاها البرُّ قطعَ الشَّواهقِ
ولا شغلُوا صمَّ القنا بقلوبهمْ ... عن الركْزِ لكنْ عن قلوبِ الدماسقِ
ألم يحذَروا مسخَ الذي يمسخُ العدى ... ويجعلُ أيدي الأسدِ أيدي الخرانقِ[٧]
وقد عاينُوه في سواهُمْ وربما ... أرى مارقًا في الحربِ مصرَعَ مارقِ

---

(١) اليلامق: جمع يلمق: الدرع.
(٢) الحزائق: الجماعات.
(٣) الغلافق: جمع غلفق: الطحلب.
(٤) النقانق: إناث النعام.
(٥) الودائق: جمع وديقة: شدة الحرّ.
(٦) الشقاشق: جمع شقشقة: لهاة البعير.
(٧) الخرانق: أولاد الأرانب.

تعـوَّدْ أن لا تقـضـمَ الحبَّ خـيلُهُ إذا الهـامُ لـمْ ترفعْ جنوبَ العـلائقِ
ولا تـردَ الغـــدرانَ إلا ومـــاؤها من الدَّمِ كـالريحـانِ فـوقَ الشـقـائقِ
لـوفـدُ نمـيـرٍ كـانَ أرشـدَ منهـمُ وقد طردوا الأظعانَ طردَ الوسائقِ[1]
أعـدوا رماحًـا منْ خُـضُـوعٍ فطاعنوا بهـا الجـيشَ حتى ردَّ غـرب الفيـالقِ
فـلم أرَ أرمى منـهُ غـيـر مـخـاتلٍ وأسـرى إلى الأعـداء غـيـر مـسارقِ
تصـيـبُ المجـانيق العظامُ بكفّـهِ دقـائقَ قـدْ أعـيتْ قـسيَّ البنادقِ

(١) الوسائق: القطع من الإبل.

obeikandl.com

الصاعقة الحادية والستون: هُوَ البَينُ حتى ما تَأنّى الحزائِقُ(*)

هُوَ البَينُ حتى ما تَأنّى الحزائِقُ ... ويا قَلبُ حتى أنتَ مِمَّن أُفارِقُ(١)

وَقَفنا ومِمّا زادَ بَثًّا وُقُوفُنا ... فَريقَي هَوىً مِنّا مَشُوقٌ وشائِقُ

وقد صارتِ الأجفانُ قَرحى منَ البُكا ... وصارَت بهارًا في الخدودِ الشَّقائِقُ

على ذا مضى النّاسُ اجتماعٌ وفُرْقَةٌ ... ومَيتٌ ومَولُودٌ وقالٍ ووامِقُ

تَغَيَّرَ حالي واللّيالي بحالِها ... وشِبْتُ وما شابَ الزَّمان الغُرانِقُ(٢)

سَلِ البيدَ أينَ الجنّ منّا بجَوزِها ... وعن ذي المَهاري أينَ منها النَّقانِقُ

ولَيلٍ دَجوجيٍّ كأنّا جَلَتْ لَنا ... مُحَيّاكَ فيهِ فاهتَدَينا السَّمالِقُ(٣)

فما زال لَوْلا نُورُ وجهكَ جُنْحَهُ ... ولا جابَها الرُّكبانُ لَولا الأَيانِقُ

وهَزٍّ أطارَ النَّومَ حتى كأنَّني ... من السُّكرِ في الغَرزَينِ ثَوبٌ شُبارِقُ(٤)

شدَوا بابنِ إسحاقَ الحُسَينِ فصافحتْ ... ذَفارِيَها كيرانُها والنَّمارِقُ(٥)

بِمَنْ تَقْشَعِرُّ الأرضُ خوفًا إذا مَشى ... عليها وتَرتَجّ الجبالُ الشّواهِقُ

فتًى كالسّحاب الجونِ يُخشى ويُرتَجى ... يُرَجّى الحَيا منها وتُخشى الصواعِقُ

(*) مناسبة القصيدة: قالها يمدح الحسين بن إسحاق التنوخي.

(١) الحزائق: الجماعات.

(٢) الحزائق: الشاب الجميل.

(٣) السّمالق: الأرض المستوية.

(٤) الغرز: ركاب الرحل من جلد. الشبارق: المقطع.

(٥) الذفاري: ما خلف الآذان. الكيران: الرحال.

ولَكِنّها تَمضِي وهذا مُخيِّمٌ ... وتَكذِبُ أحيانًا وذا الدَّهرَ صادِقُ

تَخَلّى من الدُّنيا ليُنسى فَما خلتْ ... مَغارِبُها مِنْ ذِكرِهِ والمَشارِقُ

غَذا الهِندُوانيَّاتِ بالهامِ والطُّلَى ... فَهُنَّ مَداريها وهُنّ المَخانِقُ

تَشَقَّقُ مِنهُنَّ الجُيوبُ إذا غَزا ... وتُخضَبُ منهنّ اللّحى والمفارِقُ

يُجَنِّبُها مَن حَتفُهُ عنهُ غافِلٌ ... ويَصلى بها مَن نَفسُهُ منهُ طالِقُ

يُحاجي به ما ناطِقٌ وهوَ ساكِتٌ ... يُرى ساكتًا والسّيفُ عن فيه ناطِقُ

نَكِرتُكَ حتى طالَ منكَ تَعَجّبي ... ولا عَجَبٌ من حُسنِ ما الله خالِقُ

كأنَّكَ في الإعطاء للمالِ مُبغض ... وفِي كلِّ حَربٍ للمَنِيَّةِ عاشِقُ

ألا قلَّما تَبقى عَلى ما بَدا لَها ... وحَلَّ بِها مِنكَ القَنا والسَّوابِقُ

خَفِ الله واستُر ذا الجَمالَ ببرقعٍ ... فإنْ لُحتَ ذابتْ في الخدورِ العواتِقُ

سَيُحيي بِكَ السُّمّارُ ما لاحَ كَوْكَبٌ ... ويَحدو بِكَ السُّفّارُ ما ذرّ شارِقُ

فَما تَرزُقُ الأقدارُ من أنتَ حارِمٌ ... ولا تَحرِمُ الأقدارُ مَن أنتَ رازِقُ

ولا تَفتُقُ الأيّامُ ما أنتَ راتِقُ ... ولا تَرتُقُ الأيّامُ ما أنتَ فاتِقُ

لكَ الخَيرُ غَيري رامَ من غيرك الغنى ... وغَيري بغَيرِ اللاذِقِيةِ لاحِقُ

هِيَ الغَرَضُ الأقصى ورُؤيتكَ المنى ... ومَنزِلُكَ الدُّنيا وأنتَ الخَلائِقُ

الصاعقة الثانية والستون: فدى لك من يقصر عن مداكا(*)

فـدًى لكَ منْ يقـصّـرُ عن مـداكـا ... فـــلا ملكٌ إذنْ إلا فـــدَاكَـــا
ولو قلنا فـــدىً لكَ من يســـاوي ... دعـــونَا بالبـــقـــاءِ لمن قـــلاكَـــا
وآمـنّـا فـــــــداءَك كـلَّ نـفـسٍ ... ولو كـــانتْ لمملكةٍ مـــلاكَـــا[1]
ومن يظـنُّ نثـــرَ الحبِّ جـــودًا ... وينصبُ تحت مـا نثـرَ الشِّـبـاكـا
ومن بلغَ الحـــضـــيضَ به كـــراهُ ... وإن بلغتْ به الحـــالُ السُّكاكَـــا[2]
فلو كـــانتْ قلوبهمُ صـــديقًـــا ... لقـد كـانتْ خـلائقُـهم عِـداكَـا
لأنكَ مـبـغضٌ حـسبًـا نحـيـفًـا ... إذا أبصـــرتَ دنيـــاه ضِنَاكَـــا[3]
أروحُ وقـدْ خـتـمتَ على فـؤادي ... بحـــبِّكَ أن يحلَّ به ســـوَاكَـــا
وقـــدْ حـــمَّلْتَني شكرًا طويلًا ... ثقـــيلًا لا أطيقُ به حـــرَاكَـــا
أحـــــاذرُ أن يـشقّ عـلـى المطَايَـا ... فـــلا تمشي بـنـا إلا ســـوَاكَـــا[4]
لعـلَّ اللـهَ يجـــعـلهُ رحـــيـلًا ... يعينُ على الإقـــامـــةِ في ذَرَاكَـــا
فلو أني اسـتطعتُ خـفـضتُ طرفي ... فـلمْ أبصـــرْ به حـــتى أراكَـــا

(*) مناسبة القصيدة: قالها عند وداعه لعضد الدولة في أول شعبان سنة أربع وخمسين وثلاثمائة للهجرة، وهي آخر شعر قاله.

(١) الملاك: القوام.

(٢) السكاك: الهواء الملاقي عنان السماء.

(٣) الضناك: المرأة المكتنزة السمينة.

(٤) السواك: السير الضعيف.

وكيفَ الصبرُ عنكَ وقدْ كَفَاني ... نداكَ المستفيضُ وما كَفَاكَا

أتتركُني وعينُ الشمسِ نعلي ... فتقطعَ مشيتي فيها الشرَاكَا[١]

أرى أسفي وما سرْنا شديداً ... فكيفَ إذا غدا السيرُ ابتراكَا[٢]

وهذا الشوقُ قبلَ البين سيفٌ ... وَهَا أنا ما ضُربتُ وقد أحَاكَا[٣]

إذا التوديعُ أعرضَ قال قلبي ... عليكَ الصمتُ لا صاحبتَ فاكَا[٤]

ولوْلا أن أكثرَ ما تمنّى ... معاودةٌ لقلتُ: ولا مُناكَا

إذا استشفيت من داءٍ بداءٍ ... فأقتلُ ما أعلكَ ما شَفَاكَا

فأستترُ منكَ بجوانا وأخفي ... همومًا قد أطلتُ لها العِرَاكَا

إذا عاصيْتُها كانتْ شداداً ... وإن طاوعتُها كانت ركَاكَا

وكم دونَ الثَّويّةِ منْ حزين ... يقولُ له قدومي ذا بِذاكَا

ومن عذبِ الرضاب إذا أنخنا ... يقبّلُ رحل تُرْوَكَ والوِرَاكَا[٥]

يحرِّمُ أن يمسَّ الطيبَ بعدي ... وقد عبقَ العبيرُ به وَصَاكَا[٦]

ويمنعُ ثغرهُ منْ كلِّ صبّ ... ويمنحهُ البشامةَ والأرَاكَا

---

(١) الشراك: سير النعل.

(٢) ابتراك: ذا سرعة.

(٣) أحاك: أثر.

(٤) أعرض: بدا.

(٥) تروك: اسم ناقة. الوراك: شيء يتخذه الراكب يوضع تحت الورك.

(٦) صاك: لصق.

يحـدِّثُ مـقلتـيْـه النَّومُ عني ... فليتَ النومَ حـدَّثَ عنْ نَداكَـا
وأن البُـخْتَ لا يعـرقنَ إلا ... وقـد أنضى العـذافـرةَ اللِّكاكَـا[1]
ومـا أرضى لمقلتِـه بحُلمٍ ... إذا انتبـهتْ توهّمَـهُ ابتـشاكَـا[2]
ولا إلا بـأن يُصـغي وأحكي ... فليـتَكَ لا يتـيِّـمُـهُ هواكَـا
وكم طربِ المسـامعِ ليس يدري ... أيعـجبُ منْ ثنائي أمْ عُـلاكَـا
وذاكَ النشرُ عـرضكَ كـان مسكًا ... وهذا الشِّـعرُ فـهـري وَالمَداكَـا[3]
فـلا تحـمـدْهُما واحـمـدْ هُمامًا ... إذا لم يُسْمِ حـامـدُهُ عَنَاكَـا
أغـرّ لهُ شـمـائلُ منْ أبيـهِ ... غـدًا يلقى بنوكَ بهـا أبَاكَـا
وفي الأحـبـابِ مـخـتصٌّ بوجـدٍ ... وآخـرُ يدّعي مـعـه اشـتـراكَـا
إذا اشـتـبـهتْ دمـوع في خـدودٍ ... تـبين مَنْ بكـى ممـن تَبـاكَـى
أذمَّتْ مكرمـاتُ أبي شـجـاعٍ ... لعـيني مِنْ نواي على أُلاكَـا
فـزلْ يا بعـدُ عنْ أيدي ركـابٍ ... لهـا وقعُ الأسنةِ في حَـشَـاكَـا
وأنى شـئتِ يا طرقي فكُـوني ... أذاةً أو نجـاةً أو هَـلاكَـا
فلوْ سـرْنا وفي تشـرينَ خـمسٌ ... رأوْني قـبـل أن يروُا السِّـمـاكَـا
يشـرِّدُ يمنُ فـناخـسـر عني ... قنا الأعـداءِ والطعنَ الدّرَاكَـا

---

(١) اللكاك: الناقة السمينة.
(٢) ابتشاك: كذب.
(٣) الفهر: الحجر الذي يسحق به الطيب. المداك: الصلابة التي يسحق عليها.

وألبسُ منْ رضـــــاهُ في طريقي سـلاحًـا يذعـرُ الأعـداء شَـاكَـا
وَمن أعـتـاضُ عنكَ إذا افـتـرقْنا وكلُّ الناسِ زورٌ مـا خَـلاكَـا
ومـا أنا غـيـرُ سـهـمٍ في هواءٍ يعـودُ ولم يجدْ فـيـهِ امـتِـسـاكَـا
حـيٌّ مـنْ إلـهـي أنْ يَـرانـي وقـد فـارقْتُ دارَكَ واصطَفَـاكَـا

obeikandl.com

الصاعقة الثالثة والستون: في الخدّ أن عزم الخليط رحيلا(*)

في الخدّ أن عَزَمَ الخليطُ رحيلا ... مطرٌ تزيدُ به الخدودُ مُحُولا

يا نظرةً نفتِ الرُّقادَ وغادرتْ ... في حدّ قلبي ما حييتُ ذُلُولا

كانتْ من الكحلاءِ سُؤلي إنما ... أجلي تمثّلَ في فؤادي سُولا

أجدُ الجفاء على سواكِ مُرُوءةً ... والصبرَ إلا في نواكِ جَميلا

وأرى تدلُّلكِ الكثيرَ مُحبَّبًا ... وأرى قليلَ تدلُّلٍ مملُولا

حدقُ الحسانِ منَ الغواني هجنَ لي ... يومَ الفراقِ صبابةً وغَليلا

حدقٌ يُذمّ من القواتلِ غيرُها ... بَدرُ بنُ عمّارِ بنِ إسماعيلا

الفارجُ الكربَ العظامَ بمثلِها ... والتاركُ الملكَ العزيزَ ذليلا

محكٌ إذا مطلَ الغريمُ بدينه ... جعلَ الحسامَ بما أرادَ كفيلا

نطقٌ إذا حطّ الكلامُ لثامَهُ ... أعطى بمنطقِهِ القلوبَ عُقُولا

أعدى الزّمانَ سخاؤهُ فسخا به ... ولقدْ يكونُ به الزمانُ بخيلا

وكأنّ برقًا في متونِ غمامةٍ ... هنديُّه في كفِّه مسلُولا

ومحلُّ قائمِهِ يسيلُ مواهبًا ... لو كنَّ سيلاً ما وجدْنَ مَسيلا

(*) مناسبة القصيدة: خرج بدر بن عمار إلى أسد فهرب الأسد منه، وكان قد خرج قبله إلى أسد آخر، فهاجمه عن بقرة افترسها بعد أن شبع وثقل، فوثب إلى كفل فرسه، فأعجله عن استلال سيفه فضربه بالسوط ودار به الجيش، فقال أبو الطيب هذه القصيدة.

رقّتْ مضاربُه فهنّ كأنما ... يبدينَ منْ عشقِ الرّقابِ نُحُولا

أمعفِّرَ الليثِ الهزبرِ بسوطِه ... لمن ادّخرتَ الصارمَ المصقُولا[١]

وقعتْ على الأردنّ منه بليةٌ ... نضدتْ بها هامُ الرفاقِ تُلُولا

وردٌ إذا وردَ البحيرةَ شاربًا ... وردَ الفراتَ زئيرُهُ والنّيلا

متخضّبٌ بدمِ الفوارسِ لابسٌ ... في غيلِه من لبدتيهِ غِيلا

ما قُوبلتْ عيناهُ إلا ظنّتا ... تحتَ الدّجى نارَ الفريقِ حُلُولا

في وحدة الرّهبانِ إلا أنهُ ... لا يعرف التحريمَ والتّحليلا

يطأُ الثرى مترفقًا من تيهِه ... فكأنه آسٍ يجُسّ عَليلا

ويردُّ عُفرتَهُ إلى يافوخِه ... حتى تصير لرأسه إكليلا[٢]

وتظنّهُ مما يُزمجرُ نفسُهُ ... عنها لشدةِ غيظه مشغُولا

قصرتْ مخافتُه الخطى فكأنما ... ركبَ الكميُّ جوادَه مشكُولا[٣]

ألقى فريستَه وبربرَ دونَها ... وقربْتَ قربًا خاله تَطفيلا

فتشابهَ الخلقانِ في إقدامِه ... وتخالفا في بذْلكَ المأكُولا

أسدٌ يرى عضوَيه فيك كليْهما ... متنًا أزلَّ وساعدًا مفتُولا

في سرْحِ ظامئةِ الفصوصِ طمرّةٍ ... يأبى تفرُّدها لها التّمثيلا[٤]

---

(١) عفّره: مرّغه بالتراب. الهزبر: الضخم الشديد. (٢) العفرة: شعر القفا. اليافوخ: ملتقى عظم مقدم الرأس.
(٣) المشكول: المقيد بالشكال. (٤) ظامئة الفصوص: دقيقة المفاصل. الطمرّة: الوثابة.

نيَّـــالة الطلبـــاتِ لولا أنهـــا ... تُعطي مكانَ لجـامِـهـا مَـا نِيـلا
تندَى سوالفُها إذا استحضرْتَها ... ويُظنّ عـقـدُ عنانِهـا مَـحلُولا
مـا زالَ يجـمعُ نفـسَـه في زورِه ... حـتى حسبتَ العرضَ منه الطّولا
ويدقّ بالصـدرِ الحـجـارَ كـأنَّهُ ... يبغي إلى ما في الحضيضِ سَبيلا
وكـــأنّـهُ غـــرّتهُ عينٌ فـــادّنى ... لا يُبـصـرُ الخطبَ الجليل جَليـلا
أنفُ الكريم من الدّنيـئَـةِ تارِكٌ ... في عـينهِ العـددَ الكثـيـرَ قَليـلا
والعـارُ مـضّـاضٌ ولَيسَ بخـائفٍ ... من حـتْـفِـهِ منْ خـافَ مما قِـيـلا
سـبقَ التـقـاءكـهُ بوثبـة هاجمٍ ... لو لمْ تُصـادمْـهُ لجـازكَ مِـيـلا
خـذلَتْـهُ قـوتُهُ وقـدْ كـافـحـتَـهُ ... فـاستنصرَ التسليمَ والتّجْديلا
قـبـضتْ منيـتُـهُ يديْه وعُنقـهُ ... فكأنما صـادفْـتَـه مَـغْلُولا
سـمعَ ابنُ عـمَّـتِـه به وبحـالِه ... فنجـا يهـرولُ أمسِ منكَ مَـهُـولا
وأمَـــرُّ مما فـــرّ منهُ فـــرارُهُ ... وكـقـتلِه أنْ لا يموتَ قَـتـيـلا
تلفُ الذي اتخـذَ الجـراءةَ خُلّةً ... وعظَ الذي اتخـذَ الفـرارَ خَليـلا
لو كـانَ علمُكَ بالإله مـقـسَّـمًـا ... في الناس مـا بعثَ الإلهُ رَسُـولا
لو كـان لفظك فـيـهم مـا أنزل الـ ... ـفـرقـانَ والتـوراةَ والإنجـيـلا
لو كـانَ مـا تُعطيـهمُ منْ قـبلُ أن ... تُعطيـهـمُ لم يعـرفُـوا التّـأمـيـلا
فلقدْ عُرفتَ وما عُرفتَ حقيقةً ... ولقدْ جُهلت وما جُهلتَ خُمُولا

نطقتْ بسؤددكَ الحمامُ تغنّيًا وبما تجشّمَها الجيادُ صَهيلا
ما كلّ من طَلَبَ المعالي نافِذًا فيها ولا كلّ الرّجالِ فُحُولا

obeikandl.com

الصاعقة الرابعة والستون: لك يا منازلُ في القلوب منازلُ(*)

لكِ يا منازلُ في القلوبِ منازلُ ... أقفرتِ أنتِ وهنّ منكِ أواهلُ

يعلمنَ ذاكَ وما علمتِ وإنما ... أولاكُما يبكي عليه العاقلُ

وأنا الذي اجتلبَ المنيّةَ طرفُهُ ... فمنِ المطالبُ والقتيلُ القاتلُ

تخلُو الدّيارُ منَ الظباءِ وعندهُ ... منْ كلِّ تابعةٍ خيالٌ خاذلُ

اللاء أفتكُها الجبانُ بمهجتي ... وأحبُّها قُربًا إليّ الباخلُ

الرّاميات لنا وهنَّ نوافرٌ ... والخاتلاتُ لنا وهنّ غوافلُ

كافأننا عنْ شبههنّ منَ المها ... فلهنّ في غيرِ الترابِ حبائلُ

منْ طاعني ثغرِ الرّجالِ جآذرٌ ... ومنَ الرّماحِ دمالجٌ وخلاخلُ

ولذا اسمُ أغطيةِ العيونِ جُفُونُها ... منْ أنها عملَ السيوفِ عواملُ

كمْ وقفةٍ سجرتْك شوقًا بعدما ... غري الرّقيبُ بنا ولجَّ العاذلُ[1]

دونَ التعانُقِ ناحلينِ كشكلتيْ ... نصبٍ أدقَّهما وصمَّ الشّاكلُ

إنعمْ ولذَّ فللأمورِ أواخرٌ ... أبدًا إذا كانتْ لهن أوائلُ

ما دمتَ منْ أربِ الحسانِ فإنما ... روقُ الشبابِ عليكَ ظلٌّ زائلُ

(*) مناسبة القصيدة: قالها يمدح القاضي أبا الفضل أحمد بن عبدالله بن الحسين الإنطاكي.

(١) سجرتك: ملأتك.

للّهـــو آونـةٌ تُمرّ كـــأنهَـــا قُـــبلٌ يزوِّدُها حـــبـــيبٌ راحلُ
جـمحَ الزمـانُ فـلا لذيذٌ خـالصٌ مما يشـوبُ ولا سـرورٌ كـاملُ
حـتى أبو الفـضل بنُ عـبـد الله رُؤ يتُـهُ المنى وهي المقـامُ الهَـائلُ
ممطورةٌ طرقي إليـهـا دونَهَـا من جـودِه في كـل فـجٍّ وابـلُ
مـحـجـوبةٌ بسُـرادقٍ منْ هيـبـةٍ تثني الأزمّـةِ والمطيُّ ذوامـلُ[1]
للشّمسِ فيه وللسّحابِ وللبحا رِ وللأسـودِ وللرياحِ شـمـائلُ
ولديهِ ملعـقـيـانِ والأدبِ المفـا دِ وملحـيـاةِ وملمـمـاتِ مناهلُ
لو لمْ يهبْ لجبُ الوفـودِ حـوالَهُ لسـرى إليـهِ قطا الفـلاةِ الناهلُ
يدري بما بِكَ قـبل تظهـرُهُ له من ذهنِهِ ويجـيبُ قـبلَ تسـائلُ
وتراهُ مـعـتـرضًـا لهـا ومـولّيًـا أحـداقنا وتحـارُ حينَ يُقـابلُ
كلمـاتُهُ قـضبٌ وهنّ فـواصل كلُّ الضـرائبِ تحـتـهنّ مـفـاصلُ
هزمتْ مكارمُـهُ المكارمَ كلَّهـا حـتى كـأنَّ المكرمـاتِ قنابلُ
وقَـتَلْنَ دفـرًا والدُّهيمَ فـمـا ترى أمَّ الـدُّهـيـمِ وأمَّ دفـرٍ ثـاكـلُ[2]
عـلاَّمـةُ العلمـاءِ واللُّجُّ الذي لا ينتـهي ولـكلِّ لُجّ سـاحلُ
لو طابَ مـولدُ كلِّ حيٍّ مـثلهُ ولدَ النسـاءُ ومـا لهنّ قـوابلُ

(١) الذوامل: المسرعات.
(٢) أم الدهيم، وأم دفر: كنيتا الداهية. والدفر: النتن.

لو بانَ بالكرمِ الجنينُ بيانَه ... لدرتْ به ذكرٌ أم أنثى الحاملُ

ليزدْ بنو الحسنِ الشِّرافُ تواضُعًا ... هيهاتِ تُكتمُ في الظلامِ مشاعلُ

جفختْ وهم لا يجفخونَ بها بهمْ ... شيمٌ على الحسَبِ الأغرّ دلائلُ[1]

متشابهو ورعِ النفوسِ كبيرُهم ... وصغيرُهم عفُّ الإزارِ حُلاحِلُ[2]

يا أفخَرُ فإنَّ الناسَ فيكَ ثَلاثَةٌ ... مستعظمٌ أو حاسدٌ أو جاهلٌ

ولقد علوتَ فما تُبالي بَعدَما ... عرفوا أيحمدُ أم يَذمُّ القاتلُ

أُثني عليكَ ولو تشاءُ لقلتَ لي ... قصرتَ فالإمساكُ عني نائلُ

لا تجسُرُ الفصحاءُ تنشدُ ههنا ... بيتًا ولكني الهزبرُ الباسِلُ

ما نالَ أهلُ الجاهليةِ كلُّهم ... شعري ولا سمعتْ بسحري بابِلُ

وإذا أتتكَ مذمتي منْ ناقصٍ ... فهي الشهادةُ لي بأني كاملُ

منْ لي بفهمِ أُهيل عصرٍ يدّعي ... أن يحسبَ الهنديَّ فيهم باقِلُ[3]

وأما وحقِّك وهو غايةُ مقسمٍ ... للحق أنتَ وما سواكَ الباطلُ

الطيب أنتَ إذا أصابك طيبُهُ ... والماءُ أنتَ إذا اغتسلتَ الغاسلُ

ما دارَ في الحنكِ اللسانُ وقلّبتْ ... قَلمًا بأحسَنَ منْ ثَنَاكَ أنامِلُ

---

(١) جفخت: فخرت وتكبرت.

(٢) الحلاحل: السيد الكريم الخلق.

(٣) باقل: رجل يضرب به المثل في البلاهة.

الصاعقة الخامسة والستون: أَحيا وأَيسرُ ما قاسَيتُ ما قَتَلا(*)

أَحيا وأَيسرُ ما قاسَيتُ ما قَتَلا ... والبَينُ جارَ عَلى ضَعفي وَما عَدَلا

والوَجدُ يَقوى كَما تَقْوى النَّوى أبدًا ... والصبرُ يَنحلُ في جِسمي كَما نَحِلا

لَولا مُفارَقَةُ الأحبابِ ما وَجَدَتْ ... لَها المَنايا إِلى أرواحِنا سُبُلا

بِما بجفنيكِ من سِحرٍ صِلي دَنَفًا ... يَهوى الحَياةَ وأمَّا إِن صَدَدتِ فَلا

إِلاّ يَشِبْ فَلَقَدْ شابَتْ لَهُ كَبِدٌ ... شَيبًا إِذا خَضَبَتهُ سَلوَةٌ نَصَلا

يَحِنّ شَوقًا فَلَولا أنَّ رائِحَةً ... تَزورُهُ مِن رياحِ الشَّرقِ ما عَقَلا

ها فانظُري أو فَظُنّي بي تَرَي حُرقًا ... مَن لَم يَذُقْ طَرَفًا منها فقد وَألا(١)

عَلَّ الأميرَ يَرى ذُلّي فَيَشفَعَ لِي ... إِلى التي تَرَكَتني في الهَوى مَثَلا

أيقَنتُ أنّ سَعيدًا طالبٌ بِدَمي ... لَمّا بَصُرتُ بِهِ بالرّمحِ مُعتَقِلا

وأنني غَيرُ مُحصٍ فَضلَ والِدِهِ ... وَنائِلٌ دونَ نَيلي وَصفُهُ زَحَلا

قَيلٌ بِمَنبِجَ مَثواهُ ونائِلُهُ ... في الأفقِ يَسأَلُ عَمَّنْ غَيرَهُ سألا(٢)

يَلُوحُ بَدْرُ الدُّجى في صَحنِ غُرَّتِهِ ... وَيَحمِلُ المَوتُ في الهيجاءِ إِن حمَلا

تُرابُهُ في كِلابٍ كُحْلُ أعيُنِها ... وَسيفُهُ في جَنابٍ يَسبُقُ العَذَلا

(*) مناسبة القصيدة: يمدح سعيد بن عبدالله بن الحسين الكلابي المنبجي.

(١) وأل: نجا.

(٢) القيل الرئيس دون الملك.

لِنُورِهِ في سَماءِ الفَخْرِ مُخْتَرَقٌ ... لَوْ صاعدَ الفكرَ فيهِ الدَّهرَ ما نَزَلا

هُوَ الأميرُ الذي بادَتْ تَميمُ بِهِ ... قِدمًا وساقَ إليها حَينُها الأَجَلا

لَمّا رَأوْهُ وَخَيْلُ النَّصرِ مُقبِلَةٌ ... والحَرْبُ غَيرُ عَوانٍ أسلموا الحِلَلا[1]

وَضاقَتِ الأرضُ حتى كانَ هارِبُهمْ ... إذا رَأى غَيرَ شيءٍ ظَنّهُ رَجُلا

فَبَعدَهُ وإلى ذا اليَومِ لو رَكَضَتْ ... بالخَيلِ في لَهَواتِ الطِّفلِ ما سَعَلا

فَقَدْ تَرَكتَ الأُلى لاقَيتَهُم جَزَرًا ... وَقَد قَتَلتَ الأُلى لَم تَلقَهُم وَجَلا[2]

كَمْ مَهمَهٍ قَذَفٍ قَلبُ الدَّليلِ بِهِ ... قَلبُ المُحِبِّ قَضاني بَعدَما مَطَلا

عَقَدتُ بالنَّجمِ طَرفي في مَفاوِزِهِ ... وَحُرَّ وَجهي بحَرِّ الشَّمسِ إذ أفَلا

أوطَأتُ صُمَّ حَصاها خُفَّ يَعمَلَةٍ ... تَغشمَرَت بِي إليكَ السهلَ والجَبَلا

لَوْ كنتَ حشوَ قَميصي فَوقَ نُمرُقِها ... سَمِعتَ للجِنّ في غيطانِها زَجَلا

حتّى وَصَلتُ بنَفسٍ ماتَ أكثرُها ... وَلَيتَني عِشتُ مِنها بالذي فَضَلا

أرجُو نَداكَ وَلا أخشى المِطالَ بِهِ ... يا مَنْ إذا وَهَبَ الدُّنيا فَقَدْ بَخِلا

---

(١) العوان: الحرب التي قوتل فيها مرة بعد أخرى.

(٢) الجزر: اللحم الذي تأكله السباع.

الصاعقة السادسة والستون: عَزيزُ إساً مَن داؤهُ الحَدَقُ النُّجلُ(*)

عَـزيـزُ إسىً مَن داؤهُ الحَـدَقُ النُّجلُ ... عَـيـاءٌ بِـهِ مـاتَ المُحبّـونَ من قَـبْلُ

فَـمنَ شـاءَ فَليَنظُرْ إليَّ فـمَنظَري ... نَذير إلى مَن ظَنَّ أنَّ الهَـوى سَـهلُ

ومـا هِيَ إلاّ لحظَةٌ بَعـدَ لحظَةٍ ... إذا نَزلَت في قَلبِـهِ رَحلَ العَـقلُ

جَرى حبُّها مَجرى دَمي في مَفاصِلي ... فأصبَحَ لِي عَن كلِّ شُغلٍ بِها شُغلُ

سَـبَـتني بدَلٍّ ذاتُ حُـسنٍ يَزينُها ... تكَحُّلُ عَـينَيـها وليسَ لها كُـحلُ

كـأنَّ لحـاظَ العينِ في فَـتكِهِ بِنَا ... رَقـيبٌ تَعَـدَّى أو عَـدُوٌّ لَهُ دَخلُ(١)

ومن جَسَدي لَمْ يَترُكِ السّقمُ شعرَةً ... فَـما فَوقَـها إلاّ وفـيـها لَهُ فِعلُ

إذا عَـذَلُوا فـيـها أجَـبتُ بأَنَّهُ: ... حُـبَيَّـبتي قلبي فُؤادي هيا جُملُ

كـأنَّ رَقـيبًـا منكِ سَـدَّ مَسـامِعي ... عنِ العَذلِ حتى ليس يدخلها العذلُ

كـأنَّ سُـهـادَ اللَّيلِ يَعشَقُ مُقلَتي ... فـبـينَهُـمـا في كلِّ هَجرٍ لنا وَصْلُ

أُحِبّ التي في البدرِ منها مَـشابهٌ ... وأشكو إلى مَن لا يُصابُ له شكلُ

إلى واحِدِ الدُّنيا إلى ابنِ مُحَمَّدٍ ... شُـجـاعَ الذي للهِ ثمّ لَهُ الفَـضْلُ

إلى الثَّـمَـرِ الحُلوِ الذي طَيِّءٌ لَهُ ... فُـرُوعٌ وقَحطانُ بنُ هودٍ لها أصلُ

إلى سَـيِّـدٍ لَوْ بَشَّـرَ اللهُ أُمّـةً ... بِغَـيـرِ نَبِيٍّ بَشـرتنا بِهِ الرُّسْلُ

(*) مناسبة القصيدة: قالها يمدح شجاع بن محمد الطائي المنبجي.

(١) الدخل: الشك.

إلى القابضِ الأرواحِ والضَّيغَمِ الذي ... تُحَدّثُ عن وَقفاته الخَيْلُ والرَّجْلُ
إلى رَبِّ مالٍ كُلَّما شَتَّ شَملُهُ ... تَجَمَّعَ في تشتيته للعُلى شَملُ
هَمَامٌ إذا ما فارَقَ الغمدُ سَيفُهُ ... وعاينتَهُ لَم تدرِ أيّهما النَّصلُ
رَأيتُ ابنَ أمّ الموتِ لَو أنَّ بأسَه ... فَشا بينَ أهلِ الأرضِ لا نقطَعَ النَّسلُ
عَلى سابحٍ مَوجُ المنايا بنحرِهِ ... غَداةَ كأنَّ النَّبلَ في صَدرِهِ وَبلُ
وكَم عَينِ قرنٍ حَدَّقَتْ لنزالِه ... فَلَمْ تُغضِ إلاّ والسّنانُ لَها كُحلُ
إذا قيلَ رِفقًا قالَ للحلمِ مَوضعٌ ... وَحلمُ الفَتى في غَيرِ مَوضعِهِ جَهلُ
ولولا تَولّي نَفسِه حَملَ حلمِه ... عن الأرضِ لانهدَّت وناء به الحملُ
تَباعَدَت الآمالُ عَن كلِّ مَقصدٍ ... وضاقَت بِها إلاّ إلى بابِهِ السُّبلُ
ونادى النَّدى بالنّائمينَ عن السُّرى ... فأسمعَهم هُبّوا فقد هَلَكَ البُخلُ
وَحالت عَطايا كَفّه دونَ وَعدِه ... فَلَيسَ لَهُ إنجازُ وَعدٍ ولا مَطلُ
فأقرَبُ من تَحديدِها ردٌّ فائتٍ ... وأيسَرُ من إحصائِها القَطرُ والرَّمْلُ
وما تَنقمُ الأيّامُ مِمَّن وُجُوهُها ... لأخمَصِه في كُلِّ نائبَةٍ نَعلُ
وما عَزَّهُ فيها مُرادٌ أرادَهُ ... وإنْ عَزَّ إلاّ أن يكونَ لَهُ مِثْلُ
كَفى ثُعَلًا فَخرًا بأنَّكَ منهُمُ ... ودَهرٌ لأن أمسَيتَ من أهلِه أهلُ
وَوَيلٌ لِنَفسٍ حاوَلَتْ منكَ غِرَّةً ... وَطُوبى لِعَينٍ ساعَةً منكَ لا تَخلُو
فَما بفَقيرٍ شامَ بَرقَكَ فاقَةٌ ... وَلا في بِلادٍ أنتَ صَيِّبُها مَحلُ[1]

(١) شام: نظر. الصيّب: المطر القوي.

الصاعقة السابعة والستون: نُعدّ المشرفيّةَ والعوالي(*)

نُعِدّ المشرفيّةَ والعَوالي ... وتقتُلُنا المنونُ بلا قتالِ
ونرتبطُ السوابقُ مقرباتٍ ... وما ينجينَ منْ خببِ الليالي
ومنْ لمْ يعشقِ الدنيا قديمًا ... ولكنْ لا سبيل إلى الوِصالِ
نصيبُك في حياتِكَ منْ حبيبٍ ... نصيبُك في منامِكَ من خَيالِ
رماني الدهرُ بالأرزاءِ حتى ... فؤادي في غشاءٍ منْ نِبالِ
فصرتُ إذا أصابتْني سهامٌ ... تكسَّرتِ النّصالُ على النّصالِ
وهانَ فما أُبالي بالرّزايا ... لأني ما انتفعتُ بأنْ أُبالي
وهذا أولُ الناعينَ طُرًّا ... لأولِ ميتةٍ في ذا الجلالِ
كأنَّ الموتَ لم يفجعْ بنفسٍ ... ولمْ يخطُر لمخلوقٍ ببالِ
صلاةُ اللهِ خالِقنا حنوطٌ ... على الوجهِ المكفَّنِ بالجمالِ
على المدفونِ قبلَ التُّربِ صونًا ... وقبلَ اللحدِ في كرمِ الخلالِ
فإنّ له ببطنِ الأرضِ شَخصًا ... جديدًا ذكرُناهُ وهو بالِ
أطابَ النفسَ أنكِ مُتّ موتًا ... تمنّتْهُ البواقي والخَوالي
وزُلتِ ولم تريْ يَومًا كريهًا ... تسرّ النفسُ فيه بالزّوالِ

(*) مناسبة القصيدة: قالها يرثي والدة سيف الدولة، ويعزيه بها سنة سبع وثلاثين وثلاثمئة هجرية.

رواقُ العزّ فوقكِ مُسبَطِرٌّ ... وملكُ عليّ ابنكِ في كمالِ[١]

سقى مثواكِ غادٍ في الغَوادي ... نظيرُ نوال كفّكِ في النّوالِ

لساحيهِ على الأحداث حفشٌ ... كأيدي الخيلِ أبصرتِ المخالي[٢]

أُسائلُ عنكِ بعدكِ كلَّ مجدٍ ... وما عهدي بمجدٍ عنكِ خالِ

يمرّ بقبركِ العافي فيبكي ... ويشغلهُ الكباءُ عن السّؤالِ[٣]

وما أهداكِ للجدوى عليه ... لو انكِ تقدرين على فَعَالِ

بعيشكِ هل سلوت فإن قلبي ... وإن جانبتُ أرضكِ غيرُ سالِ

نزلتِ على الكراهة في مكانٍ ... بعدتِ عن النُّعامى والشَّمالِ[٤]

تُحجَّبُ عنكِ رائحةُ الخزامى ... وتُمنعُ منكِ أنداءُ الطلالِ

بدارٍ كلُّ ساكنها غريبٌ ... بعيدُ الدار منبتُّ الحبالِ

حصانٌ مثلُ ماء المزنِ فيه ... كتومُ السّرّ صادقةُ المقالِ

يُعلّلها نطاسيُّ الشكايا ... وواحدُها نطاسيُّ المعَالي

إذا وصفوا له داءً بثغرٍ ... سقاهُ أسنّةَ الأسلِ الطوالِ

وليستْ كالإناثِ ولا اللواتي ... تُعدّ لها القبورُ منَ الحجالِ

---

(١) المسبطرّ: الممتد.

(٢) الساحي: الذي يقشر الأرض. الحفش: شدة الوقع.

(٣) العافي: قاصد المعروف.

(٤) النعامى: ريح الجنوب.

ولا منْ في جنازتِها تجارٌ ... يكونُ وداعُها نفض النّعالِ
مشى الأمراءُ حَولَيها حُفاةً ... كأنَّ المروَ منْ زفِّ الرّئالِ[1]
وأبرزتِ الخدورُ مخبّآتٍ ... يضعنَ النقس أمكنةَ الغوالي[2]
أتتهنّ المصيبةُ غافلاتٍ ... فدمعُ الحُزنِ في دمعِ الدلالِ
ولو كانَ النساءُ كمنْ فقدنا ... لفضّلتِ النساءُ على الرّجالِ
وما التأنيثُ لاسمِ الشمسِ عَيبٌ ... ولا التذكيرُ فخرٌ للهلالِ
وأفجعُ منْ فقدْنا من وَجَدْنا ... قُبيلَ الفقدِ مفقودِ المثالِ
يُدفِّنُ بعضُنَا بعضًا وتمشي ... أواخرُنا على هامِ الأوالي
وكمْ عينٍ مقبلةِ النّواحي ... كحيلٌ بالجنادلِ والرّمالِ
ومغضٍ كانَ لا يُغضي لخطبٍ ... وبالٍ كانَ يفكُرُ في الهزالِ
أسيفَ الدولةِ استنجدْ بصبرٍ ... وكيفَ بمثلِ صبرِكَ للجبالِ
وأنت تُعلّمُ الناسَ التعزّي ... وخوضَ الموتِ في الحربِ السِّجالِ
وحالاتُ الزمانِ عليكَ شتى ... وحالُكَ واحدٌ في كلِّ حالِ
فلا غيضتْ بحارُك يا جموماً ... على عللِ الغرائبِ والدِّخالِ[3]
رأيتكَ في الذينَ أرى ملوكًا ... كأنَّكَ مستقيمٌ في مُحالِ[4]
فإنْ تفقِ الأنامَ وأنتَ منهمْ ... فإنَ المسكَ بعضُ دمِ الغزالِ

(١) المرو: نوع من الحجارة الصلبة. الزف: صغار الريش. الرئال: جمع رأل: ولد النعام.
(٢) النقس: الحبر. الغوالي: أخلاط من الطيب.
(٣) الجموم: الذي يزداد ماؤه وقتاً بعد وقت. العلل: الشرب مرة بعد أخرى. الغرائب: الإبل الغريبة. الدخال: أن يدخل بعير بين بعيرين لم يشربا ليزداد شرباً.
(٤) المُحال: المعوّج.

الصاعقة الثامنة والستون: أجابَ دمعي وما الدّاعي سوى طلل(*)

أجابَ دَمعي وما الدّاعي سوى طلل ... دعا فلبّاهُ قبلَ الرَّكبِ والإبلِ

ظللْتُ بين أُصيحابي أكفكفُهُ ... وظلّ يسفحُ بين العذرِ والعذلِ

أشكو النوَى ولهمْ من عبرتي عجبٌ ... كذاكَ كنتُ وما أشكو سوى الكللِ(١)

وما صبابةُ مشتاقٍ على أملٍ ... منَ اللقاءِ كمشتاقٍ بلا أملِ

متى تزرْ قومَ منْ تهوى زيارتَهَا ... لا يتحفوكَ بغيرِ البيضِ والأسَلِ

والهجرُ أقْتَلُ لي مما أراقبُهُ ... أنا الغريقُ فما خوْفي من البَللِ

ما بالُ كلّ فؤادٍ في عشيرتها ... به الذي بي ومَا بي غيرُ مُنتَقِلِ

مطاعةُ اللحظِ في الألحاظِ مالكةٌ ... لمقلتَيْها عظيمُ الملكِ في المقلِ

تشبَّهُ الخفراتُ الآنساتُ بها ... في مَشيِهَا فينلنَ الحسْنَ بالحيلِ

قد ذقتُ شدةَ أيامي ولذَّتَها ... فما حصلتُ على صابٍ ولا عسلِ(٢)

وقد أراني الشبابُ الروحَ في بدني ... وقد أراني المشيبُ الرَّوح في بدَلي

وقدْ طرقتُ فتاةَ الحيّ مرتديًا ... بصاحبٍ غير عزهاةٍ ولا غزلِ(٣)

فباتَ بينَ تراقينا ندفّعُهُ ... وليس يعلمُ بالشكوى ولا القُبَلِ

(*) مناسبة القصيدة: قالها يمدح سيف الدولة لما رضي عنه.

(١) الكلل: ستر رقيق يعرف بالناموسية.

(٢) الصاب: شجرٌ مرّ.

(٣) العزهاة: الذي لا يرغب في النساء.

ثم اغتدى وبهِ منْ درعِها أثَرٌ ... على ذؤابتِه والجَفْنِ والخللِ

لا أكسبُ الذكرَ إلا منْ مضاربِه ... أو منْ سنانٍ أصمِّ الكعبِ معتدلِ[1]

جادَ الأميرُ به لي في مواهبِهِ ... فزانَها وكساني الدِّرعَ في الحُللِ

ومنْ علي بن عبدالله معرفتي ... بحملِه، مَنْ كعبدِ الله أو كعلي

معطي الكواعبِ والجردِ السلاهبِ والـ ... ـبيضِ القواضبِ والعسّالةِ الذبلِ

ضاقَ الزمانُ ووجهُ الأرض عنْ ملكٍ ... ملءِ الزمانِ وملءِ السهلِ والجبلِ

فنحنُ في جذلٍ والرومُ في وجلٍ ... والبرّ في شغلٍ والبحرُ في خجلِ[2]

من تغلبَ الغالبينَ الناسَ منصبُهُ ... ومن عديٍّ أعادي الجبنِ والبخلِ

والمدحُ لابن أبي الهيجاءِ تنجدهُ ... بالجاهليةِ عينُ العيِّ والخطلِ

ليتَ المدائحَ تستوفي مناقبَهُ ... فما كليبٌ وأهلُ الأعصرِ الأولِ

خذْ ما تراهُ ودعْ شيئًا سمعتَ به ... في طلعةِ البدرِ ما يغنيكَ عنْ زحلِ

وقد وجدتَ مكانَ القولِ ذا سعةٍ ... فإنْ وجدْتَ لسانًا قائلًا فقلِ

إن الهمامَ الذي فخرُ الأنامِ به ... خيرُ السيوفِ بكفيَ خيرةِ الدولِ

تمسي الأمانيُّ صرعى دونَ مبلغه ... فما يقولُ لشيءٍ ليتَ ذلك لي

انظرْ إذا اجتمعَ السيفانِ في رهجٍ ... إلى اختلافِهما في الخلقِ والعملِ[3]

---

(١) الأصم: الصلب. الكعب: العقدة بين الأنبوبين.

(٢) البحر في خجل: أي: إنه أجود من البحر.

(٣) الرهج: الغبار.

هذا المعـدُّ لريبِ الدهرِ منصلتًـا ... أعـدّ هذا لرأسِ الفـارسِ البطلِ

فـالعـربُ منه مع الكدريِّ طائرةٌ ... والرومُ طائرةٌ منه مع الحـجلِ

ومـا الفـرارُ إلى الأجبـالِ من أسـدٍ ... تمشي النَّعـامُ به في مـعـقلِ الوعلِ

جـازَ الدروبَ إلى مـا خلفَ خـرشنةٍ ... وزَالَ عنهـا وذاكَ الروعُ لم يزُلِ[1]

فكلمـا حلمتْ عـذراءُ عندهُمْ ... فـإنما حَلَمَتْ بالسَّبي والجَمَلِ

إن كنتَ ترضى بأنْ يعطوا الجزى بذلوا ... منهـا رضـاكَ ومنْ للعـورِ بالحـوَلِ

ناديتُ مجدَكَ في شعري وقد صدَرا ... يا غـيـرَ منتحلٍ في غـيـر منتَحلِ

بالشـرقِ والغـربِ أقـوامٌ نحبُّـهُمُ ... فطالعـاهُمْ وكـونَا أبلغَ الرّسُلِ

وعـرّفـاهُمْ بأنّي في مكارمِـه ... أقلّبُ الطرفَ بين الخـيلِ والخـولِ

يا أيُّهـا المحسنُ المشكورُ من جـهـتي ... والشكرُ من قبلِ الإحسانِ لا قبلي

مـا كـانَ نومي إلا فـوقَ مـعـرفـتي ... بـأنَّ رأيَـكَ لا يـؤتـى مـنَ الـزَّلَـلِ

أقلْ أنِلْ أقطعِ احـملْ علّ سلّ أعـدْ ... زد هشِّ بشِّ تفـضّلْ أدنِ سُـرَّ صلِ

لعلّ عـتْـبَكَ مـحـمـودٌ عـواقـبُـهُ ... فـربما صـحّتِ الأجـسـامُ بالعللِ

ومـا سـمـعتُ ولا غـيـري بمقـتـدرٍ ... أذبَّ منك لزورِ القـولِ عنْ رَجُلِ

لأنَّ حـلمَكَ حـلمٌ لا تـكـلّفُـهُ ... ليس التكحّلُ في العينينِ كـالكَحَلِ

ومـا ثـنـاكَ كـلامُ الناسِ عَنْ كَـرَمٍ ... ومنْ يسـدّ طريقَ العـارضِ الهطِلِ

---

(١) الخرشنة: بلد.

أنتَ الجـــوادُ بـلا منٍّ ولا كَـــدَرٍ ولا مطالٍ ولا وعـــدٍ ولا مَـــذلِ[١]

أنتَ الـشـجـاعُ إذا مـا لم يطأ فَـرَسٌ غـيـرَ السّنورّ والأشـلاءِ والقُلَلِ[٢]

(١) المذل: الضجر.

(٢) السنورّ: لباس من جلد كالورع.

obeikandl.com

الصاعقة التاسعة والستون: ليالي بعدَ الظاعنين شكولُ(*)

لَيَـــاليّ بعـــدَ الظاعِنين شُكُولُ ... طوالٌ وليلُ العـــاشِـــقينَ طَويلُ(١)

يـبنَّ لـيَ الـبـــــدرَ الـذي لا أُريـدُهُ ... ويخـفينَ بَدراً مـا إليـه سَـبـيـلُ

ومـا عـشتُ منْ بعـدِ الأحبـةِ سَلوَةً ... ولكـنَّني للنائبـاتِ حَـمُـــولُ

وإن رحـيـــلاً واحـــداً حـــالَ بيننا ... وفي الموتِ منْ بعد الرحيلِ رَحيلُ

إذا كـــانَ شمُّ الروحِ أدنى إليكمُ ... فـلا برحـتْني روضـةٌ وقـبُـولُ(٢)

ومـــا شـــرقي بالماءِ إلا تذكـــراً ... لماءٍ بـه أهلُ الحـــبـــيبِ نُزُولُ

يحـــرّمُـــهُ لمعُ الأسنّةِ فَـــوقَـــهُ ... فليسَ لظمـــآنٍ إليـــهِ وُصُـــولُ

أما في النجومِ السائراتِ وغَيرِهَا ... لعـيني على ضـوءِ الصـبـاحِ دَليلُ

ألمْ يرَ هذا الليلُ عـــينيْك رؤيتي ... فـتظهـــرَ فـيـــه رقـةٌ ونُحُـولُ

لقـيتُ بدربِ القلّةِ الفـجرَ لقـيـةً ... شـفتْ كـبـدي والليلُ فـيـه قَـتـيلُ

ويومًـا كـأنَّ الحـسنَ فـيـه عـلامـةٌ ... بعـثْتِ بهـا والشـمسُ منك رَسُولُ

ومـا قـبلَ سـيفِ الدولةِ آثارَ عـاشِقٌ ... ولا طُلبتْ عند الظلامِ ذُحُـــولُ(٣)

ولكـنّه يأتي بـكلِّ غـــريبَـــةٍ ... تروقُ على استـغـرابِهـا وتَهُـولُ

(*) مناسبة القصيدة: قالها يمدح سيف الدولة.

(١) شكول: جمع شكل: شبيه.

(٢) القبول: ريح الصبا.

(٣) الذحول: جمع ذحل: الثأر.

رمى الدربَ بالجردِ الجيادِ إلى العدى ... وما علموا أنَّ السّهامَ خُيولُ

شوائلُ تشوالَ العقاربِ بالقَنَا ... لها مرحٌ منْ تحتِه وصَهيلُ[1]

وما هيَ إلا خطرةٌ عرضتْ لَهُ ... بحرّانَ لبَّتْها قنًا ونُصولُ

همامٌ إذا ما همّ أمضى همومَه ... بأرعنَ وطءُ الموتِ فيه ثقيلُ

وخيلٍ براها الركضُ في كلِّ بلدةٍ ... إذا عرّستْ فيها فليسَ تقيلُ

فلمّا تجلى من دلوكٍ وصنجةٍ ... علتْ كلّ طودٍ رايةٌ ورَعيلُ

على طرقٍ فيها على الطرقِ رِفعَةٌ ... وفي ذكرِها عند الأنيسِ خمولُ

فما شعروُا حتّى رأوْها مغيرةً ... قباحًا وأمَّا خلْقُها فجميلُ

سحائبُ يمطرْنَ الحديدَ عليهمُ ... فكلُّ مكانٍ بالسيوفِ غسيلُ

وأمسى السبايا ينتحين بعرقةٍ ... كأنَّ جيوبَ الثاكلاتِ ذيولُ[2]

وعادتْ فظنُّوها بموزارَ قُفّلا ... وليسَ لها إلا الدخولُ قُفُولُ[3]

فخاضتْ نجيعَ القومِ خوضًا كأنه ... بكلِّ نجيعٍ لم تخضْهُ كَفيلُ

تسايرُها النيرانُ في كلِّ منزلٍ ... به القومُ صرعى والديارُ طُلولُ

وكرَّتْ فمرتْ في دماءِ ملطيةٍ ... ملطيةُ أمٌّ للبنينَ ثَكولُ

وأضعفْنَ ما كلّفنهُ من قباقبٍ ... فأضحَى كأنّ الماءَ فيهِ عَليلُ[4]

(١) شوائل: رافعة أذنابها كالعقارب.
(٢) الجيب: ما انفتح من القميص على النحر.
(٣) موزار: حصن ببلاد الروم.
(٤) قباقب: نهر.

ورعْنَ بنا قلبَ الفراتِ كأنما ... تخرُّ عليهِ بالرجالِ سُيُولُ

يُطاردُ فيه موجهُ كلُّ سابحٍ ... سواءٌ عليه غمرةٌ ومَسيلُ

تراهُ كأنَّ الماءَ مرّ بجسمِهِ ... وأقبلَ رأسٌ وحده وتَليلُ[1]

وفي بطنِ هنريطٍ وسمنينَ للظُّبَى ... وصمِّ القنا ممنْ أبدنَ بَديلُ

طلعنَ عليهمْ طلعةً يعرفونَها ... لها غُررٌ ما تَنقَضِي وحُجُولُ

تملُّ الحصونُ الشمُّ طولَ نزالنا ... فتلقي إلينا أهلها وتزولُ

وبتنَ بحصن الرانِ رزحى منَ الوجى ... وكلُّ عزيزٍ للأميرِ ذليلُ

وفي كلِّ نفسٍ ما خلاه ملالةٌ ... وفي كلِّ سيفٍ ما خلاهُ فلولُ

ودونَ سميساطَ المطامِيرُ والملا ... وأوديةٌ مجهولةٌ وهُجُولُ

لبسنَ الدجى فيها إلى أرضِ مرعشٍ ... وللرومِ خطبٌ في البلادِ جليلُ[2]

فلما رأوهُ وحدَهُ قبلَ جيشِه ... دروْا أنَّ كلَّ العالمينَ فضولُ

وأنَّ رماحَ الخطِ عنهُ قصيرةٌ ... وأنَّ حديدَ الهندِ عنهُ كليلُ

فأوردَهُمْ صدرَ الحصانِ وسيفَهُ ... فتى بأسُه مثلُ العطاءِ جزيلُ

جوادٌ على العلاتِ بالمالِ كلِّه ... ولكنّه بالدارعينَ بخيلُ

فودَّع قتلاهمْ وشيَّع فلَّهم ... بضربٍ حُزونُ البيضِ فيه سهولُ

---

(١) التليل: العنق.

(٢) مرعش: مدينة بناها سيف الدولة.

على قلبِ قسطنطينَ منه تعجبٌ ... وإن كانَ في ساقيْه منه كبولُ

لعلكَ يومًا يا دمستقُ عائدٌ ... فكمْ هاربٍ مما إليه يؤولُ

نجوتَ بإحدى مهجتيْكَ جريحةً ... وخلّفتَ إحدى مهجتيْكَ تسيلُ

أتسلمُ للخطيةِ ابنَك هاربًا ... ويسكنُ في الدنيا إليكَ خليلُ

بوجهكَ ما أنساكهُ منْ مرشةٍ ... نصيرُكَ منها رنةٌ وعويلُ[1]

أغرَّكم طولُ الجيوشِ وعرضُها ... عليٌّ شروبٌ للجيوشِ أكولُ

إذا لمْ تكن لليثِ إلا فريسةً ... غذاهُ ولم ينفعْك أنك فيلُ

إذا الطعنُ لم تدخلكَ فيه شجاعةٌ ... هي الطعنُ لم يدخلكَ فيه عذولُ

وإن تكنِ الأيامُ أبصرنَ صولهُ ... فقدْ علّم الأيامَ كيفَ تصولُ

فدتْكَ ملوكٌ لم تسمَّ مواضيًا ... فإنكَ ماضي الشفرتينِ صقيلُ

إذا كانَ بعضُ الناسِ سيفًا لدولةٍ ... ففي الناسِ بوقاتٌ لها وطبولُ

أنا السابقُ الهادي إلى ما أقولُه ... إذ القولُ قبلَ القائلين مقولُ

وما لكلامِ الناسِ فيما يريبني ... أصولٌ ولا للقائليه أصولُ

أعادي على ما يوجبُ الحبَّ للفتى ... وأهدأُ والأفكارُ فيّ تجولُ

سوى وجعِ الحسادِ داو فإنّه ... إذا حلّ في قلبٍ فليسَ يحولُ

ولا تطمعنْ من حاسدٍ في مودةٍ ... وإنْ كنتَ تبديها له وتنيلُ

---

(١) المرشة: الجراحة ترش الدم. الرنّة: الصياح.

وإنا لنلقى الحادثاتِ بأنفسٍ ... كثيرُ الرزايا عندهنّ قليلُ

يهونُ علينا أن تصابَ جسومُنا ... وتسلمَ أعراضٌ لنا وعقولُ

فتيهًا وفخرًا تغلبَ ابنةَ وائلٍ ... فأنتِ لخيرِ الفاخرينَ قبيلُ

يغمُّ عليًّا أن يموتَ عدوُّهُ ... إذا لم تغلْهُ بالأسنةِ غولُ

شريكُ المنايا والنفوسُ غنيمةٌ ... فكلٌّ ممات لم يمتْهُ غلولُ

فإنْ تكنِ الدولاتُ قسمًا فإنها ... لمنْ وردَ الموتَ الزؤامَ تدولُ

لمن هوّنَ الدنيا على النفسِ ساعةً ... وللبيضِ في هامِ الكماةِ صليلُ

oberikandl.com

الصاعقة السبعون: إن يكن صبرُ ذي الرّزيئة فضلا(*)

إن يكنْ صبرُ ذي الرّزيئةِ فضلاً ... تكنِ الأفضلَ الأعزَّ الأجلاّ
أنتَ يا فوقَ أن تعزّى عنِ الأحـ ... ـبابِ فوقَ الذي يُعزيكَ عَقْلا
وبألحاظِكَ اهتدى فإذا عزّ ... اكَ قالَ الذي له قلتَ قبلا
قد بلوتَ الخطوبَ مراً وحلواً ... وسلكتَ الأيام حزنًا وسَهْلا(١)
وقتلتَ الزمانَ علمًا فما يغـ ... ـربُ قولًا ولا يجدّدُ فعْلا
أجدُ الحزنَ فيكَ حفظًا وعقلًا ... وأراهُ في الناسِ ذعراً وجَهْلًا
لكَ إلفٌ يجرُّهُ وإذا ما ... كرُمَ الأصلُ كانَ للإلف أَصْلا
ووفاءٌ نبتَّ فيه ولكنْ ... لمْ يزلْ للوفاءِ أهلكَ أَهْلا
إنَّ خيرَ الدموعِ عونًا لدمعٌ ... بعثتْهُ رعاية فاستَهَلاّ
أين ذي الرِّقةُ التي لكَ في الحر ... بِ إذا استكرِهَ الحديدُ وَصَلا
أين خلّفْتها غداةَ لقيتَ الـ ... ـرومَ والهامُ بالصوارم تُفلى
قاسمتْكَ المنونُ شخصيْنِ جوْراً ... جعلَ القسمُ نفسَهُ فيه عَدْلاً(٢)
فإذا قستَ ما أخذنَ بما غا ... دَرْنَ سرّى عَنِ الفؤادِ وسَلّى
وتيقنتَ أن حظكَ أوفى ... وتبيّنتَ أن جدَّك أعلى

(*) مناسبة القصيدة: قالها يرثي أخت سيف الدولة الصغرى، ويسلّيه ببقاء الكبرى.
(١) الحزن: خلاف السهل.
(٢) الشخصين: أختا سيف الدولة.

ولعمري لقدْ شغلتَ المنايا ... بالأعادي فكيفَ يطلبنَ شُغْلا

وكم انتشْتَ بالسيوفِ منَ الدهـ ... ـرِ أسيراً وبالنّوالِ مُقلاّ

عدّها نصرةً عليه فلمّا ... صالَ ختْلاً رآه أدركَ تَبْلا[1]

كذبتْهُ ظنونُه، أنت تبليـ ... ـهِ وتبْقى في نِعمةٍ ليس تَبْلى

ولقدْ رامكَ العُداةُ كما را ... مَ فلمْ يجرحوا لشخصِكَ ظلاّ

ولقدْ رُمتَ بالسعادةِ بعضًا ... منْ نفوسِ العِدى فأدركتَ كُلاّ

قارعتْ رمحَكَ الرماحُ ولكنْ ... تركَ الرامحينَ رمحُكَ عُزْلا

لو يكونُ الذي وردتْ من الفجـ ... ـعةِ طعنًا أوردْتَهُ الخيلَ قُبْلا

ولكشفتَ ذا الحنينِ بضربٍ ... طالما كشَّفَ الكروبَ وجَلّى

خطبةٌ للحمامِ ليسَ لها ردٌّ ... وإنْ كانتِ المسمّاةَ ثُكْلا

وإذا لم تجدْ منَ الناسِ كفأً ... ذاتُ خدرٍ أرادتِ الموتَ بَعلا

ولذيذُ الحياةِ أنفس في النفـ ... ـسِ وأشهى من أن يُملّ وأَحْلى

وإذا الشيخُ قالَ أفٍّ فما مـ ... ـلَّ حياةً وإنما الضعفَ مَلا

آلةُ العيشِ صحةٌ وشبابٌ ... فإذا ولّيا عنِ المرءِ ولّى

أبداً تستردّ ما تهبُ الدنـ ... ـيا فيا ليتَ جودَها كانَ بَخْلا

فكفتْ كونَ فرحةٍ تورثُ الغمّ ... وخلٍّ يغادرُ الوجدُ خِلاّ

---

(١) التبل: الثأر.

وهي معشوقةٌ على الغدرِ لا تحـ ـفظُ عهداً ولا تتمِّمُ وَصْلا
كلُّ دمعٍ يسيلُ منها عَلَيها وبفكِّ اليدين عنها تُخَلّى
شيمُ الغانياتِ فيها فما أد ري لذا أنَّث اسمها الناسُ أم لا
يا مليكَ الورى المفرِّقَ محيًا ومماتًا فيهمْ وعزًا وذُلًا
قلّد اللهُ دولةً سَيفُها أنـ ـتَ حساماً بالمكرماتِ مُحَلّى
فببه أغنتِ المَوالِيَ بَذلًا وبه أفنتِ الأعادي قَتْلا
وإذا اهتزَّ للندى كان بَحراً وإذا اهتزَّ للردى كان نَصْلا
وإذا الأرضُ أظلمتْ كانَ شمساً وإذا الأرضُ أمحلتْ كان وبْلا
وهو الضاربُ الكَتيبَةَ والطعـ ـنةُ تغلو والضربُ أغلى وأَغْلى
أيها الباهرُ العقولَ فما تد ركُ وصفًا أتعبتَ فكري فمَهْلا
من تعاطى تَشَبّهًا بكَ أعيا هُ ومنْ دلَّ في طريقِكَ ضَلاّ
وإذا ما اشتَهى خُلُودَكَ داعٍ قالَ لا زُلتَ أو تَرى لكَ مِثْلا

الصاعقة الحادية والسبعون: لا تَحسَبوا رَبعَكُم ولا ظَلَلَهْ(*)

لا تَحسَبوا رَبعَكُم ولا طَلَلَهْ ... أوَّلَ حَيٍّ فراقُكُمْ قَتَلَهْ

قَد تَلِفَت قَبلَهُ النّفوسُ بِكم ... وأكثَرَتْ في هَواكُمُ العَذَلَهْ

خَلا وفيهِ أهلٌ وأوحَشَنا ... وفِيهِ صِرمٌ مُروخٌ إبِلَهْ

لو سارَ ذاكَ الحَبيبُ عن فَلَكٍ ... ما رضيَ الشَّمسَ بُرجُه بَدَلَهْ

أحبّهُ والهَوى وأدؤرَهُ ... وكُلُّ حُبٍّ صَبابَةٌ ووَلَهْ(١)

يَنصُرُها الغَيتُ وهيَ ظامِئَةٌ ... إلى سِواهُ وسُحبُها هَطِلَهْ

وا حَربا منكَ يا جَدايَتها ... مُقيمةً، فاعلَمي، ومُرتَحِلَهْ

لَو خُلِطَ المِسكُ والعَبيرُ بِها ... ولَستِ فيها لَخِلتُها تَفِلَهْ(٢)

أنا ابنُ مَن بعضُهُ يَفُوقُ أبا الـ ... ـباحِثِ والنَّجلُ بعضُ من نَجَلَهْ

وإنّما يَذكُرُ الجُدودَ لَهُمْ ... مَنْ نَفَروهُ وأنفَدوا حِيَلَهْ

فَخراً لعَضبٍ أرُوحُ مُشتَمِلَهْ ... وسَمهَريٍّ أرُوحُ مُعتَقِلَهْ

ولِيَفخَرِ الفَخرُ إذْ غَدَوتُ بِهِ ... مُرتَدِيًا خَيرَهُ ومُنتَعِلَهْ

أنا الذي بَيَّنَ الإلَهُ بِهِ الـ ... ـأقدارَ والمَرءُ حَيثُما جَعَلَهْ

(*) مناسبة القصيدة: قالها يمدح أبا العشائر.

(١) الأدؤر: جمع دار.

(٢) تفلة: فتنة الريح.

جَـوهَرَةٌ تَفـرَحُ الشِّـرافُ بهـا ... وغُـصّـةٌ لا تُسـيغُـهـا السّـفِلَهْ

إنّ الكِـذابَ الـذي أُكـادُ بِـهِ ... أهـوَنُ عِـنـدي مِـنَ الـذي نَـقَـلَـهْ

فَـلا مُـبـالٍ ولا مُـداجٍ ولا ... وانٍ ولا عـاجِـزٌ ولا تُكَلَهْ

ودارِعٍ سِـفـتُـهُ فَـخَـرَّ لَقًى ... في المُلتَقى والعَجاجِ والعَجَلَهْ

وسـامِعٍ رُعتُـهُ بقـافِـيَـةٍ ... يَحارُ فـيـهـا المُنَقِّحُ القُـولَهْ

وربما أُشـهِـدُ الطّعـامَ مَـعِي ... مَن لا يُساوي الخبزَ الذي أَكَلَهْ

ويُظهِـرُ الجَـهلُ بِي وأعـرِفُـهُ ... والدُّرُّ دُرٌّ برَغْمِ مَنْ جَـهِـلَـهْ

مُستَحيـيًا من أبي العشائرِ أنْ ... أسحَبَ في غَـيـرِ أرضِـهِ حُلَلَهْ

أسـحَـبُـهـا عِندَهُ لَدى مَلِكٍ ... ثِـيـابُـهُ مِنْ جَليـسِـهِ وَجِلَهْ

وبـيـنَ غِـلمـانِـه كَـنـائِـلِـه ... أوّلُ مَـحـمُـولِ سَـيـبِـه الحَـمَلَه

مـا لِيَ لا أمـدَحُ الحُـسَينَ ولا ... أبـذُلُ مِـثـلَ الوُدِّ الـذي بَـذَلَـهْ

أَأَخْـفَـتِ العَينُ عِـنـدَهُ أثَـرًا ... أمْ بَلَغَ الكِـذْبانُ مـا أمَلَهْ[1]

أم لَيسَ ضَـرّابَ كلّ جُـمـجـمـةٍ ... مَنخُـوّةٍ سـاعـةَ الوَغى زَعِلَهْ[2]

وصـاحِبَ الجـود مـا يُفـارِقُـهُ ... لَوْ كـانَ لِلجُـودِ مَنطِقٌ عَـذَلَهْ

وراكِبَ الهَـولِ لا يُفَـتِّـرُهُ ... لَوْ كـانَ لِلهَـوْلِ مَـحـزِمٌ هَزَلَهْ

وفـارِسَ الأحـمَـرِ المُكلَلِ في ... طَيّءٍ المُشَـرِّعَ القَنا قِـبَـلَهْ

---

(١) الكبذبان: الكثير الكذب.

(٢) المنخوة: ذات النخوة. وهي العظمة والكبر. الزعلة: النشيطة.

لـمَّـا رأت وَجـهَـهُ خُـيُـولُهُمُ ... أقـسَـمَ بـاللهِ لا رأَت كَـفَـلَهْ

فـأكـبَـرُوا فِـعلَهُ وأصـغَـرَهُ؛ ... أكـبَـرُ مِنْ فِـعلِه الذي فَـعَلَهْ

القـاطِعُ الواصِلُ الكَمـيلُ فَـلا ... بَعضُ جَـمـيلٍ عن بَعضِـهِ شَغَلَهْ

فَـواهِبٌ والرِّمـاحُ تَشـجُـرُهُ ... وطاعِنٌ والهِـبـاتُ مُـتّـصِلَهْ[1]

وكُلَّمـا أمَّنَ البـلادَ سَـرى ... وكلَّمـا خِـيفَ مَنزِلٌ نَزَلَهْ

وكلَّمـا جـاهَرَ العَـدُوَّ ضُـحى ... أمكَنَ حـتى كـأنَّهُ خَـتَلَهْ

يَحـتَـقِـرُ البـيضَ واللِّدانَ إذا ... سَنَّ عليـهِ الدِّلاصَ أو نَثَلَهْ[2]

قـد هَذَّبَتْ فَـهـمَـهُ الفـقـاهَةُ لي ... وهَذَّبَت شِـعـرِيَ الفَـصـاحَـةُ لَهْ

فـصـبـرتُ كـالسـيَّفِ حـامِـدًا يَدَهُ ... لا يحـمـدُ السَّـيفُ كلَّ مَن حَـمَلَهْ

---

(١) تشجره: تطعنه.

(٢) اللدان: الرماح اللينة. الدلاص: الدرع اللينة. سنّ الدرع: صبّها. نثلها: ألقاها عنه.

الصاعقة الثانية والسبعون: ما لنا كلُّنا جوٍ يا رسولُ(*)

ما لنا كلُّنا جوٍ يا رسُولُ ... أنا أهوى وقلبُكَ المتبولُ(١)

كلَّما عادَ منْ بعثتُ إليْها ... غارَ مني وخانَ فيما يقولُ

أفسدتْ بيننا الأمانات عينا ... ها وخانتْ قلوبَهن العقولُ

تشتكي ما اشتكيتُ من ألمِ الشو ... قِ إليها والشوقُ حيثُ النحولُ

وإذا خامرَ الهوى قلبُ صبٍّ ... فعليْه لكلِّ عينٍ دليلُ

زوّدينا منْ حسنِ وجهِكِ ما دا ... مَ فحسنُ الوجوهِ حالٌ تحولُ

وصلينا نصلْك في هذه الدنـ ... ـيا فإنَّ المقامَ فيها قليلُ

منْ رآها بعينِها شاقَهُ القطـ ... ـانُ فيها كما تشوقُ الحمولُ

إن تريْني أدمتُ بعدَ بياضٍ ... فحميدٌ منَ القناةِ الذبولُ

صحبتْني على الفلاةِ فتاةٌ ... عادةُ اللونِ عندَها التبديلُ

سترتْكَ الحجالُ عنها ولكنْ ... بكَ منها منَ اللمى تقبيلُ

مثلَها أنتَ لوّحتني وأسقمـ ... ـتْ وزادتْ أبهاكُما العطبولُ(٢)

نحنُ أدرى وقدْ سألنا بنجدٍ ... أطويلٌ طريقُنا أم يطولُ

(*) مناسبة القصيدة: أنفذ سيف الدولة إلى أبي الطيب ابنه من حلب إلى الكوفة، ومعه هدية، وكان ذلك بعد خروجة من مصر، ومفارقته لكافور، فقال يمدحه، وكتب بها إليه.

(١) الجوي: المحروق القلب.

(٢) العطبول: الطويلة القدّ.

وكثيرٌ منَ السؤالِ اشتياقٌ ... وكثيرٌ منْ ردِّه تَعليلُ

لا أقمْنا على مكانٍ وإن طا ... بَ ولا يمكنُ المكانَ الرحيلُ

كلَّما رحبتْ بنا الروضُ قُلنا ... حلبٌ قصدُنا وأنتِ السَّبيلُ

فيكِ مرعى جيادِنا والمَطايا ... وإليها وجيفُنا والذميلُ[1]

والمسمَّوْنَ بالأميرِ كثيرٌ ... والأميرُ الذي بها المأمولُ

الذي زلتُ عنهُ شرقًا وغربًا ... ونداهُ مقابلي ما يزولُ

ومعي أينما سلكتُ كأني ... كلُّ وجهٍ له بوجهي كفيلُ

وإذا العذلُ في الندى زارَ سمعًا ... ففداهُ العذولُ والمعذولُ

ومِوالٍ تحييهمُ منْ يديْه ... نعمٌ غيرَهُمْ بها مقتولُ

فرسٌ سابحٌ ورمحٌ طويلٌ ... ودلاصٌ زغف وسيفٌ صقيلُ[2]

كلما صبحتْ ديارَ عدوٍّ ... قالَ تلكَ الغيوثُ هذي السيولُ

دهمتْهُ تطايرُ الزردِ المحـ ... ـكمِ عنه كما يطيرُ النسيلُ

تقنصُ الخيلَ خيلُهُ قنصَ الوحـ ... ـشِ ويستأسرُ الخميسَ الرعيلُ

وإذا الحربُ أعرضتْ زعمَ الهولُ ... لعينيْهِ أنه تهويلُ

وإذا صحَّ فالزمانُ صحيحٌ ... وإذا اعتلَّ فالزمانُ عليلُ

وإذا غابَ وجهُهُ عنْ مكانٍ ... فبه منْ ثناهُ وجهٌ جميلُ

---

(١) الوجيف: عدو الخيل. الزميل: ضرب من سير الإبل.

(٢) الدلاص: الدرع البرّاقة. الزغف: اللينة المحكمة النسيج.

ليسَ إلاكَ يا عليُّ همامٌ ... سيفهُ دونَ عرضِه مسلولُ

كيفَ لا تأمنُ العراقُ ومصرٌ ... وسرايَاكَ دونَها والخيولُ

لو تحرفْتَ عن طريقِ الأعادي ... ربطَ السدرُ خيلَهم والنخيلُ

ودرى منْ أعزهُ الدفعُ عنهُ ... فيهما أنه الحقيرُ الذليلُ

أنتَ طولَ الحياةِ للرومِ غازٍ ... فمتى الوعدُ أن يكونَ القفولُ

وسوى الرومِ خلفَ ظهرِكَ رومٌ ... فعلَى أيِّ جانبيْكَ تميلُ

قعدَ الناسُ كلُّهمُ عن مساعيـ ... ـكَ وقامتْ بها القنا والنصولُ

ما الذي عندهُ تدارُ المنايا ... كالذي عندهُ تدارُ الشمولُ

لستُ أرضى بأن تكونَ جواداً ... وزماني بأنْ أراكَ بخيلُ

نغَّصَ البعدُ عنكَ قربَ العطايا ... مرتعي مخصبٌ وجسمي هزيلُ

إن تبوَّأتُ غيرَ دنيا داراً ... وأتاني نيلٌ فأنتَ المنيلُ

منْ عبيدي إن عشتَ لي ألفُ كافو ... رٍ ولي من نداكَ ريفٌ ونيلُ

ما أُبالي إذا اتقتْكَ الليالي ... منْ دهتْهُ حبولُها والخُبُولُ[1]

(١) الحبول: جمع حبل: الداهية. الخبول: جمع خبل: فساد العقل.

الصاعقة الثالثة والسبعون: إلامَ طَماعيهُ العاذِلِ(*)

إلامَ طَمـــاعِـــيـــةُ الـعـــاذِلِ ... ولا رأيَ في الحُبِّ لـلـعـــــاقِلِ
يُرادُ مِنَ القَلبِ نسـيـــانُكُمْ ... وتأبى الطِّبـــــاعُ على النَّاقِلِ
وإنِّي لأَعـــــشَقُ مِنْ أجلكُمْ ... نُحُـــولِي وكلَّ امـــرئ ناحِلِ
ولـو زلـتُـمُ ثـم لَـمْ أبـكِـكُـمْ ... بكَيْتُ على حُـــبِّيَ الزّائِلِ
أيُنكِرُ خَـــدِّي دُمـــوعِي وقَـــدْ ... جـرَت منهُ في مَـسلَكٍ سـابِلِ(١)
أَأَوَّلُ دَمْعٍ جـــرى فَـــوقَـــهُ ... وأوَّلُ حُـــــزنٍ عَـلى راحِلِ
وهَـبْـتُ الـسّـلُـوّ لِمَـنْ لامَـنِـي ... وبتُّ مِنَ الشَّـــوقِ في شـاغِلِ
كـأنَّ الجُـفُـونَ على مُـقلَتي ... ثِيـــابٌ شُـــقِـــقـنَ على ثاكِلِ
ولَوْ كنتُ في أسرِ غَـيـرِ الهَـوى ... ضَـمِـنتُ ضَـمـــانَ أبي وائِلِ
فَـدى نَفـسَـهُ بضَـمـانِ النُّضـارِ ... وأَعطى صُـــدورَ القَنا الذّابِلِ
ومَـنّاهُـمُ الخَـــيلَ مَـــجنوبَةً ... فَـجِـئنَ بِكُلِّ فَـتًى باسِلِ(٢)
كـــأنَّ خَـــلاصَ أبي وائلٍ ... مُـــعـــاوَدَةُ القَـــمَـــرِ الآفِلِ
دَعـا فـسَـمِـعتَ وكَمْ ساكِتٍ ... على البُـعـدِ عِندَكَ كـالقـاتِلِ
فَلَبَّـيـتَـهُ بكَ في جَـحـفَلٍ ... لَـهُ ضـــامِنٍ وبِـهِ كـــافِلِ

(*) مناسبة القصيدة: قالها يمدح سيف الدولة، ويذكر استنقاذه أبا وائل تغلب بن داود بن حمدان العدوي من أسر الخارجي.
(١) السابل: الكثير الطروق.
(٢) المجنوبة: المقودة.

خَـــرَجنَ مِنَ النَّقعِ في عـــارضٍ ومن عـــــرَقِ الرَّكضِ في وابِلِ
فَلَمّـــا نَشـــفنَ لَقِينَ السِـــياطَ بِمِثلِ صَـــفـــا البَلَدِ الماحِلِ
شَـــفَنّ لَخَـــمس إلى من طَلَبنَ قُـبَـــيلَ الشُّـــفُـــونِ إلى نازِلِ[1]
فَـــدانَت مَـــرافُـــقُـــهنَّ الثَّـــرى على ثِقَـــةٍ بالدَّمِ الغـــاسِلِ
ومـــا بينَ كـــاذَتَيِ المُستَـــغـــيـــرِ كـــمـــا بَينَ كـــاذَتَيِ البـــائِلِ[2]
فَـلُـقِّينَ كـلَّ رَدَيـنـيَّـــــــةٍ ومَـصـبُـوحَـةٍ لَبَنَ الشّـائِلِ[3]
وجـــيشَ إمـــام على نـاقَـــةٍ صَـحـيحِ الإمـامَـةِ في البـاطِلِ
فـــأقـــبَلنَ يَنحَـــزنَ قُـــدّامَـــهُ نَوابِرَ كـــالنَّحلِ والعـــاسِلِ
فلَمّـــا بدَوتَ لأَصـــحـــابِـهِ رَأَت أُســـــــدُها آكِلَ الآكِلِ
بضَـــربٍ تَعُـــمّـــهُمُ جـائِرٍ لَهُ فـيـهِم قِـسـمَـةُ العـادِلِ
وطَعنٍ يُجَـــمِّعُ شُـــذّانَهُمْ كَـمـا اجـتَـمَـعَتْ دِرَّةُ الحـافِلِ[4]
إذا مـــا نَظَرتَ إلى فـــارسٍ تَحَـيَّـــرَ عَنْ مَـذهَبِ الرّاجِلِ
فظلّ يُخـــضَبُ منهـــا اللحى فـتى لا يُعـيـدُ على الناصِلِ
ولا يَستَـغـيثُ إلى ناصِـرٍ ولا يَتَـضـعـضَع من خـاذِلِ
ولا يَزَعُ الطِّرفَ عَن مُـقـدَمٍ ولا يـرجعُ الـطَّـرفَ عـن هـائِلِ[5]

(١) شفن: نظرن.
(٢) الكاذة: لحم الفخذ.
(٣) الشائل: الناقة التي قلّ لبنها.
(٤) الشذان: المتفرقون. الحافل: الممتلئة الضرع.
(٥) الطِّرف: الفرس الكريم.

إذا طَلَبَ التَّبلَ لم يشأه ... وإن كانَ دَينًا على ماطِلِ[١]

خُذُوا ما أتاكم به واعذِرُوا ... فإنّ الغَنيمَةَ في العاجِلِ

وإن كانَ أعجَبَكُم عامُكُمْ ... فعُودوا إلى حِمصَ في القابِلِ

فإنَّ الحُسامَ الخَضيبَ الذي ... قُتِلتُمْ به في يَدِ القاتِلِ

يَجودُ بمثل الذي رُمتُمُ ... فلَمْ تُدرِكوهُ على السّائلِ

أمامَ الكَتيبَةِ تُزهى به ... مَكانَ السّنانِ منَ العامِلِ

وإنّي لأعجَبُ من آملٍ ... قِتالاً بكُمٍّ على بازِلِ[٢]

أقالَ لَهُ اللهُ لا تَلقَهُم ... بماضٍ على فَرَسٍ حائلِ

إذا ما ضَرَبتَ به هامَةً ... بَراها وغَنّاكَ في الكاهِلِ

وليسَ بأوَّلِ ذي هِمَّةٍ ... دعَتهُ لما لَيسَ بالنّائلِ

يُشَمِّرُ للّجّ عَنْ ساقِهِ ... ويَغمُرُهُ المَوْجُ في الساحِلِ

أمَا للخِلافَةِ مِنْ مُشفقٍ ... على سَيْفِ دَولَتِها الفاصِلِ

يَقُدّ عِداها بلا ضاربٍ ... ويَسري إليهِم بلا حامِلِ

تَرَكتَ جَماجِمَهم في النَّقا ... وما يَتَحَصَّلنَ للنّاخِلِ[٣]

وأنبتَّ منهم رَبيعَ السِّباعِ ... فأثنت بإحسانِكَ الشّامِلِ

---

(١) التبل: الثأر.

(٢) البازل من الإبل: الذي شق نابه للذكر والأنثى.

(٣) النقا: الكثيب من الرمل.

وعُـــدتَ إلى حَلَبٍ ظافِـــراً ... كَـــعَـــودِ الحُليّ إلى العـــاطِلِ
ومِـــثلُ الذي دُســـتَـــهُ حـــافِـــيًـــا ... يُـؤثّـرُ فـي قَـــــــدَمِ النّـاعِـلِ
وكم لَكَ من خَـــبَـــرٍ شـــائعٍ ... لَـهُ شِـــيَـــةُ الأبلَقِ الجـــائِلِ
ويَومٍ شَـــرابُ بَـنيـــهِ الـردّى ... بَغـيضِ الحُـضـورِ إلى الواغِلِ[1]
تَفُكّ العُناةَ وتُغني العُـــفـــاةَ ... وتَغـفِـــرُ للمُـــذنِبِ الجـــاهِلِ
فَـــهَنَّأكَ النَّصـــرَ مُـــعطيكَهُ ... وأرضـــاهُ ســـعـــيُكَ في الآجِلِ
فَـــذي الدّارُ أخـــونُ من مُـــومِسٍ ... وأخـــدَعُ مِن كِـــفّـــةِ الحـــابِلِ
تَفـــانى الرّجـــالُ على حُـــبّـــهـــا ... ومـــا يَحـــصُلُونَ على طائِلِ

(١) الواغل: الذي يدخل على الشاربين من غير دعوة.

obeikandl.com

الصاعقة الرابعة والسبعون: لا خيل عندكَ تهديها ولا مالُ(*)

لا خيل عندك تهديها ولا مالُ ... فليسعدِ النطقُ إن لم تسعدِ الحالُ

واجزِ الأميرَ الذي نعماهُ فاجئةٌ ... بغيرِ قولٍ ونعمى الناسِ أقوالُ

فربما جزتِ الإحسانَ موليَهُ ... خريدةٌ منْ عذارى الحيِّ مكسالُ(١)

وإن تكنْ محكماتُ الشَّكل تمنعني ... ظهورَ جريٍ فلي فيهنَّ تصهالُ

وما شكرتُ لأنَّ المالَ فرَّحني ... سيانِ عندي إكثارٌ وإقلالُ

لكنْ رأيتُ قبيحًا أنْ يجادَ لنا ... وأننا بقضاءِ الحقِّ بُخّالُ

فكنتُ منبتَ روضِ الحزنِ باكرَهُ ... غيثٌ بغيرِ سباخِ الأرضِ هطَّالُ(٢)

غيثٌ يبيِّن للنظارِ موقعُهُ ... أنَّ الغيوثَ بما تأتيه جهالُ

لا يدركَ المجدَ إلا سيدٌ فطنٌ ... لما يشقّ على السادات فعّالُ

لا وارثٌ جهلتْ يمناه ما وهبتْ ... ولا كسوبٌ بغيرِ السيفِ سأّالُ

قال الزمانُ له قولًا فأفهمهُ، ... إنَّ الزمانَ على الإمساكِ عَذَّالُ

تدري القناةُ إذا اهتزتْ براحتِه ... أنَّ الشقيَّ بها خيلٌ وأبطالُ

كفاتكٍ ودخولُ الكاف منقصةٌ ... كالشمسِ قلتَ وما للشمسِ أمثالُ

(*) مناسبة القصيدة: قدم أبو شجاع فاتك المعروف بالمجنون من الفيوم إلى مصر، فوصل أبا الطيب، وحمل إليه هدية قيمتها ألف دينار، فقال يمدحه.

(١) الخريدة: المرأة الحسناء.

(٢) السباخ: جمع سبخة: الأرض ذات نزّ وملح.

القائدِ الأسدِ غذَّتها براثنُهُ ... بمثلِها منْ عداهُ وهي أشبالُ

القاتلِ السيفَ في جسمِ القتيلِ به ... وللسيوفِ كما للناسِ آجالُ

تغيرُ عنه على الغاراتِ هيبتُهُ ... ومالُهُ بأقاصي الأرضِ أهمالُ[١]

له منَ الوحشِ ما اختارتْ أسنتهُ ... عَيرٌ وهَيْقٌ وخنساءٌ وذيّالُ[٢]

تمسي الضيوفُ مشهَّاةً بعقوته ... كأنَّ أوقاتَها في الطِّيبِ آصالُ[٣]

لو اشتهتْ لحمَ قاريهَا لبادرها ... خرادلٌ منهُ في الشِّيزى وأوصالُ

لا يعرفُ الرزءَ في مالٍ ولا ولدٍ ... إلا إذا حفز الضيفانَ ترحالُ

يروي صدى الأرضِ من فضلاتِ ما شربوا ... محضُ اللقاحِ وصافي اللونِ سلسالُ

تقري صوارمُهُ الساعاتِ عبطَ دمٍ ... كأنما الساعُ نزّالٌ وقفّالُ[٤]

تجري النفوسُ حواليْه مخلّطة ... منها عداةٌ وأغنام وآبالُ

لا يحرمُ البعدُ أهلَ البعدِ نائلهُ ... وغيرُ عاجزةٍ عنه الأُطيفالُ

أمضى الفريقينِ في أقرانه ظبةٌ ... والبيضُ هاديةٌ والسمرُ ضلالُ

يريكَ مَخْبَرُهُ أضعافَ منظرِه ... بينَ الرجالِ وفيها الماءُ والآلُ

وقد بلقّبُهُ المجنونَ حاسدُهُ ... إذا اختلطنَ وبعضُ العقل عقّالُ

---

(١) الأهمال: جمع همل: الإبل التي ترعى بلا راع.

(٢) الهيف: ذكر النعام.

(٣) مشهاة: تُعطى ما تشتهيه. العقوة: الساحة.

(٤) العبط: الطري.

يرمي بها الجيشَ لا بُدّ له ولها ... من شقّه ولَوَ أنَّ الجيشَ أجبالُ
إذا العدى نشبتْ فيهم مخالبُهُ ... لم يجتمعْ لهم حلمٌ ورئبالُ
يروعهُمْ منه دهرٌ صرفُهُ أبدًا ... مجاهرٌ وصروفُ الدهرِ تغتالُ
أناله الشرفَ الأعلى تَقَدُّمُهُ ... فما الذي بتوقّي ما أتى نالوا
إذا الملوكُ تحلتْ كان حليتَهُ ... مهندٌ وأصمُّ الكعب عسّالُ
أبو شجاعٍ أبو الشجعانِ قاطبةً ... هولٌ نمتهُ من الهيجاءِ أهوالُ
تملَّكَ الحمدَ حتى ما لمفتخرٍ ... في الحمدِ حاءٌ ولا ميم ولا دالُ
عليه منه سرابيلٌ مضاعفةٌ ... وقد كفاهُ من الماذيِّ سربالُ[1]
وكيفَ أسترُ ما أوليتَ من حَسَنٍ ... وقد غمرتَ نوالًا أيُّها النّالُ
لطَّفتَ رأيَك في برّي وتكرمتي ... إن الكريمَ على العلياءِ يحتالُ
حتى غدوتَ وللأخبارِ تجوالُ ... وللكواكبِ في كفيْك آمالُ
وقد أطالَ ثنائي طولُ لابسِه ... إن الثناءَ على التنبالِ تنبالُ[2]
إن كنتَ تكبرُ أن تختالَ في بشرٍ ... فإنَّ قدركَ في الأقدارِ يختالُ
كأنَ نفسَكَ لا ترضاكَ صاحبَها ... إلا وأنتَ على المفضالِ مفضالُ
ولا تعدُّكَ صوَّاناً لمهجتِها ... إلا وأنتَ لها في الروعِ بذَّالُ
لولا المشقةُ سادَ الناسُ كلُّهم؛ ... الجودُ يفقرُ والإقدامُ قتّالُ

(١) الماذي: الدرع اللينة السهلة اللبس.
(٢) التنبال: القصير.

وإنما يبلغُ الإنسانُ طاقتَهُ ... ما كلُّ ما شيةٍ بالرّحلِ شملالُ[١]

إنا لفي زمنٍ تركُ القبيحِ به ... من أكثرِ الناسِ إحسانٌ وإجمالُ

ذكرُ الفتى عمرهُ الثاني وحاجتُه ... ما قاتهُ وفضولُ العيشِ أشغالُ

(١) الشملال: الناقة الخفيفة.

obeikandl.com

الصاعقة الخامسة والسبعون: كدعواكَ كلٌّ يدعي صحةَ العقل(*)

كدعواكِ كلٌّ يدعي صحةَ العقلِ ... ومنْ ذا الذي يدري بما فيه من جَهلِ
لهنّكِ أولى لائمٍ بملامةٍ ... وأحوجَ ممنْ تعذلينَ إلى العَذلِ
تقولينَ ما في الناسِ مثلَكِ عاشقٌ ... جدي مثلَ من أحببتُهُ تجدي مثلي
محبٌّ كنى بالبيضِ عن مرهفاتِه ... وبالحسنِ في أجسامِهنَّ عنِ الصقلِ
وبالسمرِ عن سمرِ القنا غيرَ أنني ... جناها أحبائي وأطرافها رسلي
عدمتُ فؤاداً لم تبتْ فيه فضلةٌ ... لغيرِ الثنايا الغرّ والحدقِ النُّجلِ
فما حرمتْ حسناءُ بالهجرِ غبطةً ... ولا بلّغتْها منْ شكا الهجرَ بالوصلِ
ذريني أنلْ ما لا ينالُ منَ العلى ... فصعبُ العلى في الصعبِ والسهلُ في السهلِ
تريدينَ لقيانَ المعالي رخيصةً ... ولا بدَّ دونَ الشهدِ منْ إبرِ النحلِ
حذرتِ علينا الموتَ والخيلُ تدّعي ... ولمْ تعلمي عنْ أيِّ عاقبةٍ تُجلي
ولستُ غبينًا لو شربتُ منيَّتي ... بإكرامِ دلّيرَ بنِ لشكروز لي
تمرُّ الأنابيبُ الخواطرُ بينَنا ... ونذكرُ إقبالَ الأميرِ فتحلولي(١)
ولو كنتُ أدري أنها سببٌ لهُ ... لزادَ سروري بالزيادةِ في القتلِ

(*) مناسبة القصيدة: قالها يمدح أبا الفوارس دليـر بن لشكروز، وكان قد أتى الكوفة لقتال الخارجي الذي نجا بها من بني كلاب، وانصرف الخارجي قبل وصول دليـر إليها.

(١) تمرّ: من المرارة.

فـلا عـدمتْ أرضُ العـراقينِ فـتنةً ... دعـتكَ إليـهـا كـاشفَ البـأسِ والمحلِ

ظللْنا إذا أنبى الحـديدُ نصـالَنا ... نجـردُ ذكـرًا منك أمـضَى منَ النصلِ

ونرمي نواصيها من اسمكَ في الوغى ... بـأنفـذَ من نشـابِنا ومنَ النَّبلِ

فـإنْ تكُ منْ بعـدِ القـتـال أتيـتنَا ... فـقـدْ هزمَ الأعـداءَ ذكـرُك من قَـبلِ

ومـا زلتُ أطوي القلبَ قبلَ اجتماعِنا ... على حـاجـةٍ بين السنابكِ والسُّبلِ

ولـو لم تسـرْ سـرْنا إليك بأنفسٍ ... غـرائبَ يؤثرْنَ الجـيـادَ على الأهلِ

وخـيلٍ إذا مـرّتْ بوحشٍ وروضـةٍ ... أبتْ رعـيَـهـا إلا ومـرجَلُنا يَغلي

ولكنْ رأيتَ القصدَ في الفضلِ شركةً ... فكانَ لك الفضلانِ بالقصدِ والفضلِ

وليسَ الـذي يتَّـبَّعُ الـوبلَ رائدًا ... كـمنْ جـاءَه في دارِه رائدُ الوبلِ

ومـا أنا ممن يدّعي الشـوقَ قلبـهُ ... ويحـتجّ في تركِ الزيارةِ بالشـغلِ

أرادتْ كـلابٌ أن تفـوزَ بدولةٍ ... لمن تركتْ رعي الشُّويهاتِ والإبلِ

أبى ربُّها أن يتـركَ الوحشَ وحـدَها ... وأنْ يؤمن الضبَّ الخبيثَ منَ الأكلِ

وقـادَ لهـا دلّيـرُ كلَّ طمـرةٍ ... تنيفُ بخديْها سحوقٌ من النخلِ[1]

وكلَّ جـوادٍ تلطمُ الأرضَ كـفُّـهُ ... بأغنى عن النَّعلِ الحديدِ منَ النعلِ

فولّتْ تريغُ الغيثَ والغيثَ خلَّفَتْ ... وتطلُبُ ما قدْ كانَ في اليدِ بالرجل

تحـاذرُ هـزلَ المالِ وهيَ ذليلةٌ ... وأشـهـدُ أنَّ الذلَّ شـرٌّ منَ الهُـزلِ

---

(١) الطمرة: الفرس الوثابة. السحوق: النخلة الطويلة.

وأهدتْ إلينا غيرَ قاصدةٍ به ... كريمَ السجايا يسبقُ القولَ بالفعلِ
تتبَّع آثارَ الرزايا بجوده ... تتبعَ آثارِ الأسنةِ بالفُتلِ[1]
شفى كلَّ شاكٍ سيفُهُ ونواله ... من الداءِ حتى الشاكلاتِ منَ الثكلِ
عفيفٌ تروقُ الشمس صورةُ وجهه ... فلو نزلتْ شوقًا لحادَ إلى الظّلِّ
شجاعٌ كأنَّ الحربَ عاشقةٌ لهُ ... إذا زارَها فدتْهُ بالخيلِ والرَّجلِ
وريانُ لا تصدى إلى الخمرِ نفسُه ... وصديانُ لا تروي يداهُ منَ البذلِ
فتمليكُ دلّيرٍ وتعظيمُ قدرهِ ... شهيدٌ بوحدانيةِ اللهِ والعدلِ
وما دامَ دليرٌ يهزّ حسامَهُ ... فلا نابَ في الدنيا لليثٍ ولا شبلِ
وما دامَ دليرٌ يُقلِّبُ كفّهُ ... فلا خلق منْ دعوى المكارم في حِلّ
فتى لا يُرجّى أن تتم طهارةٌ ... لمن لم يطهّرْ راحتيْه من البُخلِ
فلا قَطَعَ الرحمنُ أصلًا أتَى بهِ ... فإني رأيتُ الطّيّبَ الطَّيّبَ الأصْلِ

(١) الفتل: ضماد الجروح.

الصاعقة السادسة والسبعون: بقائي شاءَ ليسَ همُ ارتحالا(*)

بقـــائي شـــاءَ ليس همُ ارتحـــالا ... وحـسنَ الصـبـرِ زمُّـوا لا الجِـمـالا

تـولوا بـغـــتـــــةً فـكـأنَّ بـيـنًـا ... تهـيّـبَـني فـفـاجـأني اغـتـيـالا

فكـانَ مـسـيـرُ عـيـسـهِـمُ ذمـيـلًا ... وسـيـرُ الدمعِ إثرَهُمُ انهِـمـالا(١)

كـأنَّ العـيسَ كـانـتْ فـوقَ جـفـني ... مـنـاخـــاتٍ فـلمّـــا ثـرنَ سَـــالا

وحـجَّـبتِ النوى الظبـيـاتِ عني ... فـسـاعـدتِ البـراقعَ والحِـجـالا

لبـسنَ الوشيَ لا مـتـجـمّـلاتٍ ... ولكنْ كي يصنَّ به الجَـمَـالا

وضـفّـرنَ الغـدائرَ لا لحـسْنٍ ... ولكنْ خـفنَ في الشَّـعـرِ الضّـلالا

بجـسـمي من برتْه فلو أصـارتْ ... وشـــاحي ثقبَ لؤلؤةٍ لجَـــالا

ولـولا أنَّـني في غـــيـــرِ نـومٍ ... لكـنـتُ أظنّـني مني خَـيَـــالا

بدتْ قـمـراً ومـالتْ خـوطَ بانٍ ... وفـاحتْ عنبـراً ورنتْ غَـزالا(٢)

وجـارتْ في الحكومـةِ ثم أبدتْ ... لنا منْ حـسنِ قـامـتِـهـا اعـتـدالا

كـأنَّ الحـزنَ مـشـغـوفٌ بقلبي ... فـسـاعـةُ هجـرِها يجـدُ الوِصـالا

كـذا الدنيـا على منْ كـان قـبلي ... صـــروفٌ لم يُدمنَ عليـه حَـالا

(*) مناسبة القصيدة: قالها يمدح أبا الحسين بدر بن عمار الأسدي.

(١) الذميل: السير اللين.

(٢) الخوط: الغصن الناعم.

أشـــدُّ الغم عـندي في ســـرورٍ ... تيـقَّن عنه صـاحـبُـهُ انتـقـالا
ألفت تـرحلي وجـــعلتُ أرضي ... قـتـودي والغـريـريَّ الجُـلالا[1]
فـمـا حـاولتُ في أرضٍ مُـقـامًـا ... ولا أزمـــعتُ عـن أرضٍ زَوالا
على قَلَقٍ كـأنَّ الرّيحَ تحـتي ... أوجّـهـهـا جنوبًا أو شَـمَـالا
إلى البـدرِ بنِ عـمّـارَ الذي لَمْ ... يكنْ في غـرّةِ الشـهـرِ الهِـلالا
ولم يعظمْ لنقصِ كـانَ فـيـه ... ولم يـزلِ الأمـيـرَ ولـنْ يَـزالا
بـلا مـثلٍ وإن أبـصـرتَ فـيـه ... لكلِّ مـغـيّبٍ حـسنٍ مِـثَـالا
حـسـامٌ لابنِ رائقِ المرجى ... حـسـام المتـقي أيامَ صـالا
سنـانٌ في قـناةِ بـني مـعـدّ ... بـني أسـدٍ إذا دعـوا الـنّزالا
أعـزُّ مـغـالبٍ كـفًـا وسـيـفًـا ... ومـقـدرةً ومـحـمـيَـةً وآلا
وأشـرفُ فـاخـرٍ نفسًـا وقـومًـا ... وأكـرمُ منتمٍ عَـمًّـا وخـالا
يـكـونُ أخفَّ إثـناءٍ عـلـيـه ... على الدنيـا وأهليـهـا مُـحَـالا
ويـبـقى ضـعفُ مـا قـد قـيلَ فـيـه ... إذا لـم يتَّـركْ أحَـدٌ مَـقَـالا
فـيـا ابنَ الطاعنينَ بكلِّ لدنٍ ... مـواضعَ يشتكي البطلُ السُّعالا[2]
ويا ابنَ الضـاربينَ بكلِّ عـضبٍ ... من العـربِ الأسـافلَ والقِـلالا
أرى المتـشـاعـرينَ غـرُوا بذمّي ... ومنْ ذا يحـمـدُ الدّاءَ العُـضـالا

(١) القتود: جمع قتد: خشب الرحل. الغريري: الفحل الكريم.
(٢) اللدن: اللين.

ومنْ يكُ ذا فمٍ مرٍّ مريضٍ ... يجدْ مرًّا به الماء الزُّلالا

وقالوا هلْ يبلِّغُكَ الثريَّا؟ ... فقلتُ: نعمْ إذا شئتُ استطالا

هو المفني المذاكي والأعادي ... وبيضَ الهندِ والسُّمرَ الطِّوالا[1]

وقائدُها مسومةً خفافًا ... على حَيٍ تُصبحُهُ ثِقالا

جوائلَ بالقنيّ مثقَّفاتٍ ... كأنَّ على عواملها ذُبالا[2]

إذا وطئتْ بأيديها صخوراً ... يفئْنَ لوَطءِ أرجُلِها رِمالا

جوابُ مسائلي ألهُ نظيرٌ؟ ... ولا لكَ في سؤالكَ لا ألاَ لا

لقد أمنَتْ بك الإعدامَ نفسٌ ... تعُدّ رجاءَها إياك مَالا

وقد وجلتْ قلوبٌ منكَ حتى ... غدتْ أوجالُها فيها وِجَالا

سرورُكَ أن تسرَّ الناسَ طرًّا ... تعلمُهُم عليكَ به الدّلالا

إذا سألوا شكرْتَهُمُ عليْه ... وإنْ سكتوا سألتَهمْ السّؤالا

وأسعدُ منْ رأينا مستميحٌ ... ينيلُ المستماحَ بأن يُنَالا

يفارقُ سهمُكَ الرجلَ الملاقي ... فراقَ القوسِ ما لاقى الرّجالا

فما نقفُ السهامُ على قرارٍ ... كأنَّ الريشَ يطّلبُ النِّصالا

سبقتَ السابقين فما تُجارى ... وجاوزتَ العلوّ فما تُعَالى

---

(١) المذاكي: الخيل.

(٢) الجوائل: المترددات. مثقفات: مقومات. العوامل: ما يلي الأسنة من الرماح.

وأقـــــسمُ لو صـلحْتَ يمينَ شيءٍ لما صلحَ العـــبـــادُ له شِـــمَـــالا
أقلبُ منكَ طرفي في ســـمـــاءٍ وإنْ طلعتْ كـواكـبُـهـا خِـصـالا
وأعـجبُ منكَ كـيفَ قـدرْتَ تنشـا وقـد أُعطيتَ في المهـدِ الكَمـالا

obeikandl.com

الصاعقة السابعة والسبعون: أعلى الممالك ما يبنى على الأسلِ(*)

أَعْلى الممالكِ ما يبنى على الأسَلِ ... والطعنُ عند محبّيهنّ كالقبلِ

وما تقرُّ سيوفٌ في ممالكِها ... حتى تقلقلَ دهراً قبلُ في القللِ(١)

مثلُ الأميرِ بغى أمراً فقرَّبهُ ... طولُ الرماحِ وأيدي الخيلِ والإبلِ

وعزمةٌ بعثتْها همةٌ زحلٌ ... منْ تحتِها بمكانِ التُّربِ من زحلِ

على الفراتِ أعاصيرٌ وفي حلبٍ ... توحّشٌ لملقى النصرِ مقتبلِ

تتلو أسنتهُ الكتبَ التي نفذتْ ... ويجعلُ الخيلَ أبدالًا من الرسُلِ

يلقى الملوكَ فلا يلقى سوى جزرٍ ... وما أعدُّوا فلا يلقى سوى نفلِ

صانَ الخليفةُ بالأبطالِ مهجتَهُ ... صيانةَ الذَّكَرِ الهنديِّ بالخللِ

الفاعلُ الفعلَ لم يُفعلْ لشدَّته ... والقائلُ القولَ لم يتركْ ولم يُقلِ

والباعثُ الجيشَ قد غالتْ عجاجتُه ... ضوءَ النهارِ فصارَ الظهرُ كالطفلِ(٢)

الجوّ أضيقُ ما لاقاهُ ساطعُها ... ومقلةُ الشَّمس فيها أحيرُ المقلِ

ينالُ أبعدَ منها وهي ناظرةٌ ... فما تقابلُهُ إلا على وجلِ

قد عرَّضَ السيفَ دونَ النازلاتِ به ... وظاهرُ الحزمِ بينَ النفسِ والغيلِ

(*) مناسبة القصيدة: قالها عن مسير سيف الدولة لنصرة أخيه ناصر الدولة لما قصده معز الدولة بن الحسين الديلمي إلى الموصل.

(١) القلل: الرؤوس.

(٢) الطفل: آخر النهار.

ووكَّلَ الظنَّ بالأسرارِ فانكشفتْ ... له ضمائرُ أهلِ السهلِ والجبَلِ

هو الشجاعُ يعدّ البخلَ من جُبُنٍ ... وهو الجوادُ يعدُّ الجبنَ منْ بَخَلِ

يعودُ منْ كلِّ فتحٍ غيرَ مفتخرٍ ... وقدْ أغذ إليهِ غيرَ مُحتَفِلِ

ولا يجيرُ عليه الدهرُ بغيتَهُ ... ولا تحصّنُ درعٌ مهجَةَ البَطَلِ

إذا خلعتُ على عرضٍ له حُللًا ... وجدتُها منه في أبهَى من الحلَلِ

بذي الغباوة منْ إنشادها ضررٌ ... كما تضرُّ رياحُ الوردِ بالجُعَلِ[1]

لقد رأتْ كلُّ عينٍ منكَ مالئَها ... وجردتْ خيرَ سيفٍ خيرةُ الدّوَلِ

فما تكشّفُكَ الأعداءُ عن مللٍ ... من الحروبِ ولا الآراءُ عن زللِ

وكمْ رجالٍ بلا أرضٍ لكثرتهم ... تركتَ جمعهمُ أرضًا بلا رَجُلِ

ما زالَ طرفُك يجري في دمائِهمُ ... حتى مشى بكَ مشيَ الشاربِ الثَّمِلِ

يا من يسيرُ وحكمُ الناظرينَ له ... فيما يراهُ وحكمُ القلبِ في الجدلِ

إن السعادةَ فيما أنتَ فاعلُهُ ... وفقتَ مرتحلاً أو غيرَ مرتحلِ

أجرِ الجيادَ على ما كنتَ مجريَها ... وخذْ بنفسكَ في أخلاقكَ الأولِ

ينظرنَ منْ مقلٍ أدمى أحجّتَها ... قرعُ الفوارسِ بالعسَّالةِ الذُّبلِ

فلا هجمتَ بها إلا على ظفرٍ ... ولا وصلتَ بها إلا إلى أمَلِ

---

(١) الجُعَل: ضرب من الخنافس.

الصاعقة الثامنة والسبعون: بنا منكَ فوقَ الرملِ ما بك في الرملِ(*)

بنا منكَ فوقَ الرملِ ما بكَ في الرملِ ... وهذا الذي يُضني كذاكَ الذي يُبلي

كأنكَ أبصرتَ الذي بي وخفتَهُ ... إذا عشتَ فاخترتَ الحمامَ على الثُّكلِ

تركتَ خدودَ الغانياتِ وفوقَها ... دموعٌ تذيبُ الحسنَ في الأعينِ النجلِ

تبل الثرى سوداً منَ المسكِ وحدَه ... وقد قطرتْ حُمراً على الشعرِ الجثلِ(١)

فإنْ تكُ في قبرٍ فإنكَ في الحشا ... وإنْ تكُ طفلًا فالأسى ليسَ بالطفلِ

ومثلُك لا يُبكَى على قدرِ سنّه ... ولكنْ على قدرِ المخيلَةِ والأصلِ

ألستَ منَ القومِ الألى منْ رماحِهم ... نداهُمْ ومنْ قتلاهمُ مهجةُ البخلِ

بمولودِهمْ صمتُ اللسانِ كغيرِه ... ولكنَّ في أعطافِه منطقَ الفضلِ

تسليهمُ عليا‌ؤهُمْ عن مصابهمْ ... ويشغلُهُمْ كسبُ الثناءِ عنِ الشغلِ

أقلُّ بلاءٍ بالرّزايا منَ القنا ... وأقدمُ بينَ الجحْفلَين من النَّبْلِ

عزاءَكَ سيفَ الدولةِ المقتدى به ... فإنكَ نصلٌ والشدائدُ للنصلِ

مقيمُ من الهيجاءِ في كلِّ منزلٍ ... كأنكَ منْ كلِّ الصوارمِ في أهلِ

ولم أرَ أعصى منك للحزنِ عبرةً ... وأثبتَ عقلًا والقلوبُ بلا عقلِ

تخونُ المنايا عهدَهُ في سليله ... وتنصرُهُ بينَ الفوارسِ والرَّجلِ

(*) مناسبة القصيدة: قالها يرثي أبا الهيجاء عبدالله بن سيف الدولة بحلب.

(١) الجثل: الكثيف.

ويبقى على مرِّ الحوادثِ صبرُهُ ... ويبدو كما يبدو الفرندُ على الصقْلِ
ومنْ كانَ ذا نفسٍ كنفسكَ حرّةٍ ... ففيهِ لها مغنٍ وفيها له مُسلِ
وما الموتُ إلا سارقٌ دقّ شخصُهُ ... يصولُ بلا كفٍّ ويسعى بلا رجلِ
يردّ أبو الشبلِ الخميسَ عن ابنه ... ويسلمهُ عند الولادةِ للنملِ
بنفسي وليدٌ عادَ من بعدِ حملهِ ... إلى بطنِ أمٍّ لا تطرقُ بالحملِ[1]
بدا ولهُ وعدُ السحابةِ بالروى ... وصدّ وفينا غلةُ البلد المحلِ
وقد مدَّتِ الخيلُ العتاقُ عيونَها ... إلى وقتِ تبديلِ الرّكابِ منَ النَّعلِ
وريعَ لهُ جيشُ العدوّ وما مشى ... وجاشتْ له الحربُ الضروسُ وما تغلي
أيفطمُهُ التوارِبُ قبلَ فطامهِ ... ويأكلُهُ قبلَ البلوغُ إلى الأكلِ[2]
وقبلَ يرى من جودهِ ما رأيتَهُ ... ويسمعُ فيه ما سمعتَ منَ العذلِ
ويلقى كما تلقى من السلمِ والوغى ... ويُمسي كما تمسي مليكًا بلا مثلِ
تولّيه أوساطَ البلادِ رماحُهُ ... وتمنعُهُ أطرافُهن منَ العزلِ
أنبكي لموتانا على غيرِ رغبةٍ ... تفوتُ منَ الدّنيا ولا موهبٍ جزلِ
إذا ما تأمَّلتَ الزمانَ وصرْفَهُ ... تيقّنْتَ أنّ الموتَ ضربٌ من القتلِ
وما الدّهرُ أهلٌ أنْ تؤملَ عندهُ ... حَياةٌ وأن يُشتاقَ فيه إلى النسلِ

(١) التطريق: عسر الولادة.
(٢) التوارب: لغة في التراب.

الصاعقة التاسعة والسبعون: دروعٌ لملكِ الرومِ هذي الرسائلُ(*)

دروعٌ لملْكِ الرومِ هذي الرسائلُ ... يردُّ بها عن نفسِه ويشاغِلُ
هي الزردُ الضافي عليه ولفظُها ... عليكَ ثناءٌ سابغٌ وفضائلُ(١)
وأنى اهتدى هذا الرسولُ بأرضِه ... وما سكنتْ مذ سرتَ فيها القساطِلُ
ومن أيِّ ماءٍ كانَ يسقي جيادَهُ ... ولم تصفُ من مزجِ الدماءِ المناهِلُ
أتاكَ يكادُ الرأسُ يجحدُ عنقَهُ ... وتنقدّ تحتَ الدرعِ منهُ المفاصِلُ
يقوِّمُ تقويمُ السماطينِ مشيَهُ ... إليكَ إذا ما عوّجَتْهُ الأفاكِلُ(٢)
فقاسمكَ العينينِ منهُ ولحظُهُ ... سميُّكَ والخلُّ الذي لا تزايِلُ
وأبصرَ منك الرِّزقَ والرِّزقُ مطمعٌ ... وأبصرَ منه الموتَ والموتُ هائلُ
وقبَّلَ كمًّا قبّلَ التُّربَ قبلهُ ... وكلُّ كميٍّ واقفٌ متضائلُ
وأسعدُ مشتاقٍ وأظفرُ طالبٍ ... همامٌ إلى تقبيلِ كمِّكَ واصِلُ
مكانٌ تمناهُ الشفاهُ ودونَهُ ... صدورُ المذاكي والرماحُ الذوابِلُ(٣)
فما بلّغتْه ما أرادَ كرامةٌ ... عليكَ ولكنْ لم يخبْ لك سائلُ
وأكبرَ منه همةً بعثتْ به ... إليكَ العدى واستنظرَتْه الجحافِلُ

(*) مناسبة القصيدة: قالها يمدح سيف الدولة بعد دخول رسول الروم عليه.
(١) الضافي والسابغ: الطويل التام.
(٢) السماط: الصنف من الناس. الأفاكل: جمع أفكل: الرعدة من خوف أو برد.
(٣) المذاكي: الخيل المسنّة..

فأقبلَ من أصحابهِ وهو مرسلٌ ... وعادَ إلى أصحابِه وهو عاذلُ

تحيَّر في سيفٍ ربيعةُ أصلهُ ... وطابعُهُ الرحمنُ والمجدُ صاقلُ

وما لونُه ممّا تحصّلُ مقلةٌ ... ولا حدُّهُ مما تجسّ الأناملُ

إذا عاينتْكَ الرسلُ هانتْ نفوسُها ... عليْها وما جاءتْ به والمراسلُ

رجا الرومُ من تُرجى النوافلُ كلُّها ... لديه ولا تُرجى لديه الطَّوائلُ[1]

فإنْ كانَ خوفُ القتلِ والأسرِ ساقهم ... فقد فَعلوا ما القتلُ والأسرُ فاعلُ

فخافُوكَ حتى ما لقتلٍ زيادةٌ ... وجاؤوكَ حتى ما ترادُ السلاسلُ

أرى كلَّ ذي مُلْكٍ إليكَ مصيرُهُ ... كأنكَ بحرٌ والملوكُ جداولُ

إذا مطرتْ منهمْ ومنكَ سحائبٌ ... فوابلُهُمْ طلٌّ وطلُّك وابلُ

كريمٌ متى استوهبتَ ما أنتَ راكبٌ ... وقد لقحتْ حربٌ فإنكَ نازلُ

إذا الجود أعط الناس ما أنتَ مالكٌ ... ولا تعطينَّ الناسَ ما أنا قائلُ

أفي كلِّ يومٍ تحتَ ضبْني شويعرٌ ... ضعيفٌ يقاويني قصيرٌ يطاولُ[2]

لساني بنطقي صامتٌ عنه عادلٌ ... وقلبي بصمتي ضاحكٌ منه هازلُ

وأتعبُ منْ ناداكَ منْ لا تجيبُهُ ... وأغيظُ منْ عاداكَ منْ لا تشاكلُ

وما التيهُ طبي فيهمُ غيرَ أنني ... بغيضٌ إليّ الجاهلُ المتعاقلُ

وأكبرُ تيهي أنني بكَ واثقٌ ... وأكثرُ مالي أنني لكَ آملُ

---

(١) النوافل: العطايا يتبرع بها. الطوائل: الأحقاد.

(٢) الضبن: ما بين الإبط والكشح.

لعلَّ لسيفِ الدولةِ القرمِ هبةً ... يعيشُ بها حقٌّ ويهلكَ باطِلُ

رميتُ عداهُ بالقوافي وفضله ... وهنَّ الغوازي السالمات القواتِلُ

وقد زعموا أنَّ النجومَ خوالدٌ ... ولو حاربتْه ناحَ فيها الثواكِلُ

وما كان أدناها له لو أرادَهَا ... وألطفَهَا لو أنه المتناوِلُ

قريبٌ عليه كلُّ ناءٍ على الورَى ... إذا لثمتْه بالغبارِ القنابِلُ

تدبرُ شرقَ الأرضِ والغربَ كفُّهُ ... وليس لها وقتًا عن الجودِ شاغِلُ

يتتبّعُ هرَّابَ الرجالِ مرادَهُ ... فمنْ فرّ حربًا عارضتْه الغوائِلُ

ومنْ فرَّ منْ إحسانه حسدًا له ... تلقّاهُ منه حيثُما سار نائِلُ

فتًى لا يرى إحسانَه وهو كاملٌ ... له كاملًا حتى يُرى وهو شامِلُ

إذا العربُ العرباءُ رازتْ نفوسَها ... فأنت فتاهَا والمليكُ الحلاحِلُ

أطاعتْكَ في أرواحِها وتصرّفت ... بأمركَ والتفَّتْ عليك القبائِلُ

وكلُّ أنابيبِ القنا مددٌ له ... وما ينكتُ الفرسانَ إلا العوامِلُ

رأيتُكَ لو لم يقتضِ الطعنُ في الوغى ... إليكَ انقياداً لاقتضتْهُ الشمائِلُ

ومن لم تعلّمْهُ لكَ الذلَّ نفسُهُ ... من الناسِ طُرًّا علّمتْهُ المناصِلُ

الصاعقة الثمانون: أَبعَدُ نأيِ المَليحَةِ البَخَلُ(*)

أَبعَدُ نأيِ المَليحَةِ البَخَلُ ... في البُعدِ ما لا تُكَلَّف الإبلُ

مَلُولةٌ ما يَدومُ لَيسَ لَها ... مِنْ مَلَلٍ دائمٍ بِها مَلَلُ

كأنّما قدُّها إذا انْفَتَلَتْ ... سكرانُ من خمرِ طَرفِها ثَمِلُ

بي حَرُّ شوقٍ إلى تَرَشّقِها ... يَنفَصِلُ الصَّبرُ حين يَتَّصِلُ

الثَّغرُ والنَّحرُ والمُخَلخَلُ والـ ... ـمِعصَمُ دائي والفاحِمُ الرّجِلُ

ومِهمَهٍ جُبتُهُ على قَدَمي ... تَعجِزُ عَنهُ العَرامِسُ الذُّلُلُ(١)

بصارِمي مُرتَدٍ، بِمَخبُرَتي ... مُجتَزِئٍ، بالظلامِ مُشتَمِلُ

إذا صَديقٌ نَكِرتُ جانبَه ... لَم تُعيني في فِراقِه الحِيَلُ

في سَعَةِ الافقَين مُضطَرَب ... وفي بِلادٍ مِنْ أُختِها بَدَلُ

وفي اعتِمارِ الأميرِ بَدرِ بنِ عَمّـ ... ـارٍ عَنِ الشّغلِ بالوَرى شُغُلُ

أصبَحَ مالٌ كَمالِه لِذَوي الـ ... ـحاجَةِ لا يُبتَدا ولا يُسَلُ

هانَ عَلى قَلبِه الزَّمانُ فَما ... يَبينُ فيه غَمٌّ ولا جَذَلُ

يَكادُ مِنْ طاعَةِ الحِمامِ لَهُ ... يَقتُلُ من ما دَنا لَهُ الأَجَلُ

(*) مناسبة القصيدة: قالها يمدح أبا الحسين بدر بن عمار الأسدي، وقد قصده الطبيب، فغاص المبضع فوق حقه فأضرّ به.

(١) المهمه: المفازة. العرامس: النوق الصلاب.

يَكادُ مِنْ صِحَّةِ العَزيمةِ ما ... يَفعَلُ قَبْلَ الفِعالِ يَنفَعِلُ

تُعرَفُ في عَينِه حَقائقُهُ ... كأنّهُ بالذَّكاءِ مُكتَحِلُ

أُشفِقُ عِندَ اتّقادِ فِكرَتِهِ ... عَلَيهِ مِنها أخافُ يَشتَعِلُ

أَغَرُّ، أعداؤهُ إذا سَلِمُوا ... بالهَرَبِ استَكبَرُوا الذي فَعَلُوا

يُقبلُهُم وَجهَ كُلّ سابِحَةٍ ... أَربعُها قَبلَ طَرفِها تَصِلُ[1]

جَرداءَ مِلءِ الحِزامِ مُجفَرَةٍ ... تكونُ مِثلَي عَسيبِها الخُصَلُ[2]

إنْ أدبَرَت قُلتَ لا تَليلَ لها ... أو أقبَلَت قلتَ ما لها كَفَلُ[3]

والطَّعنُ شَزرٌ والأرضُ واجِفَةٌ ... كأنّما في فُؤادِها وَهَلُ

قَدْ صَبَغَتْ خَدَّها الدِّماءُ كَما ... يَصبُغُ خَدَّ الخَريدةِ الخَجَلُ

والخَيلُ تَبكي جُلُودُها عَرَقًا ... بأَدْمُعٍ ما تَسُحّها مُقَلُ

سارٍ ولا قَفرَ مِنْ مَواكِبِهِ ... كأنّما كلّ سَبسَبٍ جَبَلُ

يَمنَعُها أن يُصيبَها مَطَرٌ ... شِدّةُ ما قَدْ تَضايَقَ الأسَلُ

يا بَدرُ يا بحرُ يا غَمامَةُ يا ... لَيثَ الشرى يا حِمامُ يا رَجُلُ

إنّ البَنانَ الذي تُقَلِّبُهُ ... عِندَكَ في كلّ مَوضِعٍ مَثَلُ

إنَّكَ مِنْ مَعشَرٍ إذا وَهَبُوا ... ما دونَ أعمارِهم فَقَد بخِلُوا

---

(١) السابحة: الفرس.

(٢) المجفرة: الواسعة الجنبين. العسيب: عظم الذنب.

(٣) التليل: العنق.

قُلُوبُهُم في مَضاءِ ما امتَشَقُوا ... قاماتُهُمْ في تَمامِ ما اعتَقَلُوا

أنت نَقيضُ اسمِه إذا اختَلَفت ... قَواضِبُ الهِندِ والقَنا الذُّبُلُ

أنتَ لَعَمري البَدرُ المُنيرُ ولكِـ ... ـنكَ في حَومةِ الوَغى زُحَلُ[1]

كَتيبَةٌ لَستَ رَبَّها نَفَلٌ ... وبَلدَةٌ لَستَ حَليَها عُطُلُ[2]

قُصِدتَ من شَرقِها ومَغرِبِها ... حتى اشتَكتكَ الرِّكابُ والسُّبُلُ

لَم تُبقِ إلاّ قَليلَ عافِيَةٍ ... قد وَفَدَت تَجتَديكَها العِلَلُ

عُذْرُ المَلُومينَ فيكَ أنَهُما ... آسٍ جَبانٌ ومِبضَعٌ بَطَلُ[3]

مَدَدتُ في راحَةِ الطَّبيبِ يَداً ... فَما دَرى كَيفَ يُقطَعُ الأَمَلُ

إن يَكُنِ البَضْعُ ضَرَّ باطِنَها ... فَرُبَّما ضَرَّ ظَهرَها القُبَلُ

يَشُقّ في عِرقِها الفِصادُ ولا ... يَشقّ في عِرقِ جُودِها العَذَلُ

خامَرَهُ إذا مَدَدتَها جَزَعٌ ... كَأنّهُ مِنْ حَذافَةٍ عَجِلُ

جازَ حُدودَ اجتِهادِهِ فأتى ... غَيرَ اجتِهادٍ، لأُمّةِ الهَبَلُ

أَبلَغُ ما يُطلَبُ النّجاحُ بِهِ الـ ... ـطَبعُ وعندَ التَّعَمّقِ الزَّلَلُ

إرثِ لَها إنّها بِما مَلَكَتْ ... وبالذي قَدْ أَسَلتَ تَنهَمِلُ

مِثلُكَ يا بَدرُ لا يَكونُ ولا ... تَصْلُحُ إلاّ لِمِثلِكَ الدّوَلُ

---

(١) حومة الشيء: معظمه.

(٢) النفل: الغنيمة. العطل: التي لا حلي عليها.

(٣) المبضع: حديدة الفاصد.

الصاعقة الحادية والثمانون: ذي المعالي فليعلون من تعالى(*)

ذي العـالي فليـعلونْ منْ تَعَـالى ... هـكـذا هكـذا وإلا فَـــــلا لا

شـــرفٌ ينطحُ النجـومَ بروقـيـ ... ـه وعـــزٌ يقلقلُ الأجـبَـــالا

حـالُ أعـدائنا عظيمٌ وسـيفُ الـ ... ـدولةِ ابن السـيـوف أعظمُ حـالا

كلمـا أعـجلوا النذيرَ مـسـيـراً ... أعـجلتْـهُمْ جـيـادُهُ الإعـجَـالا

فـأتتْـهم خـوارقُ الأرضِ مـا تحـ ... ـملُ إلا الحـــديدَ والأبـطَـالا

خـافـيـاتُ الألوانِ قـدْ نسجَ النقـ ... ـعُ عليـهـا براقـعًـا وجـلالا

حـالفـتْـه صـدورُها والعـوالي ... لتـــخـــوضنَّ دونهُ الأهـوَالا

ولتـمـضنَّ حـيثُ لا يجـدُ الرمـ ... ـحُ مـداراً ولا الحـصـانُ مَـجَـالا

لا ألـومُ ابـنَ لاونٍ مـلـكَ الـرو ... مِ وإنْ كـانَ مـا تمنى مُـحَـالا

أقلقـتْـه بنيـةٌ بين أذنيْـ ... ـه وبانٍ بغى السـمـاءَ فَنَالا[1]

كلمـا رامَ حطَّهـا اتسعَ البنـ ... ـيُ فـغطى جـبـينَهُ والقَـذالا[2]

يجـمعُ الرومَ والصـقـالبَ والبلـ ... ـغـارَ فـيـهـا وتجـمعُ الآجَـالا

وتوافـيـهمُ بهـا في القنا السـمـ ... ـرِ كـمـا وافتِ العطاشُ الصِّلالا[3]

(*) مناسبة القصيدة: قالها يمدح سيف الدولة ويذكر نهوضه إلى ثغر الحدث لما بلغه أن الروم أحاطت به.

(١) البنية: القلعة. (٢) القذال: مؤخر الرأس.

(٣) الصلال: جمع صلة: أرض مطمورة بين أرضين لم يصبهما مطر.

قصدوا هدمَ سورِها فبنوهُ ... وأتوا كيْ يقصِّروهُ فطالا

واستجروا مكايدَ الحربِ حتى ... تركوها لهم عليهمْ وبالا

رُبّ أمرٍ أتاكَ لا تحمدُ الفعـ ... ـالَ فيه وتحمدُ الأفعالا

وقسيٍّ رُميتَ عنها فردَّتَ ... في قلوبِ الرُّماةِ عنكَ النّصالا

أخذوا الطُّرقَ يقطعونَ بها الرسـ ... ـلَ فكانَ انقطاعُها إرسالا

وهمُ البَحْرُ ذو الغوارب إلا ... أنهُ صارَ عندَ بحرِكَ آلا[1]

ما مضوْا لم يقاتلُوك ولكـ ... ـنَّ القتالَ الذي كفاكَ القتالا

والذي قطّع الرقابَ منَ الضر ... بِ بكفيكَ قطَّعَ الآمالا

والثباتُ الذي أجادوا قديمًا ... علَّمَ الثابتين ذا الإجفالا

نزلوا في مصارعٍ عرفُوها ... يندبونَ الأعمامَ والأخوالا

تحملُ الريحُ بينهم شعرَ الها ... مِ وتذري عليهمُ الأوصالا

تنذرُ الجسمَ أن يقومَ لديها ... فتريه لكلِّ عضوٍ مثالا

أبصرُوا الطعنَ في القلوبِ دراكًا ... قبلَ أن يُبصروا الرماحَ خَيالا

وإذا حاولتْ طعانَك خيلٌ ... أبصرتْ أذرعَ القنا أميالا

بسط الرعبُ في اليمينِ يمينًا ... فتولوْا وفي الشمالِ شمالا

ينفضُ الرَّوعُ أيديًا ليسَ تدري ... أسيوفًا حملنَ أم أغْلالا

---

(١) الغوارب: أعالي الموج.

ووجوهًا أخافَها منكَ وجهٌ ... تركتْ حسنها له والجَمالا

والعيانُ الجليُّ يحدثُ للظَّـ ... ـنّ زوالًا وللمُرادِ انتقالا

وإذا ما خلا الجبانُ بأرضٍ ... طلبَ الطعنَ وحدهُ والنّزالا

أقسموا لا رأوْكَ إلا بقلبٍ ... طَالما غرَّتِ العُيُونُ الرّجَالا

أيُّ عينٍ تأملتْكَ فلاقتْـ ... ـكَ وطرفٍ رنا إليكَ فآلا

ما يشكُّ اللعينُ في أخذكَ الجيـ ... ـشَ فهلْ يبعثُ الجيوشَ نَوالا

ما لمنْ ينصِبُ الحبائلَ في الأر ... ضِ ومرجاهُ أن يصيدَ الهِلالا

إن دونَ التي على الدّرب والأحـ ... ـدبِ والنهرِ مخلطًا مِزيالا[1]

غصبَ الدهرَ والملوكَ عليها ... فبناها في وجنةِ الأرضِ خَالا

فهي تمشي مشيَ العروسِ اختيالًا ... وتثنّى على الزمانِ دَلالا

وحمَاها بكلِّ مطَّردٍ الأكـ ... ـعبِ جورَ الزمانِ والأوْجَالا

وظبىً تعرفُ الحرامَ منَ الحـ ... ـلِّ فقدْ أفنتْ الدماءَ حَلالا

في خميسٍ من الأسودِ بئيسٍ ... يفترسْنَ النفوسَ والأموَالا

إنما أنفسُ الأنيسِ سباعٌ ... يتفارسْنَ جهرةً واغتيالا

من أطاقَ التماسَ شيءٍ غلابًا ... واغتصابًا لم يلتمسْهُ سُؤالا

كلُّ غادٍ لحاجةٍ يتمنى ... أن يكونَ الغضنفرَ الرّئبَالا

---

(١) مخلطاً مزيالاً: كثير المخالطة للأمور ومزايلتها.

الصاعقة الثانية والثمانون: لا الحُلمُ جادَ بهِ وَلا بِمِثالِهِ(*)

لا الحُلمُ جادَ بِهِ وَلا بِمِثالِهِ ... لَوْلا اذّكارُ وداعِهِ وزِيالِهِ(١)

إنّ المُعيدَ لَنا المَنامُ خيالَهُ ... كانَت إعادَتُهُ خَيالَ خيالِهِ

بِتنا يُناوِلُنا المُدامَ بِكَفِّهِ ... مَنْ لَيسَ يخطُرُ أنْ نَراهُ ببالِهِ

نجني الكواكبَ من قَلائِدِ جيدِهِ ... ونَنالُ عينَ الشمسِ من خَلخالِهِ

بنتُم عَنِ العينِ القَريحةِ فيكُمُ ... وسكَنتُمُ طَيّ الفُؤادِ الوالِهِ

فَدَنَوتُمُ ودُنُوُّكُم من عِندِهِ ... وَسَمَحتُمُ وسَماحُكُم من مالِهِ

إنّي لأَبغضُ طَيفَ مَن أحبَبتُهُ ... إذ كانَ يَهجرنا زَمانَ وِصالِهِ

مِثلُ الصبابَةِ والكآبَةِ والأسى ... فارَقتُهُ فَحَدَثنَ من تَرحالِهِ

وقَد استَقدتُ من الهَوى وأذَقتُهُ ... من عِفتي ما ذُقتُ مِنْ بَلبالِهِ(٢)

وَلَقد ذَخَرتُ لِكُلّ أرضٍ ساعَةً ... تَستَجفِلُ الضرغامَ عن أشبالِهِ

تَلقى الوُجوهُ بِها الوُجوهَ وبينَها ... ضَربٌ يَجولُ المَوْتُ في أجْوالِهِ

ولقد خبأتُ مِنَ الكَلامِ سُلافَهُ ... وسَقيتُ مَن نادَمتُ من جِريالِهِ(٣)

وإذا تَعَثَّرَتِ الجِيادُ بسَهلِهِ ... بَرَّزتُ غَيْرَ مُعَثَّرٍ بِحِبالِهِ

(*) مناسبة القصيدة: قالها يمدح سيف الدولة.

(١) الزيال: المفارقة.

(٢) البلبال: شدّة الهمّ.

(٣) السلاف: أجود الخمر. الجريال: دون السلاف في الجودة.

وحَكَمتُ في البَلدِ العَراء بناعجٍ ... مُعتاده مُجتابه مُغتاله[١]

يَمشي كَما عَدَتِ المَطيّ وَراءَهُ ... ويَزيدُ وَقتَ جَمامِها وكَلاله

وتُراعُ غَيرَ مُعَقَّلاتٍ حَولَهُ ... فَيَقُوتُها مُتَجَفلًا بعقاله

فَغَدا النّجاحُ وراحَ في أخفافِه ... وَغدا المراحُ وراحَ في أرقالِه[٢]

وشركتُ دَولَةَ هاشمٍ في سَيفِها ... وشققتُ خيس المُلك عن رئباله[٣]

عن ذا الذي حُرِمَ اللّيوثُ كمالَه ... يُنسي الفريسَةَ خَوفَهُ بجماله

وتَواضَعُ الأُمَراءُ حَولَ سَريرِه ... وتُري المَحَبّةَ وهيَ من آكاله[٤]

ويُميتُ قَبلَ قِتالِه ويَبَشّ قَبْـ ... ـلَ نَوالِه ويُنيلَ قَبْلَ سُؤاله

إنّ الرّياحَ إذا عَمَدْنَ لناظرٍ ... أغناهُ مُقبلُها عَنِ استعجاله

أعطى ومَنَّ على المُلُوك بعَفوِه ... حتى تساوى النّاسُ في إفضاله

وإذا غَنُوا بعَطائِه عَنْ هَزّه ... والى فأغنى أن يَقُولوا وَالِه

وكأنّما جَدواهُ مِنْ إكثاره ... حَسَد لسائِله على إقلاله

غَرَبَ النّجومُ فغُرنَ دونَ همومه ... وطَلَعنَ حينَ طَلَعنَ دونَ مَناله

واللهُ يُسعِدُ كلّ يومٍ جَدَّهُ ... ويزيدُ مِنْ أعدائِه في آله

---

(١) الناعج: الأبيض الكريم من الإبل.

(٢) الإرقال: الإسراع.

(٣) الرئبال: الأسد. الخيس: أجمّته.

(٤) الآكال: الأرزاق.

لَو لَم تكُن تَجري على أسيافِهِ ... مُهَجاتُهُم لجَرَت على إقبالِهِ

لم يَترُكُوا أثَرًا عَلَيه منَ الوَغى ... إلاّ دِماءَهُمُ عَلى سِربالِهِ

فَلمِثله جَمَعَ العَرَمرَمُ نَفسَهُ ... وبِمِثلِهِ انفَصَمَت عُرى أقتالِهِ

يا أيّها القَمَرُ المُباهي وَجهَهُ ... لا تُكذَبَنَّ فلستَ من أشكالِهِ

وإذا طَمى البحرُ المُحيطُ فقُل لَهُ ... دَعْ ذا فإنَّكَ عاجِزٌ عَنْ حالِهِ

وَهبَ الذي وَرِثَ الجدودَ وما أرى ... أُفعالَهُمْ لابنٍ بِلا أفعالِهِ

حتى إذا فني التُّراثُ سِوى العُلى ... قَصَدَ العُداةَ من القَنا بطوالِهِ

وبأرعَنٍ لَبسَ العَجاجَ إليهِمِ ... فَوقَ الحَديدِ وَجَرَّ من أذيالِهِ[1]

فكأنّما قَذيَ النّهارُ بنَقعِهِ ... أو غَضّ عَنهُ الطَّرفَ من إجلالِهِ

الجَيشُ جيشُكَ غيرَ أنَّكَ جيشُهُ ... في قَلبِهِ وَيَمينِهِ وشِمالِهِ

تَردُ الطّعانَ المُرّ عَنْ فُرسانِهِ ... وتُنازِلُ الأبطالَ عَن أبطالِهِ

كُلٌّ يُريدُ رِجالَهُ لحَياتِهِ ... يا مَن يُريدُ حَياتَهُ لِرِجالِهِ

دونَ الحَلاوَةِ في الزّمانِ مَرارَةٌ ... لا تُخطَى إلاّ على أهوالِهِ

فلذاك جاوزها عليٌّ وحدهُ ... وسعى بُمنصلِهِ إلى آمالِهِ

(١) الأرعن: الجيش العظيم المضطرب.

الصاعقة الثالثة والثمانون: صلة الهجر لي وهجرُ الوصالِ(*)

صلةُ الهجرِ لي وهجرُ الوصالِ ... نكساني في السُّقمِ نُكسَ الهِلالِ
فغدا الجسمُ ناقصًا والذي ينـ ... ـقصُ منهُ يزيدُ في بلبالي
قفْ على الدِّمنتين بالدّوّ من ريـ ... ـا كخالٍ في وجنةٍ جنبَ خالِ(١)
بطلولٍ كأنهنّ نجومٌ ... في عراصٍ كأنهنّ ليالِ
ونؤيّ كأنهنّ عليهـ ... ـنّ خدامٌ خُرسٌ بسوقٍ خدالِ(٢)
لا تلمني فإنني أعشقُ العشـ ... ـاق فيها يا أعذلَ العذالِ
ما تريدُ النوى من الحيّةِ الذوّ ... اقِ حرّ الفلا وبردَ الظّلالِ
فهو أمضى في الروعِ من ملَكِ المو ... تِ وأسرى في ظُلمةٍ من خيالِ
ولحتفٍ في العزّ يدنو محبٌّ ... ولعمرٍ يطولُ في الذلّ قالِ
نحن ركبٌ ملحنٌ في زيٍّ ناسٍ ... فوقَ طيرٍ لها شخوصُ الجمالِ
من بناتِ الجديلِ تمشي بنا في الـ ... ـبيدِ مشيَ الأيامِ في الآجالِ(٣)
كل هوجاءَ للدياميمِ فيها ... أثرُ النارِ في سليطِ الذبالِ(٤)

(*) مناسبة القصيدة: قالها يمدح عبدالرحمن بن المبارك الأنطاكي.
(١) الدمنة: ما تلبّد من آثار الديار. الدو: الصحراء. ريا: اسم الحبيبة.
(٢) النؤي: الحفرة حول الخباء تمنع السيل. الخدام: الخلاخيل. الحذال: الغلاظ.
(٣) الجديل: الفحل الكريم.
(٤) الدياميم: الصحاري.

عـامـداتٍ للبـدرِ والبـحـرِ والضِّـر ... غـامـةِ ابنِ المبـارك المفـضـالِ
من يـزرْهُ يزرْ سليـمـانَ في الملـ ... ـكِ جـلالًا ويوسـفًـا في الجـمـالِ
وربيـعًـا يضـاحكُ الغـيثُ فـيـه ... زهرَ الشكـرِ من رياضِ المعـالي
نفـحـتْنا منه الصـبـا بنسـيمٍ ... ردّ روحًـا في مـيِّتِ الآمـالِ
همٌّ عـبـدِ الرحـمنِ نفعُ الموالي ... وبـوارُ الأعـداءِ والأمـوالِ
أكـبـرُ العيبِ عندهُ البـخلُ والطعـ ... ـنُ عليـه التـشـبـيـهُ بالرئبـالِ
والجـراحـاتُ عندهُ نعـمـاتٌ ... سـبـقتْ قـبلَ سـيـبـه بسـؤالِ
ذا السـراجُ المنيـرُ هذا النقيُّ الـ ... ـجـيبِ هذا بـقـيـةُ الأبدالِ
فـخـذا مـاءَ رجلهِ وانضـحـا في الـ ... ـمـدْنِ تـأمـنْ بـوائقَ الزلـزالِ
وامـسـحـا ثوبَهُ البـقـيـرَ على دا ... ئكُمـا تـشـفَـيَـا من الإعـلالِ[1]
مـالئًـا منْ نوالهِ الشـرقَ والغـر ... بَ ومنْ خـوفِـه قلوبَ الرجـالِ
قـابضًـا كـفّـهُ اليـمينَ على الدنـ ... ـيـا ولوْ شـاء حـازها بالشـمـالِ
نفـسُـهُ جـيـشُـهُ وتدبيـرُهُ النصـ ... ـرُ وألحـاظُهُ الظبى والعـوالي
وله في جـمـاجمِ المالِ ضـربٌ ... وقـعُـهُ في جـمـاجمِ الأبطالِ
فـهـمْ لاتقـائه الدهرَ في يو ... مِ نـزالٍ ولـيـسَ يـوم نـزالِ
رجلٌ طيـنُـهُ منَ العنبـرِ الور ... دِ وطينُ العـبـادِ منْ صلصـالِ

(١) البقير: قميص لا أكمام له تلبسه النساء.

فـبـقـيـاتُ طينِه لاقتِ الما ءَ فـصـارتْ ركـانة في الزُّلالِ
وبقـايا وقـارِه عـافَتِ النّا س فـصارتْ ركـانةً في الجبـالِ
لستُ ممنْ يغـرّهُ حـبُّك السّلـ ـمَ وأنْ لا نرى شـهـودَ القـتـالِ
ذاك شيءٌ كـفـاكـهُ عـيشُ شانيـ ـكَ ذلـيـلًـا وقـلـةُ الأشـكـالِ
واغـتـفـارٌ لو غـيَّـرَ السُّـخطُ منهُ جـعلتْ هامُـهُمْ نعـالَ النّعـالِ
لجـيـادٍ يدخلنَ في الحـربِ أعـرا ءً ويخـرجنَ من دمٍ في جـلالِ
واسـتـعـارَ الحـديدُ لونًا وألقى لـونَـهُ في ذوائبِ الأطفـالِ
أنتَ طوراً أمـرٌ منْ ناقعِ السّمّ وطوراً أحلى منَ السلسـالِ
إنما الناسُ حـيثُ أنتَ ومـا النّا سُ بناسٍ في مـوضعٍ منكَ خـالِ

الصاعقة الرابعة والثمانون: إثلِث! فإنّا أيّها الطَّلَلُ(*)

إثلِث ! فـــإنّا أيّهـــا الطَّلَلُ ... نَبكِي وتُرزِمُ تَحـــتَنا الإبلُ(١)
أو لا فَـــلا عـــتبٌ عَلى طَلَلٍ ... إنّ الطّلُولَ لِمثلِهـــا فُـــعُلُ
لَوْ كُنتَ تَنطِقُ قُلتَ مُـعتَـذِرًا ... بِي غَـيـرُ مـا بِكَ أيّهـا الرّجُلُ
أبكاكَ أنّكَ بَعضُ مَن شَـغَـفُـوا ... لَم أبكِ أنّي بَعضُ مَن قَـتَلُوا
إنّ الـذيـنَ أقَـــمتَ وارتَحَلُوا ... أيّـامُـــهُم لِـديـارِهِـمْ دُوَلُ
الحُـسنُ يَرحَلُ كُلمـا رَحَلوا ... مَـعَـهُم ويَنزِلُ حَـيـثُـمـا نَزَلُوا
في مُـقلَتي رَشَـإٍ تُديرُهُمـا ... بَدَويّة فُـتنت بهـا الحِلَلُ(٢)
تَشكُو المَطاعمُ طولَ هِجـرَتِهـا ... وصُـدودِها وَمَنِ الذي تَصِلُ
مـا أسـأرَتْ في القَـعبِ مِن لَبَنٍ ... تَركَـتـهُ وهوَ المسكَ والعَسَلُ(٣)
قـالت ألا تَصحُـو فَـقُلْتُ لَهـا ... أعلمـتني أنّ الهَـوى ثَمَلُ
لَوْ أنّ فَنّاخُـسْـرَ صَـبّـحَكُمْ ... وَبَرزَتِ وَحـدَكِ عـاقَـهُ الغَـزَلُ
وَتَفـرّقَت عَنكُم كَـتـائبُـهُ ... إنّ المِلاحَ خَـوادِعٌ قُـتُـلُ
مـا كُنتِ فـاعِلَةً وضَـيـفُكُمُ ... مَلِكُ المُلُوكِ وشـأنُكِ البَـخْلُ

(*) مناسبة القصيدة: قالها يمدح عضد الدولة، ويذكر وقعة مع وهشوذان بن محمد الكردي بالطرم.
(١) إثلث: كن ثالثاً. ترزم: تحن.
(٢) الحلل: جمع حلة: القوم النزول.
(٣) أسأرت: تركت. القعب: الكأس.

أتُمنَعينَ قِرًى فتَفتَضِحي ... أمْ تبذِلينَ لَهُ الذي يَسَلُ

بَل لا يَحِلّ بحَيثُ حَلَّ بِهِ ... بُخْلٌ ولا خَوَرٌ ولا وَجَلُ

مَلِكٌ إذا ما الرُّمحُ أَدرَكَهُ ... طَنَبٌ ذَكَرناهُ فَيَعتَدِلُ[1]

إنْ لَم يَكُنْ مَن قَبلَهُ عَجَزُوا ... عَمّا يَسُوسُ بِهِ فَقَد غَفَلُوا

حتى أتى الدُّنيا ابنُ بَجدَتِها ... فَشكا إليهِ السّهلُ والجَبَلُ[2]

شكوى العَليلِ إلى الكَفيلِ لهُ ... أن لا تَمُرّ بجِسمِهِ العِلَلُ

قالت فَلا كَذَبَتْ شَجاعَتُهُ ... أقدِمْ فنَفسُكَ ما لَها أجَلُ

فَهُوَ النّهايَةُ إنْ جَرى مَثَلٌ ... أو قيلَ يوم وغى من البطل

عُدَدُ الوُفُودِ العامِدينَ لَهُ ... دونَ السّلاحِ الشكلُ والعُقُلُ

فَلِشُكلِهِم في خَيلِهِ عَمَلٌ ... ولِعُقلِهِم في بُختِهِ شُغُلُ[3]

تُمسِي على أيدي مَواهِبِهِ ... هِيَ أو بَقِيّتُها أو البَدَلُ

يُشتاقُ مِنْ يَدِهِ إلى سَبَلٍ ... شَوقًا إليهِ يَنبُتُ الأسَلُ

سَبَلٌ تَطُولُ المكرُماتُ بِهِ ... والمَجدُ لا الحَوذانُ والنَّفَلُ[4]

وإلى حَصى أرضٍ أقامَ بِها ... بالناسِ مِن تقبيلِهِ يلل[5]

---

(١) الطنب: الاعوجاج.

(٢) ابن بجدتها: الخبير بأمرها.

(٣) البخت: الإبل الخراسانية.

(٤) الحوذان والنفل: نوعان من النبات.

(٥) اليلل: قصر الأسنان.

إنْ لم تُخالِطْهُ ضَواحِكُهُمْ ... فَلِمَن تُصانُ وتُذخَرُ القُبَلُ

في وَجهِهِ مِنْ نُورِ خالِقِهِ ... غُرَرٌ هِيَ الآياتُ والرُّسُلُ

فإذا الخَميسُ أبى السجود له ... سَجَدَت لَهُ فيهِ القَنا الذُّبُلُ

وإذا القلوب أبَت حُكُومَتَهُ ... رَضِيَت بحُكم سُيُوفِهِ القُلَلُ

أرَضِيتَ وهشُوذانُ ما حَكَمَتْ ... أم تَستَزيدَ لأمّكَ الهَبَلُ

وَرَدَت بِلادَكَ غَيرَ مُغمَدَةٍ ... وكأنَّها بَينَ القَنا شُعَلُ

والقَومُ في أعيانِهِم خَزَرٌ ... والخَيْلُ في أعيانِها قَبَلُ[1]

فأتَوكَ ليسَ بِمَن أتَوا قِبَلٌ ... بِهِمِ ولَيس بِمَن نَأوْا خَلَلُ

لَم يَدرِ مَنْ بالرّيّ أنّهُمُ ... فَصَلُوا ولا يَدري إذا قَفَلُوا

وأتيتَ مُعتَزِمًا ولا أَسَدٌ ... ومَضَيتَ مُنهَزِمًا ولا وَعِلُ

تُعطِي سِلاحَهُمُ وراحَهُمُ ... ما لَمْ تَكُنْ لِتَنالَهُ المُقَلُ

أسخى المُلُوكِ بِنَقلِ مَملَكَةٍ ... مَنْ كادَ عَنهُ الرّأسُ يَنتَقِلُ

لَولا الجَهالَةُ ما دَلَفتَ إلى ... قَومٍ غَرِقتَ وإنّما تَفَلُوا

لا أقبَلُوا سِرًّا ولا ظَفِرُوا ... غَدْرًا ولا نَصَرَتهُمُ الغِيَلُ

لا تَلْقَ أفرَسَ مِنكَ تَعرِفُهُ ... إلاّ إذا ما ضاقَتِ الحِيَلُ

لا يَستَحي أحَدٌ يُقالُ لَهُ ... نَضَلُوكَ آلُ بُوَيهِ أوْ فَضَلُوا

---

(١) خزر: ضيق العيون.

قَـدَرُوا عَـفَـوًا وعـدوا وَفَـوا سُئِلوا ... أَغنَـوْا عَلَوا أعلَوْا وَلُوا عَـــدَلُوا

فَـوقَ السّـمـاء وَفَـوقَ مـا طَلَبُـوا ... فـــإذا أرادوا غـــايَـةً نَـزَلُـوا

قَطَعَتْ مكارِمُـهُم صَـوارِمَـهمْ ... فـــإذا تَعَـــذَّرَ كـــاذِبٌ قَـبِلُوا

لا يشـهـرُونَ على مُـخـالِفِـهِم ... سَـيـفًـا يَقُـومُ مَـقـامَـهُ العَـذَلُ

فـــأَبُـو عَلِيٍّ مَنْ بِهِ قَـــهَـــرُوا ... وأَبُو شُـجـاعٍ مَنْ بِهِ كَـمَلُوا[1]

حَلَفَتْ لِذا بَرَكـاتُ غُـرّةِ ذا ... في المَهْـدِ أن لا فـاتَهُ أَمَلُ

(١) أبو علي: ركن الدولة والد أبي شجاع عضد الدولة.

الصاعقة الخامسة والثمانون: أَيَقدَحُ في الخَيمَةِ العُذَّلُ(*)

أَيَقدَحُ في الخَيمَةِ العُذَّلُ ... وَتَشمَلُ مَن دَهرَها يَشمَلُ
وَتَعلُو الذي زُحَلٌ تحتَهُ ... مُحالٌ لَعَمرُكَ ما تُسأَلُ
فَلِمْ لا تَلُومُ الذي لامَها ... وَما فَصُّ خاتَمِهِ يَذبُلُ(١)
تَضيقُ بِشَخصِكَ أرجاؤها ... وَيَركُضُ في الواحِدِ الجَحفَلُ
وتَقصُرُ ما كُنتَ في جَوفِها ... وَيُركَزُ فيها القَنا الذُّبَّلُ
وَكَيفَ تَقُومُ على راحةٍ ... كَأنَّ البِحارَ لَها أُنمُلُ
فَلَيسَت وَقارَكَ فَرَّقتَهُ ... وَحَمَّلتَ أرضَكَ ما تَحمِلُ
فَصارَ الأنامُ بِهِ سادَةً ... وَسُدتَهُمُ بالذي يَفضُلُ
رَأت لَونَ نُورِكَ في لَونِها ... كَلَونِ الغَزالَةِ لا يُغسَلُ
وأنّ لها شَرَفًا باذِخًا ... وأنّ الخِيامَ بِها تَخجَلُ
فَلا تُنكِرَن لَها صَرعَةً ... فَمِن فَرَحِ النّفسِ ما يَقتُلُ
وَلَو بُلِّغَ النّاسُ ما بُلِّغَت ... لخانَتهُمُ حَولَكَ الأرجُلُ
ولَمّا أَمَرتَ بتَطنيبِها ... أُشيعَ بأنّكَ لا تَرحَلُ(٢)

(*) مناسبة القصيدة: ضربت لسيف الدولة خيمة عظيمة، فهبّت ريح شديدة فسقطت فقال هذه القصيدة.

(١) يذبل: اسم جبل.

(٢) التطنيب: شدة الإطناب.

فَما اعتَمَدَ اللهُ تَقويضَها ... وَلَكِن أشارَ بِما تَفعَلُ

وَعَرَّفَ أَنَّكَ مِن هَمِّهِ ... وَأَنَّكَ في نَصْرِهِ تَرفُلُ

فَما العانِدُونَ وَما أدرَكوا ... وَما الحاسِدُونَ وَما قَوَّلُوا

هُمُ يَطلُبُونَ فَما أدرَكوا ... وَهُم يَكذِبُونَ فَمَن يَقبَلُ

وَهُمْ يَتَمنونَ ما يَشتَهُونَ ... وَمن دونِهِ جَدُّكَ المُقبِلُ

وَمَلمُومَةٍ زَرَدٌ ثَوبُها ... وَلَكِنَّهُ بِالقَنا مُخمَلُ[1]

يُفاجِئُ جَيشًا بِها حَينُهُ ... وَيُنذِرُ جَيشًا بِها القَسطَلُ

جَعَلتُكَ في القَلبِ لي عُدَّةً ... لِأَنَّكَ في اليَدِ لا تُجعَلُ

لَقَد رَفَعَ اللهُ مِن دَولَةٍ ... لَها مِنكَ يا سَيفَها مُنصُلُ

فَإِن طُبِعَت قَبلَكَ المُرهَفاتُ ... فَإِنَّكَ مِن قَبلِها المِقصَلُ

وَإِن جادَ قَبلَكَ قَومٌ مَضَوا ... فَإِنَّكَ في الكَرَمِ الأَوَّلُ

وَكَيفَ تُقَصِّرُ عَن غايَةٍ ... وَأُمّكَ مِن لَيثِها مُشبِلُ

وَقَد وَلَدَتكَ فَقالَ الوَرى ... أَلَم تَكُنِ الشَمسُ لا تُنجَلُ

فَتَبًّا لِدينِ عَبيدِ النُجومِ ... وَمَن يَدَّعي أَنَّها تَعقِلُ

وَقَد عَرَفَتكَ فَما بالُها ... تَراكَ تَراها وَلا تَنزِلُ

وَلَو بِتَّما عِندَ قَدرَيكُما ... لَبِتَّ وَأَعلاكُما الأَسفَلُ

---

(١) الملمومة: صفة لفرقة من الجيش.

الصاعقة السادسة والثمانون: ما أجدَرَ الأيّامَ واللّيالِي(*)

مـــا أجـــدَرَ الأيّامَ واللّيـــالي ... بأنْ تَقُـــولَ مـــا لهُ ومَـــا لِي
لا أنْ يكـونَ هكذا مَـــقـــالي ... فَـــتًى بنيـــرانِ الحُـــروبِ صـــالِ
منهـا شَـرابي وبهـا اغـتـسـالي ... لا تَحظُرُ الفَـحـشـاءُ لِي ببـالِ
لَـوْ جَـــذَبَ الزّرّادُ مِنْ أذيـالِي ... مُـخَـيـرًا لِي صَنعَـتِي سِـربالِ
مـا سُـمـتُـهُ زَردَ سـوى سِـروالِ ... وكَـــيْفَ لا وإنّمـــا إدلالي
بفـارِسِ المَجـرُوحِ والشَّـمـالِ ... أبي شُـجـاعٍ قـاتِلِ الأبطالِ[1]
سـاقي كُـؤوسِ المَوتِ والجِـريالِ ... لـمّـا أصـارَ القُـفْصَ أمسِ الخـالِي
وَقَـتَّلَ الكُردَ عَنِ القِـتـالِ ... حـتى اتّقَتْ بالفَـرّ والإجـفـالِ
فَـهـالـكٌ وطائِعٌ وَجّـالِ ... واقـتَنَصَ الفُـرسـانَ بالعَـوالِي
والعُـتُقِ المُحـدَثَةِ الصّـقـالِ ... سـارَ لصَـيـدِ الوَحشِ في الجِـبـالِ
وَفِي رِقـاقِ الأرضِ والرّمـالِ ... على دِمـاءِ الأنسِ والأوصـالِ
مُنفَـرِدَ المُهـرِ عَنِ الرّعـالِ ... مِنْ عِظَمِ الهِـمَّـةِ لا المَلالِ[2]
وَشِـدّةِ الضِّنّ لا الاسـتِـبـدالِ ... مـا يَتَـحَـرّكنَ سِـوى انسِـلالِ

(*) مناسبة القصيدة: قالها يمدح عضد الدولة، ويذكر خروجه للصيد بموضع يعرف بدشت الأرزن.
(١) المجروح والشمائل: فرسان كانا لعضد الدولة.
(٢) الرعال: القطيع من الخيل نحو العشرين.

فَهُنّ يُضربنَ على التَّصهالِ ... كُلُّ عَليلٍ فَوقَها مُختالِ

يُمسِكُ فاهُ خَشيَةَ السُّعالِ ... من مَطلعِ الشَّمسِ إلى الزّوالِ

فَلَمْ يَئِلْ ما طارَ غَيرَ آلِ ... وَما عَدا فانغَلّ في الأدغالِ[١]

وَما احتَمى بالماء والدِّحالِ ... منَ الحرامِ اللحْمِ والحلالِ[٢]

إنّ النّفُوسَ عَددُ الآجالِ ... سَقيًا لدَشتِ الأرزَنِ الطُّوالِ[٣]

بَينَ المُروجِ الفيحِ والأغيالِ ... مُجاورِ الخِنزيرِ للرّئبالِ

دانِي الخَنانيصِ منَ الأشبالِ ... مُشتَرِفِ الدّبّ على الغَزالِ[٤]

مجتمع الأضداد والأشكال ... كأنّ فَنّاخُسرَ ذا الإفضالِ

خافَ عَليها عَوزَ الكَمالِ ... فَجاءَها بالفيلِ والفَيّالِ

فَقيدَت الأيّلُ في الحبالِ ... طَوعَ وُهُوقِ الخَيلِ والرّجالِ[٥]

تَسيرُ سَيرَ النَّعَمِ الأرسالِ ... مُعتَمَّةً بيَبسِ الأجذالِ

وُلِدْنَ تَحتَ أثقَلِ الأحْمالِ ... قَدْ مَنَعَتهُنَّ منَ التّفالِي

لا تَشرَكُ الأجسامَ في الهُزالِ ... إذا تَلَفّتنَ إلى الأظلالِ

أرَينَهُنّ أشنعَ الأمثالِ ... كأنّما خُلِقنَ للإذلالِ

---

(١) لم يئل: لم ينج. انغلّ: دخل.

(٢) الدحال: الشقوق في الأودية.

(٣) دشت الأرزن: اسم موضع بشيراز.

(٤) الخنانيص: جمع خنوص: ولد الخنزير. مشترف: مشرف.

(٥) الوهوق: جمع وهق: الحبل الذي تؤخذ فيه الدابة وغيرها.

زيادةً في سُبّةِ الجُهّالِ ... والعُضْوُ لَيسَ نافِعًا في حالِ
لِسائرِ الجِسمِ مِنَ الخَبالِ ... وأوفَتِ الفُدْرُ مِنَ الأوعالِ[1]
مُرتَدِياتٍ بِقِسيّ الضّالِ ... نَواخِسَ الأطرافِ للأكفالِ[2]
يَكَدنَ يَنفُذنَ مِنَ الآطالِ ... لها لحى سود بلاسبالِ
يَصلُحنَ للإضحاكِ لا الإجالِ ... كلُّ أثيثٍ نَبتُها مِتفالِ
لَم تُغذَ بالمِسكِ ولا الغَوالي ... تَرضى مِن الأدْهانِ بالأبوالِ
وَمِنْ ذَكِيّ الطّيبِ بالدَّمالِ ... لَوْ سُرّحَتْ في عارِضَي مُحتالِ[3]
لَعَدّها من شبكاتِ المالِ ... بَينَ قُضاةِ السّوءِ والأطفالِ
شَبيهَةِ الإدْبارِ بالإقبالِ ... لا تُوثِرُ الوَجهَ على القَذالِ
فاختَلَفَتْ في وابِلَي نِبالِ ... مِنْ أسفَلِ الطَّودِ ومن مُعالِ
قَدْ أودَعَتْها عَتَلُ الرّجالِ ... في كلّ كَبدٍ كَبدَيْ نِصالِ
فهُنّ يَهوِينَ مِنَ القِلالِ ... مَقلُوبَةَ الأظلافِ والإرقالِ[4]
يُرقِلْنَ في الجَوِّ على المَحالِ ... في طُرُقٍ سَرِيعَةِ الإيصالِ
يَنمِنَ فيها نِيمَةَ المِكسالِ ... على القُفيّ أعجَلَ العِجالِ

(١) الفدر: جمع فدور: المسنّ من الأوعال.
(٢) الضال: نوع من الشجر.
(٣) الدمال: الزبل.
(٤) الإرقال: ضرب من العَدْو.

لا يَتشكَّينَ من الكلالِ ... ولا يُحاذِرنَ من الضّلالِ

فكان عَنها سَبَبَ التّرحالِ ... تشويقُ إكثارٍ إلى إقلالِ

فَوحشُ نَجدٍ منهُ في بَلبالِ ... يَخفِنَ في سَلمى وفي قِيالِ[١]

نَوافرَ الضِّبابِ والأورالِ، ... والخاضِباتِ الرُّبدِ والرّئالِ[٢]

والظّبيِ والخَنساءِ والذَّيّالِ ... يَسمَعنَ من أخبارِهِ الأزوالِ[٣]

ما يَبعَثُ الخُرسَ على السّؤالِ ... فَحُولُها والعُوذُ والمتالي

تَودّ لَوْ يُتحِفُها بوالِ ... يَركَبُها بالخُطمِ والرِّحالِ

يُومِنُها مِنْ هَذِهِ الأهْوالِ ... وَيَخمُسُ العُشْبَ وَلا تُبالي

وَماءَ كُلّ مُسبِلٍ هَطّالِ ... يا أقدَرَ السُّفّارِ والقُفّالِ

لَوْ شئتَ صِدتَ الأسدَ بالثّعالي ... أو شِئتَ غرّقت العدى بالآلِ

ولَو جَعَلتَ مَوضِعَ الإلالِ ... لآلِئًا قَتَلتَ بالّلآلي[٤]

لَم يبقَ إلاّ طَرَدُ السَّعالي ... في الظّلَمِ الغائِبَةِ الهِلالِ[٥]

على ظُهُورِ الإبلِ الأُبّالِ ... فَقَد بَلَغتَ غايَةَ الآمالِ[٦]

فَلَمْ تَدَعْ منها سِوى المُحالِ ... في لا مكانٍ عِندَ لا مَنالِ

---

(١) سلمى وقيال: اسما جبلين.

(٢) الأورال: جمع ورل: حيوان صغير كالضب. الخاضبات: ذكور النعام.

(٣) الذيال: الثور الوحشي. الأزوال: الظريفة المعجبة.

(٤) الإلال: الحرب.

(٥) السعالي: جمع سعلاة: الغول. الظلم: ثلاث ليالٍ من أواخر الشهر.

(٦) الأبّال: التي تستغني عن الماء بالرطب.

يا عَـــضُـــدَ الدّوْلَةِ والمَعـــالِي ... النّسَبُ الحَلْيُ وأنتَ الحـــالِي
بالأَبِ لا بالشَّنْفِ والخَلخـــالِ ... حَليًـــا تَحَلّى مِنكَ بالجَـمـــال[1]
وَرُبّ قُـــبـــحٍ وحِلًى ثِقـــالِ ... أَحسَنُ منهـا الحُسنُ في المِعطالِ
فَـخـرُ الفَـتى بالنَّفسِ والأفـعـالِ ... مِنْ قَـــبلِهِ بالعَمّ والأخـــوالِ

(١) الشنف: القرط الأعلى.

obeikandl.com

الصاعقة السابعة والثمانون: فؤادٌ ما تسلّيهِ المدامُ(*)

فـــؤادٌ مـــا تسلّيـــهِ المدامُ ... وعـــمـــرٌ مـــثلُ مـــا تهبُ اللئـــامُ

ودهـرٌ ناسُـــهُ ناسٌ صـــغـــارٌ ... وإنْ كـانتْ لهمْ جُـثثٌ ضـخـامُ

ومـــا أنا منهمُ بالعـيشِ فـيـهم ... ولكنْ مـــعـــدنُ الذهبِ الرَّغـــامُ

أرانـبُ غـــيـــرَ أنـهـمُ ملـوكٌ ... مـفـتَّـحـةٌ عـيـونُهُمُ نـيـامُ

بأجـســامٍ يحـرّ القـتلُ فـيـهـا ... ومـــا أقـــرانُهـــا إلا الطعـــامُ

وخـــيـلٍ مـــا يخـــرّ لهـــا طعينٌ ... كـــأنّ قنا فـوارسِـــهـــا ثُـمـامُ(١)

خـلـيـلُكَ أنـتَ لا مـن قـلـتَ خـلّي ... وإن كـــثـــرَ التـــجـــمّلُ والكـلامُ

ولو حـيـزَ الحـفـاظُ بغـيـرِ عـقلٍ ... تجنّبَ عُنقَ صـيـقـلِهِ الحـســامُ(٢)

وشـــبْـــهُ الشيءِ منجـــذبٌ إليـــه ... وأشـــبَـــهُنا بدُنيـــانا الطَّغـــامُ

ولـوْ لـم يَعْـلُ إلا ذو مـــــحـلّ ... تعـالى الجـيشُ وانحطّ القـتـامُ

ولو لم يرْعَ إلا مـــســـتـــحِقٌّ ... لرُتبـتِـهِ أسـامـهُمُ المُسـامُ

ومن خـبـرَ الغـوانيَ فـالغـواني ... ضـــيـــاءٌ في بـواطنـهِ ظـلامُ

إذا كـانَ الشـبـابُ السُّكرَ والشَّيـ ... ـبُ هـمًـا فـالحـيـاةُ هي الحِـمـامُ

(*) مناسبة القصيدة: قالها يمدح المغيث بن علي بن بشر العجلي.

(١) الثمام: نبات شديد الضعف.

(٢) الصيقل: الذي يجلو السيف.

وما كلٌّ بمعذورٍ ببخلٍ ... ولا كلٌّ على بخلٍ يُلامُ
ولم أرَ مثلَ جيراني ومثلي ... لمثْلي عندَ مثلهم مُقامُ
بأرضٍ ما اشتهيتَ رأيتَ فيها ... فلَيسَ يفُوتُها إلا الكِرامُ
فهلا كانَ نقصُ الأهلِ فيها ... وكانَ لأهلِها منها التمامُ
بها الجبلانِ منْ صخرٍ وفخرٍ ... أنافا ذا المُغيثُ وذا اللُّكامُ[1]
وليستْ منْ مواطنِه ولكنْ ... يَمُرّ بها كما مرّ الغمامُ
سقى اللهُ ابنَ منجبةٍ سقاني ... بدرٍّ ما لراضعِه فطامُ
ومن إحدى فوائدِه العطايا ... ومن إحدى عطاياهُ الذمامُ
وقد خفيَ الزمانُ به علينا ... كسلْكِ الدُّر يُخفيه النظامُ
تلذّ لهُ المروءةُ وهي تُؤذي ... ومن يعشقْ يلذُّ له الغرامُ
تعلَّقها هوى قيسٍ لليلى ... وواصلَها فليسَ به سقامُ
يروعُ ركانةً ويذوبُ ظرفًا ... فما يُدرى أشيخٌ أم غُلامُ[2]
وتملكُهُ المسائلُ في نداهُ ... وأمّا في الجدالِ فلا يُرامُ
وقبضُ نوالِه شرفٌ وعزٌّ ... وقبضُ نوال بعضِ القومِ ذامُ[3]
أقامتْ في الرِّقابِ له أيادٍ ... هي الأطوافُ والناسُ الحمامُ

(١) اللكام: جبل بالشام.
(٢) الركانة: الرزانة.
(٣) الذام: العيب.

إذا عُـدّ الكرامُ فـتلك عِـجْلٌ ... كـمـا الأنواءُ حين تُعـدّ عـامُ[١]

تقي جـبـهـاتُهم مـا في ذراهُمْ ... إذا بشـفـارِها حـميَ اللِّطامُ

ولو يمـتَـهُمْ في الحشـرِ تجـدو ... لأعطوْكَ الذي صلّوا وصـامُـوا[٢]

فـإنْ حلُمُـوا فـإنَّ الخـيلَ فـيـهمْ ... خـفـافٌ والرمـاحَ بهـا عُـرامُ[٣]

وعندهُمُ الجـفـانُ مكلَّلاتٍ ... وشـزرُ الطَّعنِ والضـربُ التُّـؤامُ

نصـرّعُـهُم بأعـيـننا حـيـاءً ... وتنبُـو عن وجـوهِهِمِ السّـهـام

قـبـيلٌ يحـمِلُون منَ المعـالي ... كـمـا حَـمَلَتْ من الجسـد العِظامُ

قـبـيلٌ أنت أنت وأنت منهمْ ... وجـدُّك بشـرٌ الملك الهُـمَـامُ

لمنْ مـالٌ تمزّقُـهُ العطايا ... ويُشـرَكُ في رغـائِبـه الأنامُ

ولا ندعـوكَ صـاحـبـهُ فتـرضى ... لأنَّ بصـحـبـةٍ يجبُ الذّمَـامُ

تحـايدُهُ كـأنّك سـامـريٌّ ... تُصـافـحُـهُ يدٌ فـيـهـا جُـذامُ

إذا مـا العـالمون عـروْكَ قـالوا ... أفـدْنا أيهـا الحـبْـرُ الإمـامُ[٤]

إذا مـا المعْلِمـونَ رأوْكَ قـالوا ... بهـذا يُعلَمُ الجـيشُ اللُّهـامُ[٥]

لقـد حسُنتْ بكَ الأوقـاتُ حتى ... كـأنّكَ في فمِ الزمنِ ابتِـسـامُ

وأُعـطيـتَ الذي لـم يُـعـطَ خـلـقٌ ... عليكَ صـلاةُ ربِّكَ والسـلامُ

---

(١) عجل: قبيلة الممدوح.
(٢) تجدو: تطلب العطية.
(٣) عرام: شراسة.
(٤) تروك: أتوك.
(٥) اللهام: الكثير.

الصاعقة الثامنة والثمانون: نرى عِظَماً بالبينِ والصدُّ أعظمُ(*)

نرى عظمًا بالبينِ والصدُّ أعظمُ ... ونتَّهمُ الواشينَ والدّمعُ منهُمُ
وَمنْ لُبُّهُ مع غيرِهِ كيفَ حالُهُ ... ومنْ سرّهُ في جَفْنِهِ كيفَ يُكتَمُ
ولمّا التقَيْنا والنوى ورقيبُنا ... غفولانِ عنّا ظِلتُ أبكي وتبسمُ
فلمْ أرَ بدرًا ضاحكًا قبلَ وجهِها ... ولم ترَ قبلي ميِّتًا يتكلمُ
ظلومٌ كمتنيْها لصبٍّ كخصْرِها ... ضعيفِ القوى منْ فعلِها يتظلّمُ
بفرعٍ يُعيدُ الليلَ والصبحُ نيِّرٌ ... ووجهٍ يُعيدُ الصبحَ والليلُ مظلمُ(١)
فلو كانَ قلبي دارَها كانَ خاليًا ... ولكنَّ جيشَ الشوقِ فيهِ عرمرمُ
أثافٍ بها ما بالفؤادِ منَ الصّلى ... ورسمٌ كجسمي ناحلٌ متهدّمُ(٢)
بللتُ بها رُدنيَّ والغيم مُسعدي ... وعبرتُهُ صرفٌ وفي عبرتي دمُ
ولو لم يكُنْ ما انهلّ في الخدّ منْ دمي ... لما كانَ محمرًّا يسيلُ فأسقمُ
بنفسي الخيالُ الزائري بعد هجعةٍ ... وقولتُهُ لي بعدَنا الغُمضَ تَطعَمُ
سلامٌ فلولا الخوفُ والبخلُ عنده ... لقلتُ أبو حفصٍ علينا المسلّمُ
مُحبُّ الندى الصابي إلى بذل ماله ... صبُوًّا كما يصبو المُحبُّ المتيَّمُ

(*) مناسبة القصيدة: قالها يمدح عمر بن سليمان الشرابي، وهو يومئذ يتولى الفداء بين العرب والروم.
(١) الفرع: شعر الرأس.
(٢) الأثافي: جمع أثفية: حجارة تنصب تحت القدر.

وأُقسِمُ لولا أنّ في كلّ شعرةٍ ... له ضيْغمًا قلنا له أنتَ ضيغمُ

أننقصُهُ منْ حظّه وهو زائدٌ ... ونبخسُهُ والبخسُ شيءٌ محرَّمُ

يجلُّ عنِ التّشبيهِ لا الكفُّ لجّةٌ ... ولا هوَ ضرغامٌ ولا الرّأيُ مِخذَمُ[1]

ولا جُرحُهُ يُؤسى ولا غورُهُ يُرى ... ولا حدُّهُ ينبُو ولا يتثلّمُ

ولا يبرمُ الأمرُ الذي هوَ حالِلٌ ... ولا يُحلَلُ الأمرُ الذي هوَ مبرِمُ

ولا يرمحُ الأذيالَ منْ جبريَّةٍ ... ولا يخدُمُ الدنيا وإياهُ تخدُمُ[2]

ولا يشتهي يبقى وتفنى هِباتُهُ ... ولا تسلمُ الأعداءُ منه ويسلمُ

ألذُّ منَ الصّهباءِ بالماء ذِكرُهُ ... وأحسنُ منْ يُسرٍ تلقّاهُ مُعدِمُ

وأغربُ منْ عنقاءَ في الطَّيرِ شكلُهُ ... وأعوزُ منْ مُسترْفِدٍ منه يُحرَمُ

وأكثرُ من بعدِ الأيادي أياديًا ... منَ القطرِ بعدَ القطرِ والوبلُ مُثجِمُ[3]

سَنيُّ العطايا لوْ رأى نوم عينِهِ ... منَ اللّؤمِ آلى أنهُ لا يُهوِّمُ[4]

ولو قالَ هاتوا درهمًا لم أجدْ به ... على سائلٍ أعْيا على الناسِ درهمُ

ولو ضرّ مرءًا قبلهُ ما يسُرّهُ ... لأثّرَ فيه بأسُهُ والتكرّمُ

يُروّي بكالفرصادِ في كلّ غارةٍ ... يتامى منَ الأغمادِ تُنضى فتُوتِمُ[5]

---

(١) المخذم: السيف القاطع.
(٢) الرَّمح: الرفس بالرجل.
(٣) المثجم: الكثير الدائم.
(٤) التهويم: هزّ الرأس من النعاس.
(٥) الفرصاد: ثمر التوت الأحمر.

إلى اليومِ ما حطّ الفداءُ سُروجَهُ ... مُذ الغزو سارٍ مُسرجُ الخيل مُلجَمُ

يشُقّ بلادَ الرّومِ والنّقعُ أبلقٌ ... بأسيافِهِ والجوُّ بالنّقعِ أدهمُ

إلى الملكِ الطّاغي فكمْ من كتيبةٍ ... تُسايرُ منه حتفَها وهيَ تعلمُ

ومنْ عاتقٍ نصرانةٍ برزتْ له ... أسيلَةِ خدٍّ عن قليلٍ سيُلطَمُ[1]

صفوفًا لليثٍ في لُيُوثٍ حُصُونُها ... مُتونُ المذاكي والوشيجُ المُقَوَّمُ

تغيبُ المنايا عنهُمُ وهوَ غائبٌ ... وتقدمُ في ساحاتِهِمْ حين يقدمُ

أجدَّكَ ما تنفكُّ عانٍ تفُكّهُ ... عُمَ ابنِ سليمانٍ ومالٌ تُقسِّمُ[2]

مُكافيكَ منْ أوليتَ دينَ رسولِهِ ... يداً لا تُؤدّي شُكرَها اليدُ والفمُ

على مهلٍ إنْ كنتَ لستَ براحمٍ ... لنفسِكَ منْ جُودٍ فإنّكَ تُرْحمُ

محلُّكَ مقصودٌ وشانيكَ مُفحمٌ ... ومثلُك مفقودٌ ونيلُكَ خضرمُ[3]

وزارَك بي دونَ الملوكِ تحرُّجٌ ... إذا عنّ بحرٌ لم يَجُزْ لي التّيمّمُ

فعشْ لو فدى المملوكُ ربًّا بنفسِهِ ... من الموتِ لم تُفقدْ وفي الأرضِ مُسلمُ

---

(١) العاتق: البكر.
(٢) عُمَ: ترخيم عمر.
(٣) الخضرم: الكثير.

الصاعقة التاسعة والثمانون: لا افتخارٌ إلا لمن لا يُضامُ(*)

لا افـتـخـارٌ إلا لمنْ لا يُضـامُ ... مـدركٍ أو مُـحَـاربٍ لا ينامُ

ليسَ عـزْمًـا مـا مـرّض المرءُ فـيـه ... ليسَ همًّـا مـا عـاقَ عنه الظّلامُ

واحـتـمـالُ الأذى ورُؤيةُ جـانيـ ... ـهِ غـذاءٌ تضـوى بـهِ الأجـسـامُ

ذلّ منْ يغـبِطُ الذليلَ بعـيـشٍ ... رُبّ عـيـشٍ أخفُّ منه الحـمـامُ

كلُّ حلمٍ أتى بغـيـرِ اقـتـدارٍ ... حُـجّـةٌ لاجئٌ إليـهـا اللئـامُ

منْ يهُنْ يسـهُلِ الهـوانُ عليـه ... مـا لجـرحٍ بميّتٍ إيلامُ

ضـاقَ ذرعًـا بأنْ أضـيـقَ بـهِ ذرْ ... عًـا زمـاني واستكرمـتْني الكرامُ

واقـفًـا تحتَ أخـمـصي قـدرِ نفسي ... واقـفًـا تحت أخـمـصيّ الأنامُ

أقـرارًا ألـذُّ فـوقَ شـرارٍ ... ومـرامًـا أبغي وظُلْمي يُرامُ

دونَ أن يشـرَقَ الحـجـازُ ونجـدٌ ... والعـراقـانِ بالقنا والشّـامُ

شـرقَ الجـوُّ بالغـبـارِ إذا سـا ... ر عليٌّ بنُ أحـمـدَ القـمـقـامُ[1]

الأديبُ المهـذّبُ الأصـيـدُ الضـر ... بُ الذكيُّ الجعـدُ السّريُّ الهـمـامُ

والـذي ريـبُ دهـرِهِ منْ أسـارا ... هُ ومنْ حـاسـدي يديْه الغـمـامُ

(*) مناسبة القصيدة: خرج أبو الطيب إلى جبل جرش، منزل بأبي الحسين علي بن أحمد المري الخراساني، فقال يمدحه.

(١) القمقام: السيّد.

يتـــداوَى منْ كـــثـــرةِ المالِ بالإقـ ـلالِ جُـودًا كـأنَّ مـالاً سـقـامُ
حَـسَنٌ في عـيـونِ أعـدائهِ أقـ ـبحُ منْ ضـيـفِـهِ رأتهُ السَّـوامُ
لو حـمى سـيِّـدًا منَ الموتِ حـامٍ لحـمـاهُ الإجـلالُ والإعظامُ
وعـوارٍ لوامعٌ دينُهـا الحـ ـلُّ ولكـنّ زيَّهـا الإحـرامُ
كُـتـبَتْ في صـحـائفِ المجدِ : بسمٌ ثـمَّ قـيسٌ وبعـدَ قـيسِ السـلامُ
إنما مـرّةُ بنُ عـوفِ بن سـعـدٍ جـمـراتٌ لا تشـتـهـيـهـا النَّعـامُ
ليلُها صُـبـحُـهـا منَ النار والإصـ ـباحُ ليلٌ منَ الدّخـانِ تمامُ
همـمٌ بلّغـتْكم رُتبـاتٍ قـصُـرتْ عنْ بلوغِـهـا الأوهامُ
ونفـوسٌ إذا انبـرتْ لقـتـالٍ نفـدتْ قـبلَ ينفـدُ الإقـدامُ
وقلوبٌ مـوطَّناتٌ على الرّوْ عِ كـأنَّ اقـتـحـامَـهـا استـسلامُ
قـائدو كل شطبـةٍ وحـصـانٍ قـدْ براها الإسـراجُ والإلجـامُ[1]
يتـعـثَّـرْنَ بالرؤوسِ كـمـا مـرَّ بتـاءاتِ نطقـهِ التَّـمـتـامُ
طالَ غـشـيـانُكَ الكريهـةَ حـتى قـالَ فـيكَ الذي أقـولُ الحُـسـامُ
وكـفـتْكَ الصـفـائحُ الناسَ حـتى قـد كـفـتْكَ الصـفـائحَ الأقـلامُ
وكـفـتْكَ التـجـاربُ الفكرَ حـتى قـدْ كـفـاكَ التـجـاربَ الإلهـامُ
فـارسٌ يشـتـري بـرازَكَ للفـخـ ـرِ بقـتـلٍ مـعـجَّلٍ لا يُلامُ

(١) الشطبة: الفرس الطويلة.

نائلٌ منكَ نظرةٌ ساقَهُ الفقـ ـرُ عليهِ لفقْرهِ إنعامُ
خيرُ أعضائنا الرؤوسُ ولكنْ فضَّلَتْها بقصدكَ الأقدامُ
قد لعمري أقصرْتُ عنكَ وللوفـ ـدِ ازدحامٌ وللعطايا ازدحامُ
خِفتُ إنْ صرتُ في يمينكَ أنْ تأ خُذني في هباتِكَ الأقوامُ
ومن الرُّشدِ لم أزرْك على القر بِ، على البُعدِ يُعرفُ الإلمامُ
ومنَ الخيرِ بُطءُ سيبكَ عني أسرعُ السُّحبِ في المسيرِ الجهامُ
قلْ فكمْ منْ جواهرَ بنظامٍ وُدُّها أنها بفيكَ كلامُ
هابكَ الليلُ والنهارُ فلو تنـ ـهاهُما لم تجُزْ بكَ الأيامُ
حسبكَ اللهُ ما تضلّ عن الحـ ـقِّ ولا يهتدي إليكَ أثامُ
لم لا تحذرُ العواقبَ في غيـ ـرِ الدّنايا، أما عليكَ حرامُ
كم حبيبٍ لا عُذرَ للومِ فيه لكَ فيهِ منَ التُّقى لُوّامُ
رفعتْ قدركَ النزاهةُ عنهُ وثنتْ قلبَكَ المساعي الجسامُ
إن بعضًا من القريضِ هُذاءٌ ليسَ شيئًا وبعضَهُ أحكامُ
منه ما يجلُبُ البراعةُ والفضـ ـلُ ومنه ما يجلُبُ البرسامُ[1]

(١) البرسام: مرض صدري.

الصاعقة التسعون: ألا لا أُري الأحداثَ مدحاً ولا ذمّا(*)

ألا لا أُرى الأحداثَ مدحًا ولا ذمّا ... فَما بَطشهُا جَهلاً ولا كفُّها حلمَا

إلى مثلِ ما كانَ الفتى مرجعُ الفتى ... يعُودُ كما أُبدي ويُكري كما أرمَى(١)

لكِ اللهُ من مفجوعةٍ بحبيبِها ... قتيلةِ شوقٍ غيرِ مُلحقِها وصمَا

أحِنّ إلى الكأسِ التي شربتْ بها ... وأهوى لمثواها الترابَ وما ضَمّا

بكيتُ عليها خيفةً في حياتِها ... وذاقَ كلانا ثكلَ صاحبِه قدمَا

ولو قتل الهجرُ المحبينَ كلَّهم ... مضى بلدٌ باقٍ أجدّتْ له صرْما

عرفتُ الليالي قبل ما صنعتْ بنا ... فلما دهتْني لم تزدْني بها علمَا

منافعُها ما ضرّ في نفعِ غيرها ... تغذَّى وتروَى أن تجوعَ وأن تَظمَا

أتاها كتابي بعدَ يأسٍ وترحةٍ ... فماتت سروراً بي فمُتُّ بها غَمّا

حرامٌ على قلبي السرورُ فإنني ... أعدّ الذي ماتتْ به بعدَها سُمّا

تعجَّبُ منْ لفظي وخطي كأنّما ... ترى بحروف السّطرِ أغربةً عُصْما(٢)

وتلثمُهُ حتى أصارَ مدادُهُ ... محاجر عينيْها وأنيابَها سُحمَا

(*) مناسبة القصيدة: ورد عليه كتاب جدته لأمه تشكو شوقها إليه، وطول غيبته عنها، فتوجه نحو العراق، ولم يمكنه دخول الكوفة، فانحدر إلى بغداد. وكانت جدته قد يئست منه، فكتب إليها كتاباً ليسألها المسير إليه، فقبّلت كتابه وماتت فرحًا، فقال يرثيها.

(١) أكرى: نقص.

(٢) الأغرب: جمع غراب. العصم: جمع أعصم: الذي في جناحه بياض.

رقا دمعُها الجاري وجفَّتْ جفونُها ... وفارقَ حُبي قلبَها بعدما أدمَى

ولم يُسْلِها إلا المنايا وإنما ... أشدُّ منَ السُّقمِ الذي أذهبَ السُّقْما

طلبتُ لها حظًّا ففاتتْ وفاتني ... وقد رضيتْ بي لو رضيتُ بها قسمَا

فأصبحتُ أستسقي الغمامَ لقبرها ... وقد كنتُ أستسقي الوغى والقنا الصُّمّا

وكنت قُبيلَ الموت أستعظمُ النّوى ... فقد صارتِ الصّغرى التي كانتِ العظمى

هبيني أخذتُ الثأرَ فيك من العدى ... فكيفَ بأخذِ الثأرِ فيكِ منَ الحُمّى

وما انسدّتِ الدنيا عليّ لضيقِها ... ولكنْ طرفًا لا أراكِ به أعمَى

فوا أسفا ألا أُكبَّ مقبِّلًا ... لرأسِكِ والصدرِ اللذَيْ مُلئا حزْمَا[1]

وألا ألاقي روحَكِ الطّيّبَ الذي ... كأنَّ ذكيّ المسكِ كان له جسمَا

ولو لمْ تكوني بنتَ أكرمِ والدٍ ... لكانَ أباكِ الضخمَ كونُكِ لي أُمّا

لئنْ لذَّ يومُ الشامتينَ بيومِها ... لقدْ ولدتُ مني لأنفهمُ رَغمَا

تغرّبَ لا مستعظمًا غيرَ نفسِه ... ولا قابلًا إلا لخالقِه حُكمَا

ولا سالكًا إلا فؤادَ عجاجةٍ ... ولا واجدًا إلا لمكرمةٍ طَعمَا

يقولونَ لي ما أنتَ في كلّ بلدةٍ ... وما تبتغي؟ ما أبتغي جلَّ أن يُسمى

كأن بنيهمُ عالمون بأنني ... جلوبٌ إليهمْ منْ معادنه اليُتمَا

وما الجمعُ بينَ الماءِ والنارِ في يدي ... بأصعبَ منْ أن أجمعَ الجدَّ والفهمَا

---

(١) اللذي: أصلها اللذين، فحذفت النون على لغة بعض العرب.

ولكنني مستنصرٌ بذبابه ومرتكبٌ في كلِّ حالٍ به الغَشمَا[1]
وجاعلُهُ يومَ اللقاءِ تحيتي وإلا فلستُ السيدَ البطلَ القَرمَا
إذا فلّ عزمي عن مدًى خوفُ بُعده فأبعدُ شيءٍ ممكنٌ لم يجدْ عزما
وإني لمنْ قومٍ كأنَّ نفوسَهمْ بها أنفٌ أن تسكنَ اللحم والعظمَا
كذا أنا يا دُنيا إذا شئتِ فاذهبي ويا نفسُ زيدي في كرائِهها قُدمَا
فلا عبرتْ بي ساعةٌ لا تُعِزّني ولا صحبتني مهجةٌ تقبلُ الظُّلمَا

(١) الذباب: حد السيف. الغشم: الذي لا يثنيه عن مراده شيء.

obeikandl.com

الصاعقة الحادية والتسعون: أنا لائمي إنْ كنتُ وقتَ اللوائم(*)

أنا لائمي إنْ كنتُ وقتَ اللوائم ... علمتُ بما بي بينَ تلكَ المعالمِ
ولكنّني مما شُدهتُ متيَّمٌ ... كسالٍ وقلبي بائحٌ مثلُ كاتمِ
وقفنا كأنا كلُّ وجدِ قلوبنا ... تمكَّن من أذوادنا في القوائمِ(١)
ودُسْنا بأخفافِ المطيِّ تُرابَها ... فما زلتُ أستشفي بلثمِ المناسمِ(٢)
ديارُ اللواتي دارهنّ عزيزةٌ ... بطولي القنا يُحفظنَ لا بالتمائمِ
حِسانُ التثنّي ينقشُ الوشيُ مثلهُ ... إذا مِسْنَ في أجسامهنّ النواعمِ
ويبسمنَ عن دُرٍّ تقلّدنَ مثلهُ ... كأنَّ التراقي وُشّحتْ بالمباسمِ
فما لي وللدنيا ! طلابي نجومُها ... ومسعايَ منها في شُدوقِ الأراقمِ(٣)
من الحِلم أن تستعملَ الجهلَ دونَه ... إذا اتّسعتْ في الحلمِ طُرقُ المظالمِ
وأن تردَ الماءَ الذي شطرُهُ دمٌ ... فتُسقى إذا لم يُسقَ من لم يُزاحمِ
ومن عرفَ الأيامَ معرفتي بها ... وبالناسِ روّى رُمحَهُ غيرَ راحمِ
فليسَ بمرحومٍ إذا ظفروا به ... ولا في الرّدى الجاري عليهم بآثمِ
إذا صُلتُ لمْ أتركْ مصالًا لفاتكٍ ... وإن قلتُ لم أتركْ مقالًا لعالمِ

(*) مناسبة القصيدة: قالها يمدح الأمير أبا محمد الحسن بن عبيد الله بن طغج بالرملة.
(١) الأذواد: جمع ذود: ما بين الثلاثة والعشرة من الإبل.
(٢) المناسم: جمع منسم: خفّ البعير.
(٣) الأراقم: ذكور الحيّات.

وإلا فـخـانتْني القـوافي وعـاقني ... عن ابن عـبـيـدِ اللهِ ضُعفُ العزائمِ
عن المقـتني بذلَ التـلادِ تلادَهُ ... ومـجـتنبِ البـخل اجـتنابَ المحارمِ
تمنّى أعـاديهِ مـحلّ عُـفـاتِه ... وتحسُدُ كـفّـيـه ثقـالُ الغـمـائمِ
ولا يتلقى الحـربَ إلا بمهـجـةٍ ... مـعظَّمـةٍ مـذخـورةٍ للعظائمِ
وذي لجبٍ لا ذو الجناحِ أمـامَـهُ ... بناجٍ ولا الوحشُ المثـارُ بسـالمِ
تمرّ عليه الشمسُ وهي ضعـيـفـةٌ ... تطالعُـهُ منْ بين ريشِ القـشـاعمِ[1]
إذا ضـوؤها لاقى منَ الطيْـرِ فُرجـةً ... تدوَّر فـوقَ البـيضِ مـثلَ الدراهمِ
ويخفى عليكَ الرعدُ والبْرقُ فوقَهُ ... منَ اللّمعِ في حـافـاتِه والهـمـاهمِ
أرى دونَ مـا بين الفـراتِ وبرقـةٍ ... ضـرابًا يمشّي الخيل فوقَ الجماجمِ
وطعنَ غطاريفٍ كـأنَّ أكـفَّـهُم ... عـرفْنَ الرُّدينيّـاتِ قـبلَ المعـاصمِ
حـمـتهُ على الأعداءِ منْ كلِّ جانبٍ ... سـيـوفُ بني طُغج بن جُفّ القـماقمِ[2]
هم المحسنونَ الكرَّ في حومة الوغى ... وأحـسـنُ منه كـرُّهم في المكارمِ
وهم يحسنون العفوَ عن كلِّ مذنبٍ ... ويحـتـملونَ الغـرمَ عنْ كلِّ غـارمِ
حـيـيُّـونَ إلا أنـهـمْ في نزالِـهم ... أقلُّ حـيـاءً منْ شـفـارِ الصـوارمِ
ولولا احتقارُ الأسدِ شبهْتُهم بها ... ولكنهـا مـعـدودةٌ في البـهـائمِ

(١) القشاعم: النسور.
(٢) القماقم: السادات.

سرى النومُ عني في سُرايَ إلى الذي ... صنائعُـهُ تسـري إلى كلِّ نائمِ
إلى مُطلقِ الأسرى ومخترمِ العدى ... ومُشكي ذوي الشكوى ورغمِ المراغمِ[1]
كـريمٌ لفظتُ الناسَ لما بلغتُـهُ ... كـأنهمْ مـا جفّ من زادٍ قـادمِ
وكـادَ سـروري لا يفي بندامـتي ... على تركـهِ في عـمـري المتـقـادمِ
وفـارقتُ شـرّ الأرضِ أهلًا وتُربةً ... بهـا علويٌّ جـدُّهُ غـيـرُ هاشمِ
بلى اللهُ حُـسـادَ الأميـرِ بحلمـهِ ... وأجلسَـهُ منهمْ مكان العـمـائمِ
فـإنَّ لهم في سـرعـةِ الموتِ راحـةً ... وإنَّ لهم في العيشِ حزَّ الغلاصمِ[2]
كـأنكَ مـا جـاودتَ من بـانَ جـودُهُ ... عليكَ ولا قـاومتَ منْ لم تُقـاومِ

(١) الاخترام: الهلاك والاستئصال. المراغم: المغاضب.
(٢) الغلاصم: ج غلصمة: اللحمة الناتئة عند رأس الحلقوم.

الصاعقة الثانية والتسعون: وفاؤكما كالرَّبع أشجاه طاسمه(*)

وفاؤكُما كالرَّبع أشجاه طاسمُهْ ... بأن تُسعدا والدمعُ أشفاهُ ساجِمُهْ(١)

وما أنا إلا عاشقٌ كلُّ عاشقٍ ... أعقُّ خليليه الصفيين لائمُهْ

وقد يتزيا بالهوى غيرُ أهله ... ويستصحبُ الإنسانَ منْ لا يُلائمُهْ

بليتُ بلى الأطلالِ إن لم أقفْ بها ... وقوفَ شحيحٍ ضاعَ في الترب خاتمُهْ

كئيبًا توقاني العواذلُ في الهوى ... كما يتوقى ريضَ الخيلِ حازمُهْ(٢)

قفي تغرم الأولى منَ اللحظِ مهجتي ... بثانيةٍ والمتلفُ الشيءَ غارمُهْ

سقاكِ وحيانا بكِ اللهُ إنما ... على العيسِ نورٌ والخدورُ كمائمُهْ

وما حاجةُ الأظعانِ حولَكِ في الدّجى ... إلى قمرٍ ما واجدٌ لكِ عادمُهْ

إذا ظفرتْ منكِ العيونُ بنظرةٍ ... أثاب بها معيي المطيِّ ورازمُهْ(٣)

حبيبٌ كأنَّ الحسنَ كانَ يحبُّهُ ... فآثرهُ أو جارَ في الحسنِ قاسمُهْ

تحولُ رماحُ الخطِّ دونَ سبائه ... وتُسبى لهُ منْ كلِّ حيٍّ كرائمُهْ

ويضحي غُبارُ الخيلِ أدنى ستورِه ... وآخرُها نشرُ الكباءِ الملازمُهْ(٤)

(*) مناسبة القصيدة: قالها يمدح سيف الدولة أبا الحسن علي بن عبدالله بن حمدان العدوي عند منصرفه من الظفر بحصن برزويه، وعودته إلى إنطاكية.

(١) طاسمه: دارسه. ساجمه: ساكبه.

(٢) ريض الخيل: الصعب الانقياد.

(٣) الرازم: الذي سقط من الإعياء.

(٤) الكباء: عود البخار.

وما استغربتْ عيني فراقًا رأيتُهُ ... ولا علّمتني غيرَ ما القلبُ عالِمُهْ

فلا يتّهمني الكاشحون فإنني ... رعيتُ الردى حتى حلتْ لي علاقِمُهْ

مُشِبُّ الذي يبكي الشبابَ مشيبُهُ ... فكيفَ توقّيهِ وبانيه هادِمُهْ

وتكملةُ العيشِ الصّبا وعقيبُهُ ... وغائبُ لونِ العارضين وقادِمُهْ

وما خضبَ الناسُ البياضَ لأنهُ ... قبيحٌ ولكنْ أحسنُ الشَّعرِ فاحمُهْ

وأحسنُ منْ ماءِ الشبيبةِ كلّهِ ... حيا بارقٍ في فازةٍ أنا شائمُهْ[1]

عليها رياضٌ لم تحُكْها سحابةٌ ... وأغصانُ دوحٍ لم تُغنّ حمائمُهْ

وفوقَ حواشي كلِّ ثوبٍ موجَّهٍ ... من الدُّرِّ سمطٌ لم يثقبْه ناظمُهْ

ترى حيوانَ البرِّ مصطلحًا به ... يُحاربُ ضدٌّ ضدَّهُ ويُسالمُهْ

إذا ضربتْه الريحُ ماجَ كأنه ... تجولُ مذاكيه وتدأى ضراغمُهْ[2]

وفي صورةِ الرّوميّ ذي التاجِ ذلةٌ ... لأبلج لا تيجان إلا عمائمُهْ

تُقبِّلُ أفواهُ الملوكِ بساطَهُ ... ويكبرُ عنها كمُّهُ وبراجمُهْ

قيامًا لمنْ يشفي من الدّاءِ كيُّهُ ... ومنْ بينِ أُذني كلِّ قومٍ مواسمُهْ

قبائعُها تحتَ المرافقِ هيبةً ... وأنفذُ مما في الجفونِ عزائمُهْ[3]

له عسكرا خيلٍ وطيرٍ إذا رمى ... بها عسكرًا لم يبقَ إلا جماجمُهْ

---

(١) الحيا: المطر. الشائم: الناظر إلى البرق يرجو المطر.

(٢) تدأى: تختلّ.

(٣) القبائع: جمع قبيعة: ما على طرف مقبض السيف من فضة أو حديد.

أَجلّتُـــهـــا منْ كلِّ طاغٍ ثيـــابُـهُ ... ومـواطئِـهـا منْ كلِّ باغٍ مـلاغـمُـهْ[١]

فـقـدْ ملّ ضـوءُ الصبحِ مما تغـيـرُهُ ... وملّ ســوادُ الليـل مما تُزاحـمُـهْ

ومـلّ الـقـنـا مما تـدُقّ صُـــــدورَهُ ... وملّ حـــديدُ الهندِ مما تُلاطمُـهْ

سحـابٌ من العِقبـان يزحفُ تحتَـها ... سحابٌ إذا استسقتْ سقتْها صوارمُهْ

سلكتُ صُروفَ الدّهرِ حتى لقيتُهُ ... على ظهـرِ عـزمٍ مـؤيداتٍ قـوائمُـهْ

مهالكُ لم تصحبْ بها الذئبَ نفسُه ... ولا حَمَلَتْ فيـها الغُرابَ قوادمُهْ[٢]

فـأبـصـرتُ بدراً لا يرى البـدرُ مـثلهُ ... وخاطبتُ بحراً لا يرى العِبرَ عائمُهْ

غـضـبـتُ له لما رأيتُ صـفـاتِـه ... بلا واصفٍ والشعرُ تهذي طماطمُهْ[٣]

وكنتُ إذا يممْتُ أرضـاً بعـيـدةً ... سريتُ فكنتُ السرّ والليلُ كاتمُهْ

لقد سلَّ سيفَ الدّولةِ المجدُ معلماً ... فـلا المجدُ مـخفـيه ولا الضّـرْبُ ثالمُهْ

على عـاتقِ الملكِ الأغـرِّ نجـادُهُ ... وفي يدِ جبّارِ السماواتِ قائمُهْ[٤]

تحـاربُهُ الأعـداءُ وهي عـبـيـدُهُ ... وتدّخـرُ الأمـوالَ وهي غنائمُـهْ

ويستكبـرونَ الدهرَ والدهرُ دونهُ ... ويستعظمونَ الموتَ والموتُ خادمُهْ

وإنّ الذي سـمى عليًّـا لمنصفٌ ... وإنَّ الذي سَمّاهُ سَيفًا لظالمُـهْ

ومـا كلُّ سيفٍ يقطعُ الهـامَ حـدُّهُ ... وتقطعُ لزباتِ الزّمـانِ مكارِمُـهْ[٥]

---

(١) الملاغم: ما حول الفم.
(٢) قوادم الغراب: صدور جناحيه.
(٣) الطماطم: جمع طمطم: الذي في لسانه عجمة.
(٤) العاتق: موضع نجاد السيف من الكتف. النجاد: حمالة السيف.
(٥) لزبات الزمان: شدائده.

الصاعقة الثالثة والتسعون: واحرّ قلباه ممن قلبه شبمُ(*)

واحـــرّ قلبـــاهُ ممنْ قلبُـــه شـــبِمُ ... ومنْ بجسمي وحالي عندهُ سقمُ(١)

مـا لي أكتِّمُ حبًـا قدْ برى جسدي ... وتدَّعي حبَّ ســـيفِ الدولةِ الأممُ

إنْ كـــانَ يجـــمعُنا حبٌّ لغـرّتـه ... فليتَ أنّا بقـدرِ الحبِّ نقـتـسـمُ

قـدْ زرْتهُ وسـيـوفُ الهندِ مغـمـدةٌ ... وقـدْ نظرتُ إليـهِ والسـيـوفُ دمُ

فكانَ أحـــسنَ خلقِ اللهِ كلِّهم ... وكانَ أحسنَ ما في الأحسنِ الشيمُ

فـوتُ العـدوّ الذي يممتـهُ ظفـرٌ ... في طيّـــه أسفٌ في طيّـــه نعـمُ

قد نابَ عنكَ شديدُ الخوفِ واصطنعتْ ... لكَ المهـابةُ مـا لا تصنعُ البُـهَـمُ

ألزمتَ نفسَك شيئًا ليسَ يلزمُها ... أن لا يـواريـهُـمْ أرضٌ ولا عَـلَـمُ

أكلمـا رُمْتَ جيـشًـا فـانثنى هربًا ... تصـــرّفَتْ بكَ في آثارِهِ الهـمَـمُ

عليكَ هزمُـهُمُ في كلِّ مـعـتـركٍ ... ومـا عليكَ بهمْ عـارٌ إذا انهـزمُـوا

أمـا ترى ظفـرًا حلوًا سـوى ظفـرٍ ... تصـافحتْ فيـه بيضُ الهندِ واللِّممُ

يا أعـدلَ الناسِ إلا في مـعـاملتي ... فيكَ الخصـامُ وأنتَ الخصمُ والحكمُ

أعـيـــذُها نظراتٍ منكَ صـادقـةً ... أنْ تحسبَ الشحمَ فيمنْ شحمُهُ ورمُ

ومـا انتـفـاعُ أخي الدنيـا بناظرِه ... إذا اســتـوتْ عندَه الأنوارُ والظُّلمُ

(*) مناسبة القصيدة: قالها وقد جرى له خطاب مع قوم متشاعرين وظُن الحيف والتحامل عليه.

(١) الشبم: البارد.

سيعلمُ الجمعُ ممنْ ضمَّ مجلسُنا ... بأنني خيرُ منْ تسعى بهِ قدمُ

أنا الذي نظر الأعمى إلى أَدَبي ... وأسمعتْ كلماتيَ منْ به صَمَمُ

أنامُ ملءَ جُفُوني عنْ شوارِدِها ... ويسهرُ الخلقُ جرّاها ويختصمُ

وجاهلٍ مدّهُ في جهلِه ضحكي ... حتى أتتْه يدٌ فرّاسةٌ وفمُ

إذا رأيتَ نيوبَ الليثِ بارزةً ... فلا تظنّنّ أنَّ الليثَ يبتسمُ

ومهجةٍ مهجتي من همِّ صاحبها ... أدركتُها بجوادٍ ظهرُهُ حرمُ

رجلاه في الركضِ رجلٌ واليدان يدٌ ... وفعلُه ما تريدُ الكفُّ والقدمُ

ومرهفٍ سرتُ بين الجحفلين به ... حتى ضربتُ وموجُ الموتِ يلتطمُ

الخيلُ والليلُ والبيداءُ تعرفني ... والسيفُ والرمحُ والقرطاسُ والقلمُ

صحبتُ في الفلواتِ الوحشَ منفرداً ... حتى تعجَّبَ مني القورُ والأكمُ[1]

يا منْ يعزّ علينا أن نفارقَهمْ ... وجداننا كلّ شيءٍ بعدكمْ عدمُ

ما كان أخلقنا منكمْ بتكرمةٍ ... لو أنَّ أمركُمْ منْ أمرِنا أممُ[2]

إن كانَ سرّكمُ ما قالَ حاسدُنا ... فما لجرحٍ إذا أرضاكمُ ألمُ

وبيننا لو رعيتمْ ذاكَ معرفةٌ ... إنَّ المعارف في أهلِ النهى ذِمَمُ

كم تطلبونَ لنا عيباً فيعجزُكمْ ... ويكرهُ اللهُ ما تأتونَ والكرمُ

ما أبعدَ العيبَ والنقصانَ منْ شرفي ... أنا الثريا وذانِ الشيبُ والهرمُ

---

(١) القور: جمع قارة: الأرض حجارتها سوداء.

(٢) أمم: قرب.

ليتَ الغمامَ الذي عندي صواعقُهُ ... يزيلُهُنّ إلى منْ عندَهُ الدّيمُ

أو النوى يقتضيني كلَّ مرحلةٍ ... لا تستقلُّ بها الوخّادةُ الرّسُمُ[1]

لئنْ تركنَ ضميراً عن ميامنِنا ... ليحدُثنّ لمنْ ودعتُهم نَدَمُ

إذا تَرحَّلتَ عن قومٍ وقد قَدَرُوا ... أنْ لا تفارقَهم فالرّاحلون هُمُ

شرُّ البلادِ مكانٌ لا صديقَ به ... وشرُّ ما يكسبُ الإنسانُ ما يَصِمُ[2]

وشرُّ ما قنصتْهُ راحتي قنصٌ ... شُهبُ البزاةِ سواءٌ فيه والرَّخَمُ

بأيِّ لفظٍ تقولُ الشعرَ زعنفةٌ ... تجوزُ عندكَ لا عُربٌ ولا عَجَمُ[3]

هذا عتابُكَ إلا أنه مقةٌ ... قدْ ضمنَ الدُّرَّ إلا أنهُ كَلِمُ[4]

(١) الوخادة: الناقة السريعة.

(٢) يصم: يعيب.

(٣) الزعنفة: الجماعة من الأوباش.

(٤) المقة: المحبة.

الصاعقة الرابعة والتسعون: على قدر أهل العزم تأتي العزائم(*)

على قدرِ أهلِ العزمِ تأتي العزائمُ ... وتأتي على قدرِ الكرامِ المكارمُ

وتعظمُ في عينِ الصغيرِ صغارُها ... وتصغرُ في عينِ العظيمِ العظائمُ

يكلِّفُ سيفُ الدولةِ الجيشَ همّهُ ... وقد عجزتْ عنهُ الجيوشُ الخضارمُ(١)

ويطلبُ عندَ الناسِ ما عندَ نفسِه ... وذلكَ ما لا تدّعيهِ الضراغمُ

يُفدّي أتمُّ الطيرِ عمراً سلاحَهُ ... نسورُ الفلا أحداثُها والقشاعمُ(٢)

وما ضرّها خلقٌ بغيرِ مخالبٍ ... وقد خلقتْ أسيافُهُ والقوائمُ

هل الحدثُ الحمراءُ تعرفُ لونَها ... وتعلمُ أيّ الساقيَيْنِ الغمائمُ(٣)

سقتْها الغمامُ الغرُّ قبلَ نزولِه ... فلمَّا دنا منها سقتْها الجماجمُ

بناها فأعلى والقنا يقرعُ القنا ... وموجُ المنايا حولَها متلاطمُ

وكانَ بها مثلُ الجنونِ فأصبحتْ ... ومنْ جثثِ القتلى عليها تمائمُ

طريدةُ دهرٍ ساقَها فرددْتَها ... على الدِّينِ بالخطّيّ والدهرُ راغمُ

تفيتُ الليالي كلَّ شيءٍ أخذتَهُ ... وهنّ لما يأخذنَ منكَ غوارمُ(٤)

(*) مناسبة القصيدة: قالها يمدح سيف الدولة، ويذكر بناءه ثغر الحدث.

(١) الخضارم: جمع خضرم: الكثير.

(٢) القشاعم: النسور المسنّة.

(٣) الحدث: قلعة بناها سيف الدولة في بلاد الروم.

(٤) تفيت: تحمل.

إذا كانَ ما تنويه فعلًا مضارعًا ... مضَى قبلَ أن تُلْقى عليه الجوازمُ

وكيفَ تُرجّي الرومُ والروسُ هدمَها ... وذا الطعنُ آساسٌ لها ودعائمُ

وقد حاكموها والمنايا حواكمٌ ... فما ماتَ مظلومٌ ولا عاشَ ظالمُ

أتوكَ يجرّونَ الحديدَ كأنما ... سروا بجيادٍ ما لهنَّ قوائمُ

إذا برقُوا لم تعرفِ البيضُ منهُم ... ثيابُهُمُ منْ مِثْلِها والعمائمُ

خميسٌ بشرقِ الأرضِ والغربِ زحفُه ... وفي أذنِ الجوزاءِ منه زمازمُ[1]

تجمّعَ فيه كلُّ لسنٍ وأمّةٍ ... فما يُفهِمُ الحدّاثَ إلا التراجمُ

فللهِ وقتٌ ذوَّبَ الغشَّ نارُهُ ... فلم يبقَ إلا صارمٌ أو ضبارمُ

تقطَّعَ ما لا يقطعُ الدّرعَ والقنا ... وفرّ منَ الفرسانِ منْ لا يُصادمُ

وقفتَ وما في الموتِ شكٌّ لواقفٍ ... كأنكَ في جفنِ الردى وهو نائمُ

تمرّ بكَ الأبطالُ كلمى هزيمةً ... ووجهكَ وضّاحٌ وثغركَ باسمُ

تجاوزتَ مقدارَ الشجاعةِ والنهى ... إلى قولِ قومٍ أنتَ بالغيبِ عالمُ

ضممتَ جناحيْهم على القلب ضمّةً ... تموتُ الخوافي تحتَها والقوادمُ[2]

بضربٍ أتى الهاماتِ والنصرُ غائبٌ ... وصارَ إلى اللباتِ والنصرُ قادمُ[3]

حقرْتَ الردينيّات حتى طرحتَها ... وحتى كأنَّ السيفَ للرمحِ شاتمُ

---

(١) الزمازم: جمع زمزمة: صوت الرعد.

(٢) القوادم: عشر ريشات في مقدم جناح الطائر. الخوافي: ما تحت القوادم من ريش.

(٣) اللبات: أعالي الصدور.

ومنْ طلبَ الفتحَ الجليلَ فإنما ... مفاتيحُه البيضُ الخفافُ الصوارمُ

نشرتَهُم فوقَ الأحيدبِ كلّه ... كما نثرتْ فوقَ العروسِ الدّراهمُ

تدوسُ بكَ الخيلُ الوكورَ على الذرى ... وقد كثرتْ حولَ الوكورِ المطاعمُ

تظُن فراخُ الفتخِ أنكَ زرْتها ... بأماتِها وهي العتاقُ الصلادمُ[1]

إذا زلقتْ مشّيتَها ببطونِها ... كما تتمشّى في الصعيدِ الأراقمُ[2]

أفي كلّ يومٍ ذا الدمستقُ مقدمٌ ... قفاهُ على الإقدامِ للوجهِ لائمُ

أينكرُ ريحَ الليثِ حتى يذوقَهُ ... وقد عرفتْ ريحَ الليوثِ البهائمُ

وقد فجَعْتَهُ بابنه وابنِ صهرِهُ ... وبالصهرِ حملاتُ الأميرِ الغواشمُ

مضى يشكرُ الأصحابَ في فوته الظبى ... لما شغلتْها هامُهم والمعاصمُ

ويفهمُ صوتَ المشرفيّةِ فيهمُ ... على أنَّ أصواتَ السيوفِ أعاجمُ

يُسَرُّ بما أعطاكَ لا عنْ جهالةٍ ... ولكنْ مغنومًا نجا منكَ غانمُ

ولست مليكًا هازمًا لنظيرِه ... ولكنكَ التوحيدُ للشركِ هازمُ

تشرّفُ عدنانٌ به لا ربيعةٌ ... وتفتخرُ الدنيا به لا العَواصِمُ

لك الحمدُ في الدُّرِّ الذي لي لفظهُ ... فإنكَ معطيه وإني ناظِمُ

وإني لتعدو بي عطاياكَ في الوغى ... فلا أنا مذمومٌ ولا أنت نادمُ

---

(١) الفتخ: جمع فتخاء: اللينة الجناح من العقبان. الصلادم: الشداد.

(٢) الأراقم: الحيات فيها سواد وبياض.

على كل طيّـارٍ إليـهـا بـرجلِه ... إذا وقعتْ في مسمعيْه الغماغمُ[1]

ألا أيهـا السـيفُ ليسَ مـغـمَـدًا ... ولا فـيـه مـرتابٌ ولا منه عـاصِمُ

هنيـئًا لضـربِ الهـامِ والمجدِ والعلى ... وراجِـيك والإسـلامِ أنك سـالِمُ

ولمْ لا يقي الرحـمنُ حدّيك ما وَقَى ... وتَفليـقـهُ هامَ العـدى بكَ دائِمُ

(١) الغماغم: أصوات الأبطال عند القتال.

obeikandl.com

الصاعقة الخامسة والتسعون: فراقٌ ومن فارقت غير مذمم(*)

فراقٌ ومنْ فارقتُ غيرُ مذمَّمٍ ... وأمٌّ ومنْ يممتُ خيرُ ميمَّمِ

وما منزلُ اللذاتِ عندي بمنزلٍ ... إذا لم أبجَّلْ عندهُ وأكرَّمِ

سجيّةُ نفسٍ ما تزالُ مليحةً ... من الضَّيمِ مرميًّا بها كلّ مخرمِ(١)

رحلتُ فكمْ باكٍ بأجفانِ شادنٍ ... عليّ وكمْ باكٍ بأجفانِ ضيغمِ(٢)

وما ربةُ القرطِ المليحِ مكانهُ ... بأجزعَ منْ ربِّ الحسامِ المصمِّمِ

فلو كانَ ما بي منْ حبيبٍ مقنّعٍ ... عذرتُ ولكنْ منْ حبيبٍ معمَّمِ

رمى واتقى رميي ومنْ دونِ ما اتقى ... هوًى كاسرٌ كفّي وقوسي وأسهُمي

إذا ساءَ فعلُ المرءِ ساءتْ ظنونُه ... وصدّقَ ما يعتادُهُ منْ توَهّمِ

وعادَى محبّيه بقولِ عداتِه ... وأصبحَ في ليلٍ منَ الشكِّ مُظلِمِ

أصادقُ نفسَ المرءِ منْ قبلِ جسمِه ... وأعرفُها في فعلِه والتكلمِ

وأحلمُ عن خلّي وأعلمُ أنه ... متى أجزِهِ حلمًا على الجهلِ يَندَمِ

وإنْ بذلَ الإنسانُ لي جودَ عابسٍ ... جزيتُ بجودِ التاركِ المتبسِّمِ

وأهوى منَ الفتيانِ كلَّ سميذعٍ ... نجيبٍ كصدرِ السمهريِّ المقَوَّمِ(٣)

(*) مناسبة القصيدة: قاد كافور إلى أبي الطيب فرسًا فقال يمدحه.

(١) المليحة: الخائفة. المحزم: الطريق في الجبل.

(٢) الشادن: المرأة الحسناء.

(٣) السميذع: الرجل الكريم الشجاع.

خطتْ تحتَه العيسُ الفلاةَ وخالطتْ ... به الخيلُ كبَّاتِ الخميسِ العرمرمِ

ولا عفّةٌ في سيفِه وسنانِه ... ولكنَّها في الكفِّ والطَّرفِ والفَمِ

وما كلُّ هاوٍ للجميلِ بفاعلٍ ... ولا كلُّ فعَّالٍ له بمتمِّمِ

فدًى لأبي المسكِ الكرامُ فإنها ... سوابقُ خيلٍ يهتدينَ بأدهَمِ

أغرَّ بمجدٍ قد شخصْنَ وراءَهُ ... إلى خُلُقٍ رحبٍ وخَلْقٍ مطهَّمِ

إذا منعتْ منكَ السياسةُ نفسَها ... فقفْ وقفةً قدامهُ تتعلّمِ

يضيقُ على من راءهُ العذرُ أن يرى ... ضعيفَ المساعي أو قليلَ التكرّمِ

ومَنْ مثلُ كافورٍ إذا الخيلُ أحجمتْ ... وكانَ قليلًا من يقولُ لها أقدمِي

شديدُ ثباتِ الطرفِ والنقعُ واصلٌ ... إلى لهواتِ الفارسِ المتلثمِ[1]

أبا المسكِ أرجو منك نصرًا على العدى ... وآملُ عزًا يخضبُ البيضَ بالدّمِ

ويومًا يغيظُ الحاسدين وحالةً ... أقيمُ الشقا فيها مقامَ التّنعّمِ

ولم أرجُ إلا أهلَ ذاكَ ومنْ يردْ ... مواطرَ منْ غيرِ السحائبِ يَظلِمِ

فلوْ لمْ تكنْ في مصرَ ما سرتُ نحوَها ... بقلبِ المشوقِ المستهامِ المتيَّمِ

ولا نبحتْ خيلي كلابُ قبائلٍ ... كأنَّ بها في الليلِ حملاتِ دَيلَمِ

ولا اتبعتْ آثارَنا عينُ قائفٍ ... فلمْ ترَ إلا حافرًا فوقَ منسمِ[2]

---

(١) الطرف: الفرس.

(٢) القائف: الذي يتبع الآثار فيعرفها.

وسمنا بها البيداءَ حتى تغمرتْ ... منَ النيلِ واستذرتْ بظلِّ المقطَّمِ[١]

وأبلجَ يعصي باختصاصي مشيرَهُ ... عصيتُ بقصديْه مشيري ولوّمي

فساقَ إليّ العرفَ غيرَ مكدَّرٍ ... وسقتُ إليه الشكرَ غيرَ مجمجَمِ[٢]

قد اخترتُكَ الأملاكَ فاختر لهم بنا ... حديثًا وقدْ حكَّمتُ رأيَكَ فاحكُمِ

فأحسنُ وجهٍ في الورى وجهُ محسنٍ ... وأيمنُ كفٍّ فيهمُ كفُّ منعِمِ

وأشرفُهُمْ منْ كانَ أشرفَ همّةً ... وأكثرَ إقدامًا على كلِّ مُعظَمِ

لمن تطلبُ الدنيا إذا لم تُردْ بها ... سرورَ محبٍّ أو مساءَةَ مُجرِمِ

وقد وصلَ المهرُ الذي فوقَ فخذِه ... من اسمكَ ما في كلِّ عنقٍ ومعصَمِ

لك الحيوانُ الراكبُ الخيلَ كلُّهُ ... وإنْ كانَ بالنّيرانِ غيرَ موَسَّمِ

ولو كنتُ أدري كم حياتي قسمتُها ... وصيَّرْت ثلثيها انتظارَك فاعلَمِ

ولكنْ ما يمضي منَ الدهرِ فائتٌ ... فجدْ لي بخطِّ البادرِ المتغنِّمِ

رضيتُ بما ترضى به لي محبةً ... وقدتُ إليكَ النفسَ قودَ المسلِّمِ

ومثلُك منْ كانَ الوسيطَ فؤادُهُ ... فكلّمَهُ عني ولمْ أتكلّمِ

---

(١) تغمرّت: شربت دون الري.

(٢) جمجم الكلام: أخفاه.

الصاعقة السادسة والتسعون: فؤادٌ ما تسلّيه المدامُ(*)

مَلامِي النَّوى في ظُلمِها غايةُ الظّلم ... لَعَلَّ بِها مِثلَ الذي بي من السُّقمِ

فَلَوْ لَم تَغَرْ لَم تَزوِ عنّي لِقاءَكُم ... ولَو لَم تُردكم لم تكن فيكمُ خصمِي

أمُنعَمَةٌ بالعَودَةِ الظَّبيَةُ التي ... بغَيرِ ولِيٍّ كانَ نائلُها الوَسمِي(١)

تَرَشَّفتُ فاها سُحرَةً فكأنَّني ... تَرَشَّفتُ حَرَّ الوَجدِ من بارِدِ الظَّلمِ(٢)

فتاةٌ تَساوى عِقدُها وكَلامُها ... ومَبسِمُها الدُّرِّيُّ في الحسنِ والنّظمِ

ونَكهَتُها والمندَلِيُّ وقَرقَفٌ ... مُعَتَّقَةٌ صَهباءُ في الرِّيحِ والطَّعمِ(٣)

جَفَتني كأنِّي لَستُ أنطَقَ قَومِها ... وأطعَنَهم والشُّهبُ في صورةِ الدُّهمِ

يُحاذرني حَتفِي كأنِّيَ حَتفُهُ ... وتَنكُزُني الأفعى فيَقتُلُها سُمّي

طِوالُ الرُّدَينيّاتِ يَقصِفُها دَمِي ... وبيضُ السُّرَيجيّاتِ يَقطَعُها لحمي

برَتني السُّرى بريَ المَدى فرَدَدنَني ... أخَفَّ على المركوبِ من نَفَسِي جرمِي

وأبصرَ من زرقاءَ جَوٍّ لأنَّني ... متى نَظَرَتْ عَيناي ساواهما علمِي

كأنّي دحوتُ الأرضَ من خبرتي بها ... كأنّي بَنى الإسكندرُ السدّ من عزمِي(٤)

(*) مناسبة القصيدة: قالها يمدح الحسين بن إسحاق التنوخي.

(١) الوسمي: المطر أول السنة. الولي: المطر الذي يلي الوسمي.

(٢) الظلم: بريق الأسنان.

(٣) المندلي: نوع من العطور. القرقف: الخمر.

(٤) دحوت: بسطت.

لألقى ابنَ إسحاقَ الذي دَقَّ فَهْمُهُ ... فأَبدَعَ حتى جَلَّ عن دِقَّةِ الفَهمِ

وأسمَعَ مِنْ ألفاظه اللغةَ التي يَمينُ ... يَلَذّ بها سمعي ولو ضُمنتْ شَتمي

بني قَحطانَ رأسُ قُضاعةٍ ... وعِرنينُها بدرُ النّجومِ بَني فَهْمِ[1]

إذا بَيَّتَ الأعداءَ كانَ سَماعُهُمْ ... صَريرَ العَوالي قَبلَ قَعقَعَةِ اللُّجمِ

مُذِلُّ الأعزّاءِ المُعزُّ وإن يَئِن ... به يُتمُهُم فالموتمُ الجابرُ اليُتمِ

وإن تُمسِ داءً في القُلُوبِ قَناتُهُ ... فمُمسِكُها منهُ الشّفاءُ مِنَ العُدمِ

مُقَلَّدُ طاغي الشَّفرَتَينِ مُحَكَّمٍ ... على الهامِ إلاّ أنَّهُ جائرُ الحُكمِ

تَحَرَّجَ عن حَقنِ الدِّماءِ كأنَّهُ ... يَرى قتل نفسٍ تَركَ رأسٍ على جسمِ

وَجَدنا ابنَ إسحاقَ الحُسينَ كحَدِّهِ ... على كَثرَةِ القَتلى بَريئًا من الإثمِ

مَعَ الحَزمِ حتى لَوْ تَعَمَّدَ تَرْكَهُ ... لألحَقَهُ تَضييعُهُ الحزمَ بالحَزمِ

وفي الحربِ حتى لَوْ أرادَ تأخّرًا ... لأخّرَهُ الطَّبعُ الكَريمُ إلى القُدمِ

لَهُ رَحمَةٌ تُحيي العِظامَ وغَضبَةٌ ... بها فَضلَةٌ للجزمِ عن صاحبِ الجُرْمِ

ورِقَّةُ وجهٍ لَوْ خَتَمتَ بنظرَةٍ ... على وجنتيه ما انمحى أثرُ الخَتمِ

أذاقَ الغَواني حُسنُهُ ما أذقنني ... وعَفَّ فجازاهنّ عنّي على الصرمِ[2]

فِدًى مَنْ على الغَبراءِ أوَّلُهُم أنا ... لهذا الأبيّ الماجِدِ الجائِدِ القَرْمِ

---

(١) العرنين: السيد الشريف.

(٢) الغواني: جمع غانية: التي تستغني بجمالها عن الحلي.

لقد حالَ بينَ الجنّ والأمنِ سَيفُهُ ... فما الظنّ بعد الجنّ بالعُربِ والعُجمِ

وأرهَبَ حتى لَوْ تأمَّلَ درعَهُ ... جَرَت جَزَعًا من غَيرِ نارٍ ولا فَحمِ

وجادَ فَلَولا جُودُهُ غيرَ شاربٍ ... لَقُلنا كَريمٌ هَيَّجَتهُ ابنَةُ الكرمِ

أطَعناكَ طوعَ الدَّهرِ يا ابنَ يوسُفٍ ... بشَهوَتنا والحاسِدُو لكَ بالرّغمِ

وَثِقنا بأن تُعطِي فَلَوْ لَمْ تَجد لَنا ... لخلناكَ قد أعطيتَ من قوّةِ الوَهمِ

دُعيتُ بتقريظيكَ في كلّ مَجلسٍ ... فَظَنّ الذي يَدعو ثنائي عليك اسمي

وأطمَعتَني في نَيلِ ما لا أنالُه ... بما نلتُ حتى صرتُ أطمَعُ في النَّجمِ

إذا ما ضَرَبتَ القرنَ ثمّ أجَزتَني ... فَكلْ ذَهَبًا لي مَرَّةً منهُ بالكَلمِ

أبَت لكَ ذَمّي نَخوَةٌ يَمَنيَّةٌ ... ونَفسٌ بها في مأزقٍ أبَدًا تَرمي

فكَمْ قائلٍ لو كان ذا الشخصُ نفسه ... لكانَ قَراهُ مكمَنَ العسكرِ الدَّهمِ[1]

وقائلَةٍ والأرضَ أعنِي تَعَجّبًا ... عليَّ امرُؤ يمشي بوَقري من الحِلمِ

عَظُمتَ فَلَما لم تُكلَّمْ مَهابَةً ... تواضَعتَ وهوَ العُظمُ عُظمًا من العُظمِ

(١) القرى: الظهر.

الصاعقة السابعة والتسعون: ملومكما يجلُّ عن الملام(*)

ملومكمَا يجلُّ عنِ الملامِ ... ووقعُ فعاله فوقَ الكلامِ

ذراني والفلاةَ بلا دليلٍ ... ووجهي والهجيرَ بلا لثامِ

فإنّي أستريحُ بذي وهذا ... وأتعبُ بالإناخةِ والمقامِ

عيونُ رواحلي إن حرتُ عيني ... وكلُّ بغامِ رازحةٍ بغامي(١)

فقدْ أردُ المياهَ بغيرِ هادٍ ... سوى عدّي لها برْق الغمامِ

يُذمّ لمهجتي ربّي وسيفي ... إذا احتاجَ الوحيدُ إلى الذّمَامِ

ولا أمسي لأهْلِ البخلِ ضيفًا ... وليسَ قرًى سوَى مُخّ النّعامِ

ولما صارَ ودُّ الناسِ خبًّا ... جزيتُ على ابتسامٍ بابتسامِ(٢)

وصرتُ أشكُّ فيمنْ أصطفيهِ ... لعلمي أنَّهُ بعضُ الأنَامِ

يحبّ العاقلون على التصافي ... وحبُّ الجاهلين على الوَسَامِ

وآنفُ منْ أخي لأبي وأمي ... إذا ما لمْ أجدْهُ منَ الكِرامِ

أرى الأجدادَ تغلبُها كثيرًا ... على الأولادِ أخلاقُ اللئَامِ

ولستُ بقانعٍ منْ كلِّ فضلٍ ... بأنْ أعزى إلى جدٍّ هُمَامِ

(*) مناسبة القصيدة: نالت أبا الطيب بمصر حمىّ فقال يصفها ويعرض بالرحيل عن مصر.

(١) البغام: صوت الناقة. الرازحة: الساقطة من التعب.

(٢) الخب: الخداع.

عجبتُ لمنْ له قدٌّ وحدٌّ ... وينبو نبوةَ القضمِ الكَهَامِ
ومنْ يجدُ الطريقَ إلى المعالي ... فلا يذرُ المطيَّ بلا سَنَامِ
ولم أرَ في عيوبِ الناسِ شيئًا ... كنقصِ القادرينَ على التّمَامِ
أقمتُ بأرضِ مَصرَ فلا ورائي ... تخبُّ بيَ الركابُ ولا أمَامي
وملَّني الفراشُ وكانَ جنبي ... يملُّ لقاءه في كلِّ عامِ
قليلٌ عائدي سقمٌ فؤادي ... كثيرٌ حاسدي صعبٌ مرامي
عليلُ الجسمِ ممتنعُ القيامِ ... شديدُ السكرِ منْ غيرِ المدامِ
وزائرتي كأنَّ بها حياءً ... فليس تزورُ إلا في الظلامِ
بذلتُ لها المطارفَ والحشايا ... فعافتْها وباتتْ في عظامي[1]
يضيقُ الجلدُ عن نفسي وعنها ... فتوسعُهُ بأنواعِ السقامِ
كأنَّ الصبحَ يطردُها فتجري ... مدامعُها بأربعةٍ سجَامِ[2]
أراقبُ وقتَها منْ غيرِ شوقٍ ... مراقبةَ المشوقِ المستَهَامِ
ويصدقُ وعدُها والصدقُ شرٌّ ... إذا ألقاكَ في الكربِ العظامِ
أبنتَ الدهرَ عندي كلُّ بنتٍ ... فكيفَ وصلتِ أنتِ منَ الزحامِ[3]
جرحتِ مجرَّحًا لم يبقَ فيه ... مكانٌ للسيوفِ ولا السهامِ

(١) المطارف: جمع مطرف: رداء من خزّ.
(٢) سجام: منسكبة.
(٣) بنات الدهر: حوادثه.

ألا يا ليتَ شعرَ يدي أتمسي ... تصرَّفُ في عنانٍ أو زمامِ
وهلْ أرمي هوايَ براقصاتٍ ... محلاةِ المقاودِ باللغَامِ[١]
فربتما شفيتُ غليلَ صدري ... بسيرٍ أو قناةٍ أو حسامِ
وضاقتْ خطةٌ فخلصتُ منها ... خلاصَ الخمرِ من نسجِ الفدامِ[٢]
وفارقتُ الحبيبَ بلا وداعٍ ... وودّعتُ البلادَ بلا سلامِ
يقولُ ليَ الطبيبُ أكلتَ شَيئًا ... وداؤكَ في شرابِكَ والطعامِ
وما في طبّهِ أني جوادٌ ... أضرَّ بجسمِه طولُ الجمامِ[٣]
تعوَّدَ أن يغبِّرَ في السرايا ... ويدخلَ منْ قتامٍ في قتامِ
فأمسكَ لا يُطالُ له فيرعى ... ولا هو في العليقِ ولا اللجَامِ
فإن أمرضْ فما مرضَ اصطباري ... وإن أحممْ فما حُمَّ اعتزامي
وإن أسلمْ فما أبقى ولكنْ ... سلمتُ منَ الحمامِ إلى الحِمامِ
تمتعْ منْ سهادٍ أو رقادٍ ... ولا تأمَّلْ كرى تحتَ الرِّجَامِ[٤]
فإنَّ لثالثِ الحالينِ معنى ... سوى معنى انتباهِكَ والمنَامِ[٥]

(١) الرقص: ضرب من سير الإبل. اللغام: الزبد يقذفه البعير من فمه.
(٢) الفدام: ما يجعل في فم الإبريق ليصفّى ما فيه.
(٣) الجمام: الراحة.
(٤) الرجام: جمع رجمة: حجارة تنصب على القبر.
(٥) ثالث الحالين: الموت.

الصاعقة الثامنة والتسعون: حتامَ نحن نساري النجمَ في الظلمِ(*)

حتامَ نحنُ نساري النجمَ في الظلمِ ... وما سُراهُ على خفٍّ ولا قدمِ

ولا يحسّ بأجفانٍ يحسُّ بها ... فقدَ الرّقادِ غريبٌ باتَ لم ينمِ

تسوِّدُ الشمسُ منّا بيضَ أوجهِنا ... ولا تسوِّدُ بيضَ العذرِ واللممِ(١)

وكانَ حالُهما في الحكم واحدةً ... لو احتكَمْنا منَ الدّنيا إلى حكمِ

ونتركُ الماءَ لا ينفكُّ من سفرٍ ... ما سارَ في الغيم منه سارَ في الأدمِ(٢)

لا أبغضُ العيسَ لكني وقَيْتُ بها ... قلبي منَ الحزنِ أو جسمي من السقمِ

طرَدتُ منْ مصرَ أيديها بأرجُلها ... حتى مرقْنَ بها من جوشَ والعلمِ

تبري لهنَّ نعامُ الدوِّ مسرجةٌ ... تُعارضُ الجدلَ المرخاةَ باللجمِ(٣)

في غلمةٍ أخطروا أرواحَهم ورضُوا ... بما لقينَ رضى الأيسارِ بالزَّلمِ(٤)

تبدو لنا كلَّما ألقوْا عمائمَهُمْ ... عمائمٌ خلقتْ سوداً بلا لُثُمِ(٥)

بيضُ العوارضِ طعانون منْ لحقوا ... من الفوارسِ شلالونَ للنعمِ(٦)

(*) مناسبة القصيدة: قالها بالكوفة يرثي أبا شجاع فاتك ويذكر مسيره من مصر.

(١) العذر: جمع عذار: طرف اللحية. اللمم: جمع لمّة: الشعر المجاوز شحمة الأذن.

(٢) الأدم: جمع أديم: الجلد المدبوغ.

(٣) الدو: المفازة. الجدل: حبال تكون في عنق الجمل.

(٤) الزلم: السهم.

(٥) بلا لثم: مُرْد.

(٦) شلالون: طرادون.

قد بلغوا بقناهمُ فوقَ طاقته ... وليسَ يبلغُ ما فيهمْ منَ الهممِ
في الجاهليةِ إلا أنّ أنفسَهم ... من طيبهنَّ به في الأشهرِ الحرمِ[١]
ناشوا الرماحَ وكانتْ غيرَ ناطقةٍ ... فعلَّموها صياحَ الطَّيرِ في البهمِ[٢]
تخدي الركابُ بنا بيضًا مشافرُهَا ... خضراً فراسنها في الرغل والينمِ[٣]
مكعومةً بسيطِ القومِ نضربُها ... عن منبت العشب نبغي منبتَ الكرمِ[٤]
وأين منبتُهُ منَ بعد منبته ... أبي شُجاعٍ قريع العربِ والعجمِ[٥]
لا فاتكٌ آخرٌ في مصرَ نقصدَهُ ... ولا له خَلَفٌ في الناسِ كلِّهمِ
من لا تشابهُهُ الأحياءُ في شيمٍ ... أمسى تشابهُهُ الأمواتُ في الرِّمِمِ
عدمتُه وكأني سرتُ أطلبُهُ ... فما تزيدني الدنيا على العدمِ
ما زلتُ أضحكُ إبلي كلما نظرت ... إلى من اختضبت أخفافها بدَمِ
أسيِّرُها بينَ أصنامٍ أشاهدُها ... ولا أشاهدُ فيها عفةَ الصّنَمِ
حتى رجعتُ وأقلامي قوائلُ لي ... المجدُ للسيفِ ليسَ المجدُ للقَلَمِ
اكتب بنا أبداً بعد الكتاب به ... فإنما نحنُ للأسيافِ كالخَدَمِ
أسمعتِني ودوائي ما أشرت به ... فإنْ غفلتُ فدائي قلةُ الفَهَمِ

---

(١) الأشهر الحرم: ذو القعدة، ذو الحجة، المحرم، رجب.
(٢) ناشوا: تناولوا.
(٣) تخدي: تسرع. الفرسن: لحم خف البعير. الرغل والينم: نبتان.
(٤) كُعِم الجمل: شُدَّ فاه لئلا يعض.
(٥) القريع: السيد.

من اقتضى بسوى الهنديِّ حاجتهُ ... أجـاب كل سـؤال عن هل بلَمِ

توهم القـومُ أنَّ العـجـزَ قـرَّبنا ... وفي التـقـرب مـا يدعـو إلى التـهَمِ

ولـم تزلْ قلةُ الإنصـافِ قـاطعـةً ... بينَ الرجـالِ ولوْ كـانوا ذوي رَحِمِ

فـلا زيـارةَ إلا أنْ تـزورهـمُ ... أيدٍ نشـأنَ مع المصـقـولة الخُـذُمِ[1]

من كلِّ قـاضـيـةٍ بالموتِ شـفـرتهُ ... مـا بينَ منتـقـمٍ منهُ ومُنتـقِمِ

صنّا قـوائمَـهَـا عنهم فـمـا وقـعتْ ... مواقعَ اللؤمِ في الأيدي ولا الكَرَمِ[2]

هوّنْ على بـصـر مـا شقَّ منظرهُ ... فـإنما يقـظاتُ العينِ كـالحُـلُمِ

ولا تشكَّ إلى خلق فـتـشـمـتَـهُ ... شكوى الجريحِ إلى الغربانِ والرَّخَمِ

وكنْ على حـذرٍ للناسِ تسـتـرهُ ... ولا يغـرَّك منهم ثغـرُ مـبـتـسمِ

غـاضَ الوفـاءُ فـمـا تلقـاهُ في عـدةٍ ... وأعوزَ الصدقُ في الإخبـار والقَسَمِ

سبـحانَ خالقِ نفسي كيف لذَّتُها ... فـيـمـا النفـوسُ تراهُ غـايةَ الألمِ

الدهرُ يعـجبُ من حـملي نوائبَـهُ ... وصبرُ نفسي على أحداثه الحُطُمِ[3]

وقتٌ يضـيـعُ وعـمـرٌ ليت مـدّتَهُ ... في غـيـرِ أمـتـه منْ سـالفِ الأممِ

أتى الزمـانَ بنوه في شـبـيـبـتِـه ... فـسـرّهُمْ وأتيناهُ على الهَـرَمِ

---

(١) الخذم: جمع خذوم: القاطع.

(٢) الكزم: قصر الأصابع.

(٣) الحطم: جمع حطوم: الذي تحطم من إصابته.

الصاعقة التاسعة والتسعون: لهوى النفوسِ سريرةٌ لا تُعلمُ(*)

لهـوى النفـوسِ سـريرةٌ لا تُعلمُ ... عـرضًـا نظرتُ وخلتُ أني أسلمُ

يا أختَ معتنقِ الفوارسِ في الوغى ... لأخـوكِ ثَـمّ أرقُ منـكِ وأرحـمُ

راعـتْكِ رائعـةُ البـياضِ بمفـرقي ... ولو أنّهـا الأولى لرَاع الأسـحـمُ

لو كانَ يمكنُني سفرتُ عن الصبي ... فـالشـيبُ من قـبلِ الأوانِ تلثُّمُ

ولقـدْ رأيتُ الحـادثاتِ فـلا أرى ... يقـقًـا يميتُ ولا سـوادًا يعـصمُ(١)

والهمُّ يخـترمُ الجسـيمَ نحـافـةً ... ويشـيبُ ناصيـةَ الصبيّ ويهـرمُ(٢)

ذو العـقلِ يشـقى في النعيمِ بعـقله ... وأخـو الجـهـالةِ في الشـقـاوةِ ينعمُ

والناسُ قـد نبـذوا الحـفـاظ فـمطلقٌ ... ينسى الذي يولى وعـافٍ يندمُ

لا يخـدعَنَّكَ منْ عـدوٍّ دمـعُـهُ ... وارحمْ شـبـابَك منْ عـدوٍّ ترحمُ

لا يسلمُ الشـرفُ الرفـيعُ منَ الأذى ... حـتى يُراقَ على جـوانبِـه الدمُ

يؤذي القليلُ من اللئـام بطبـعـهِ ... منْ لا يقلُّ كـمـا يقلُّ ويلؤمُ

والظلمُ منْ شـيمِ النفـوسِ فـإنْ تجدْ ... ذا عـفّـةٍ فلعلّةٍ لا يظلمُ

(*) مناسبة القصيدة: مرّ في طريقه على إسحاق بن الأعور بن إبراهيم بن كيغلغ، وكان محافظا على طريق طرابلس، فطلب منه أن يمدحه، فاحتج بأنه قد حلف أن لا يمدح أحدًا في الطريق، فاعتاقه إسحاق عن طريقه، ولما فارقه قال يهجوه ويمدح أبا العشائر بهذه القصيدة.

(١) اليقق: الأبيض.

(٢) يخترم: يهلك.

الصاعقة المئة: كفي! أراني، ويك، لومك ألوما(*)

كُـفّي ! أرَاني ، ويكِ ، لومَك ألومَـا ... همٌّ أقَـامَ على فُـؤادٍ أنجـمَـا(١)

وخـيـالُ جـسمٍ لم يخلّ له الهـوى ... لحـمًـا فـينحلَهُ السـقـامُ ولا دمَـا

وخـفـوقُ قلبٍ لو رأيتِ لهـيـبَـهُ ... يا جنتي لظننتِ فـيـه جـهنـمـا

وإذا سـحـابةُ صـدِّ حبٍّ أبرقتْ ... تركتْ حـلاوةَ كلِّ حبٍّ عَلقَـمًـا

يا وجـهَ داهيـة الذي لولاكَ مـا ... أكلَ الضنى جسدي ورَضّ الأعظُمَا(٢)

إنْ كـانَ أغناها السلوُّ فـإنني ... أمسيتُ منْ كبدي ومنها مُعدمَا

غـصنٌ على نقـوَيْ فـلاةٍ نابتٌ ... شمسُ النهـارِ تُقلُّ ليلًا مُظلمَـا(٣)

لم تجـمعِ الأضـدادُ في متـشـابهٍ ... إلا لتـجـعلني لغُـرمي مـغنَمَـا

كصفاتِ أوحدِنا أبي الفضلِ التي ... بهرتْ فأنطقَ واصفيه وأفحَمَا

يعطيكَ مـبـتـدرًا فـإنْ أعـجلتَـهُ ... أعطاكَ مـعـتـذرًا كـمنْ قـد أجـرَمَا

ويرى التـعظمَ أنْ يُرى مـتـواضعًـا ... ويرى التـواضعَ أنْ يُرى مـتـعظِّمـا

نصـرَ الفـعـالَ على المطالِ كـأنما ... خـالَ السـؤالَ على النوالِ مـحـرّمَا

يـا أيهـا الملكُ المصـفَّى جـوهرًا ... من ذاتِ ذي الملكوتِ أسمى من سَمَا

(*) مناسبة القصيدة: قالها في المكتب يمدح رجلاً، وأراد أن يستكشفه عن مذهبه.

(١) أنجم: أقلع وذهب.

(٢) داهية: اسم من شبّب بها.

(٣) النقوان: مثنى النقا: الكثيب من الرمل.

نورٌ تظاهَرَ فيكَ لاهوتيُّهُ ... فتكادُ تعلمُ علمَ ما لنْ يُعلَمَا

ويهمُّ فيكَ إذا نطقتَ فصاحةً ... منْ كلِّ عضوٍ منكَ أن يتكلَّمَا

أنا مبصرٌ وأظنُّ أني نائمٌ ... منْ كانَ يحلمُ بالإلهِ فأحلُمَا

كَبُرَ العيانُ عليّ حتى إنهُ ... صارَ اليقينُ منَ العيانِ توهُّمَا

يا منْ لجودِ يديْه في أمواله ... نقمٌ تعُودُ على اليتامَى أنعُمَا

حتى يقولَ الناس ما ذا عاقلًا ... ويقولُ بيتُ المالِ ما ذا مسلِمَا

إذكارُ مثلِكَ تركُ إذكاري له ... إذ لا تُريدُ لما أريدُ مترجِمَا

openkandl.com

الصاعقة الأولى بعد المئة: إذا كان مدحٌ فالنسيبُ المقدَّمُ(*)

إذا كان مدحٌ فالنسيبُ المقدَّمُ ... أكلّ فصيح قالَ شعراً متيَّمُ

لحبِّ ابنِ عبدالله أولى فإنهُ ... به يبدأُ الذكرُ الجميلُ ويختمُ

أطعتُ الغواني قبل مطمحِ ناظري ... إلى منظرٍ يصغُرْنَ عنه ويعظمُ

تعرَّضَ سيفُ الدولةِ الدهرَ كلَّهُ ... يُطبِّقُ في أوصالِه ويُصمِّمُ

فجازَ له حتى على الشمسِ حكمُهُ ... وبانَ له حتى على البدرِ ميسمُ(١)

كأنَّ العدى في أرضِهمْ خلفاؤهُ ... فإنْ شاءَ حازوها وإنْ شاءَ سلّمُوا

ولا كُتْبَ إلا المشرفيةُ عندهُ ... ولا رسلَ إلا الخميسُ العَرمرَمُ

فلم يخلُ منْ نصرٍ له مَنْ له يدٌ ... ولمْ يخلُ منْ شكرٍ له مَنْ له فمُ

ولم يخلُ منْ أسمائه عودُ منبرٍ ... ولم يخلُ دينارٌ ولم يخلُ درهَمُ

ضروبٌ وما بينَ الحسامين ضيقٌ ... بصيرٌ وما بين الشجاعين مُظلِمُ

تباري نجومَ القذفِ في كلِّ ليلةٍ ... نُجُومٌ له منهنَّ وردٌ وأدهمُ

يطأن من الأبطال من لا حملنهُ ... ومن قصد المرّان ما لا يُقوّمُ(٢)

فهنَّ معَ السيدانِ في البرّ عُسَّلٌ ... وهنَّ معَ النينانِ في الماءِ عوَّمُ(٣)

(*) مناسبة القصيدة: قالها حين أمر سيف الدولة غلمانه أن يلبسوا، وقصد ميافارقين في خمسة آلاف من الجند وألفين من غلمانه ليزور قبر والدته.

(١) الميسم: أثر الحسن. (٢) المران: الرماح اللينة.

(٣) السيدان: الذئاب. النينان: جمع نون: الحوت. العسّل: التي تضطرب في عدْوِها.

وهنَّ مع الغـزلانِ في الوادِ كـمَّنٌ ... وهنَّ مع العقبانِ في النِّيقِ حوّمُ[١]

إذا جلبَ الناسُ الوشـيجَ فـإنهُ ... بهنَّ وفي لبـاتِهنَّ يُحطّمُ

بغـرّته في الحربِ والسلم والحِجَا ... وبذلِ اللها والحمدِ والمجدِ مُعلِمُ

يُقـرُّ لهُ بالفـضلِ منْ لا يَوَدّهُ ... ويقـضي لهُ بالسَّعدِ منْ لا يُنجِّمُ

أجـارَ على الأيامِ حـتى ظننْتُـهُ ... تطالبُـهُ بالرّدِّ عـادٌ وجـرهُمُ

ضـلالًا لهـذي الريحِ مـاذا تُريدُهُ ... وهديًا لهـذا السـيلِ مـاذا يؤمُّ

ألم يسـألِ الوبلُ الذي رام ثَنْيَنَا ... فـيخبـرَه عنكَ الحديدُ المثلَّمُ

ولما تلقَّـاكَ السـحابُ بصـوبِه ... تلقَّاهُ أعلى منه كعبًا وأكـرمُ[٢]

فـباشرَ وجهًا طالما باشرَ القنا ... وبلَّ ثيـابًا طالما بلّهـا الدمُ

تلاكَ وبعضُ الغيثِ يتبعُ بعضَهُ ... منَ الشـأمِ يتلو الحاذقَ المتعلمُ

فـزارَ التي زارتْ بكَ الخيلُ قبرَها ... وجشّمَهُ الشوقُ الذي تتجشّمُ

ولما عـرضتَ الجيشَ كانَ بهاؤهُ ... على الفارسِ المرخى الذؤابةِ منهمُ

حواليْه بحرٌ للتجافيفِ مائجٌ ... يسيرُ به طودٌ منَ الخيلِ أيهمُ[٣]

تساوتْ به الأقطارُ حتَّى كأنهُ ... يجمِّعُ أشتاتَ الجبالِ وينظمُ

وكلُّ فتى للحربِ فوقَ جبينه ... منَ الضربِ سطرٌ بالأسنةِ معجمُ

---

(١) النيق: أعلى موضع الجبل.

(٢) الصوب: الانسكاب. الكعب: الشرف والمجد.

(٣) التجافيف: جمع تجفاف: شيء يلبسه الفرس كالدرع. الأيهم: الذي لا يهتدي فيه.

يمدُّ يديْهِ في المفاضةِ ضيغمٌ ... وعينيْه منْ تحتِ التّريكةِ أرقمُ

كأجناسِها راياتُها وشعارُها ... وما لبستْهُ والسلاحُ المسمَّمُ

وأدبَها طولُ القتالِ فطرفُهُ ... يشيرُ إليها منْ بعيدٍ فتفهمُ

تجاوبُهُ فعلًا وما تسمعُ الوحى ... ويسمعُها لحظًا وما يتكلمُ[1]

تجانفُ عنْ ذاتِ اليمينِ كأنها ... ترقّ لميّافارقينَ وترحَمُ[2]

ولو زحمتْها بالمناكبِ زحمةٌ ... درتْ أيُّ سوريها الضّعيفُ المهدَّمُ

على كلِّ طاوٍ تحتَ طاوٍ كأنّهُ ... منَ الدَّمِ يُسقى أو من اللّحم يُطعَمُ

لها في الوغَى زيّ الفوارسِ فوقَها ... فكلّ حصانٍ دارعٌ متلثّمُ

وما ذاك بخلًا بالنفوسِ على القنا ... ولكنَّ صدمَ الشرّ بالشرِّ أحزَمُ

أتحسبُ بيضُ الهندِ أصلَكَ أصلَها ... وأنكَ منها؟ ساءَ ما تتوهّمُ

إذا نحنُ سميناكَ خلْنا سيوفنا ... منَ التيهِ في أغمادِها تتبسّمُ

ولمْ نرَ مَلْكًا قطّ يُدعى بدونِهِ ... فيرضَى ولكنْ يجهلونَ وتحلُمُ

أخذتَ على الأرواحِ كل ثنيّةٍ ... منَ العيشِ تعطي من تشاءُ وتحرِمُ

فلا موتَ إلا منْ سنانكَ يُتقَى ... ولا رزقَ إلا منْ يمينكَ يُقسَمُ

(١) الوحى: الصوت.

(٢) تجانف: تمايل.

الصاعقة الثانية بعد المئة: أراعَ كذا كلَّ الأنامِ هممُ(*)

أراعَ كـــذا كلَّ الأنـامِ همـــامُ ... وسحّ له رسلَ الملوكِ غـــمـــامُ

ودانتْ له الدنيـا فـأصبحَ جـالسًـا ... وأيامُـهـا فـيـمـا يريدُ قـيـامُ

إذا زارَ سـيفُ الدولةِ الرومَ غـازيًا ... كـفـاها لمامٌ لو كـفـاهُ لمامُ(١)

فـتى تتبعُ الأزمـانُ في الناسِ خطوهُ ... لكـلِّ زمـانٍ في يديْـهِ زمـامُ

تـنامُ لديكَ الرسلُ أمنًا وغـبطةً ... وأجـفـانُ ربِّ الرسلِ ليس تنامُ

حـذارًا لمعـروري الجـيـادِ فُـجـاءةً ... إلى الطَّعنِ قـبلًا مـا لهنَّ لجـامُ(٢)

تعطَّفُ فـيـه والأعنَّةُ شـعـرُها ... وتضـربُ فـيـه والسـيـاطُ كـلامُ

ومـا تنفعُ الخـيـلُ الكرامَ ولا القنا ... إذا لمْ يكنْ فـوقَ الكرامِ كَـرامُ

إلى كم تردُّ الرسلَ عـمّـا أتوا لهُ ... كـأنهم فـيـمـا وهبتَ مَـلامُ

فـإن كنتَ لا تُعطي الذمـامَ طواعـةً ... فـعـوذ الأعـادي بالكريمِ ذِمَـامُ

وإنَّ نفـوسًـا أمَّـمـتْكَ منيـعـةٌ ... وإنَّ دمـاءً أمَّلـتْكَ حَـرَامُ

إذا خـافَ ملْكٌ منْ مليكٍ أجـرْتَهُ ... وسـيْـفَكَ خـافـوا والجـوارَ تُسـامُ

لهم عنكَ بالبـيضِ الخفـافِ تفـرّقٌ ... وحـولكَ بالكتبِ اللطافِ زحـامُ

(*) مناسبة القصيدة: قالها وقد ورد فرسان الثغور ومعهم رسول ملك الروم يطلب الهدنة، فأنشده إياها بحضرتهم.

(١) اللمام: الزيارة القليلة.

(٢) المعروري: الذي يركب الفرس عريانا.

تغـرّ حـلاواتُ النفـوسِ قلوبَهـا ... فـتـخـتـارُ بعض العيشِ وهو حِـمـامُ

وشـرُّ الحـمـامين الزؤامين عـيـشـةٌ ... يذلّ الذي يخـتـارُها ويُضـامُ

فلو كـانَ صلحًا لم يكنْ بشـفـاعـةٍ ... ولـكـنَّـهُ ذلٌّ لـهـمْ وغـرَامُ

ومنٌّ لفـرسـانِ الثـغـورِ عليـهمُ ... بتـبليـغـهِمْ مـا لا يكادُ يُرامُ

كـتـائبُ جاؤوا خـاضـعينَ فـأقدمُوا ... ولو لمْ يكونوا خـاضـعينَ لَخَـامـوا[1]

وعـزَّتْ قـديمًا في ذراكَ خـيـولُهم ... وعـزوا وعـامتْ في نداك وعَـامُـوا

على وجـهكَ الميـمـونِ في كلِّ غـارةٍ ... صـلاةٌ تـوالي منـهُمُ وسَـلامُ

وكـلُّ أناسٍ يتـبـعـونَ إمـامَـهُم ... وأنتَ لأهلِ المكـرمـاتِ إمَـامُ

وربّ جـوابٍ عنْ كـتـابٍ بعـثـتَـهُ ... وعـنـوانُه لـلـناظـرينَ قَـتَـامُ

تضـيقُ به البـيـداءُ من قـبل نشـرِه ... ومـا فُضّ بالبـيـداءِ عنه خِـتَـامُ

حـروفُ هجـاءِ الناسِ فـيـه ثلاثةٌ: ... جـوادٌ ورمحٌ ذابلٌ وحُـسَـامُ

أخا الحربِ قدْ أتعبتَـها فالهَ ساعةً ... ليُـغـمـدَ نصلٌ أو يحلّ حِـزامُ

وإن طالَ أعـمـارُ الرمـاحِ بهـدنةٍ ... فـإنَّ الذي يعـمُـرْنَ عندكَ عَـامُ

وما زلتَ تفني السُّمرَ وهي كثـيرةٌ ... وتفني بهنّ الجـيشَ وهو لُهَـامُ[2]

متى عـادَ الجالونُ عـادتَ أرضـهمْ ... وفـيـهـا رقـابٌ للسـيـوفِ وهَامُ

---

(١) خاموا: جبنوا.

(٢) اللهام: الكثير.

وربّوا لك الأولادَ حتى تصيبَها وقدْ كعبت بنتٌ وشبّ غُلامُ
جرى معكَ الجارونَ حتى إذا انتهوْا إلى الغايةِ القصوى جريتَ وقَامُوا
فليسَ لشمسٍ مذْ أنرتَ إنارةٌ وليسَ لبدرٍ مذْ تممتَ تَمامُ

obeikandl.com

الصاعقة الثالثة بعد المئة: عقبى اليمينِ على عقبى الوغى ندمُ(*)

عُقبى اليمينِ على عقبى الوغى ندمُ ... ماذا يزيدكَ في إقدامكَ القسَمُ
وفي اليمينِ على ما أنتَ واعدهُ ... ما دلَّ أنكَ في الميعادِ متهَمُ
آلى الفتى ابن شمشقيق فأحنثَهُ ... فتى منَ الضربِ تُنسى عنده الكلِمُ
وفاعلٌ ما اشتهى يغنيه عن حلفٍ ... على الفعالِ حضورُ الفعلِ والكرَمُ
كلُّ السيوفِ إذا طالَ الضرابُ بها ... يمسّها غيرَ سيف الدولة السأمُ
لو كلّتِ الخيلُ حتى لا تحمَّلهُ ... تحمّلتْهُ إلى أعدائه الهمَمُ
أينَ البطاريقُ والحلفُ الذي حلفوا ... بمفرقِ الملكِ والزعمُ الذي زعَموا
ولى صوارمَه إكذابَ قولِهمُ ... فهنَّ ألسنةٌ أفواهُها القمَمُ
نواطقٌ مخبراتٌ في جماجِمِهمْ ... عنه بما جهلُوا منه وما علمُوا
الراجعُ الخيلَ محفاةً مقوّدةً ... منْ كلّ مثلِ وبارٍ أهلُها إرَمُ(١)
كتلّ بطريقِ المغرورِ ساكنُها ... بأنَّ دارك قنسرينُ والأجَمُ
وظنهمْ أنكَ المصباحُ في حلبٍ ... إذا قصدتَ سواها عادها الظُّلَمُ
والشمسَ يعنون إلا أنهم جهلوا ... والموتَ يدعُون إلا أنهم وهَموا

(*) مناسبة القصيدة: قالها وقد تُحدث بحضرة سيف الدولة أن البطريق أقسم عند ملكه إنه يعارض سيف الدولة في الدرب، وسأله أن ينجده ببطارقته وتمدده وعُدده، ففعل، فخاب ظنه.

(١) وبار: مدينة قديمة.

فلم تتمّ سـروجٌ فـتحَ ناظرِها ... إلا وجيشُك في جفنيْه مُزدَحِمُ
والنقعُ يأخذُ حرّانًا وبقعتَهَا ... والشمسُ تسفرُ أحيانًا وتلتثِمُ
سحبٌ تمرّ بحصن الرانِ ممسكةً ... وما بها البخلُ لولا أنها نِقَمُ
جيشٌ كأنكَ في أرضٍ تطاولهُ ... فالأرضُ لا أممٌ والجيشُ لا أممُ[1]
إذا مضى علمٌ منها بدا علمٌ ... وإن مضى علمٌ منهُ بدا علمُ
وشزَّبٌ أحمتِ الشعرى شكائمَها ... ووسَّمتْها على آنافِها الحكمُ[2]
حتى وردْنَ بسمنين بحيرتَها ... تنشُّ بالماءِ في أشداقِها اللجمُ[3]
وأصبحتْ بقرى هنزيطَ جائلةً ... ترعى الظبى في خصيبٍ نبتُه اللممُ
فما تركنَ بها خُلدًا لهُ بصرٌ ... تحتَ التـرابِ ولا بازًا له قدمُ
ولا هزبرًا له منْ درعِه لبدٌ ... ولا مهاةً لها منْ شبهِها حشمُ
ترمي على شفراتِ الباتراتِ بهمْ ... مكامنُ الأرضِ والغيطانُ والأكمُ[4]
وجاوزوا أرسناسًا معصمينَ به ... وكيفَ يعصمُهُمْ ما ليسَ ينعصِمُ
وما يصدُّكَ عن بحرٍ لهمْ سعةٌ ... وما يردُّكَ عن طودٍ لهمْ شممُ
ضربتَهُ بصدورِ الخيلِ حاملةً ... قومًا إذا تلفوا قُدمًا فقدْ سلموا

---

(١) الأمم: القرب.
(٢) الشزب: الضوامر. الشعرى: نجم. الشكائم: جمع شكيمة: الحديدة المعترضة في فم الفرس. التوسيم: الكي. الحكم: جمع حكمة: ما أحاط من اللجام بالحنك.
(٣) النشيش: صوت الماء إذا غلي.
(٤) الغيطان: جمع غائط: المطمئن الواسع من الأرض.

تجـفَّلُ الموجُ عن لبَّـاتِ خـيلِهِمِ ... كـمـا تجـفَّلُ تحتَ الغـارةِ النَّعمُ

عـبـرْتَ تقـدمُـهُم فـيـه وفي بلدٍ ... سكَّانه رممٌ مـسكونُهـا حـممُ

وفي أكـفِّـهـم النارُ التي عُـبـدتْ ... قـبلَ المجـوسِ إلى ذا اليـومِ تضطرمُ

هنديةٌ إنْ تصغّرْ معشـراً صغُـروُا ... بحـدّها أو تعظّمْ مـعشـراً عظُمُـوا

قـاسـمْـتَـهـا تل بطريقٍ فكانَ لهـا ... أبطالُهـا ولكَ الأطفـالُ والحـرَمُ

تلقَى بهمْ زبدَ التـيّـارِ مـقـربةٌ ... على جـحـافِلِها منْ نضـحِـهِ رثمُ[1]

دهمٌ فـوارِسُـهـا ركَّـابُ أبطُنِهـا ... مكدودةٌ وبقـومٍ لا بهـا الألمُ

منَ الجـيـادِ التي كِـدْتَ العدوّ بهـا ... ومـا لهـا خلَقٌ منـهـا ولا شـيـمُ

نتـاجُ رأيكَ في وقتٍ على عـجلٍ ... كلفظِ حـرفٍ وعـاهُ سـامعٌ فَـهِمُ

وقـد تمنَّوْا غـداةَ الدربِ في لجبٍ ... أن يبـصـرُوك فلمَّـا أبصـرُوكَ عـمـوا

صـدمْـتَـهُمْ بخـمـيسٍ أنتَ غـرّتهُ ... وسـمـهـريتُـهُ في وجـهِـهِ غـممُ[2]

فكانَ أثبتُ مـا فـيـهمْ جـسومَـهُمُ ... يسـقـطنُ حـولَك والأرواحُ تنهـزمُ

والأعـوجـيَّـةُ ملءُ الطَّرقِ خلفَـهُمُ ... والمشـرفـيَّـةُ ملءُ اليـومِ فـوقـهمُ[3]

إذا توافـقتِ الضـرباتُ صـاعـدةً ... توافـقتْ قللٌ في الجـوّ تصطدمُ

---

(١) الجحافل: جمع جحفلة: وهي لذي الحافر بمنزلة الشفة للإنسان. الرثم: بياض في جحفلة الفرس العليا.

(٢) الغمم: كثرة شعر الناصية.

(٣) الأعوجية: خيل منسوبة إلى أعوج، وهو فرس كريم كان لبني هلال.

وأسلمَ ابن شمشقيق أليَّتهُ ... ألا انثنى فهوَ ينأى وهي تبتسمُ

لا يأملُ النَّفَسَ الأقصى لمهجتهِ ... فيسرقُ النَّفَسَ الأدنى ويغتنمُ

تردّ عنه قنا الفرسانِ سابغةٌ ... صوبُ الأسنةِ في أثنائِها ديمُ

تخطُّ فيها العوالي ليسَ تنفذُها ... كأنَّ كلَّ سنانٍ فوقَها قلمُ

فلا سقى الغيثُ ما واراهُ منْ شجرٍ ... لو زلّ عنه لوارتْ شخصَهُ الرَّخمُ

ألهى الممالكَ عن فخرٍ قفلتَ به ... شربُ المدامةِ والأوتارُ والنغمُ

مقلداً فوق شكرِ اللهِ ذا شُطبٍ ... لا تستدامُ بأمضى منهُما النِّعمُ[1]

ألقتْ إليك دماءُ الرّومِ طاعتَها ... فلوْ دعوت بلا ضربٍ أجابَ دمُ

يسابقُ القتلُ فيهمْ كلّ حادثةٍ ... فما يصيبُهُمُ موتٌ ولا هرمُ

نفتْ رقادَ عليٍّ عن محاجرِهِ ... نفسٌ يفرّحُ نفساً غيرَها الحلمُ

لا تطلبنَّ كريماً بعدَ رؤيتهِ ... إنَّ الكرامَ بأسخاهُمْ يداً خُتمُوا

ولا تبالِ بشعرٍ بعدَ شاعرِه ... قد أُفسِدَ القولُ حتى أحمِدَ الصممُ

(١) الشطب: جمع شطبة: الطريقة في متن السيف.

الصاعقة الرابعة بعد المئة: ذِكرُ الصبى ومراتع الآرام(*)

ذِكَـــرُ الصـــبى ومـــراتِعِ الآرامِ ... جلبتْ حمامي قبلَ وقتِ حِمامي

دمنٌ تكاثرتِ الهـمـومُ عليّ في ... عـرصـاتِهـا كـتكاثرِ اللوّامِ

وكـأنَّ كلَّ سـحـابةٍ وقـفتْ بهـا ... تبكي بعـينيْ عـروةَ بنِ حـزامِ

ولطالما أفنيتُ ريقَ كـعـابِهـا ... فـيـهـا وأفنتْ بالعتابِ كلامي(١)

قـد كنتَ تهـزأُ بالفـراقِ مـجـانةً ... وتجـرّ ذيليْ شـرةٍ وعُـرَامِ

ليسَ القـبـابُ على الرِّكـابِ وإنما ... هنَّ الحـيـاةُ ترحَّلتْ بسَـلامِ

ليتَ الذي فلقَ النوى جعلَ الحصى ... لخـفـافـهنّ مـفـاصلي وعِظامي

مـتـلاحظين نسحّ مـاءَ شـؤوننا ... حـذراً منَ الرقـبـاءِ في الأكـمَـامِ(٢)

أرواحُنا انهـملتْ وعـشْنا بعـدَها ... منْ بعـدِ مـا قطرتْ على الأقـدامِ

لو كُنَّ يومَ جـرينَ كنَّ كـصـبـرِنا ... عند الرَّحـيلِ لكنْ غـيـرَ سـجَـامِ

لم يتـركـوا لي صـاحـبًـا إلا الأسى ... وذمـيـلَ ذعلبـةٍ كـفـحلِ نَعَـامِ(٣)

وتعـذُّرُ الأحـرارِ صـيَّـر ظهـرَها ... إلا إليـكَ عليّ ظـهـرَ حَـرَامِ

أنـتِ الغـريبـةُ في زمـانٍ أهلُهُ ... وُلِدَتْ مكارمُـهُمْ لغـيـرِ تَمامِ

(*) مناسبة القصيدة: قالها يمدح سيف الدولة، ويذكر إيقاعه بعمرو بن حابس وبني ضبة.

(١) المجانة: الهزل وعدم المبالاة. الشرة: الحدة والبطر. العرام: الشراسة.

(٢) الشؤون: مجاري الدموع.

(٣) الزميل: ضرب من سير الإبل. الذعلبة: الناقة السريعة.

أكـثـرْتَ منْ بذلِ النوالِ ولمْ تزلْ ... عَلَمًـا على الإفـضـالِ والإنعَـامِ
صغَّرْتَ كلَّ كبيرةٍ وكبرْتَ عنْ ... لكأنَّهَ وعـدَدْتَ سنَّ غُـلامِ
ورفلتَ في حللِ الثناءِ وإنما ... عـدمُ الثناءِ نهـايةُ الإعـدامِ
عيبٌ عليكَ تُرى بسيفٍ في الوغى ... ما يصنعُ الصمصامُ بالصّمصَامِ
إن كانَ مثلُكَ كانَ أو هو كائنٌ ... فـبـرئتُ حـينئـذٍ من الإسـلامِ
ملكٌ زهتْ بمكانه أيامُـهُ ... حـتى افـتـخـرنَ به على الأيّامِ
وتخـالُهُ سلبَ الورى منْ حلمِـه ... أحـلامَـهُم فـهُمُ بلا أحـلامِ
وإذا امتحنتَ تكشّفَتْ عـزماتهُ ... عـنْ أوحـديّ الـنقضِ والإبـرامِ
وإذا سـألتَ بنانَهُ عنْ نيلِه ... لم يرضَ بالدنيا قـضـاءَ ذمَـامِ
مـهـلًا ألا للهِ مـا صنَعَ القنا ... في عمرو حابِ وضبّةَ الأغتَامِ[1]
لما تحكمتِ الأسنةُ فـيـهم ... جـارتْ وهنَّ يجـرن في الأحكامِ
فتركتَهُمْ خللَ البيوتِ كأنما ... غـضبتْ رؤوسهُمُ على الأجسَامِ
أحـجـارُ ناسٍ فـوقَ أرضٍ منْ دمٍ ... ونجـومُ بيضٍ في سـمـاءِ قَـتَـامِ
وذراعُ كلّ أبي فُـلانٍ كنيـةً ... حـالتْ فصاحِبُها أبو الأيتَامِ
عـهدي بمعركةِ الأميرِ وخيلُهُ ... في النقعِ محجمةٌ عن الإحجامِ
صلى الإلهُ عليكَ غـيـرَ مـودَّعٍ ... وسقى ثَرى أبويْكَ صوبَ غَمَامِ

(١) الأغتام: الذي في منطقهم عجمة.

وكساكَ ثوبَ مهابةٍ مِنْ عندِه ... وأراكَ وجهَ شقيقكَ القَمقَامِ[١]

فلقدْ رمى بلدَ العدوِّ بنفسِه ... في روقِ أرعنَ كالغطمِ لُهَامِ[٢]

قومٌ تفرَّست المنايا فيكُمُ ... فرأتْ لكمْ في الحربِ صبرَ كِرَامِ

تاللهِ ما عَلِمَ امرؤٌ لولاكمُ ... كيفَ السخاءُ وكيفَ ضربُ الهَامِ

(١) القمقام: السيد.

(٢) الروق: القرن. الغطم: البحر العظيم. اللهام: الجيش الكثير.

obeikandl.com

الصاعقة الخامسة بعد المئة: ضيفٌ ألمْ برأسي غير محتشمِ(*)

ضيفٌ ألمَّ برأسي غيرَ محتشم ... والسيفُ أحسنُ فعلًا منه باللِّممِ(١)

ابعدْ بعدتَ بياضًا لا بياضَ لهُ ... لأنتَ أسودُ في عيني منَ الظلمِ

بحبّ قاتلتي والشيب تغذيتي ... هوايَ طفلًا وشيبي بالغَ الحلُمِ

فما أمُرّ برسمٍ لا أسائلُهُ ... ولا بذاتِ خمارٍ لا تريقُ دَمي

تنفستْ عنْ وفاءٍ غيرِ منصدعٍ ... يومَ الرحيلِ وشعبٍ غيرِ ملتئمِ

قبّلتُها ودموعي مزجُ أدمعِها ... وقبلتْني على خوفٍ فمًا لفَمِ

قد ذقتُ ماءَ حياةٍ منْ مقبَّلِها ... لو صابَ تربًا لأحيا سالفَ الأممِ

ترنو إليّ بعينِ الظبيِ مجهشةً ... وتمسحُ الطلَّ فوقَ الوردِ بالعنمِ(٢)

رويدَ حكمكِ فينا غيرَ منصفةٍ ... بالناسِ كلِّهم أفديكِ منْ حكَمِ

أبديت مثلَ الذي أبديتُ منْ جَزَعٍ ... ولم تُجنّي الذي أجنيتُ منْ ألَمِ

إذًا لبزَّكِ ثوبَ الحسنِ أصغرُهُ ... وصرتِ مثلي في ثوبين منْ سَقَمِ

ليسَ التعلُّلُ بالآمالِ منْ أربي ... ولا القناعةُ بالإقلالِ منْ شيَمي

ولا أظنّ بناتِ الدهرِ تتركني ... حتى تسدَّ عليها طرْقَها هِمَمي

(*) مناسبة القصيدة: قالها في صباه.

(١) الصيف: الشيب.

(٢) العنم: أطراف الأصابع. والعنم نوع من الأشجار ثمره أحمر.

لُمِ الليالي التي أخنتْ على جِدَتي ... برقةِ الحالِ واعذرني ولا تَلُمِ[١]

أرى أناسًا ومحصُولي على غنمٍ ... وذِكرَ جودٍ ومحصُولي على الكَلِمِ

وربَّ مالٍ فقيراً منْ مروءتهِ ... لم يُثرِ منها كما أثرى من العُدُمِ

سيَصحَبُ النصلُ مني مثل مَضربِهِ ... وينجلي خبري عن صمّةِ الصَّمَمِ

لقدْ تصَّبرتُ حتى لاتَ مصطَبرٍ ... فالآن أقحمُ حتى لاتَ مقتحمِ

لأتركَنَّ وجوهَ الخيلِ ساهمةً ... والحربُ أقومُ منْ ساقٍ على قدمِ[٢]

والطعنُ يحرقُها والزجرُ يقلقُها ... حتى كأنَّ بها ضرباً منَ اللممِ

قد كلمتْها العوالي فهي كالحةٌ ... كأنما الصّابُ مذرورٌ على اللجمِ[٣]

بكلِّ منصلتٍ ما زالَ منتظري ... حتى أدلتُ لهُ منْ دولةِ الخدمِ

شيخٌ يرى الصلواتِ الخمسَ نافلةً ... ويستحلّ دمَ الحُجَّاجِ في الحرمِ

وكلما نطحتْ تحتَ العجاجِ به ... أسدُ الكتائبِ رامتْهُ ولم يرمِ

تنسي البلادَ بروقَ الجوِّ بارقتي ... وتكتفي بالدمِ الجاري عن الدِّيَمِ

ردي حياضَ الردى يا نفسُ واتركي ... حياضَ خوفِ الردى للشاء والنَّعمِ

إن لم أذرْكَ على الأرماحِ سائلة ... فلا دُعيتُ ابنَ أمِّ المجدِ والكرمِ

أيملكُ الملكَ والأسيافُ ظامئةٌ ... والطيرُ جائعةٌ لحمٌ على وضمِ[٤]

---

(١) أخنى: أفنى.

(٢) ساهمة: متغيرة متحوّلة.

(٣) الصاب: نبات مر. مذرور: مرشوش.

(٤) الوضم: خشبة يقطع الجزار عليها اللحم.

مـنْ لوْ رآني مـــاءً مـــاتَ مـنْ ظمـــإٍ ولـو عَـــرَضـتُ لـه في النـوم لِـمْ يَنـمِ
مـيـعـادُ كـلِّ رقـيقِ الشـفـرتـين غـدًا ومنْ عـصى منْ ملوكِ العُربِ والعجمِ
فـإنْ أجـابوا فـمـا قـصـدي بـهـا لـهـمُ وإن تـولوْا فـــمـــا أرضـى لـهَـــا بـهـمِ

obeikandl.com

الصاعقة السادسة بعد المئة: أحقٌّ عافٍ بدمعك الهممُ(*)

أحقٌّ عافٍ بدمعكَ الهممُ ... أحدثُ شيء عهدًا بها القدمُ

وإنما الناسُ بالملوكِ وما ... تفلحُ عُربٌ ملوكُها عجمُ

لا أدبٌ عندهُمْ ولا حسبٌ ... ولا عهودٌ لهمْ ولا ذممُ

بكلِّ أرضٍ وطئتُها أممٌ ... ترعى بعبدٍ كأنها غنمُ

يستخشنُ الخزّ حينَ يلمُسُهُ ... وكانَ يبرى بظفرهِ القلمُ

إني وإنْ لمتُ حاسديَّ فما ... أنكرُ أني عقوبةٌ لهمُ

وكيفَ لا يُحسدُ امرؤٌ علَمٌ ... له على كلِّ هامةٍ قدمُ

يهابُه أبسأُ الرّجالِ به ... وتتقي حدَّ سيفه البُهَمُ(١)

كفاني الذمَّ أنني رجلٌ ... أكرمُ مالٍ ملكتُهُ الكرمُ

يجني الغنى للئامِ لو عقلوا ... ما ليس يجني عليهمُ العدمُ

همُ لأموالِهمْ ولسن لهمْ ... والعارُ يبقَى والجرحُ يلتئمُ

منْ طلبَ المجدَ فليكنْ كعلـ ... ـي يهبُ الألفَ وهوَ يبتسمُ

ويطعنُ الخيلَ كلّ نافذةٍ ... ليسَ لها منْ وحائها ألمُ(٢)

(*) مناسبة القصيدة: قالها يمدح علي بن إبراهيم.

(١) أبسأ: آنس. البهم: جمع بهمة: البطل.

(٢) الوحاء: السرعة.

ويعرفُ الأمرَ قبلَ موقعِه ... فما لهُ بعدَ فعلِه ندمُ
والأمرُ والنهيُ والسلاهبُ والـ ... ـبيضُ له والعبيدُ والحشمُ[1]
والسّطواتُ التي سمعتَ بها ... تكادُ منها الجبالُ تنقصمُ
يرعيكَ سمعًا فيه استماعٌ إلى الـ ... ـدّاعي وفيهِ عن الخنى صممُ
يريكَ منْ خلقِه غرائبهُ ... في مجدِه كيفَ تُخلقُ النسمُ
ملتُ إلى منْ يكادُ بينكُما ... إن كنتُما السائلين ينقسِمُ
منْ بعدِ ما صيغَ منْ مواهبِه ... لمن أحبُّ الشُّنوفُ والخدمُ
ما بذلتْ ما به يجودُ يدٌ ... ولا تهدّى لما يقولُ فمُ
بنو العفرْنى محطّة الأسَدِ الأسْـ ... ـدُ ولكنْ رماحُها الأجمُ[2]
قومٌ بلوغ الغلامِ عندهُمُ ... طعنُ نحورِ الكماةِ لا الحُلمُ
كأنما يولدُ الندى معهمْ ... لا صغرٌ عاذرٌ ولا هرمُ
إذا تولَّوا عداوةً كشفُوا ... وإن تولوا صنيعةً كتموا
تظنُّ منْ فقدِكَ اعتدادهُمُ ... أنهمُ أنعموا وما عَلِموا
إن برقُوا فالحتوفُ حاضرةٌ ... أو نطقُوا فالصوابُ والحكمُ
أو حلفُوا بالغموسِ واجتهدوا ... فقولُهُم خابَ سائلي القسمُ
أو ركبُوا الخيلَ غيرَ مسرجةٍ ... فإنَّ أفخاذهم لها حُزُمُ

(١) السلاهب: الخيل الكريمة الطويلة.
(٢) محطة: جد الممدوح.

أو شهدوا الحربَ لاقحًا أخذوا ... من مهجِ الدَّارعينَ ما احتكموا[١]

تُشرقُ أعراضهم وأوجههمْ ... كأنها في نفوسِهم شيمُ

لولاك لم أترك البحيرة والـ ... ـغورُ دفيءٌ وماؤها شبمُ[٢]

والموجُ مثلُ الفحولِ مزبدةً ... تهدرُ فيها وما بها قطمُ[٣]

والطيرُ فوقَ الحبابِ تحسبُها ... فرسانَ بلقٍ تخونُها اللجمُ[٤]

كأنّها والرياحُ تضربُها ... جيشا وغىً هازمٌ ومنهزمُ

كأنها في نهارِها قمرٌ ... حفّ بهِ من جنانِها ظُلمُ

تغنتِ الطيرُ في جوانبِها ... وجادتِ الروض حولَها الديمُ

فهي كماويَّةٍ مطوَّقةٍ ... جُرّد عنها غشاؤُها الأدمُ[٥]

يشينُها جريُها على بلدٍ ... تشينُهُ الأدعياءُ والقزمُ[٦]

أبا الحُسين استمعْ فمدحُكُمُ ... بالفعلِ قبلَ الكلامِ منتظِمُ

وقد توالى العهادُ منهُ لكمُ ... وجادتْ المطرَةُ التي تسمُ

أُعيذُكم منْ صُروف دهركُمُ ... فإنهُ في الكِرامِ مُتَّهمُ

(١) اللاقح: الحرب الشديدة.
(٢) الشبم: البارد.
(٣) القطم: هياج الفحل.
(٤) الحباب: طرائق الماء.
(٥) الماوية: المرآة.
(٦) القزم: أراذل الناس.

الصاعقة السابعة بعد المئة: الحبُّ ما منع الكلام الألسُنا(*)

الحبُّ مـــا منعَ الكلامَ الألسُنا ... وألذُّ شكوى عـــاشقٍ مـــا أعلَنَا
ليتَ الحبيبَ الهاجري هجرَ الكرى ... منْ غـيـرِ جُرمٍ واصِلي صِلَةَ الضّنى
بتنَا ولوْ حَلّيْـــتنا لمْ تدرِ مـــا ... ألوانُنا مما اســـتُـــفـــعْنَ تَلَوُّنَا(١)
وتوقَّـــدتْ أنفـــاسُنا حـــتى لقـــدْ ... أشـفـقْتُ تحـتـرقُ العـواذلُ بَينَنَا
أفـدي المودِّعـةَ التي أتبـعـتُـهـا ... نظرًا فُـــرادى بينَ زفـــراتٍ ثُنَا
أنكرتُ طارقـــةَ الحـــوادثِ مـــرةً ... ثم اعـتـرفتُ بهـا فـصـارتْ دَيدَنَا
وقطعتُ في الدنيـا الفـلا وركـائبي ... فـيـهـا ووقْـتيّ الضّـحى والموهِنَا
فوقفتُ منهـا حيثُ أوقفَني النَّدى ... وبلغتُ منْ بدرِ بنِ عـمّـارَ المُنى
لأبي الحسينِ جـدىً يضـيقُ وعـاؤهُ ... عنه ولو كـــانَ الوعـــاءُ الأزمُنَا(٢)
وشـجـاعـةٌ أغناه عنْهـا ذكـرُها ... ونهى الجبـانَ حديثُـهـا أن يجبُنَا
نيطتْ حـمـائلُهُ بعـاتقِ مـحـرَبٍ ... مـا كـرّ قطُّ وهلْ يكرُّ ومـا انثَنى
فكـأنَّه والطعـنُ منْ قُـــدّامِـــه ... مـتـخـوِّفٌ منْ خلفِـه أنْ يُطعَنَا

(*) مناسبة القصيدة: سار بدر بن عمار إلى الساحل، ولم يسر أبو الطيب معه، ثم بلغه أن ابن كروس الأعور كتب إلى بدر يقول له: إن أبا الطيب إنما تخلف عنك رغبة بنفسه عن المسير معك، ولما عاد بدر إلى طبرية ضربت له قباب عليها أمثلة من تصاوير، فقال أبو الطيب هذه القصيدة.

(١) استفع لونه: تغير.

(٢) الجدا: العطاء.

نفتِ التوهّمَ عنه حدّةُ ذهنِه ... فقضَى على غيبِ الأمورِ تيقُّنَا

يتفزعُ الجبّارُ منْ بغتاتِه ... فيظلُّ في خلواتِه متكفِّنَا

أمضى إرادتَه فسوفَ لهُ قدٌ ... واستقربَ الأقصى فثمَّ له هُنَا

يجدُ الحديدَ على بضاضةِ جلدِه ... ثوبًا أخفَّ منَ الحريرِ وألينَا[1]

وأمرٌّ منْ فقْدِ الأحبَّةِ عندهُ ... فقدُ السيوفِ الفاقداتِ الأجفُنَا

لا يستكنُّ الرّعبُ بينَ ضلوعِه ... يومًا ولا الإحسانُ أن لا يُحسنَا

مستنبطٌ منْ علمِه ما في غدٍ ... فكأنَّ ما سيكونُ فيه دُوِّنَا

تتقاصرُ الأفهامُ عن إدراكِه ... مثلَ الذي الأفلاكُ فيه والدُّنا

مَنْ ليسَ منْ قتلاهُ من طُلقائه ... مَنْ ليسَ ممنْ دانَ ممنْ حُيِّنَا

لما قفلتَ منْ السواحلِ نحوَنا ... قفلتْ إليها وحشةٌ منْ عندِنا

أرجَ الطريقُ فما مررتَ بموضعٍ ... إلا أقامَ به الشّذا مستوطنَا

لو تعقلُ الشجرُ التي قابلْتَها ... مدّتْ محيِّيةً إليكَ الأغصُنَا

سلكتْ تماثيلَ القبابِ الجنُّ منْ ... شوقٍ بها فأدرْنَ فيكَ الأعينَا

طربتْ مراكبُنا فخلْنا أنها ... لولا حياءٌ عاقَها رقصتْ بنا

أقبلتَ تبسمُ والجيادُ عوابسٌ ... يخببْنَ بالحلقِ المضاعفِ والقَنَا[1]

---

(١) البضاضة: الرقة في الجلد.

(٢) الخبب: ضرب من المشي.

عـقـدَتْ سنابكُها عليـها عِـثْـيَـراً ... لو تبـتـغي عنقًـا عليـه لأمكَنَا

والأمـرُ أمـرُك والقلوبُ خـوافقٌ ... في مـوقفٍ بينَ المنيـةِ والمنى

فعجبتُ حتى ما عجبتُ من الظُّبى ... ورأيتُ حـتى مـا رأيتُ منَ السّنى

إني أراكَ منَ المكارمِ عـسكَـراً ... في عـسكَرٍ ومنَ المعـالي مَـعـدِنَا

فطنَ الفـؤادُ لما أتيتُ على النوى ... ولما تركتُ مـخـافـةً أن تَفطُنَا

أضـحى فـراقُك لي عليـه عُـقـوبةً ... ليس الذي قـاسـيتُ منه هيّنَا

فاغفرْ فدى لك واحبني منْ بعدِها ... لتـخُـصّني بعطيّـةٍ منهـا أنَا

وانهَ المشـيـرَ عليكَ فيّ بضلّةٍ ... فـالحـرُّ ممتـحَنٌ بأولادِ الزّنَى

وإذا الفـتى طرحَ الكلامَ مـعـرِّضًـا ... في مـجلسٍ أخـذَ الكلامَ اللّذ عَنى

ومكايدُ السـفـهـاءِ واقـعـةٌ بهمْ ... وعـداوةُ الشـعَـراءِ بئس المُقـتَنى

لُعنتْ مـقـارنةُ اللئـيم فـإنهـا ... ضيفٌ يجرُّ منَ الندامةِ ضيـفَنَا[1]

غـضبُ الحسودِ إذا لقيتُك راضيًـا ... رُزْءٌ أخـفُّ عـلـيّ مـنْ أنْ يُـوزَنَـا

أمـسى الذي أمـسى بربِّكَ كـافـراً ... منْ غـيـرنا مَـعَنا بفـضلكَ مُـؤمِنَا

خلتِ البـلادُ منَ الغـزالةِ ليلَهـا ... فـأعـاضَـهـاكَ اللهُ كي لا تحـزَنَا

(١) الضيفن: الذي يتبع الضيف.

الصاعقة الثامنة بعد المئة: أفاضلُ الناس أغراضٌ لدى الزمن(*)

أفاضلُ الناسِ أغراضٌ لدى الزمنِ ... يخلو منَ الهمّ أخلاهم منَ الفطنِ

وإنما نحنُ في جيلٍ سواسيةٍ ... شرٍّ على الحُرّ منْ سُقمٍ على بدنِ

حولي بكلّ مكانٍ منهمُ خلَقٌ ... تُخطي إذا جئتَ في استفهامِها بمنِ

لا أقتري بلداً إلا على غررٍ ... ولا أمرُّ بخلقٍ غيرِ مُضطغنِ(١)

ولا أعاشرُ منْ أملاكِهِمْ ملكًا ... إلا أحقَّ بضربِ الرأسِ منْ وثنِ

إني لأعذرُهمْ مما أعنّفُهُمْ ... حتى أعنّفُ نفسي فيهِمِ وأني

فقرُ الجهولِ بلا قلبٍ إلى أدبٍ ... فقرُ الحمارِ بلا رأسٍ إلى رسنِ

ومدقعينَ بسبروتٍ صحبتُهُمُ ... عارينَ من حُللٍ كاسينَ منْ درنِ(٢)

خُرّاب باديةٍ غرثى بطونُهُمُ ... مكنُ الضِّبابِ لهمْ زادٌ بلا ثمنِ(٣)

يستخبرونَ فلا أُعطيهم خبري ... وما يطيشُ لهمْ سهمٌ منَ الظّنِ

وخلّةٍ في جليسٍ ألتقيهِ بها ... كيما يرى أننا مثلانِ في الوَهَنِ

وكلْمةٍ في طريقٍ خفْتُ أعربُها ... فيُهْتَدَى لي فلمْ أقدرْ على اللّحنِ

(*) مناسبة القصيدة: قالها يمدح أبا عبدالله محمد بن عبدالله بن محمد الخطيب الحصيبي، وهو يومئذٍ يتقلّد القضاء بإنطاكية.

(١) أقتري: أتتبع. الغرر: تعريض النفس للهلكة.

(٢) المدقع: اللاصق بالأرض ذلاً. السبروت: القفر لا نبات فيه.

(٣) الخراب: جمع خارب: الذي يسرق الإبل خاصة. غرثى: ضامرة من الجوع. مكنها: بيضها.

قد هوّنَ الصبرُ عندي كلَّ نازلةٍ ... وليّن العزمُ حدَّ المركبِ الخشنِ

كم مخلصٍ وعلًا في خوضِ مهلكةٍ ... وقتلةٍ قُرنتْ بالذمِّ في الجبُنِ

لا يُعجبنَّ مضيمًا حُسنُ بزّته ... وهلْ ترُوقُ دفينًا جُودةُ الكفَنِ

لله حالٌ أُرجّيها وتُخلفُني ... وأقتضي كونَها دهري ويمطُلني

مَدَحتُ قَومًا وإنْ عشنا نظمتُ لهم ... قصائدًا منْ إناثِ الخيلِ والحُصُنِ

تحتَ العجاجِ قوافيها مضمّرةٌ ... إذا تُنُوشدنَ لمْ يدخُلنَ في أذنِ

فلا أُحاربُ مدفوعًا إلى جدرٍ ... ولا أُصالحُ مغرورًا على دخنِ[1]

مخيِّمُ الجمعِ بالبيداء يصهرُهُ ... حرُّ الهواجرِ في صُمٍّ من الفتنِ

ألقى الكرامُ الألى بادوا مكارمَهُم ... على الخصيبيّ عند الفرضِ والسُّننِ

فهُنّ في الحجرِ منهُ كلَّما عرضتْ ... له اليتامى بدا بالمجدِ والمننِ

قاضٍ إذا التبسَ الأمران عنّ له ... رأيٌ يُخلِّصُ بين الماءِ واللبنِ

غضُّ الشبابِ بعيدٌ فجرُ ليلتِه ... مُجانبُ العينِ للفحشاءِ والوسنِ

شرابُهُ النّشحُ لا للريِّ يطلُبُهُ ... وطُعمُهُ لقوامِ الجسمِ لا السَّمَنِ[2]

القائلُ الصدقَ فيه ما يُضرّ به ... والواحدُ الحالتين السرِّ والعلنِ

الفاصلُ الحكمَ عيَّ الأولون به ... والمظهرُ الحقَّ للساهي على الذَّهنِ

---

(١) الدخن: الفساد.

(٢) النشح: الشرب القليل.

أفعالُه نسبٌ لوْ لم يقلْ معها ... جدّي الخصيبُ عرفنا العرقَ بالغصنِ

العارضُ الهتنُ ابنُ العارضِ الهتنِ ابـ ... ـنِ العارضِ الهتنِ ابنِ العارضِ الهتنِ[1]

قد صيرتْ أولَ الدنيا وآخرَها ... آباؤه منْ مغارِ العلمِ في قرنِ

كأنهم ولدوا منْ قبلِ أنْ ولدوا ... أو كانَ فهمُهمْ أيامَ لم يكنِ

الخاطرينَ على أعدائِهم أبداً ... منَ المحامد في أوقى منَ الجننِ[2]

للناظرينَ إلى إقبالِه فرحٌ ... يُزيلُ ما بجباهِ القومِ منْ غَضَنِ

كأنَّ مالَ ابنَ عبدِالله مغترفٌ ... منْ راحتيْه بأرضِ الرّومِ واليَمَنِ

لم نفتقدْ بكَ من مزنٍ سوى لثقٍ ... ولا منَ البحرِ غير الريحِ والسُّفُنِ[3]

ولا من الليثِ إلا قُبحَ منظرِه ... ومنْ سواه سوى ما ليسَ بالحسنِ

منذُ احتبيتَ بأنطاكيةَ اعتدلتْ ... حتى كأنَّ ذوي الأوتارِ في هُدنِ

ومذ مررتَ على أطوادِها قرعتْ ... من السجودِ فلا نبتٌ على القننِ

أخلتْ مواهبُك الأسواقَ منْ صنعٍ ... أغنى نداكَ عنِ الأعمالِ والمهَنِ

ذا جُودُ منْ ليسَ منْ دهرٍ على ثقةٍ ... وزُهْدُ منْ ليسَ منْ دُنياهُ في وَطنِ

وهذه همّةٌ لم يُؤتَها بشرٌ ... وذا اقتدارُ لسانٍ ليس في المُننِ

فمر وأومئْ تطعْ قدّستَ من جبلٍ ... تبارَكَ اللهُ مُجري الروحَ في حَضَنِ[4]

---

(١) الهتن: كثرة الانصباب.

(٢) أوفى: أحفظ.

(٣) اللثق: الندى يعلق بالأرض فتصير وحلاً.

(٤) حضن: جبل عظيم بنجد.

الصاعقة التاسعة بعد المئة: قد علم البينُ منا البين أجفانا(*)

قَـد عَلَّمَ البَينُ مِنّا البَينَ أجـفـانَا ... تدمى وألَّفَ في ذا القلبِ أحـزانَا

أمَّلتُ ساعةَ ساروا كشْفَ معصمِها ... ليلبثَ الحيُّ دونَ السَّيرِ حيرانَا

ولوْ بدتْ لأتاهتْهم فحجّبَها ... صونٌ عقولَهُم منْ لحظِها صانَا

بالواخداتِ وحاديها وبي قَمَرٌ ... يظلُّ من وخدِها في الخدرِ خشيانَا(١)

أما الثيابُ فتعرى منْ محاسنهِ ... إذا نَضاها ويكسى الحسنَ عُريانَا

يضمُّه المسكُ ضمَّ المستهامِ به ... حتى يصيرَ على الأعكانِ أعكانَا(٢)

قد كنتُ أشفقُ من دمعي على بصري ... فاليومَ كلُّ عزيزٍ بعدَكمْ هانَا

تهدي البوارقُ أخلافَ المياهِ لكمْ ... وللمحبّ منَ التذكارِ نيرانَا

إذا قدمتُ على الأهوالِ شيَّعني ... قلبٌ إذا شئتُ أنْ أسلاكمُ خانَا

أبدو فيسجدُ مَنْ بالسوءِ يذكرني ... فلا أعاتبُهُ صفحًا وإهوانَا

وهكذا كنتُ في أهلي وفي وطني ... إنَّ النفيسَ غريبٌ حيثما كانَا

محسَّدُ الفضلِ مكذوبٌ على أثري ... ألقى الكميَّ ويلقاني إذا حَانَا

لا أشرئبّ إلى ما لمْ يفتْ طمعًا ... ولا أبيتُ على ما فاتَ حَسرَانَا

(*) مناسبة القصيدة: قالها يمدح أبا سهل سعيد بن عبيدالله بن الحسين الإنطاكي.

(١) الواخدات: المسرعات من النياق.

(٢) الأعكان: مطاوي البطن.

ولا أُسرّ بما غَيري الحَميدُ به ... ولو حملتَ إليّ الدهرَ مَلآنَا
لا يجذبنّ ركابي نحوَهُ أحدٌ ... ما دُمتُ حيًا وما قلقلنَ كِيرانَا[1]
لو استطعتُ ركبتُ النّاسَ كلّهمُ ... إلى سعيدِ بنِ عبدِ الله بعرانا
فالعيسُ أعقلُ مِنْ قومٍ رأيتُهم ... عما يراهُ منَ الإحسانِ عُميانَا
ذاك الجوادُ وإن قلَّ الجوادُ لهُ ... ذاكَ الشجاعُ وإنْ لم يرضَ أقرانَا
ذاكَ المعدّ الذي تقنو يداهُ لنا ... فلو أصيبَ بشيءٍ منه عزّانَا
خفَّ الزمانُ على أطرافِ أنمُلِه ... حتّى تُوُهِّمن للأزمانِ أزمانَا
يلقى الوغى والقنا والنازلاتِ به ... والسيفَ والضيفَ رحبَ البالِ جذلانَا
تخالُه منْ ذكاءِ القلبِ محتميًا ... ومِنْ تكرّمِه والبشرِ نشوانَا
وتسحبُ الحبرَ القينات رافلةً ... منْ جودِه وتجرّ الخيلُ أرسانَا[2]
يُعطي المبَشِّرَ بالقصّادِ قبلهُمُ ... كمنْ يبشِّرُه بالماءِ عطشانَا
جزَتْ بني الحَسَنِ الحُسنى فإنهُمُ ... في قومِهِمْ مثلُهُمْ في الغرِّ عدنانَا
ما شيَّدَ اللهُ منْ مجدٍ لسالفِهم ... إلا ونحنُ نراهُ فيهمُ الآنَا
إن كوتبوا أو لقوا أو حوربوا وُجدوا ... في الخطّ واللفظِ والهيجاءِ فرسانَا
كأنَّ ألسُنَهم في النطقِ قد جُعِلَتْ ... على رِماحِهِمْ في الطَّعنِ خرصانَا[3]

(١) الكيران: جمع كور: الرحل.
(٢) الحبر: الحلل اليمانية.
(٣) الخرصان: جمع خرص: حلقة السنان.

كـــأنهُمْ يـردونَ الموتَ منْ ظمـــإٍ ... أو ينشـــقـــونَ منَ الخطّيّ ريحـــانَا

الـكـائـنينَ لمـنْ أبـغي عـــــداوتَـه ... أعـدى العـدى ولمنْ آخـيتُ إخـوانَا

خـــلائقٌ لو حـواها الزّنجُ لانقلبـوا ... ظُميَ الشّفاه جعادَ الشعرِ غرّانَا[1]

وأنفسٌ يلمـعـيّـاتٌ تُحـبُّـهُمُ ... لهـا اضطراراً ولو أقـصـوْكَ شنآنَا

الـواضـــحينَ أبوّاتٍ وأجـــبـنةً ... ووالـداتِ وألـبـــــابـاً وأذهـانَـا

يا صـائدَ الجحفلِ المرهوبِ جـانبُـه ... إنَّ الليـوثَ تصـيـدُ الناسَ أُحـدانَا

وواهبًـــا ، كلُّ وقتٍ وقتُ نـائله ... وإنَّمـــا يهبُ الوهّابُ أحـيـــانَا

أنتَ الذي سَبَكَ الأمـوالَ مكرُمـةً ... ثم اتخـذتَ لهـا السُّؤالَ خُـزّانَا

عليكَ منكَ إذا أخليتَ مـــرتقبٌ ... لم تأتِ في السّرّ ما لمْ تأتِ إعلانَا

لا أستـزيدُك فيـمـا فـيكَ منْ كـرمٍ ... أنا الذي نامَ إنْ نبّـــهتُ يقظَانَا

فـــإنَّ مـــثلكَ باهيتُ الكرامَ به ... وردَّ سُـــخطًا على الأيّامِ رضـــوانَا

وأنتَ أبعـدُهم ذكـراً وأكـبـرُهم ... قـدراً وأرفـعُـهمْ في المجـدِ بُنْيـانَا

قـد شرّفَ اللهُ أرضًـا أنتَ سـاكنُهـا ... وشـرّفَ النّاسَ إذ سَـوّاكَ إنْسَـانًا

(١) ظمي الشفاه: الذابلة في سمرة. الغران: البيض.

الصاعقة العاشرة بعد المئة: الرأيَ قبلَ شجاعةِ الشجعان(*)

الرأيُ قبلَ شجاعةِ الشّجعانِ ... هو أولٌ وهيَ المحلُّ الثّاني

فإذا هما اجتمعا لنفسٍ حُرَّةٍ ... بلغتْ منَ العلياءِ كلَّ مكانِ

ولربما طعنَ الفتى أقرانَه ... بالرأي قبلَ تطاعنِ الأقرانِ

لولا العقولُ لكانَ أدنى ضَيغَمٍ ... أدنى إلى شرفٍ منَ الإنسانِ

ولما تفاضلتِ النفوسُ ودبَّرتْ ... أيدي الكماةِ عوالي المرّانِ

لولا سميُّ سيوفِهِ ومضاؤه ... لما سُللنَ لكنَّ كالأجفانِ

خاضَ الحمامَ بهنَّ حتى ما دُرى ... أمنِ احتقارِ ذاك أمْ نسيانِ

وسعى فقصّرَ عنْ مداهُ في العلى ... أهلُ الزمانِ وأهلُ كلِّ زمانِ

تخذوا المجالسَ في البيوتِ وعندَهُ ... أنَّ السروجَ مجالسُ الفتيانِ

وتوهمُوا اللعبَ الوغى والطعنَ في الـ ... ـهيجاءِ غيرَ الطَّعنِ في الميدانِ

قادَ الجيادَ إلى الطعانِ ولمْ يقُدْ ... إلا إلى العاداتِ والأوطانِ

كلُّ ابنِ سابقةٍ يغيرُ بحسنِه ... في قلبِ صاحبِه على الأحزانِ

إن خُلِّيتْ رُبِطتْ بآدابِ الوغى ... فدعاؤُها يغني عن الأرسانِ

في جحفلٍ ستَرَ العيونَ غبارُه ... فكأنما يبصرْنَ بالآذانِ

(*) مناسبة القصيدة: قالها يمدح سيف الدولة، وأنشده إياها بآمد، وكان منصرفاً من بلاد الروم.

يرمي بها البلدَ البعيدَ مظفرٌ ... كلُّ البعيدِ له قريبٌ دانِ

فكأنَّ أرجلَها بتربةِ منبجٍ ... يطرحْنَ أيديَها بحصنِ الرّانِ[١]

حتى عبَرْنَ بأرسناسَ سوابحًا ... ينشرنَ فيه عمائمَ الفرسانِ[٢]

يقمُصنَ في مثل المدى من باردٍ ... يذرُ الفحولَ وهنَّ كالخصيانِ[٣]

والماءُ بينَ عجاجتينِ مُخلِّصٌ ... تتفرّقان به وتلتقيانِ

ركضَ الأميرُ وكاللجينِ حبابُهُ ... وثنى الأعنةَ وهو كالعقيانِ

فتلَ الحبالَ منَ الغدائرِ فوقَهُ ... وبنى السفينَ له منَ الصلبانِ

وحشاهُ عاديةً بغيرِ قوائمٍ ... عُقمِ البطونِ حوالكَ الألوانِ

تأتي بما سبتِ الخيولُ كأنَّها ... تحتَ الحسانِ مرابضُ الغزلانِ

بحرٌ تعوَّدَ أن يُذمّ لأهلِه ... منْ دهرِه وطوارقِ الحدثانِ

فتركتَهُ وإذا أذمَّ منَ الورى ... راعاكَ واستثنى بني حمدانِ[٤]

المخفرينَ بكلِّ أبيضَ صارمٍ ... ذم الدّروع على ذوي التيجانِ

متصعلكينَ على كثافةِ ملْكهم ... متواضعينَ على عظيمِ الشانِ

يتقيَّلونَ ظلالَ كلّ مطهّمٍ ... أجل الظَّليمِ وربقةِ السرحانِ[٥]

---

(١) حصن الران: حصن بالروم.

(٢) أرسناس: نهر بالروم.

(٣) يقمصن: يثبن.

(٤) راعاك: لاحظك محسناً إليك.

(٥) الظليم: ذكر النعام. الربقة: العروة من حبل يشد بها. السرحان: الذئب.

خضعتْ لمنصلكَ المناصلُ عنوةً ... وأذلَّ دينُكَ سائرَ الأديانِ

وعلى الدروبِ وفي الرجوعِ غضاضةٌ ... والسيرُ ممتنعٌ من الإمكانِ

والطرقُ ضيقةُ المسالكِ بالقنا ... والكُفرُ مجتمعٌ على الإيمانِ

نظروا إلى زبرِ الحديدِ كأنما ... يصعدْنَ بينَ مناكبِ العقبانِ

وفوارسٍ يحيي الحِمامُ نفوسَها ... فكأنَّها ليستْ منَ الحَيَوانِ

ما زلتَ تضربُهم دراكًا في الذرى ... ضربًا كأنَّ السيفَ فيه اثنانِ

خصَّ الجماجمَ والوجوهَ كأنما ... جاءتْ إليكَ جسومُهمْ بأمانِ

فرموا بما يرمونَ عنْه وأدبروا ... يطؤون كلَّ حنيَّةٍ مرنانِ

يغشاهمُ مطرُ السحابِ مفصَّلًا ... بمهندٍ ومشقَّفٍ وسنانِ

حُرِمُوا الذي أملُوا وأدركَ منهم ... آمالَهُ منْ عادَ بالحرمانِ

وإذا الرماحُ شغلنَ مهجةَ ثائرٍ ... شغلتْهُ مهجتُهُ عنِ الإخوانِ

هيهاتَ عاقَ عنِ العوادِ قواضبٌ ... كثرَ القتيلُ بها وقلَّ العاني

ومهذبٌ أمرَ المنايا فيهمُ ... فأطعْنَه في طاعةِ الرحمنِ

قد سوَّدَتْ شجرَ الجبالِ شعورُهم ... فكأنَّ فيه مسفَّةُ الغربانِ[1]

وجرى على الورقِ النجيعِ القاني ... فكأنَّهُ النارنجُ في الأغصانِ[2]

---

(١) المسفّة: من (أسفّ الطائر) إذا دنا من الأرض في طيرانه.

(٢) النارنج: ليمون تسميه العامة بأبي صفير.

إنَّ السيوفَ مع الذين قلوبُهم ... كقلوبهنَّ إذا التقى الجمعانِ

تلقى الحسامَ على جراءةِ حدِّه ... مثلَ الجبانِ بكفِّ كلِّ جبانِ

رفعتْ بكَ العربُ العمادَ وصَيَّرَتْ ... قممَ الملوكِ مواقدَ النيرانِ

أنسابُ فخرهمُ إليكَ وإنما ... أنسابُ أصلِهمْ إلى عدنانِ

يا منْ يُقِّتلُ منْ أرادَ بسَيفِهِ ... أصبحتُ منْ قتلاكَ بالإحسانِ

فإذا رأيتُكَ حارَ دونَكَ ناظِري ... وإذا مدحتُكَ حارَ فيكَ لِساني

obeikandl.com

الصاعقة الحادية عشرة بعد المئة: بمَ التعلُّلُ لا أهلٌ ولا وطنٌ(*)

بمَ التعلُّلُ لا أهلٌ ولا وطنُ ... ولا نديمٌ ولا كأسٌ ولا سكنُ

أريدُ منْ زمني ذا أنْ يبلِّغني ... ما ليسَ يبلغُهُ من نفسِهِ الزمنُ

لا تلقَ دهركَ إلا غيرَ مكترثٍ ... ما دامَ يصحبُ فيه روحَكَ البدنُ

فما يدوم سرورٌ ما سررتَ به ... ولا يردُّ عليكَ الفائتَ الحزنُ

مما أضرّ بأهلِ العشق أنهمُ ... هووا وما عرفُوا الدنيا وما فطِنوا

تفنى عيونُهُمُ دمعًا وأنفُسُهُمْ ... في إثر كلِّ قبيحٍ وجهُهُ حسنُ

تحمَّلوا حملتْكُمْ كلُّ ناجيةٍ ... فكلُّ بينٍ عليّ اليوم مؤتمنُ(١)

ما في هوادجِكُمْ منْ مهجتي عوضٌ ... إنْ متُّ شوقًا ولا فيها لها ثمنُ

يا منْ نعيتُ على بعدٍ بمجلسِهِ ... كلٌّ بما زَعَمَ الناعونَ مرتهنُ

كم قد قُتلتُ وكمْ قد متُّ عندَكُمُ ... ثم انتفضْتُ فزالَ القبرُ والكفنُ

قدْ كانَ شاهدَ دفني قبلَ قولِهِم ... جماعةٌ ثم ماتوا قبلَ مَنْ دَفَنوا

ما كلُّ ما يتمنَّى المرءُ يدركُه ... تجري الرياحُ بما لا تشتهي السفنُ

رايتُكمْ لا يصونُ العرضَ جارُكمُ ... ولا يدرُّ على مرعاكمُ اللبنُ

جزاءُ كلّ قريبٍ منكمُ مللٌ ... وحظُّ كلِّ محبٍّ منكمُ ضغنُ

(*) مناسبة القصيدة: اتصل بأبي الطيب أن قومًا نعوه في مجلس سيف الدولة بحلب فقالها:

(١) الناجية: الناقة السريعة.

وتغضبونَ على منْ نالَ رفدَكُمُ ... حتى يعاقبَه التنغيصُ والمننُ
فغادرَ الهجرُ ما بيني وبينكمُ ... يهماءَ تكذبُ فيها العينُ والأذُنُ[1]
تحبو الرواسمُ منْ بعدِ الرسيم بِهَا ... وتسألُ الأرضُ عنْ أخفافِها الثفِنُ[2]
إني أصاحبُ حلمي وهو بي كرمٌ ... ولا أصاحبُ حلمي وهو بي جُبُنُ
ولا أقيمُ على مالٍ أذلّ به ... ولا ألذّ بما عرضي بِهِ دَرِنُ
سهرتُ بعد رحيلي وحشةً لكمُ ... ثم استمرّ مريري وارعوى الوَسَنُ
وإن بليتُ بودٍّ مثلِ ودِّكمُ ... فإنني بفراقٍ مثلِه قَمِنُ[3]
أبلى الأجلَّة مهري عندَ غيرِكمُ ... وبدِّلَ العذرُ بالفسطاطِ والرّسَنُ[4]
عندَ الهمامِ أبي المسكِ الذي غرقتْ ... في جودِه مضرُ الحمراءِ واليَمَنُ
وإن تأخرَ عني بعضُ موعدِهِ ... فما تأخرُ آمالي ولا تَهِنُ
هو الوفيُّ ولكني ذكرتُ له ... مودةً فهوَ يبلوها ويمتَحِنُ

(١) اليهماء: الأرض الكثيرة المخاوف.
(٢) الرواسم: الإبل التي تمشي الرسيم، وهو السير السريع. الثفن: ما مسّ الأرض من أعضاء البعير إذا برك.
(٣) قمن: جدير.
(٤) العذر: جمع عذار: ما سال على خدّ الفرس من اللجام.

الصاعقة الثانية عشرة بعد المئة: صحبَ الناسُ قبلَنا ذا الزمانا(*)

صحبَ الناسُ قبلنا ذا الزمانا ... وعناهم منْ شأنه ما عَنَانَا

وتولوْا بغصَّةٍ كلّهم منـ ... ـه وإنْ سرّ بعضَهُمْ أحيَانَا

ربّما تحسنُ الصنيعَ لياليـ ... ـه ولكنْ تكدّرُ الإحسَانَا

وكأنّا لم يرضَ فينا بريْب الـ ... ـدهرِ حتى أعانَه من أعَانَا

كلما أنبت الزمانُ قناةً ... ركَّب المرءُ في القناة سِنَانَا

ومرادُ النفوسِ أصغرُ منْ أن ... تتعادى فيهِ وأنْ تَتَفَانَى

غيرَ أنَّ الفتى يلاقي المنايَا ... كالحاتٍ ولا يلاقي الهَوَانَا(١)

ولو أنَّ الحياةَ تبقى لحيٍّ ... لعددنا أضَلّنَا الشّجعَانَا

وإذا لم يكنْ منَ المَوتِ بُدٌّ ... فمِنَ العَجزِ أن تكونَ جَبَانَا

كلُّ ما لم يكنْ منَ الصعبِ في الأنـ ... ـفُسِ سهلٌ فيها إذا هوَ كانَا

(*) مناسبة القصيدة: هي مما قال بمصر، ولم ينشدها كافوراً، ولم يذكره فيها.

(١) كالحات: عابسات.

الصاعقة الثالثة عشرة بعد المئة: عدُّوك مذمومٌ بكلِّ لسانٍ(*)

عــدُّوكَ مــذمــومٌ بكلِّ لســانِ ... ولو كــانَ منْ أعــدائكَ القــمــرانِ
ولـلـهِ ســـرٌّ في عـــلاكَ وإنما ... كـلامُ العـدى ضـربٌ منَ الهـذيانِ
أتلتـمسُ الأعـداءَ بعـدَ الذي رأتْ ... قـيـامَ دليلٍ أوْ وضـوحَ بَيـانِ
رأتْ كلَّ منْ ينوي لكَ الغدرَ يبتلى ... بغـدرِ حـيـاةٍ أو بغـدرِ زمَـانِ
برغمِ شبيبٍ فارقَ السيفُ كفَّهُ ... وكانا على العلاتِ يَصطَحبانِ(١)
كـأنَّ رقـابَ الناسِ قـالتْ لسيفـه ... رفـيـقُكَ قـيـسيٌّ وأنت يمَانِ
فـإنْ يكُ إنسـانًا مـضى لسـبيله ... فـإنَّ المنايا غـايةُ الحَـيَـوانِ
ومـا كـانَ إلا النارَ في كلِّ مـوضعٍ ... تثـيـرُ غـبـارًا في مكانِ دُخَـانِ
فنالَ حـيـاةً يشـتـهـيـهـا عـدوُّهُ ... ومـوتًا يشـهي الموتَ كلَّ جَـبَـانِ
نفى وقعَ أطرافِ الرمـاحِ برمـحـه ... ولـمْ يخشَ وقعَ النجمِ والدبَرَانِ(٢)
ولـم يدرِ أنَّ الموتَ فـوقَ شـواتـه ... مـعـارُ جناحٍ مـحـسنَ الطيَـرَانِ(٣)
وقـد قَـتَـلَ الأقـرانَ حـتى قـتلْتَـهُ ... بأضـعـفِ قـرنٍ في أذلِّ مَكانِ
أتتْـه المنايا في طريقٍ خـفـيَّـةٍ ... على كلِّ سـمعٍ حـولَهُ وعِـيَـانِ

(*) مناسبة القصيدة: قالها يذكر قيام شبيب العقيلي على كافور وقتله بدمشق.
(١) على العلاّت: على كل حال.
(٢) الدبران: منزل من منازل القمر.
(٣) الشواة: جلد الرأس.

ولو سلكَتْ طرقَ السلاحِ لردها ... بطولِ يمينٍ واتساعِ جَنَانِ

تقصَّدَهُ المقدارُ بينَ صحابه ... على ثِقَةٍ منْ دهرِهِ وأمَانِ

وهل ينفعُ الجيشُ الكثيرُ التفافهُ ... على غيرِ منصورٍ وغيرِ مُعَانِ

ودَى ما جنى قبلَ المبيتِ بنفسِه ... ولمْ يَدِهِ بالجَامِلِ العَكَنَانِ[1]

أتمسِكُ ما أوْلَيْتَه يدُ عاقلٍ ... وتمسِكُ في كُفرانه بعِنَانِ

ويركبُ ما أركبْتَه منْ كرامةٍ ... ويركبُ للعصيانِ ظَهرَ حِصَانِ

ثنى يدَهُ الإحسانُ حتَّى كأنها ... وقد قُبِضتْ كانت بغَيرِ بنانِ

وعندَ مَنِ اليومَ الوفاءُ لصاحبٍ ... شَبِيبٌ وأوفى منْ تَرَى أخوانِ

قضى اللهُ يا كافورُ أنكَ أولٌ ... وليسَ بقاضٍ أن يُرى لك ثانِ

فما لكَ تختارُ القسيَّ وإنمَا ... عن السعدِ يرمى دونَك الثقلانِ

وما لكَ تعنى بالأسنةِ والقَنَا ... وجدُّك طعَّانٌ بغيرِ سِنانِ

ولم تحملُ السيفَ الطويلَ نجادُه ... وأنتَ غنيٌّ عنه بالحَدثَانِ

أردْ لي جميلًا جدتَ أو لمْ تجد به ... فإنكَ ما أحببتَ في أتَاني

لو الفلكَ الدوّارَ أبغضتَ سعيَهُ ... لعوَّقَهُ شيءٌ عنِ الدَّوَرَانِ

(١) ودى: من الدية. الجامل: جماعة الجمال. العكنان: الإبل الكثيرة.

الصاعقة الرابعة عشرة بعد المئة: مغاني الشِّعبِ طيباً في المغاني(*)

مغاني الشِّعب طيبًا في المغاني ... بمنزلة الربيعِ منَ الزمانِ[١]

ولكنَّ الفتى العربيَّ فيها ... غريبُ الوجهِ واليدِ واللسانِ

ملاعبُ جنةٍ لو سارَ فيها ... سليمانٌ لسارَ بترجمانِ

طبتْ فرسانَنا والخيلَ حتى ... خشيتُ وإنْ كرُمن منَ الحِران[٢]

غدوْنا تنفضُ الأغصانُ فيها ... على أعرافِها مثلَ الجُمَانِ

فسرتُ وقد حجبنَ الحرَّ عني ... وجبن منَ الضياءِ بما كَفَاني

وألقى الشرقُ منها في ثيابي ... دنانيرًا تفرُّ منَ البَنَانِ

لها ثمرٌ تشيرُ إليكَ منهُ ... بأشربةٍ وقفنَ بلا أوَانِ

وأمواهٌ تصلُّ بها حصاها ... صليلَ الحليِ في أيدي الغَوَاني

ولو كانتْ دمشقَ ثنى عناني ... لبيقُ الثُّردِ صينيَّ الجِفَانِ[٣]

يلنجوجيٌّ ما رُفعتْ لضيفٍ ... به النيرانُ نديُّ الدخانِ[٤]

تحلُّ به على قلبٍ شجاعٍ ... وترحلُ منهُ عن قلبٍ جبانِ

(*) مناسبة القصيدة: قالها يمدح عضد الدولة ويذكر في طريقه إليه شعب بوان.

(١) المغاني: البيوت. الشَّعب: الطريق بين جبلين.

(٢) الحران: التعاصي عن الانقياد.

(٣) اللبيق: الحاذق. الثرد: فت الخبز وبله بمرق.

(٤) يلنجوجي: من اليلنجوج: العود الذي يتبخر به.

منازلُ لم يزلْ منها خَيَالٌ ... يشيِّعني إلى النوبنذَجَانِ[١]

إذا غنى الحمامُ الورقُ فيها ... أجابتْه أغانيُّ القيانِ

ومن بالشعب أحوجُ منْ حمامٍ ... إذا غنَّى وناحَ إلى البَيَانِ

وقد يتقاربُ الوصفانِ جداً ... وموصوفاهما مُتباعدانِ

يقولُ بشعبِ بوانٍ حصاني: ... أعنْ هذا يسارُ إلى الطعانِ

أبوكمْ آدمُ سنَّ المعاصي ... وعلّمَكمْ مفارقةَ الجنانِ

فقلتُ: إذا رأيتُ أبا شجاعٍ ... سلوتُ عن العبادِ وذا المكانِ[٢]

فإنَّ الناسَ والدنيا طريقٌ ... إلى منْ ما له في الناس ثانِ

لقد علَّمتُ نفسي القولَ فيهم ... كتعليمِ الطرادِ بلا سنانِ

بعضدِ الدولةِ امتنعتْ وعزَّتْ ... وليس لغير ذي عضدٍ يدانِ

ولا قبضٌ على البيضِ المواضي ... ولا حطّ من السمرِ اللدانِ[٣]

دعتْه بمفزعِ الأعضاءِ منها ... ليومِ الحربِ بكرٌ أو عوانِ

فما يسمي كفنَّاخُسرَ مسمٍ ... ولا يكني كفناخسرَ كانِ

ولا تحصى فضائلُهُ بظنٍ ... ولا الإخبارِ عنه ولا العيانِ

أروضُ الناسِ منْ تُربٍ وخوفٍ ... وأرضُ أبي شجاعٍ منْ أمانِ[٤]

---

(١) النوبنذجان: بلد بفارس.
(٢) أبا شجاع: كنية الممدوح.
(٣) اللدان: جمع لدن: اللين.
(٤) أروض: ج أرض.

تُذمّ على اللصوصِ لكلِّ تجرٍ ... ويضمنُ للصوارمِ كلَّ جانِ[١]

إذا طلبتْ ودائعُهم ثقاتٍ ... دفعْنَ إلى المحاني والرِّعانِ[٢]

فباتتْ فوقَهُنَّ بلا صحابٍ ... تصيحُ بمنْ يمرُّ: ألا تَرَاني

رقاهُ كلُّ أبيضَ مشرفيٍ ... لكلِّ أصمّ صلٍّ أفعوانِ

وما ترقَى لهاه منْ نَدَاهُ ... ولا المالُ الكريمُ من الهَوَانِ[٣]

حمى أطرافَ فارسَ شمّريٌّ ... يحضُّ على التباقي بالتفَاني[٤]

بضربٍ هاجَ أطرابَ المنايا ... سوى ضربِ المثالثِ والمثَاني[٥]

كأنَّ دمَ الجماجمِ في العناصي ... كسا البلدانَ ريشَ الحيقطانِ[٦]

فلوْ طرحتْ قلوبُ العشقِ فيها ... لما خافتْ منَ الحدقِ الحِسانِ

ولم أرَ قبلهُ شبلي هزبرٍ ... كشبليهِ ولا مهريْ رِهَانِ

أشدَّ تنازعًا لكريمِ أصلٍ ... وأشبهَ منظراً بأبٍ هِجَانِ

وأكثرَ في مجالسِهِ استماعًا ... فلانٌ دقَّ رمحًا في فُلانِ

وأولُ رأيةٍ رأيا المعَالي ... فقدْ علقا بها قبلَ الأوَانِ

---

(١) تجر: جماعة التجار.

(٢) المحاني: جمع محنية: منعطف الوادي. الرعاة: رؤوس الجبال.

(٣) اللهى: العطايا الجزيلة.

(٤) الشمري: الرجل الماضي في الأمور.

(٥) المثالث والمثاني: من أوتار العود.

(٦) العناصي: جمع عنصوة: الشعر في نواحي الرأس. الحيقطان: ذكر الدراج.

وأولُ لفظةٍ فـهـمـا وقـالا: إغـاثةُ صـارخٍ أو فكُّ عَـانِ
وكنتَ الشمسَ تبهرُ كلَّ عينٍ فكيفَ وقدْ بدتْ معها اثنتَانِ
فعاشا عيشةَ القمرينِ يحيا بضوئهما ولا يتحاسدَانِ
ولا مَلَكا سوَى مَلْكِ الأعادي ولا ورثا سوَى منْ يَقتُلانِ
وكانَ ابنا عدوٍّ كاثراهُ له ياءَيْ حروفٍ أنيسيَانِ[1]
دعاءٌ كالثناءِ بلا رئاءٍ يؤدِّيه الجَنانُ إلى الجَنَانِ[2]
فقدْ أصبحت منه في فرنْدٍ وأصبحَ منكَ في غضبٍ يَمَانِ
ولولا كونكُمْ في الناسِ كانوا هراءً كالكلامِ بلا مَعَانِ

(١) كاثراه: فاخراه.
(٢) الرئاء: الخداع.

الصاعقة الخامسة عشرة بعد المئة: نزور ديارًا ما نحب لها مغنى(*)

نزورُ ديارًا ما نحبُّ لها مغنى ... ونسألُ فيها غيرَ ساكنِها الإذنا

نقودُ إليها الآخذاتِ لنا المدى ... عليْها الكماةُ المحسنونَ بها ظنّا

ونُصفي الذي يُكنى أبا الحسنِ الهوى ... ونرضي الذي يُسمى الإلهَ ولا يُكنى

وقد علمَ الرومُ الشقيّون أننا ... إذا ما تركْنا أرضهم خلفنا عُدْنَا

وأنا إذا ما الموتُ صرَّحَ في الوغى ... لبسنا إلى حاجاتِنا الضربَ والطّعنَا

قصدنا له قصدَ الحبيبِ لقاؤهُ ... إلينَا وقلنا للسيوفِ هَلُمنّا

وخيلٍ حشوناها الأسنةَ بعدما ... تكدّسن من هنا علينا ومن هَنّا

ضُربْنَ إلينا بالسياطِ جهالةً ... فلما تعارفنا ضربنَ بها عَنّا

تَعَدَّ القرى والمس بنا الجيشَ لمسةً ... نُبارِ إلى ما تشتهي يدَكَ اليمنى

فقدْ بردتْ فوقَ اللقانِ دماؤُهم ... ونحنُ أناسٌ نتبعُ الباردَ السُّخنَا(١)

وإن كنتَ سيفَ الدولةِ العضبَ فيهم ... فدَعنا نكنْ قبلَ الضرابِ القنا اللُّدنَا

فنحنُ الألى لا نأتلي لك نُصرةً ... وأنت الذي لو أنَّه وحدهُ أغنى

يقيكَ الرَّدى منْ يبتغي عندك العلى ... ومنْ قالَ لا أرضى منَ العيشِ بالأدنى

(*) مناسبة القصيدة: عزم سيف الدولة على لقاء الروم في السنبوس: وبلغه أن العدو في أربعين ألفاً فتهيبهم أصحابه فقالها.

(١) اللقان: اسم مكان.

فلولاكَ لم تجـرِ الدمـاءُ ولا الُّلهى ولم يكُ للدنيـا ولا أهلِهـا مَـعنى
ومـا الخـوفُ إلا مـا تخـوّفـه الفَـتى ومـا الأمنُ إلا مـا رآهُ الفـتى أمْنَا

obeikandl.com

الصاعقة السادسة عشرة بعد المئة: أَوْهِ بَدِيل من قَولَتي واها(*)

أَوْهِ بَديل من قَولَتي واها ... لَمَنْ نأتْ والبَديلُ ذِكراها

أوهِ لَمَنْ لا أرى مَحاسِنَها ... وأصلُ واهًا وأوهِ مَرْآها

شامِيّةٌ طالَما خَلَوتُ بِها ... تُبصِرُ في ناظِري مُحَيّاها

فَقَبّلتْ ناظِري تُغالِطُني ... وإنّما قَبَّلَتْ بِهِ فاها

فَلَيتَها لا تَزالُ آوِيَةً ... وَلَيتَهُ لا يَزالُ مأواها

كُلُّ جَريحٍ تُرجى سَلامَتُهُ ... إلاّ فُؤادًا رَمَتهُ عَيناها

تَبُلّ خَدّيّ كُلّما ابتَسَمَتْ ... مِنْ مَطَرٍ بَرقُهُ ثَناياها

ما نَفَضَتْ ي يدي غَدائِرُها ... جَعَلتُهُ في المُدامِ أفواها(١)

في بَلَدٍ تُضرَبُ الحِجالُ بِهِ ... على حِسانٍ وَلَسنَ أشباها(٢)

لَقِينَنا والحُمُولُ ساترة ... وَهُنّ دُرٌّ فَذُبنَ أمواها

كُلُّ مَهاةٍ كأنّ مُقلَتَها ... تَقُولُ إيّاكُمُ وإيّاها

فيهِنّ مَنْ تَقطُرُ السّيُوفُ دَمًا ... إذا لِسانُ المُحِبّ سَمّاها

أُحِبّ حِمصًا إلى خُناصِرَةٍ ... وكُلُّ نَفسٍ تُحبُّ مَحياها(٣)

(*) مناسبة القصيدة: قالها يمدح عضد الدولة عند قدومه عليه بشيراز.

(١) أفواه: جمع فوه: أخلاط الطيب.

(٢) الحجال: الستور.

(٣) خناصرة: بلد بالشام. محيّاها: مكان عيشها.

حَيثُ التَقى خَدُّها وتُفّاحُ لُبْـ ... ـنانَ وثَغري على حُمَيّاها

وَصِفتُ فيها مَصيفَ بادِيَةٍ ... شَتَوتُ بالصّحصَحانِ مَشتاها[١]

إنْ أعشَبَتْ رَوضَةٌ رَعَيناها ... أو ذُكِرَتْ حِلَّةٌ غَزَوْناها[٢]

أوْ عَرَضَتْ عانةٌ مُقَزَّعَةٌ ... صِدْنا بأُخرى الجِيادِ أُولاها[٣]

أوْ عَبَرَتْ هَجْمَةٌ بِنا تُرِكَتْ ... تَكُوسُ بَينَ الشُّرُوبِ عَقَراها[٤]

والخَيْلُ مَطرُودَةٌ وطارِدَةٌ ... تَجُرّ طُولى القَنا وَقُصْراها

يُعجِبُها قَتْلُها الكُماةَ وَلا ... يُنظِرُها الدَّهرُ بَعدَ قَتلاها

وَقَدْ رَأيتُ المُلُوكَ قاطِبَةً ... وَسِرتُ حتى رَأيتُ مَولاها

وَمَنْ مَناياهُمْ بِراحَتِهِ ... يأمُرُها فيهِمِ وَيَنهاها

أبا شُجاعٍ بفارسٍ عَضُدَ الدّوْ ... لَةِ فَنّاخُسرُو شَهَنشاها

أُسامِيًا لَم تَزِدْهُ مَعرِفَةً ... وإنّما لَذَّةً ذَكَرْناها

تَقُودُ مُستَحسَنَ الكَلامِ لَنا ... كما تَقُودُ السّحابَ عُظماها

هُوَ النّفيسُ الذي مَواهِبُهُ ... أنْفَسُ أمْوالِهِ وأسناها

لَوْ فَطِنَت خَيلُهُ لِنائلِهِ ... لَم يُرضِها أنْ تَراهُ يَرضاها

---

(١) الصحصحان: اسم مكان.

(٢) الحلة: جماعة البيوت.

(٣) العانة: القطيع من حمر الوحش. المقزع: السريع.

(٤) الهجمة: القطيع من الإبل. تكوس: تمشي على ثلاثة أرجل عقراها: جمع عقير: البعير الذي قطعت إحدى قوائمه.

لا تَجِـدُ الخَـمـرُ في مَكارِمِـهِ ... إذا انتَـشى خَلَّةً تَلافـاها

تُصاحِبُ الرّاحُ أريَحيَّتَهُ ... فَتَسقُطُ الرّاحُ دونَ أدْناها

تسُرّ طَرباتُهُ كَرائِنَهُ ... ثمّ تُزيلُ السّرُورُ عُقباها[1]

بِكُلّ مَوهُوبةٍ مُولولَةٍ ... قاطِعَةٍ زِيرَها وَمَثناها[2]

تَعُومُ عَومَ القَذاةِ في زَبَدٍ ... مِن جُودِ كَفّ الأميرِ يَغشاها

تُشرِقُ تيجانُهُ بِغَرّتِهِ ... إشراقَ ألفاظِهِ بِمعناها

دان لهُ شَرقُها وَمَغربُها ... ونَفسُهُ تَستَقِل دُنياها

تَجَمّعَتْ في فُؤادِهِ هِممٌ ... مِلءُ فُؤادِ الزَّمانِ إحداها

فإن أتى حَظُّها بأزمِنَةٍ ... أوسَعَ مِن ذا الزَّمانِ أبداها

وصارَتِ الفَيلَقانِ واحِدَةً ... تَعثُرُ أحياؤها بِمَوتاها

ودارَتِ النّيّراتُ في فَلَكٍ ... تَسجُدُ أقمارُها لأبهاها

الفارِسُ المُتّقى السّلاحُ بِهِ الـ ... ـمُثني عَلَيهِ الوَغى وَخَيلاها[3]

لَوْ أنكَرَت مِن حَيائِها يَدُهُ ... في الحَربِ آثارَها عَرَفناها

وَكَيفَ تَخفى التي زِيادَتُها ... وناقِعُ المَوتِ بَعضُ سيماها

الواسِعُ العُذرِ أن يَتيهَ على الـ ... ـدّنيا وأبنائِها وَما تاها

---

(١) الكرائن: القينات.

(٢) الزير: الوتر الدقيق من أوتار العود. المثنى: الوتر الذي يليه.

(٣) خيلاها: مثنى، يريد خيله وخيل الأعداء.

لَوْ كَفَرَ العالَمُونَ نِعمَتَهُ ... لَما عَدَت نفسُهُ سَجاياها

كالشَّمس لا تَبتَغي بما صَنَعَتْ ... مَعرِفَةً عِندَهُمْ وَلا جاها

وَلِّ السَلاطينَ مَنْ تَوَلاّها ... والجأ إليه تَكُنْ حُدَيّاها[1]

وَلا تَغُرّنّكَ الإمارَةُ في ... غَيرِ أميرٍ وإن بِها باهى

فإنّما المَلكُ رَبّ مَملَكَةٍ ... قَدْ أفعَمَ الخافِقَينِ رَيّاها[2]

مُبتَسِمٌ والوُجُوهُ عابِسَةٌ ... سِلمُ العِدى عِندَهُ كَهَيجاها

النّاسُ كالعابِدِينَ آلِهَةً ... وَعَبدُهُ كالمُوَحِّدِ اللّه

(١) حديّاها: معارضًا لها.

(٢) الخافقين: الشرق والغرب.

obeikandl.com

الصاعقة السابعة عشرة بعد المئة: كفى بكَ داءً أن ترى الموتَ شافيا(*)

كفى بكَ داءً أن ترى الموتَ شافيا ... وحسبُ المنايا أن يكنَّ أمانيا

تمنيتُها لما تمنيتَ أن ترى ... صديقًا فأعيا أو عدوًا مداجيا(١)

إذا كنتَ ترضى أن تعيشَ بذلةٍ ... فلا تستعدنَّ الحسامَ اليمانيا

ولا تستطيلنَّ الرماحَ لغارةٍ ... ولا تستجيدنَّ العتاقَ المذاكيا(٢)

فما ينفعُ الأسدَ الحياءُ من الطوى ... ولا تُتَّقَى حتى تكون ضَواريا(٣)

حببتُكَ قلبي قبلَ حبِّكَ منْ نأى ... وقدْ كانَ غدَّارًا فكنْ أنتَ وَافيا

وأعلمُ أنَّ البينَ يشكيكَ بعدَه ... فلست فؤادي إن رأيتك شَاكيا

فإنَّ دموعَ العينِ غُدرٌ بربِّها ... إذا كنَّ إثر الغادرينَ جوَارِيا

إذا الجودُ لمْ يرزقْ خلاصًا منَ الأذى ... فلا الحمدُ مكسوبًا ولا المالُ باقيا

وللنفسِ أخلاقٌ تدلُّ على الفتى ... أكانَ سخاءً ما أتى أمْ تساخيا

أقلّ اشتياقًا أيُّها القلبُ ربما ... رأيتُكَ تصفي الودَّ منْ ليسَ صَافيا

خلقتُ ألوفًا لو رجعتُ إلى الصِّبى ... لفارقْتُ شيبي موجعَ القلبِ باكيا

(*) مناسبة القصيدة: فارق سيف الدولة ورحل إلى دمشق، فلما ورد كافورًا في مصر أخلى له كافور دارًا، وحمل إليه آلافًا من الدراهم، فقالها يمدحه.

(١) المداجي: المداري.

(٢) المذاكي: التي تمت أسنانها من الإبل.

(٣) الطوى: الجور.

ولكنَّ بالفسطاطِ بحراً أزرتهُ ... حياتي ونصْحي والهوى والقَوافيا[١]

وجرداً مددْنا بينَ آذانِها القنا ... فبتنَ خفافًا يتَّبعنَ العَواليا

تماشى بأيدٍ كلما وافتِ الصفا ... نقشْنَ به صدرَ البُزاةِ حَوافيا

وتنظرُ منْ سودٍ صوادِق في الدُّجى ... يرينَ بعيداتِ الشخوصِ كما هيا

وتنصبُ للجرسِ الخفيِّ سوامعًا ... يخلنَ مناجاةَ الضَّميرِ تَناديا

تجاذبُ فرسانُ الصباحِ أعنةً ... كأنّ على الأعناقِ منها أفاعيا[٢]

بعزمٍ يسيرُ الجسمُ في السرجِ راكبًا ... به ويسيرُ القلبُ في الجسم ماشيا

قواصدَ كافورٍ توارثَ غيره ... ومنْ قصدَ البحرَ استقلَّ السواقيا

فجاءتْ بنا إنسانَ عينِ زمانِه ... وخلّتْ بياضًا خلفَها ومآقيا

نجوزُ عليها المحسنينَ إلى الذي ... نرى عندهُمْ إحسانهُ والأياديا

فتىً ما سرينا في ظهورِ جدودنا ... إلى عصرِه إلا نرجّي التَلاقيا

ترفَّعَ عن عونِ المكارمِ قدرُهُ ... فما يفعلُ الفعلاتِ إلا عَذاريا[٣]

يبيدُ عداوات البغاة بلطفه ... فإنْ لم تبدْ منهم أبادَ الأعاديا

أبا المسكِ ذا الوجهِ الذي كنتُ تائقًا ... إليهِ وذا اليومُ الذي كنتُ راجيا

لقيتُ المرْوَرَى والشناخيب دونَهُ ... وجبتُ هجيراً يتركُ الماءَ صاديا[٤]

---

(١) الفسطاط: مدينة بمصر. (٢) الأعنة: سيور اللجم.

(٣) العون: جمع عوان: التي كان لها زوج. (٤) المرورى: الفلوات الخالية. الشناخيب: رؤوس الجبال.

أبا كلِّ طيبٍ لا أبا المسكِ وحدَه ... وكلَّ سحابٍ لا أخصُّ الغَواديا

يدلُّ بمعنى واحدٍ كلُّ فاخرٍ ... وقدْ جمعَ الرحمنُ فيكَ المعانيا[1]

إذا كسبَ الناسُ المعالي بالندى ... فإنكَ تُعطي في نداكَ المعاليا

وغيرَ كثيرٍ أن يزورَكَ راجلٌ ... فيرجعَ مَلكًا للعراقينِ واليا

فقدْ تهبُ الجيشَ الذي جاءَ غازيًا ... لسائلك الفردَ الذي جاء عافيا

ونحتقرُ الدنيا احتقارَ مجرّبٍ ... يرى كلَّ ما فيها وحاشاكَ فانيا

وما كنتَ ممنْ أدركَ الملكَ بالمنى ... ولكنْ بأيامٍ أشبَ النواصيا

عداكَ تَراها في البلادِ مساعيًا ... وأنتَ تراها في السماءِ مَراقيا[2]

لبستَ لها كدرَ العجاجِ كأنما ... ترى غيرَ صافٍ أن ترى الجوَّ صافيا

وقدتَ إليها كلَّ أجردَ سابحٍ ... يؤديكَ غضبانًا ويثنيكَ راضيا

ومخترطٍ ماضٍ يطيعكَ آمرًا ... ويعصي إذا استثنيتَ أو صرتَ ناهيا[3]

وأسمرَ ذي عشرينَ ترضاهُ وَارِدًا ... ويرضاكَ في إيرادِه الخيلَ ساقيا

كتائبُ ما انفكَّتْ تجوسُ عمائرًا ... منَ الأرضِ قد جاستْ إليها فيافيا[4]

غزوتَ بها دورَ الملوكِ فباشرَتْ ... سنابكُها هاماتهمْ والمغانيا

وأنتَ الذي تغشى الأسنةَ أولاً ... وتأنفُ أن تغشى الأسنةَ ثانيا

---

(١) يدلّ: من الإدلال: الجرأة على المخاطب.

(٢) المراقي: جمع مرقاة: الدرجة.

(٣) المخترط: السيف المسلول.

(٤) تجوس: تتردد وتتخلل الدور.

إذا الهندُ سوَّتْ بينَ سيفيْ كريهةٍ ... فسيفُكَ في كفٍّ تزيلُ التّساويا[1]

ومنْ قولِ سامٍ لو رآكَ لنسلِهِ ... فدى ابن أخي نسلي ونفسي ومَاليا

مدًى بلغَ الأستاذ أقصاهُ ربهُ ... ونفسٌ له لمْ ترضَ إلا التَّناهيا

دعتْه فلباها إلى المجدِ والعُلى ... وقد خالفَ الناسُ النفوسَ الدَّواعيا

فأصبحَ فوقَ العالمينَ يرونَهُ ... وإنْ كانَ يدنيه التكرمُ نائيا

(٤) الكريهة: الشدة في الحرب.

obeikandl.com

الفهـــرس

الصاعقة	الصفحة
في بلاط الإمبراطور	٥
قصيدة المتنبي	٧
وردة من دم المتنبي	١١
قصتي مع البيان	١٧
مملكة البيان	٢٧
المتنبي	٣١
مطالع قصائده	٣٣
الشاعر الثائر	٣٩
الشاعر الذائع	٤٣
المتنبي يلهب النفوس بتوجعه وتفجعه	٤٩
شاعر الحنين وأستاذ الوفاء	٥٣
المتنبي والحب	٥٧
العلماء يستشهدون بشعر المتنبي	٦١
جواهر ثمينة في عقد المتنبي	٦٣
المتنبي وجنون العظمة	٧١
المتنبي والنجومية	٧٥
رحلة ممتعة في زورق الإبداع	٧٩
فرائد	٨١
الرجل يتقطع أسفاً، ويعلن التمرد على حياته	٨٧
حلاوة وطلاوة علت قوافيه الماتعة	٨٩

obeikandl.com

شاعر يرسم بريشته الأحداث ٩٣
تحليق في سماء الإبداع ٩٥
مداخلات مع المتنبي ٩٩
لغة البكاء عند المتنبي ١٠١
رحلة مع المتنبي والشعراء: موازنة ومفاضلة ومشابهة ١٠٥
نفسية أبي الطيب في شعره ١١٣
شهداء على تفرد هذا الشاعر ١١٩
غرره ودرره ١٢٧
عرض وتحليل ١٥٣
المتنبي في المحكمة الشرعية ١٦٥
● **صواعق المتنبي** ١٩٩
الصاعقة الأولى: القلب أعلم يا عذول بدائه ٢٠١
الصاعقة الثانية: إنما التهنئات للأكفاء ٢٠٣
الصاعقة الثالثة: أمن ازديارك في الدجى الرقباءُ ٢٠٥
الصاعقة الرابعة: ألا كُلّ ماشيَةِ الخَيزَلى ٢٠٩
الصاعقة الخامسة: ضروبُ الناس عشّاقٌ ضروبا ٢١٢
الصاعقة السادسة: آخرُ ما الملكُ معزّىً به ٢١٦
الصاعقة السابعة: فهمتُ الكتاب أبر الكُتُبْ ٢١٩
الصاعقة الثامنة: بغيرك راعياً عبث الذئابُ ٢٢٣
الصاعقة التاسعة: أيدري ما أرابك من يُريبُ ٢٢٧
الصاعقة العاشرة: منى كن لي أن البياض خضابُ ٢٢٩
الصاعقة الحادية عشرة: أغالبُ فيك الشوق والشوق أغلبُ ٢٣٣
الصاعقة الثانية عشرة: من الجآذر في زي الأعاريبِ ٢٣٧
الصاعقة الثالثة عشرة: يا أخت خير أخٍ يا بنت خير أب ٢٤١
الصاعقة الرابعة عشرة: فديناك من ربعٍ وإن زدتنا كربا ٢٤٥

obeikandl.com

الصاعقة الخامسة عشرة: لا يُحزنِ اللهُ الأميرَ فإنني ٢٤٩
الصاعقة السادسة عشرة: أعيدوا صباحي فهوَ عندَ الكواعبِ ٢٥٢
الصاعقة السابعة عشرة: بأبي الشموسُ الجانحاتُ غواربا ٢٥٥
الصاعقة الثامنة عشرة: دمعٌ جرى فقضى في الرّبعِ ما وجبا ٢٥٨
الصاعقة التاسعة عشرة: سِرْبٌ مَحاسِنُهُ حُرِمتُ ذَواتِها ٢٦٢
الصاعقة العشرون: أقلُّ فعالي بله أكثرُهُ مجدُ ٢٦٦
الصاعقة الحادية والعشرون: لقد حازني وجدٌ بمن حازهُ بُعدُ ٢٦٩
الصاعقة الثانية والعشرون: أَزائرٌ يا خَيالُ أمْ عائدٌ ٢٧٢
الصاعقة الثالثة والعشرون: عواذلُ ذات الخال في حواسدُ ٢٧٦
الصاعقة الرابعة والعشرون: عيدٌ بأيَّةِ حالٍ عُدتَ يا عيدُ ٢٨٠
الصاعقة الخامسة والعشرون: لكل امرئٍ من دهره ما تعودا ٢٨٣
الصاعقة السادسة والخمسون: أَهْلاً بدارٍ سَباكَ أَغيَدُها ٢٨٧
الصاعقة السابعة والعشرون: ما سَدِكَتْ عِلَّةٌ بمَوْرُود ٢٩١
الصاعقة الثامنة والعشرون: أودُّ منَ الأيَّامِ ما لا تودُّهُ ٢٩٤
الصاعقة التاسعة والعشرون: ما الشَّوْقُ مُقتَنِعاً مني بذا الكَمَدِ ٢٩٨
الصاعقة الثلاثون: كم قتيل كما قتلتُ شهيد ٣٠٠
الصاعقة الحادية والثلاثون: أُحادٌ أمْ سُداسٌ في أُحادِ ٣٠٣
الصاعقة الثانية والثلاثون: أُحُلْماً نَرى أَمْ زَماناً جَديدا ٣٠٦
الصاعقة الثالثة والثلاثون: حسمَ الصلحُ ما اشتهتهُ الأعادي ٣٠٨
الصاعقة الرابعة والثلاثون: اليَومَ عَهْدُكُمُ فأينَ المَوعِدُ؟ ٣١١
الصاعقة الخامسة والثلاثون: جاء نيروزنا وأنت مرادُهُ ٣١٤
الصاعقة السادسة والثلاثون: أيا خَدَّدَ اللهُ وَردَ الخُدودِ ٣١٧
الصاعقة السابعة والثلاثون: نسيتُ وما أنسى عتاباً على الصدِّ ٣١٩
الصاعقةَ الثامنة والثلاثون: أَمُساوِرٌ أَمْ قَرْنُ شَمْسٍ هَذا ٣٢٢
الصاعقةَ التاسعة والثلاثون: إنِّي لأعلمُ واللبيبُ خبيرُ ٣٢٤

obeikandl.com

الصاعقة الأربعون: أطاعنُ خيلاً من فوارسها الدّهرُ ٣٢٦
الصاعقة الحادية والأربعون: أرى ذلكَ القربَ صار ازورارا ٣٢٩
الصاعقة الثانية والأربعون: سرٌ! حلّ حيث تحله النوار ٣٣٠
الصاعقة الثالثة والأربعون: طوالُ قناً تطاعنها قصارُ ٣٣٢
الصاعقة الرابعة والأربعون: حاشى الرَّقيبَ فَخانَتهُ ضَمائرُهُ ٣٣٧
الصاعقة الخامسة والأربعون: بادٍ هواكَ صبرتَ أمْ لم تَصبرَا ٣٤٠
الصاعقة السادسة والأربعون: كَفرندي فرِنْدُ سَيفي الجُرازِ ٣٤٤
الصاعقة السابعة والأربعون: هَذه بَرَزت لَنا فَهجت رَسيسا ٣٤٧
الصاعقة الثامنة والأربعون: أظبيةَ الوحشِ لولا ظبيةُ الأنسِ ٣٥٠
الصاعقة التاسعة والأربعون: مَبيتي منْ دِمَشقَ على فِراشِ ٣٥٢
الصاعقة الخمسون: حُشاشةُ نفسٍ ودّعتْ يومَ ودّعوا ٣٥٥
الصاعقة الحادية والخمسون: أركائبَ الأحبابِ إنَّ الأدمعا ٣٥٨
الصاعقة الثانية والخمسون: الحزن يقلقُ والتجملُ يردعُ ٣٦١
الصاعقة الثالثة والخمسون: مُلِثَّ القَطرِ أعطِشها رُبُوعاً ٣٦٤
الصاعقة الرابعة والخمسون: غيري بأكثرِ هذا الناسِ ينخدعُ ٣٦٧
الصاعقة الخامسة والخمسون: لجنّيّةٍ أم غادةٍ رُفعَ السَّجفُ ٣٧١
الصاعقة السادسة والخمسون: أرق على أرقٍ ومثلي يأرقُ ٣٧٤
الصاعقة السابعة والخمسون: أتُراها لكثرةِ العُشّاق ٣٧٦
الصاعقة الثامنة والخمسون: لعينيكِ ما يلقى الفؤادُ وما لقي ٣٧٩
الصاعقة التاسعة والخمسون: أيدري الربعُ أي دم أراقا ٣٨٢
الصاعقة الستون: تذكرتُ ما بينَ العُذَيْبِ وبارقِ ٣٨٥
الصاعقة الحادية والستون: هُوَ البَينُ حتى ما تَأنّى الحزائقُ ٣٨٩
الصاعقة الثانية والستون: فدى لك من يقصر عن مداكا ٣٩١
الصاعقة الثالثة والستون: في الخدّ أن عزم الخليط رحيلا ٣٩٥
الصاعقة الرابعة والستون: لك يا منازلُ في القلوب منازلُ ٣٩٩

obeikandl.com

الصاعقة الخامسة والستون: أحيا وأيسرُ ما قاسَيتُ ما قَتَلا ٤٠٢
الصاعقة السادسة والستون: عَزيزٌ إساً مَن داؤهُ الحَدَقُ النُّجلُ ٤٠٤
الصاعقة السابعة والستون: نُعدّ المشرفيّةَ والعوالي ٤٠٦
الصاعقة الثامنة والستون: أجابَ دمعي وما الدّاعي سوى طلل ٤٠٩
الصاعقة التاسعة والستون: لياليَّ بعدَ الظاعنين شكولُ ٤١٣
الصاعقة السبعون: إن يكن صبرُ ذي الرّزيئة فضلا ٤١٨
الصاعقة الحادية والسبعون: لا تَحسَبوا رَبعَكُم ولا ظَلَلَهْ ٤٢١
الصاعقة الثانية والسبعون: ما لنا كلُّنا جوٍ يا رسولُ ٤٢٤
الصاعقة الثالثة والسبعون: إلامَ طَماعيهُ العاذلِ ٤٢٧
الصاعقة الرابعة والسبعون: لا خيلٌ عندكَ تهديها ولا مالُ ٤٣١
الصاعقة الخامسة والسبعون: كدعواكَ كلٌّ يدعي صحةَ العقل ٤٣٥
الصاعقة السادسة والسبعون: بقائي شاءَ ليسَ همُ ارتحالا ٤٣٨
الصاعقة السابعة والسبعون: أعلى الممالك ما يبنى على الأسلِ ٤٤٢
الصاعقة الثامنة والسبعون: بنا منكَ فوقَ الرملِ ما بك في الرملِ ٤٤٤
الصاعقة التاسعة والسبعون: دروعٌ لملكِ الرومِ هذي الرسائلُ ٤٤٦
الصاعقة الثمانون: أبَعدُ نأيِ المَليحَةِ البَخَلُ ٤٤٩
الصاعقة الحادية والثمانون: ذي المعالي فليعلون من تعالى ٤٥٢
الصاعقة الثانية والثمانون: لا الحُلمُ جادَ بهِ وَلا بِمِثالِه ٤٥٥
الصاعقة الثالثة والثمانون: صلة الهجر لي وهجرُ الوصالِ ٤٥٨
الصاعقة الرابعة والثمانون: إثلث! فإنّا أيّها الطَّلَلُ ٤٦١
الصاعقة الخامسة والثمانون: أَيَقدَحُ في الخَيمَةِ العُذَّلُ ٤٦٥
الصاعقة السادسة والثمانون: ما أجدرَ الأيّامَ واللّيالِي ٤٦٧
الصاعقة السابعة والثمانون: فؤادٌ ما تسلّيه المدامُ ٤٧٢
الصاعقة الثامنة والثمانون: نرى عِظَماً بالبينِ والصدُّ أعظمُ ٤٧٥
الصاعقة التاسعة والثمانون: لا افتخارٌ إلا لمن لا يُضامُ ٤٧٨

obeikandl.com

الصاعقة التسعون: ألا لا أُري الأحداثَ مدحاً ولا ذمّا ٤٨١
الصاعقة الحادية والتسعون: أنا لائمي إنْ كنتُ وقتَ اللوائم ٤٨٤
الصاعقة الثانية والتسعون: وفاؤكما كالرَّبع أشجاه طاسمه ٤٨٧
الصاعقة الثالثة والتسعون: واحرّ قلباه ممن قلبه شبمُ ٤٩٠
الصاعقة الرابعة والتسعون: على قدر أهل العزم تأتي العزائم ٤٩٣
الصاعقة الخامسة والتسعون: فراقٌ ومن فارقت غير مذمم ٤٩٧
الصاعقة السادسة والتسعون: فؤادٌ ما تسلّيه المدامُ ٥٠٠
الصاعقة السابعة والتسعون: ملومكما يجلُّ عن الملام ٥٠٣
الصاعقة الثامنة والتسعون: حتامَ نحن نساري النجمَ في الظلمِ ٥٠٦
الصاعقة التاسعة والتسعون: لهوى النفوسِ سريرةٌ لا تُعلمُ ٥٠٩
الصاعقة المئة: كفي! أراني، ويك، لومك ألوما ٥١٠
الصاعقة الأولى بعد المئة: إذا كان مدحٌ فالنسيبُ المقدَّمُ ٥١٢
الصاعقة الثانية بعد المئة: أراعَ كذا كلَّ الأنامِ همامُ ٥١٥
الصاعقة الثالثة بعد المئة: عقبى اليمينِ على عقبى الوغى ندمُ ٥١٨
الصاعقة الرابعة بعد المئة: ذِكرُ الصبى ومراتع الآرام ٥٢٢
الصاعقة الخامسة بعد المئة: ضيفٌ ألمّ برأسي غير محتشمِ ٥٢٥
الصاعقة السادسة بعد المئة: أحقٌّ عافٍ بدمعك الهممُ ٥٢٨
الصاعقة السابعة بعد المئة: الحبُّ ما منع الكلام الألسُنا ٥٣١
الصاعقة الثامنة بعد المئة: أفاضلُ الناس أغراضٌ لدى الزمن ٥٣٤
الصاعقة التاسعة بعد المئة: قد علم البينُ منا البين أجفانا ٥٣٧
الصاعقة العاشرة بعد المئة: الرأيَ قبلَ شجاعةِ الشجعان ٥٤٠
الصاعقة الحادية عشرة بعد المئة: بمَ التعلُّلُ لا أهلٌ ولا وطنُ ٥٤٤
الصاعقة الثانية عشرة بعد المئة: صحبَ الناسُ قبلَنا ذا الزمانا ٥٤٦
الصاعقة الثالثة عشرة بعد المئة: عدُّوك مذمومٌ بكلِّ لسانِ ٥٤٧
الصاعقة الرابعة عشرة بعد المئة: مغاني الشِّعبِ طيباً في المغاني ٥٤٩

obeikandl.com

الصاعقة الخامسة عشرة بعد المئة: نزور دياراً ما نحب لها مغنى ـــــــــــ ٥٥٣
الصاعقة السادسة عشرة بعد المئة: أَوْهِ بَديل من قَولَتي واها ـــــــــــ ٥٥٥
الصاعقة السابعة عشرة بعد المئة: كفى بكَ داءً أن ترى الموتَ شافيا ـــــــــــ ٥٥٩

obeikandl.com